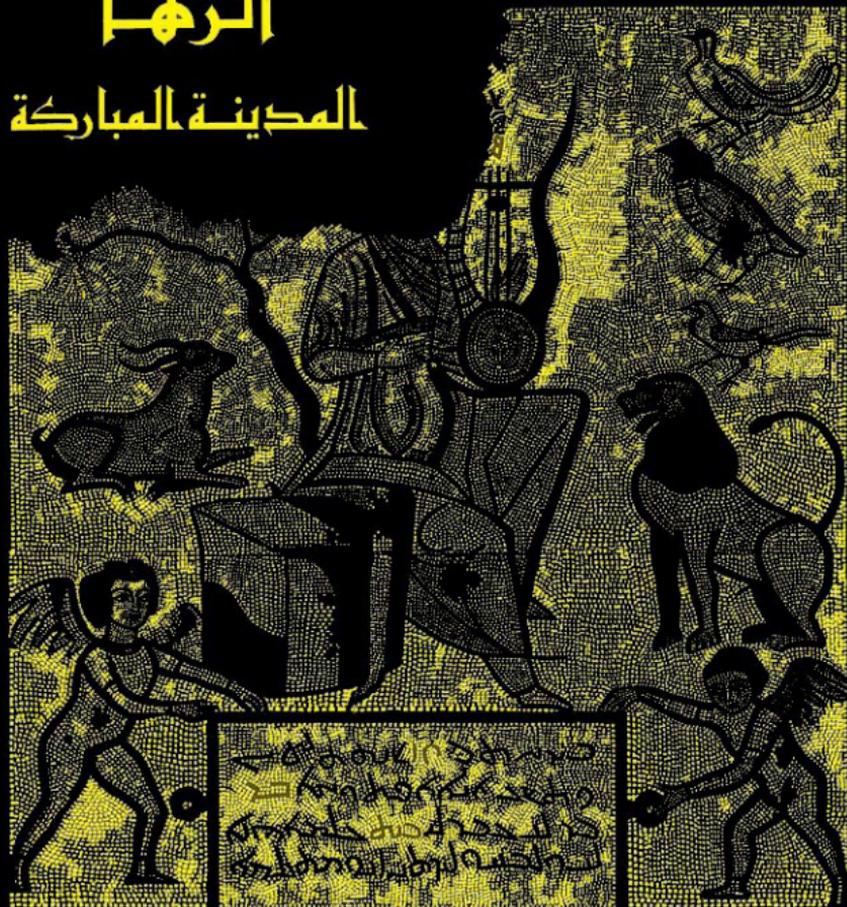


# الرمح

الرمح

المدينة المباركة



إعداد :

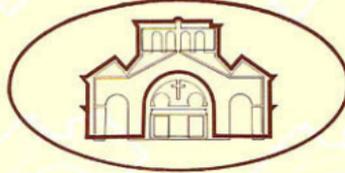
A-Olaf.com



SYRIAC PATRIMONY

مناهجنا عهد وبيدنا

التراث السرياني



2

ܡܢܗܝܓܢܐ

ܡܢܗܝܓܢܐ ܡܢ ܡܢܗܝܓܢܐ

الرَّهْبَا

المدينة المباركة

ترجمة: يوسف ابراهيم جبرا

تأليف: ج. ب. سيغال



قدم له ونشره

غريغوريوس يوحنا ابراهيم

متروبوليت حلب

أرشفة الكترونية

www.A-Olaf.com

حقوق الطبع والنشر محفوظة  
لدار الرها للنشر



دار الرها للنشر

اسم الكتاب : الرها المدينة المباركة  
تأليف : ج. ب. سيقال  
ترجمة : يوسف إبراهيم جبرا  
تقديم : غريغوريوس يوحنا ابراهيم  
الناشر : دار الرها - حلب  
الطبعة : ألف باء - الأديب - دمشق  
الطبعة : الأولى ١٩٨٨/١٠/٢٠٠٠

ADDRESS

AL-RAHA Publishing house  
P.O.Box : 4194 — ALEPPO - SYRIA  
Tlx. : 331850 NAHRIN SY  
Tel. : Off. 444466  
Priv. 444478

للمراسلات

دار الرها للنشر

ص.ب : ٤١٩٤ - حلب - سورية  
تلكس : ٣٣١٨٥٠ نهرين  
هاتف : ٤٤٤٤٦٦ مقسم  
٤٤٤٤٧٨ خاص

## الفهرس العام

ص

### الفصل الأول : البداية

- ٣ ..... الأساطير حول منشأ الرها
- ٥ ..... العصر البابلي الآشوري
- ٨ ..... العصر السلوقي

### الفصل الثاني : الرها تحت حكم الملوك

- ١٣ ..... لمحة تاريخية
- ٢١ ..... البنيان الاجتماعي والاداري
- ٣١ ..... طوبوغرافية الرها
- ٣٩ ..... الحياة الثقافية
- ٤٦ ..... برديسان
- ٤٩ ..... المرأة
- ٥٠ ..... الزي واللباس
- ٥٣ ..... الطائفة اليهودية
- ٥٦ ..... العقائد الدينية

### الفصل الثالث : بركة السيد المسيح وانتصار المسيحية

- ٧٧ ..... أسطورة أبجر وأداي
- ٨٧ ..... الشفاء في الرها
- ٩٠ ..... رسالة يسوع
- ٩٤ ..... صورة يسوع
- ٩٦ ..... العقائد المحلية عن بشارة الرها
- ١٠١ ..... شهداء الرها

١٠٧	.....	القديس افرام
١١٠	.....	الأريوسية
١١١	.....	المطران رابولا
١١٤	.....	المطران هيبا والصراع الطائفي
١١٧	.....	الرها مركز المونوفيسيّة
١٢٢	.....	الطائفة اليهودية
١٢٦	.....	وثنيو الرها

### الفصل الرابع : الحياة في الرها سنة ٢٤٠ - ٦٣٩ م

١٣٣	.....	لمحة تاريخية
١٣٩	.....	أهمية الرها الاستراتيجية
١٤٢	.....	الرها كقاعدة حربية
١٤٤	.....	الادارة المدنية
١٥٤	.....	قضاء المطارنة والاكليروس
١٦٥	.....	المهن
١٧١	.....	الزراعة
١٧٣	.....	البدو
١٧٧	.....	الحالات المعيشية في الرها
١٨١	.....	الثقافة
١٨٦	.....	منزلة المرأة
١٨٩	.....	الكوارث الطبيعية
١٩٢	.....	الحروب والجندية
٢٠٠	.....	التسلية واللهو
٢٠٢	.....	الأدب
٢١٣	.....	الحجاج المسيحيون
٢١٩	.....	الخزعبلات والسحر
٢٢٣	.....	الأبنية العامة

٢٣٦	.....	لمحة تاريخية
٢٤١	.....	عجز المسيحيين
٢٤٩	.....	الأحوال الاقتصادية
٢٥٤	.....	النشاطات المذهبية
٢٥٩	.....	الأدب
٢٦٢	.....	الكنائس والذخائر المقدسة
٢٦٧	.....	البيزنطيون يسترجعون الرها
٢٧٧	.....	الصلبييون يحتلون الرها
٢٨٢	.....	الصلبييون والسكان المحليون
٢٨٣	.....	حروب
٢٩٢	.....	الطوائف المسيحية
٣٠٠	.....	زنكي يحتل الرها
٣٠٦	.....	الرها تحت حكم الأتراك
٣١٠	.....	كارثة سنة ١١٤٦
٣١٤	.....	الخاتمة
٣١٧	.....	الخرائط والمخططات
٣٤٩	.....	اللوحات والصور
٣٩٥	.....	فهرس الأعلام
٤٠٨	.....	فهرس الشموب
٤١٠	.....	فهرس الأماكن
٤١٧	.....	قائمة اللوحات والصور
٤٢١	.....	الفهرس العام

تشكر « دار الرها » الأب الربان أفرام كريم لاتعايه وجهده  
في سبيل اعداد ومراجعة فهرس هذا الكتاب .

اشتهرت مدينة الرها في جميع أنحاء العالم  
المسيحي بأسطورة تبادل الرسائل بين ملكها أبحر  
(السرياني) الوثني وبين يسوع في أورشليم . ومدينة  
الرها هي أورفا الحالية وتقع في جنوب شرقي تركيا .  
وكانت تحظى بالاحترام والتبجيل كأول مملكة تقبلت  
المسيحية ، كما كانت مركز الكنيسة السريانية ، وهدفاً  
لعديد لا يحصى من الحجاج القادمين من الشرق  
والغرب . وهي مكان مولد الأدب السرياني  
الكلاسيكي .

ان قصة طائفها المسيحية التي أدار شؤونها  
بالتناوب الرومان فالبيزنطيون فالعرب فالأتراك  
تعكس تاريخ تقلب أحوال ما بين النهرين ، وقد  
بلغت أوجها باحتلال الأمراء الصليبيين للمدينة ، ثم  
دمارها في سنة ١١٤٦ .

تصف هذه الدراسة الأحداث في الرها من  
خلال الروايات المعاصرة بصورة شاملة ، وتدمج  
معها مواد جديدة كثيرة ، وبالأخص ست لوحات من  
الفسيفساء وجدها المؤلف ما بين سنتي ١٩٥٢  
و١٩٥٩ .

Edessa (the modern Urfa in south-east Turkey) was celebrated throughout Christendom for the legend of the exchange of letters between its pagan king and Jesus at Jerusalem. It was venerated as the first kingdom to accept Christianity; it was the centre of the Syrian Church, the goal of innumerable pilgrims from East and West, and the birth-place of classical Syriac literature. The story of its Christian community, administered in turn by Rome, Byzantium, Arabs, and Turks, reflects the vicissitudes of Mesopotamian history and culminates in the occupation of the city by Crusader counts and its devastation in 1146.

This study describes events at Edessa largely through contemporary accounts, and incorporates much new material, notably six mosaics found by the writer between 1952 and 1959.

هذا الكتاب هو نتاج خمس زيارات قام بها المؤلف  
لأورفا في السنوات ١٩٥٢ و ١٩٥٦ و ١٩٥٩ و ١٩٦١ و  
١٩٦٦ ، وتم طبعه واصله في سنة ١٩٧٠ في اكسفورد ،  
بريطانيا .

# مقدمة دار الرها

المطران يوحنا ابراهيم

متروبوليت حلب

□ تمهيد :

تعتبر مدينة أورهي ( الرها ) EDESSA - اليوم أورفا في تركيا - عاصمة اقليم أوسروين ، من أمهات مدن بلاد ما بين النهرين MESOPOTAMIA من حيث موقعها الاستراتيجي ، ومكانتها العلمية والأدبية ، ومركزها كنقطة انطلاق للحركة التجارية في كل المنطقة ، ودورها الفعال المتميز في نشر تعاليم الديانة المسيحية ، ليس في المدينة وما جاورها من المدن والقرى فحسب وإنما في مناطق وبلدان أخرى في الشرق الأوسط وآسيا • والسريان - الى أي مذهب انتموا - يعتزون ويفتخرون بمآثر هذه المدينة الخالدة ، ويمجدون ذكرى ماضيها التليد ، ويهللون لمواقف آبائهم الرهاويين من أمثال : مار أفرام ، ومار رابولا ، ومار يعقوب ، ويؤمنون بأن التقاليد والأمجاد والبطولات السالفة التي ارتبطت بماضي الرها يمكن أن تشكل في وقت من الأوقات عنصراً هاماً من عناصر مقومات وحدتهم • وكما قيل قديماً أن « لا انسان بلا تاريخ ولا تاريخ بلا انسان » •

لقد عرفت الرها عبر ماضيها الطويل أهم القادة العسكريين والسياسيين من بابليين وآشوريين ورومان وفرس ، ولكن دورها برز بشكل خاص أولاً في العصر السلوقي ثم تبلور ونما ونضج أكثر فأكثر عند اعتناقها الديانة المسيحية • وهذا الكتاب الذي نضع الآن بين يدي القارئ هو تركيز على ماضي الرها المسيحي ، وهو صفحة مميزة من صفحات التراث والعلم والتقدم في كل منطقة بلاد ما بين النهرين • وإذا كانت الأضواء مسلطة على الآلام والمآسي والنكبات التي عايشتها المدينة فانما لتكون حافزاً الى التفكير في الماضي وفي المصير •

نشوء المسيحية وظهورها في الرها - عند سيفال - تشوبها نظرة ضبابية • فالعلاقة بين ادنى التلميذ وابجر الملك وما رافقها من شفاء الملك

وأعوانه ورسالة السيد المسيح وصورته وغيرها من الأحداث كلها - في نظر المؤلف - مجرد أسطورة • ويحوم الشك بخاصة حول رسالة السيد المسيح التي عنها يقول سيغال : « ومهما يكن فإن رسالة يسوع هذه لا يمكن أن يكون قد كتبها هو ولا أن تنسب الى السنين التالية مباشرة » (١) •

ان هذا الموضوع ليجتاج الى دراسة وبحث • ونحن لا نوافق مع سيغال وغيره من المؤرخين على هذه النظرية ، ودليلنا أن اثنين من كبار علماء وفلاسفة السريان عاشا في أوائل وأواسط القرن الثاني للميلاد مسيحيين وهما طيطيانس صاحب الديايطرون وهو من مواليد بلاد ما بين النهرين عام ١٢٠م، وبرديصان من مواليد الرها أو حدياب في ١١ تموز ١٥٤م، رغم أن بعض التقاليد تشير الى أن برديصان نفسه نصرّ أبجر التاسع ابن معنو (١٧٩ - ٢١٤) • فالمسيحية كانت في الرها وفي حدياب في أواخر القرن الأول للميلاد على الأقل •

ان الكتاب الذي نشره W. CURETON وقدم له W. WRIGHT

ANCIENT SYRIAC DOCUMENTS (٢)

بعنوان

هو من أهم المراجع في هذا الموضوع الحساس • ومن المفيد أيضاً العودة الى ميامر وأشعار مار أفرام السرياني ٣٧٣ + ومار يعقوب السروجي ٥٢١ + وللسروجي رسالة نشرت عام ١٩٥٢ في لوفان تحت رقم ٢٩ في الموضوع نفسه •

وشيء آخر كنا نتمنى أن لا يقحم المؤلف نفسه فيه ، وهو من الأمور التي تخلق رد فعل معاكس عند القارئ ، من ذلك المغالطات التاريخية التي تتعلق بالعتيدة الأرثوذكسية والتي يحلو سيغال أن يطلق عليها اسم « المونوفيسية » ويتسمية أبناء الكنيسة السريانية الأرثوذكسية خطأ بالطائفة اليعقوبية • وفي بعض الأحيان يرى القارئ وكان المؤلف هو أحد المدافعين عن العتيدة المخالفة لرأي الكنيسة العام • ان السريان الأرثوذكس

١ - انظر هنا الصفحات ٧٧ - ١٠٠ •

٢ - عنوان الكتاب الكامل :

ANCIENT SYRIAC DOCUMENTS RELATIVE TO THE EARLIEST ESTABLISHMENT OF CHRISTIANITY IN EDESSA AND THE NEIGHBOURING COUNTRIES - FROM THE YEAR AFTER OUR LORD'S ASCENSION TO THE BEGINNING OF THE FORTH CENTURY.

يعتزون بالقدّيس البطل مار يعقوب البرادعي صاحب الأيادي البيض على أبناء الكنيسة السريانية في كل مكان ولكنهم يستنكرون الرأي القائل بأنّه « مؤسس كنيستهم » والفرق شاسع بين النهوض بالشيء وتأسيسه . وأن تسمية أبناء هذه الكنيسة باليعقوبية لا تمت بصلة للحقيقة التاريخية . وأبناء هذه الكنيسة يقولون بطبيعة واحدة للسيد المسيح ولكن دون أن تفسر عقيدتهم على هوى غيرهم وتختلط الأوراق بينهم وبين مبتدعين وهراطقة أنكروا لاهوت المسيح أو ناسوته . فاي مان الكنيسة واضح ومبني على تعاليم المجامع المسكونية الثلاثة نيقية ٣٢٥ م وقسطنطينية ٣٨١ م وافسس ٤٣١ م هذه الآراء الخاطئة التي جرى عليها أغلب المستشرقين حتى أواخر القرن الماضي بتأثير من أعداء الكنيسة السريانية الأرثوذكسية أخذت تتوضح من خلال دراسات جديدة حول الكريستولوجيا في كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية . وكلها تؤكد بأن إيمان هذه الكنيسة ليس بدعة ولا هرطقة ولكنه مبني على أسس إيمانية صحيحة تدعمها كتابات الآباء الأولين وآراء اللاهوتيين الأرثوذكسيين المعروفين وهي موافقة تماماً للتعليم الرسولي . وربما من المفيد مطالعة بعض الكتب التي صدرت في الآونة الأخيرة حول هذين الموضوعين منها كتاب اليسوعي الألماني المعروف :

ALOYS GRILLMEIRE SJ.

بعنوان : CHRIST IN CHRISTIAN TRADITION, VOL. 1  
(FROM THE APOSTOLIC AGE TO CHALCEDON (AD 451))

أما ما تبقى من صفحات الكتاب فيعتبر مرجعاً مهماً لتاريخ مدينة الرها . وفي كل المراحل التاريخية وما عاصرها من صراع على السلطة والنفوذ ، وظهور البدع والهرطقات وتأثيرها السيء على مسيرة الكنيسة وأولادها ، ودور الآباء العظام والملأفة القويمى الايمان والعلماء والكتاب في نشر الحضارة المسيحية والأحوال الاقتصادية والتجارية والأمنية والسياسية والاجتماعية في مختلف العهود ، والحياة المعيشية ووصف المهن والزراعة ومواضيع أخرى مثل الشعوب والقوميات والأديان ، ومكانة المرأة ، والبنيان الاجتماعي والاداري والزي واللباس والملاهي والخزعبلات والسحر ، كل هذه المواضيع مدعمة بالبراهين والأدلة ومبينة على مصادر ومراجع بمختلف اللغات يوثق بها ، ومكتوبة بأسلوب علمي رصين تتجلى فيه الروح الأكاديمية العالية . ويبرز سيغال كمؤرخ وناقد وأديب يستعمل لغة سهلة واضحة ويعتمد الموضوعية في عرض الأفكار أو ابداء الرأي ويتميز بمنهجته القائمة على التسلسل المنطقي والتدرج في تقسيم الموضوع

ومعالجته • ودراسته هذه غنية بالهوامش والحواشي مع كثرة الشروحات والتعليقات • لهذا نستطيع أن نجزم بأن كتاب « الرها المدينة المباركة » هو من أفضل وأجود ما كتب حتى الآن عن المدينة وما جاورها رغم أن الطبعة الانكليزية صدرت في عام ١٩٧٠ م •

□ قصة الترجمة العربية :

لا بد أن نشير بأن الفضل الأكبر لصدور الترجمة العربية لكتاب « الرها المدينة المباركة » يعود الى السيد جورج م • ماروكي من سريان القدس في فلسطين المعتلة وأحد أبناء أبرشية الولايات المتحدة وكندا التي يربعاها اليوم نياقة العبر الجليل مار أثناسيوس يشوع صموئيل حفظه الله • ان السيد ماروكي ليس من الحاصلين على شهادات جامعية ولا من المعروفين في عالم الأدب والفكر ، ولكن غيرته السريانية الوقادة وشغفه الذي لا يوصف بكلمات لتراث آبائه وجدوده ، وعشقه للغة السريانية التي تقديست بقم فاديننا يسوع المسيح ، واندفاعه المنقطع النظير في اقتناء نتاج أساطين العلم والمعرفة خاصة ما يتعلق بالسريان والسريانية ، كل هذه الأمور دفعت له ليتحمل أكثر من طاقتة ولينفق من ماله الخاص على ترجمة الكتاب أولا ثم على الاتفاقية التي خولته بطباعته باللغة العربية •

وناشر هذا الكتاب يسعده جداً أن يثني الثناء العاطر على السيد جورج ماروكي الذي لولاه لما ظهر الكتاب بطبعته العربية ويسأل الباري تعالى أن يكلاه بالعافية ويكون معه في كل عمل صالح ومثمر •

وهنا ننشر نص الرسائل المتبادلة بينه وبين :

OXFORD UNIVERSITY PRESS

\* \* \*



# Oxford University Press

Walton Street, Oxford OX2 6DP

Telephone 0865 56767 Cables CLARENDON PRESS OXFORD Telex 637330

ACADEMIC AND GENERAL DIVISION Publisher R. A. DENNISTON

PAM/bt

31 October 1983

Dear Mr. Marogi,

Segal: Edessa - The Blessed City

I am glad to say that I have now heard from the author, who writes: "I readily agree to the translation into Arabic of my Edessa: The Blessed City", and concludes "I warmly commend their enterprise!"

As I came to prepare the contract, I realised that I was not certain with whom it should be. Should it be with yourself, or with some corporate body? Perhaps you would be kind enough to let me know.

With all good wishes,

Yours sincerely,

Anthony Mulgan,  
Manager, International Rights

Mr. George M. Marogi

## MEMORANDUM OF AGREEMENT

made this eighth day of May 1985 between the Academic Publisher of the OXFORD UNIVERSITY PRESS Walton Street Oxford OX2 6DP (hereinafter called the Publisher) for himself his successors and assigns of the one part acting for and on behalf of the author and MR GEORGE M MAROGI 42 Somerset Avenue West Wimbledon London SW2) OBJ (hereinafter called the Buyers) for themselves their successors and assigns of the other part

Whereas the Buyers wish to publish in the Arabic language (hereinafter called the said language) a work by J B Segal entitled

### EDESSA 'THE BLESSED CITY'

(hereinafter called the said work) which is published in English by the Publisher

Now it is hereby agreed by and between the parties as follows:

1. In consideration of the payment hereinafter mentioned the Publisher grants to the Buyers the exclusive licence to publish 2,000 (two thousand) copies of the said work in volume form in the said language throughout the world subject to the terms and conditions following

2. The Publisher hereby declares that he is entitled to dispose of the rights outlined in Clause 1 and will indemnify the Buyers in respect of any action which may be taken against them on the ground that they have purchased rights from a party which was not entitled to dispose of them

3. (a) The Buyers shall produce an edition of the said work in the said language (hereinafter called their edition)

(b) They shall cause the translation to be made faithfully and accurately from the current English edition of the said work

(c) They shall publish their edition within eighteen months of the date of signing this Agreement, and if they fail to publish within the time stipulated the rights herein conveyed shall revert to the Publisher and the payment provided for in Clause 7(a) of this Agreement shall be forfeited

4. Without the consent in writing of the Publisher the Buyers shall not in their translation alter expand or abridge the said work (including illustrations where applicable) in any way, and if requested in writing by the Publisher they shall submit to him in typescript a specimen chapter of the translation or the complete translation for his approval without which this Agreement shall not be valid

5. The Buyers shall print in their edition full particulars of the English edition of the work in the following form:

Originally published in English under the title Edessa 'The Blessed City'  
©Oxford University Press 1970

6. The Buyers shall not issue their edition under any imprint other than their own without the consent in writing of the Publisher

7. (a) On signing this Agreement the Buyers shall pay to the Publisher the sum of £400 (four hundred pounds sterling) and until the Publisher shall have received this advance the Agreement is not valid

(b) All such payments shall be made without deduction of tax and other charges

8. Where the said work includes material such as extracts papers or illustrations reproduced from other publications or sources and where permission to include such material is indicated in an Acknowledgements list or in similar manner in the said work the Buyers shall undertake to obtain permission themselves from the copyright owners to cover the use of such material in their edition and to pay to them direct any reproduction fees they may require for material that is not in the Publisher's ownership

9. All rights in the said work except the aforesaid right of volume publication in the said language are specifically reserved by the Publisher

10. The Buyers shall forward to the Publisher six complimentary copies of their edition on publication and the Publisher shall be entitled to purchase further copies at two-thirds of the published price

11. If at any time after the publication of the Buyers' edition the Publisher shall issue a revised or further revised English edition and shall send a copy of it to the Buyers, then the Buyers shall not put in hand the printing of any further reprint of their current edition without incorporating the revised material therein, and such revised edition may at the Publisher's discretion be subject to a further Agreement between the parties hereto. The Buyers shall however be at liberty to continue to sell any unrevised copies printed previously. The Buyers shall send to the Publisher three copies of any revised edition when published

12. (a) The Buyers shall inform the Publisher as soon as their edition of the said work goes out of print, and all rights conveyed in this Agreement shall then revert to the Publisher

(b) In any case, should the Buyers allow their edition of the said work to go out of print and so remain for nine months, all rights conveyed in this Agreement revert to the Publisher without further notice

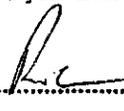
(c) Termination of the Agreement under clauses 12 (a) or (b) shall be without prejudice to the Publisher's right to recover any sums due

13. Should the Buyers at any time fail to fulfil or to comply with any of the conditions in this Agreement or should they go into liquidation this Agreement shall thereupon terminate and the Publisher shall be free to license to any other publisher the rights herein conveyed notwithstanding anything to the contrary contained or implied in any part of this Agreement

14. In case any difference shall arise between the parties hereto relating to this Agreement or any matter arising therefrom or incidental thereto the same shall be submitted to the arbitration of a single arbitrator in accordance with the provisions of the Arbitration Act 1950 or any statutory modification thereof for the time being in force

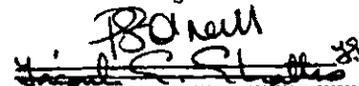
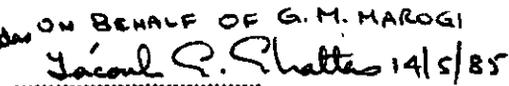
15. This Agreement shall be interpreted according to English law without regard to the place of its physical execution

As witness the hands of the parties the day and year first above named

 .....  .....

Witness to the signature of the Publisher

The Publisher

 .....  ..... ON BEHALF OF G. M. MAROGI  
Jacoub S. Shaltes 14/5/85

Witness to the signature of the Buyers

The Buyers

## □ المؤلف :

اشتهر العلامة البروفسور J. B. SEGAL في عالم الاستشراق منذ العقد الثاني من هذا القرن . مؤلفاته ومقالاته التي نشرت وما زالت تنشر في أمهات المجلات العلمية المعروفة في ديار الغرب وتصدر عن دور نشر عالمية أغلبها تدور في فلك الآداب والعلوم السريانية ، واهتماماته تتركز حول النصوص والكتابات والنقوش الآرامية القديمة ، ودراسات معمقة عن اللغة السريانية . وكتابه هذا : « الرها المدينة المباركة » هو نتاج خمس زيارات ميدانية قام بها لمدينة أورفا منذ عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٦٦ . ان حياته العلمية خولته أن يتبوأ منصباً مرموقاً ومكانة عالية بين العلماء والمستشرقين .

العلامة سيغال من مواليد عام ١٩١٢ . بريطاني الجنسية . حصل على شهادة BA في كمبرج سنة ١٩٣٥ ، وشهادة MA سنة ١٩٣٨ ، ودكتوراه في الفلسفة سنة ١٩٣٩ . تزوج سنة ١٩٤٦ . وقبل أن يحال على التقاعد بدرجة أستاذ شرف كان عضواً في جامعة أكسفورد سنة ١٩٣٩ ، ونائب مساعد مدير الضمان الاجتماعي في السودان ١٩٣٩ - ١٩٤١ ، ورئيس تشريفات MC سنة ١٩٤٢ ، ورئيس قسم الشرق الأدنى للدراسات الشرقية والافريقية ١٩٦١ - ١٩٦٨ ، وأستاذ اللغات السامية في جامعة لندن ومدرسة الدراسات الشرقية والافريقية ١٩٦١ - ١٩٧٩ . وزميل شرف في الجامعة سنة ١٩٨٣ . حاضر في كليات وجامعات العالم عن مواضيع الاستشراق وكان محاضراً زائراً في جامعة عين شمس - القاهرة سنة ١٩٧٩ .

## □ المترجم :

مترجم هذا الكتاب هو السيد يوسف ابراهيم جبرا سرياني أرثوذكسي من بيت لحم مهد السيد المسيح في فلسطين المحتلة وشقيق الأديب والكاتب العربي الكبير المعروف الأستاذ جبرا ابراهيم جبرا . ونحن وان كنا بعيدين بسبب الأوضاع الراهنة عن ظرف ومكان نقل هذا الكتاب الرائد الى اللغة العربية ولكننا نقدر عالياً ما بذله المعرب من هممة كبيرة وعناء واسع من أجل انجازه هذا الكتاب على الشكل الذي هو بين يدي القارئ . ومثل كل انسان ، يوسف ابراهيم جبرا مرتبط بماضيه ارتباطاً وثيقاً واحساسه - وهو يعيش مأساة فلسطين - يتنامى مع الأيام بهذا الماضي المشرف . رجل كبير في تواضعه وعصامي بكل ما في هذه الكلمة

من معنى ، يكتب عن خلفيته بكل صدق ونزاهة في رسالة وجهها بتاريخ ١٩٨٨/٨/٢٨ الى ناشر هذا الكتاب ويقول : « ٠٠٠ تركت المدرسة مقهوراً وأنا فتى صغير واتخذت التجارة مهنة لي لكي أعيل عائلة من سبعة أفراد . وبعد مضي سنين من الكفاح كان من رضى المولى ورضى الوالدين علي أن كان أخي الأصغر مني جبرا ( وهو جبرا ابراهيم جبرا ) واحداً من اثنين فاقا علي جميع طلاب فلسطين في الامتحانات النهائية ونال بعثة لمواصلة دراسته في جامعة كمبرج - بريطانيا ونال درجة MA في الأدب الانكليزي . وكان هذا في أوائل الأربعينات أثناء الحرب العالمية الثانية . ثم عشت معه لعدة سنوات وأنا في جو من الأدب والشعر والموسيقى الكلاسيكية ، وأخذت عنه ما استطعت من الأفكار والآراء ، وبدأت أقرأ وأطالع كتباً بالانكليزية خاصة ما كان يصعب علي أن أجده بالعربية » .

من ثمار مطالعاته قدم يوسف ابراهيم جبرا مجموعة من القصص معربة عن الآداب العالمية ونشرت هذه القصص قبل خمس سنوات تحت عنوان : « مياه في أعماق المدينة » .

أما كتاب « الرها المدينة المباركة » فلقد أخذ منه مدة خمس سنوات حيث كان يقوم بترجمته كل يوم بعد فراغه من عمله . ورغم أنه لم « يحلم بأن الكتاب سينشر في يوم من الأيام » فما نضعه بين يديه لا ليتأمله فرحاً فحسب وإنما ليرى بأعينه معجزة قام بها انسان ثقّف وكوّن نفسه بنفسه . ونحن وان اعترضتنا مشاكل كثيرة منذ تعهدنا بطباعة الكتاب ولكن يسعدنا أن يكون أول كتاب يصدر عن «دار الرها للنشر» التي أسسناها في حلب بموجب قرار وزارة الاعلام السورية رقم ٤٦ تاريخ ١٤/٥/١٩٨٨ وهو الكتاب الثاني في سلسلة « التراث السرياني » . فالى القارئ الكريم نقدم هذا النتاج ، والى السيدين جورج ماروكي ويوسف ابراهيم جبرا تحية تقدير واعجاب لانجاز هذا العمل الحضاري .

حلب في ١٤ / ايلول / ١٩٨٨

عيد اكتشاف الصليب المقدس

★ ★ ★

## المقدمة

ان المسافر الذي يصل الى أورفا من الغرب - على الطريق الذي سلكته القوافل سعياً وراء التوابل والأحجار الكريمة والموصلين والحريز من الهند والصين ، والذي سلكته أيضاً الكتائب الرومانية البيزنطية والحجاج وطلاب العلم - قليلاً ما يخطر بباله المشهد الذي ينتظره الى أن يصبح على بعد بضعة أميال من المدينة • وبعدئذ ينحدر الطريق الملتوي بشدة ، وتفسح التلال البنية الجرداء المجال للأشجار والبساتين ، وتمتد حقول القمح في سهل حران بعيداً الى الجنوب على قدر ما تستطيع العين رؤيته • ثم تبدو المكعبات البيضاء للأبنية الجديدة في أملاك أورفا فجأة أمام البصر • وبعد التواءة أخرى في الطريق تتكشف القباب وماذن المساجد ، وأخيراً ، وعلى مسافة بعيدة ، يظهر عمودان رشيقان متوجان بتاجين كورنثي النمط على قمة جبل القلعة يسيطران من شاطئ على الريف ، أثران فريدان منعزلان من الزمن الروماني •

ان الترتيب الذي تبرز فيه معالم أورفا هو ذو أهمية غريبة ، وهي تمثل ثلاث مراحل متتابعة في تاريخ المدينة • فأورفا اليوم هي مدينة مزدهرة سكانها حوالي ثمانين ألف نسمة • ومركز لوال • وهي المدينة الرئيسية لاقليم واسع • ولقد ترك الإسلام في العصور المتوسطة طابعه على عادات ومظهر المدينة • ولا ريب في أن المؤرخ ستغفر له نظرتة الى الورا الى عصر أعمق بعداً عندما كانت هذه المدينة تعرف باسم الرها أو أديسا ، وكان لها أكثر من شهرة محلية ، وبقيت لأكثر من ألف سنة تحتل مركزاً فريداً في العالم المسيحي ، بصرف النظر عما اذا كان حكاها رومانين أو بيزنطيين أو عرباً أو أتراكاً أو من الأرمن أو اللاتين • ولقد قرنتها التقاليد بالسيد المسيح نفسه ، وبنشاطات ارساليات

المسيحية الأولى ، واليهما أمّ الحجاج من مدن ما بين النهرين\* وبلاد  
الفرس حتى من الشرق الأقصى . وكانت أساطيرها معروفة ومبجلة في  
أوروبا الغربية قرونا قبل الفتح النورماندي . وكانت أديرتها وكهوفها  
مساكن للقدّيسين والعلماء والشعراء . وكانت شهيرة في العالم المتمدن  
بأنها مكان مولد الفلسفة والأدب السريانيين .

سيحاول هذا الكتاب معالجة هذه المرحلة الباكرة من تاريخها ،  
ويتلو كلمات كتابها المعاصرين آنثد كلما استطاع الى ذلك سبيلا .  
وبعد ذلك - بكارثة سنة ١١٤٦ الرهيبة - تضاءلت طائفتها المسيحية ،  
وأصاب المدينة ، التي تعرف الآن باسم أورفا ، الانحطاط على مرّ الزمن  
وغابت في طيات غموض نسبي كمدينة رئيسية لاقليم بعيد في تركيا .  
اختفت أديسة من صفحات التاريخ . ولقد برز الى الوجود في السنين  
الأخيرة بعض نصبها التذكارية القديمة - (ولو أن الكثير منها سقط  
ضحية لتعديت المدنية) - كالكتابات المنقوشة والأضرحة الكهفية ولوحات  
فسيفسائية وقطع من النعت . أن مساجدها وماذنها قديمة ؛ ولعلها  
قائمة على أماكن كنائس أقدم . والقلعة ، وهي خربة اليوم ، لا تزال  
تسيطر على المدينة ، بينما برك السمك في الأسفل هي نصب هادىء  
لذكرى اعتقادات ألفين من السنين .

★ ★ ★

★ يود المترجم أن يذكر هنا أنه ، في معظم الأحيان ، أبقى على التسمية « ما بين النهرين »  
( وهي أصلا ترجمة للكلمة اليونانية « ميسوبوتاميا » ) التي يستعملها المؤلف باستمرار في كتابه  
هذا ، قاصدا بها - والا فيما ندر - المنطقة التي سماها العرب « بالجزيرة » ، والتي كانت مدينة  
الرها لقراية ألف سنة مركزها لا جغرافيا فحسب ، بل ثقافيا وعمرا نيا كذلك ، حتى قال ابن الأثير  
انها كانت بمثابة « العين » من هذه المنطقة . وقد آثر المترجم الإبقاء على عبارة « ما بين النهرين » ، لكي  
يبقى في انذهن صلة هذه المنطقة الوثيقة ببقية وادي الرافدين ، لا جغرافيا فقط ، بل تاريخيا  
وحضاريا ، وذلك منذ قيام الامبراطوريتين البابلية والآشورية ، وفي العقب التي تلتها . - المترجم

# البداية

## الأساطير حول منشأ الرها

كتب القديس أفرام السرياني في تعليقه على سفر التكوين في القرن الرابع أن نمروود « حكم أرك التي هي أورهي » ، وكان بذلك يروي أسطورة الاعتقاد بها واسع في آسيا الغربية ، وبعدئذ أمدن الكتّاب أكثر من هذا . وادعى القديس ايسيدور مثلاً بأن نمروود « بنى أديسا ، وهي مدينة في ما بين النهرين ، بعدما هاجر من بابل وحكم فيها . وكانت من قبل تدعى أرك » . ونحن لسنا ملزمين بتصديق هؤلاء اللاهوتيين حرفياً تماماً ، إذ انه كان من المتبع في الشرق الأدنى (وفي الحق ، في أوروبا أيضاً ) أن يعزو السكان الأنوفين في مدينة قديمة ، تأسيس مدينتهم الى شخصية قوية أسطورية . ولقد اشتهر نمروود في التوراة كشخص بان . ويطلق اسمه اليوم على عدة أماكن أثرية في تركيا ، ويبدو أن عملاقاً فقط كان باستطاعته أن يجمع المباني التذكارية الضخمة الباقية من عصور وثنية سحيقة (١) .

وكان على أورهي ، وهي المكان الذي اختاره نمروود لتأسيسها ، أن تثني على نفسها كثيراً في القرون اللاحقة . ففي التقاليد اليهودية وبعدئذ الاسلامية كان نمروود عدو ابراهيم ، وباقتران اسم نمروود بمدينتهم شجعت الشعب في أورهي على الاعتقاد بأن الأب الكبير ابراهيم نفسه سكن هناك . فعلى بُعد أربعين كيلو متراً الى الجنوب يقع مركز الوثنية في حران التي ادعت أن ابراهيم أحد سكانها وأظهرت للحجاج المسيحيين الأماكن التي سكن فيها . وادعاء حران هذا يلاقي دعماً في نص التوراة . هناك أماكن أثرية أخرى في هذا الاقليم يبدو أنها ذكرت

١ - استنادا الى يعقوب الرهاوي وكتاب سريان آخرين يعرف نمروود بأنه نينوس بن بيلوس الذي أسس نينوى ووهبها اسمه .

في التوراة - فدان ، وأسماء شخصية مثل سروج وتارح وناحور(٢) .  
ألم يكن لمدينة أورهي المسيحية الشهيرة حق أقوى في أب من آباء  
التوحيد العظيم ؟

يلتصق اسما نمرود و ابراهيم بهذه المدينة وما جاورها حتى الوقت  
الحاضر . فالجبل الذي تجثم عليه القلعة يسميه الناس « عرش نمرود » ،  
والتلال الجرداء التي تقع عليها خرائب دير مار يعقوب الذي كان شهيراً  
في يوم من الأيام يطلق عليها اسم « تلال نمرود » . وهناك مسجدان  
بجانب برك السمك في أسفل القلعة يسميان باسم ابراهيم ، والبرك  
يرد ذكرها في القصص الشعبية المحلية عن نمرود ، ويقال ان نمروداً  
أوثق ابراهيم بين عمودين هائلين - ما زال قائمين على جبل القلعة -  
وقذف به الى الوادي . وبأعجوبة سقط دون أن يمسه سوء ؛ وفي مكان  
سقوطه ظهرت البركة المعروفة حتى اليوم بـ « بركة ابراهيم » وظهر  
السمك الذي يسبح فيها والمعروف بـ « سمك ابراهيم » - وبجانب هذه  
البركة أقيم مسجد « الخليل » والكلمة كناية اسلامية لابراهيم . وفي كهف  
قرب مسجد آخر يدعى مقام ابراهيم أخفي الم طفل ابراهيم ليأمن عداوة  
نمرود ، كما تروي حكاية أخرى . وتقص رواية ثالثة كيف حاول  
الملك نمرود أن يهلك ابراهيم بالنار . وركع ابراهيم يتوسل الى  
السماء فانجس نبعان من المياه في المكان الذي مست فيه ركبتاه الارض  
وأطفأ النار . فاحدى البركتين تدعى ، كما رأينا « بركة ابراهيم »  
والأخرى « بركة زليخا » باسم زوجة فوطيفار . ولكنه من العسير أن  
نعرف ماذا تفعل زوجة فوطيفار في هذا الاطار . ربما كانت في وقت  
من الأوقات تدعى « بركة صلخا » ، كما يسمي المسلمون أم نمرود .  
ان تعريف أورهي بأنها أرك يتأتى ولا ريب من العبارة الواردة  
في التوراة « وكان ابتداء مملكة [نمرود] . . . أرك » (تكوين ١٠-١٠)

٢ - تكوين ١١ : ٢٠ وما بعده ١٠:٢٤ - وما بعده ٢:٢٨ وما بعده . وقد يكون هناك صدى لاسم نمرود  
في اسم « مارود » الذي يذكره يعقوب الرهاوي في نهاية القرن السابع أو بداية القرن الثامن .  
انه يقرر أن « الكلدانيين » - يعني هنا وثنيي خزان - ادعوا بأن « في البدء كان كل شيء  
ظلاماً وماء قبل وجود آلهة وبشر وكانت الأزواج ترفرف فوق المياه ، وخلق هذه ( الكواكب )  
السبعة . . . وصنعت بيل أولاً وبعده مارود كسيدة للآلهة » . وربما يشير يعقوب السروجي  
الى نمرود موازية في مقالته « عن سقوط الأصنام » حيث أن من بين آلهة حران بارنمري  
و «مار [ي] كلابه» . راجع الصفحات ٧٤-٧٧ عن مازيلاها . وفي عبارة لابن العبري يعزو تأسيس  
أورهي لأخنوخ « الذي يسميه الاغريق هرميس تريسمجستوس » ، ويقول أنها أصغر المسدن  
التي أسسها . وفي مكان آخر يعتبر ابن العبري أن نمرود هو باني أورهي .

أن تشابه الاسماء عند المعلقين كان أمراً لا يقاوم (٣) . فالنظرية لا يمكن تأييدها طالما أننا نعرف أن أرك (أوروك) تقع في الجنوب الشرقي من وادي الرافدين وتبعد أكثر من خمسمائة ميل عن أورهي . والنظريات الحديثة عن أصل اسم أورهي ليست أقل استحالة (٤) ، ومن الصعوبة أن يكون الاسم شكلاً ثانوياً لاسم أوسروين ، وهو اسم الاقليم الذي تقع فيه . ولقد اعتبر العلماء أن كلمة أورهي هي شكل مشوه لكلمة Kallirrox اليونانية وتعني: « [المدينة] ذات [المياه] المتدفقة الجميلة » أو هي مشتقة من جذر سامي Urh ماء . وفي العربية « وريحة » ، أي ذات المياه الطيبة أو المروية جيداً . علينا أن نأخذ هذه النظريات بعين الحذر لأنها تفترض أن المدينة اكتسبت اسمها بعد العصر السلوقي فقط .

### العصر البابلي الآشوري

لقد عُرِّفت أورهي بمدينة أور الكلدانيين التي ورد ذكرها في التوراة ليس من قبل العلماء فقط بل من قبل شخصيات عصرية محترمة في أورفا (٥) أيضاً . ولكن ليس هناك بينة مرضية لهذه النظرية . ولم يتمسك بها مطران المدينة الذي قام بدور الدليل لإيجيريا ، الراهبة الحاجّة من أكويتانيا ، ربما في القرن الخامس - مع أنه كان يعرف رغبتها في رؤية الأماكن الأثرية التي تقترن بالتوراة وكانت على وشك زيارة معابد إبراهيم في حران القريية . وفي الواقع أنها أعلنت في حران بأن نصيين كانت على بعد خمس مراحل وأن أور الكلدانيين كانت أبعد بخمس مراحل أخرى - وبأنها في أيدي الفرس . وكذلك لا يذكرها كتاب حياة الشهداء المسيحيين ولا شعراء أورهي في القرون المتوالية

٢ - من الغريب أن هذه المعادلة يقدمها مؤلف كتاب « شهداء الرها » في حديثه عن شموئه وكوريا في بداية القرن الرابع ، ويكتب : « في أيام قوتنا مطران مدينة ارك » .

٤ - أنها استشارة يأس أن تقبل نظرية مؤرخ احداث سرياني بأن أورهي أسسها أورهي بن حيوية ( أي : حية ) انظر صفحة ١٢٩ ، وكذلك فانه غير محتمل أن «أورهي» هو شكل ثان لاسم «أويو» مؤسس السلالة الرهاوية ص ٢٢ .

٥ - عبر إمام مقام الخليل ( في أورفا ) عن هذا الرأي مؤلف هذا الكتاب سنة ١٩٥٦ . وأعلن مواطن مجتمه آخر في أورفا ان اسم أورفا مأخوذ من أورفيوس الاله في الاساطير الاغريقية . فتهكم المؤلف على هذه النظرية . وبعد أيام قلائل اكتشف هو نفسه اللوحة الفسيفسائية لأورفيوس في كهف قند في الصخر في أورفا . ( صفحة ٦٦ وتعلم بعد ذلك الا يتهم بسرعة - ولكن مع ذلك فان نظرية اشتقاق اسم أورفا من أورفيوس يجب نبذها لأن تسمية المدينة باسم أورفا لم يبرهن عليه بوضوح قبل العصر العثماني .

الرابع والخامس والسادس ، الذين لم يضيعوا فرصة ليفاخروا بتفوق مدينتهم وصدارتها • ويبدو أن أقدم مؤرخ سرياني عرف أورهي بمدينة أور كان المطروفوليط باسيل بارشومانا ، صديق زنكي الذي فتح الرها في القرن الثاني عشر • وبامكاننا أن نشير الى أنه اذا كانت أور الكلدانيين هي أورهي ، تكون بذلك أول مرحلة من هجرة تارح وابراهيم ، وهي أعظم هجرة في العهود القديمة أهمية ، قد تقلصت الى رحلة خمسين كيلو متراً ، وهي مسيرة سهلة لا تكاد تذكر •

كانت هناك مدن أخرى في ما بين النهرين تدعى في القدم أورو ، أو اور - أ • ثمة مدينة تظهر في سجلات أوغاريت بأنها خاضعة للحثيين • وأخرى من الواضح كانت في الشمال الشرقي ما بين النهرين • واننا نقرأ عن « أور الكبرى » و « أور الصغرى » ، وهما بالكاد تعرفان بأورهي • وبموجب ملاحظة المطروفوليط باسيل ، فان كلمة « أور » لم تكن تعني أكثر من « مدينة » (٦) • وفي الحق ان استعداد القديس أفرام وكتّاب آخرين لمساواة أورهي مع أرك يوحي بأن الشكل القديم للاسم لربما كان URH أو URH أو URK .

مهما يكن من أمر فانه بالامكان الافتراض بأن التقليد الملح حول منشأ المدينة القديم قبل العصر السلوقي محتمل اذا لم يكن أكيداً • وبالكاد أن يكون غير هذا اذا أخذنا بعين الاعتبار مركز أورهي الجغرافي ، اذ انه ليست هناك قوة تنشد الاحتفاظ بالسيطرة على المنطقة تستطيع اهمال هذا المكان • وهو يقع على ملتقى طرق رئيسية قديمة • فأحد هذه الطرق هو ذلك الذي يأتي من ارمينيا وينزل من مركز آمد (ديار بكر) العظيم ويتخرج من بين الجبال الى قلب السهل في هذه البقعة ، ومن هناك يستمر جنوباً الى حران ، ويمحاذاة نهر البليخ عبر الفرات، الى ما وراء مدن سوريا العظيمة في الغرب والجنوب • وفي أورهي يلتقي طريق الشمال - جنوب بطريق الشرق - غرب الذي يوصل نصيبين وما وراء نصيبين ، البلاد الفارسية والهندية والصين في الشرق بمخاضات نهر الفرات في الغرب • على هذا الطريق كانت القوافل في العصر السلوقي، ويمكننا الافتراض في زمن ما قبل السلوقيين

٦ - عن قول باسيل بارشومانا ، نقله ميخائيل السرياني ، يعلن أنه : « بعد الطوفان في زمن نوح ، الملك نمرود ••• بنى أورهي وسماها «أور» أي «مدينة» • وبما أن الكلدانيين عاشوا هناك أضافوا «هاي» أي «تلك المدينة (التي للكلدانيين) » ، تماماً كما أن أور شام تعني « مدينة شام » •

أيضاً ، تحمل التوابل والحجارة الكريمة والموصلين من الهند والحرير  
من الصين الى البلدان الآهلة في آسيا الصغرى وشواطئ البحر الأبيض  
المتوسط .

هذا الاقليم ، اذن ، الواقع في المنحنى العظيم لنهر الفرات لعب  
دوراً بارزاً في حركة التجارة والفتح في الأراضي الواقعة على شواطئ  
دجلة حتى الفرات وسوريا . اننا نتوقع أن نجد اشارات عن هذا في  
السجلات المسمارية . وفي الألف الثالث ق.م . كانت بيلك (ربما مدينة  
على نهر البليخ) تجهز الخمر بموجب نصوص لفش . وكانت مدينة  
بليهو بين المدن التي احتلها نابو بولاصر قبل نهاية المملكة البابلية .  
وكان الآشوريون أخضعوا في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد مدينة  
دورو على نهر القلاب التي تبعد نحو عشرين كيلو متراً شرقي أورهي .  
والحملات التي أخضع فيها آشور ناصر بال (٨٨٤-٨٥٩ ق.م) القبائل  
الآرامية في هذه المنطقة ، واصطاد الأسود قرب نهر البليخ والغنازير  
البرية قرب الفرات مسجلة على الأبواب التي اكتشفت حديثاً في بلاوات  
قرب الموصل (٧) ، وهي تذكر جزية دفعتها مدينة سروج . أما خليفة  
آشور ناصر بال شلمنصر الثالث فقد احتل المدن على نهر البليخ التي  
تدعى كيتالالا وتل شاماراهي (أو تلماراهي) .

ان النصوص القديمة التي بين أيدينا تشير مراراً وتكراراً الى  
حرّان . المدينة التي بموجب التوراة أتى اليها ابراهيم وسارة والتي  
انتقى اسحق وابنه يعقوب زوجاتهما منها . وكان اله حرّان القمرسين  
يستدعى ليصادق على المعاهدات ويقرها قديماً منذ القرن التاسع ق.م .  
والقرن الرابع عشر ق.م . وبعيداً في شمال سوريا في القرن الثامن .  
ورمّم شلمنصر الثالث هيكل الإله سين في القرن التاسع . وقام بترميمه  
بعد قرنين آشور بانيبال الذي (سين وينغال « توجه باخلاص قلبيهما  
بتاج السيادة » ) .

وأخيراً رمّمه نابونيدس عند قرب زوال الامبراطورية البابلية .  
وتظهر الرسائل المكتشفة في ماري أن المنطقة حول البليخ كان يحتلها في  
القرن التاسع عشر ق.م . اتحاد قبائل شبه بدوية كانت نشطة بشكل  
خاص في منطقة حرّان . كانت الغارات متتالية ، والأمن لم يكن سائداً  
الا في المدن فقط . وكانت الحصون يقوم بحمايتها بصورة واسعة جنود

محلين بزعامة شيوخ مخلصين \* وترأس شمسي أده حاكم آشور حملة نظمتها بعناية ليخضع منطقة حران - من المحتمل ليبقي طريق التجارة مفتوحاً \* وبعد خمسة قرون ألحق أداد نيراري الآشوري الاقليم تحت حكم تورتانو Turtanu . وتمتعت حران مع آشور في القرن العاشر بالاعفاء من الضريبة \* وأعاد سرجون هذا الامتياز في وقت متأخر من القرن الثامن \* لقد كانت أرضاً اقطاعية لها علاقة خاصة بالملك الآشوري \* ومن القرن التاسع حتى القرن الثامن ق.م كان حاكمها التورتانو أعلى قائد عسكري في الامبراطورية الآشورية ، وكان قد شغل المنصب السياسي الديني ليممو Limmu بعد الملك نفسه \* وزار أسرحدون (٨) هيكل حران وهو في طريقه لاختضاع مصر \* وبعد هذا بوقت طويل نصّب آشور بانيبال أخاه هناك كاهناً أعلى \* ولقد كان في حران أن وقفت القوات الآشورية بقيادة آشورو بليط ووقفها الأخيرة قبل أن تتقهقر غرباً حوالي سنة ٦١٠ ق.م \* وكانت حران ، بعدالة تاريخية ، مقر سكنى نابونيدس ، آخر ملك لبابل ، أيام طفولته ونشأته \*

### العصر السلوقي

انه لمن المدهش حقاً ألا تكون هناك اشارة واضحة لأورهي حتى الآن في النصوص التاريخية التي لها علاقة بهذه المنطقة \* وهي بعكس حران لا يرد اسمها في الكتابات المسمارية \* قد يكون ذلك بطريق الصدفة ، أو قد تكون أورهي قد أشير اليها تحت اسم مختلف لم يعرف حتى الآن \* لعلها لم تكن محصنة ، ولذلك كانت في هذا الوقت مكاناً غير ذي أهمية عسكرية أو سياسية \* ومهما يكن فاننا في العصر السلوقي نجد أنفسنا على أرض تاريخية ثابتة \* فسلوقس الأول أسس - أو بالأحرى أعاد تأسيس عدد من المدن في هذه المنطقة \* وربما كان من بينها أورهي ، وذلك في سنة ٣٠٣ أو ٣٠٢ ق.م \*

ان عبقرية الاسكندر أوجدت تغييراً أساسياً في تقنيات الحرب \* والسرعة الخاطفة التي تحرك بها عبر مشهد الأحداث كانت لا تضاهي، ومبنيّة على تصرف فريد جديد ، وعلى استعمال مواد القتال \* وغداً الجيش الآن آلة متناسقة بعناية - الأنماط المختلفة من المشاة عليها أن تتلقى صدمة المعركة ، والفرسان عليهم أن يجمعوا ثمار النصر بسرعة \*

والمدفعية (رجال القذائف) للحصار والميدان • والمهندسون بأعدته  
مختلفة واسعة ، وقلم مخابرات • وحتى أوليات الخدمة الطبية ، ووحدات  
من المساحين والجغرافيين ليدعموا القوة بمهارة وتأمين العلم • وكانت  
الحملات تنفذ في فصل من فصول السنة ، والحركة السريعة ضمننت  
فائدة المباغتة • ففي النطاق العسكري كانت لهذه الفكرة الجديدة عن  
الوقت والحركة نتائج بعيدة المدى أشبه باختراع الطائرة في القرن  
العشرين •

غدت مدن السهل الآن ومن بينها حران سهلة المنال • ولكن أورهي  
كانت في مركز يناسب بشكل فائق الموقف العسكري الجديد لأنها بأهميتها  
الاستراتيجية العظيمة تضيف قوة طبيعية عظيمة ، واذ هي تقع في منحني  
الفرات العريض فانها تسيطر على مقاطعة خصبة وراء النهر ، وهي  
على مسافة كافية من النهر - خمسة وثمانون كيلو متراً شرقى زوغما  
وبرثا ، وخمسة وأربعون كيلو متراً جنوب شرقى شمشاط - لكي تنبه  
سنداً لهجمات من الغرب (٩) • والمدينة ترض على شكل اسفين موجّه  
بين سفوح جبال الأناضول العالية • وتشكل التلال على جانبيها حاجزين  
طبيعيين للدفاع عززت بسهولة بصفين من الأسوار • أما من الجنوب  
الشرقي فهي معرضة الى المنال السهل من سهل حران • ولكن هذا  
الجانب يسيطر عليه مرتفع عال من الصخر الجيري ومتوج بقلعة تعلو  
وتشرف على المدينة وما جاورها من الريف • أما المياه فتزود من نهر  
ينساب من الشمال الغربي بمحاذاة واد عميق ليدخلها من الجنوب الغربي  
ثم يخرج من الشرق لينضم الى نهر القلاب ، أحد روافد نهر بليخ •  
وكان يسمى بالسريانية ديسان وبال يونانية سيرتوس ، وكلا الاسمين  
يعني « [النهر] الوثاب » • وكان الاسم لائقاً (١٠) ، لأنه كان جدولاً  
صغيراً يثير الازعاج بحيث كانت مياهه المتزايدة بفعل تدفق أمطار  
الشتاء وذوبان الثلوج على جبال الشمال تجلب كوارث فجائية على  
المدينة وسكانها كل مائة سنة مرة واحدة على الأقل • ان الإتكال على  
هذا النهر الذي تقع مصادره الخمسة والعشرون على مسافة قريبة في  
الأراضي المرتفعة تضع المدينة تحت رحمة أي محاصر قوي العزيمة •  
ولكن لحسن الحظ هناك يتابع فياضة داخل أسوار المدينة تمد برك  
السك الشهيرة فيها بالماء •

٩ - مهما يكن فان الإسكندر عندما قام بجملته ضد الفرس تقدم شرقاً •  
١٠- ربما كان الاسم يستعمل في أماكن أخرى مجاورة للردنا وتطبيق مختلف نوعاً ما • انظر صفحة  
٦٩ التالية •

أطلق السلوقيون أسماء جديدة على أورهي كبقية المدن التي أسسوها . فعلى النقود التي سكها أنطيوخوس ابيفانوس ( المتوفى سنة ١٦٣ق.م ) تدعى « أنطاخيا قرب [المياه] الجارية الجميلة » - تلميح ولا ريب الى برك السمك ونهر اورهي . وهذا النعت ذو المغزى الجميل نجده يطلق على هيرابولس (منبج) ايضاً إذ كان هناك أيضاً بركة شهيرة للسمك مقدسة للالهة آتارغات « الإلهة السورية الوثنية » التي يصف طقوسها لوقيان الشميشاطي\* واختلط أمر المدينتين على سترابون(١١) . ويبدو أن منح أورهي اسم أنطيوخوس قد يعني ضمناً أنه كانت هناك مستعمرة عسكرية رقيت فيما بعد الى منزلة مدينة ثم غدا لها حكم ذاتي بصورة جزئية في اصدار النقود مع صورة الامبراطور. ولكن بدون نقش الاسم الملكي لأنطيوخوس ابيفانوس ، وتجدر الاشارة الى أن نصيبين التي كان للرها اتصالات مباشرة بها أعيد تأسيسها في الوقت نفسه باسم أنطاخيا مقدونيا .

هناك اسم آخر أكثر دواماً واستمرارية أعطي لأورهي ربما في تاريخ أقدم نوعاً ما . فيموجب التقليد ، وتحت حكم سلوقس نيكاتور ، أعطيت المدينة اسم أديسا . لماذا منح السلوقيون الفاتحون المدينة بعد اسم عاصمتهم الخاصة في مقدونيا ؟ فهذا ما لا نعرفه .

واسم أديسا المقدونية ، التي اسمها الآن ثودينا ، مشتق من « فودا » أي « ماء » - أو لعل موقعها بين التلال ذكّر أحد القواد المصابين بالحنين للوطن بمزايا مدينته(١٢) . هذا كان الاسم الذي وصلت به أورهي الى الشهرة الداوية - وبهذا الاسم استدعى من الآن فصاعداً في هذا الكتاب(١٣) .

لنا أن نتصور مظهر مدينة الرها في العصر السلوقي . فالنقود الرومانية تحمل صورة إلهة المدينة جالسة على مرتفع وشكل إله نهري

١١- انظر الصفحة ٥٩ .

١٢- علينا ألا نعتبر جدياً ما قرره أحد المؤرخين بأن اديسا سميت على اسم الابنة البكر لمؤسس المدينة سلوقس وأعطيت كياتنة لها . وكذلك علينا ألا نقبل اقتراح أحد العلماء العديدين القائل بأن اسم اديسا كلمة مشوهة للكلمة السريانية حداثا أي ( المدينة ) الجديدة . وليس هناك برهان على هذا في السجلات ، وتقدم الكلمة صعوبة لغوية جديّة .

١٣- مهما يكن فانه في السريانية استمرت المدينة تسمى أورهي ، وتادرا ما يستعمل اسم اديسا في الكتابات السريانية واذا ما استعمل فيكون بتأثير اليونانية . ( ونظراً لكون اسم الرها أكثر شيوعاً في بلادنا وأعمق محبة في قلوبنا ولكونه الاسم الاصيل ، فضلنا استعمال اسم الرها بدلا من اديسا في ترجمة هذا ( الكتاب ) . المترجم .

يسبح عند قدميها • والموضوع مبتذل تشارك الرها به المدن المجاورة ،  
ومع ذلك فقد كانت تستحقه عن جدارة كشعار لها منذ عهد قديم •  
وكنا قد ألمحنا بأن جبل القلعة والنهر والينابيع والبرك هي مزايا  
بارزة للمدينة •

على هذه المزايا البارزة الطبيعية انتشر مشروع تخطيط مدينة  
يبدو أن شكلها احتفظ على هيئته حتى اليوم • والخطوط الخارجية  
البارزة للأرض التي حُصرت بضيق بين سفوح التلال ومجرى النهر  
ما كانت لتكون الا على هذا الشكل (١٤) • صحيح أن مهندسى الامبراطور  
البيزنطى جستنيان قاموا بتغييرات هامة في مجرى النهر في شمال وغرب  
المدينة ولكن باستثناء واحد اذ انهم استمروا في تتبع خطوط التلال  
وحوض الوادى ، ولم يكن للأسوار في الشمال والغرب الا أن تمتد  
بمحاذاة الوادى • وفي الجنوب ضمت الينابيع والبرك الضرورية لتزويد  
المياه • كان هنالك فتحات ومصارف في الناحية الغربية ليدخل منها  
النهر الى المدينة ثم ينساب خارجاً منها الى السهل بواسطة فتحات  
ومصارف في الناحية الشرقية • وكانت هنالك أربعة طرق متصلة بأربعة  
أبواب موضوعة بدقة كافية على نقاط البوصلة الرئيسية الأربع •  
وبقيت تستعمل ، ولو تحت أسماء مختلفة وعصور مختلفة حتى القرن  
الثاني عشر - وثلاثة منها حتى الوقت الحاضر • أما عن وسائل الدفاع  
فلربما كان هناك سوران أحدهما خارجي والآخر داخلي • ونعلم أنه في  
الأزمان البيزنطية بُني في المساحة الكائنة بين السورين ممشى مسقوف  
على أعمدة ، ولذلك فان السور الداخلي لا بد كان مشيداً من قبل •  
وكما في المدن الأخرى التي صممت في عهد السلوقيين في الشرق امتدت  
الطرق في خطوط مستقيمة متقاطعة شمالاً الى جنوب ، وشرقاً الى  
غرب • وبقي معظمها قائماً حتى الزمن الحاضر •

كان قد ضم جزء فقط من جبل القلعة داخل الأسوار في زمن  
السلوقيين • واعتبر هذا بحق نقصاً في أعمال الدفاع من قبل البيزنطيين  
وكانوا قد وسعوا محيط الأسوار ليضم التل بأكمله • ويبدو تخميناً ،  
أن القلعة كانت مقر سكنى الحاكم السلوقي • كما غدت بعدئذ مقر

---

١٤- هناك وصف مثالي للرها التي بناها سلوقس في تاريخ سرياني يجلب الاهتمام حيث يخبرنا بأن  
المدينة كان لها سور منيح عال بأربعة أبراج - ويضيف المؤلف أن برجاً صغيراً من الأبراج كان  
قد بني في زمنه - « وأربع قلاع بديعة ومحصنة في أربع أقران المدينة » بالإضافة الى القصور  
والهيكل ، والأسواق مجهزة بجهاز مغطى بعناية لتأمين ري كاف •

ملوك الرها . أما تركيبها الحاضر فإنه يغطي مساحة ٤٠٠ في ٢٠-٨٠ متراً ، ولكنها خضعت للترميم مراراً عديدة حتى لنستطيع المجازفة بالتخمين عن شكلها في زمن السلوقيين . وانبسبت بركتا السمك في أسفل شمالي تل القلعة ، احدهما تدعى اليوم بركة ابراهيم والأخرى بركة زليخا ، باسم زليخا زوجة فوطيفار . وكنا قد اقترحنا سابقاً أن البركة الثانية كانت تدعى في وقت من الأوقات بركة صلخا وهو اسم والدة نمرود ، ولكنه محتمل أيضاً - وهناك بعض البرهان على هذا خارج الرها - على أن البركة كانت تدعى في الاصل سلوق على اسم سلوقس ، وكان اسم باني المدينة الشهير واسع الاستعمال في الرها .

وتقول الموروثات أنه كان هناك مذبح وثني عظيم قائماً بجانب البرك في زمن السلوقيين ، وعلى مقربة من المكان - ربما في نهاية القرن الثاني للمسيح - شيدت كنيسة شاع تبجيلها في الدنيا آنئذ كأقدم كنيسة مسيحية رهاوية .

★ ★ ★

## الرَّهَاءُ تَحْتَ حُكْمِ الْمَلُوكِ

### لمعة تاريخية

أسس السلوقيون الأولون مستعمرات عسكرية ومدناً بكثرة لم تكن معروفة من قبل في وادي الرافدين اطلاقاً . أنشأوا عشرًا منها على الأقل في منطقة الرها ، ولكن بموت أنطيوخس أبيفانس في سنة ١٦٣ ق.م . غدت هذه السياسة عديمة التأثير كأداة للحكم المباشر . وأضعفت الحروب المستمرة والانشقاقات الداخلية الادارة المركزية في سوريا وجعلت المسافات الشاسعة التي امتدت عليها المستعمرات اليونانية القليلة العدد نسبياً السيطرة على ناصية الأمور أمراً عسيراً حتى على المعقل الفردية أيضاً . ولكن بنيان القانون الهليني استمر في البقاء مع الهيئة المدنية ، واستمر التقويم السلوقي مستعملاً في بعض المناطق الى أن حل مكانه نظام التاريخ الهجري (١) ، ولكن السلطة السياسية الفعلية في ما بين النهرين خرجت من أيدي السلوقيين وممثليهم . ثم أتت نقطة التحول النهائية في شتاء سنة ١٢٩-١٣٠ ق.م . عندما قضى على قسم كبير من جيش أنطيوخس سيديثس على أيدي البارثيين بعد أن كسب نجاحاً مبدئياً قليلاً في بابل وميديا . وبعد هذا لم يحاول الملوك السوريون أن يثبتوا حكمهم في ما وراء الفرات .

ان الفراغ الذي تركه السلوقيون شغله البارثيون - ما خلا اثنتي عشرة سنة من حكم تغرانس الأرمني من سنة ٨٩ ق.م . ولم يكن

١ - في وثيقة من الرها مؤرخة بسنة ٢٤٣ م يشار الى التقويم السلوقي بـ « الحساب السابق » تخميناً كتضاد لنظام التاريخ الروماني . وبدأ التاريخ السلوقي في الرها من تشرين الأول سنة ٣١٢ ق.م . كما كان عند المقدونيين ، ولكن أسماء الأشهر كانت سانية على كل حال . ويشير يعقوب الرهاوي في القرن الأول من عصر الإسلام الى « تاريخ اليونانيين هذا ، أي تاريخ الرهاويين » . ولا يزال المسيحيون الشرقيون يستعملون التاريخ السلوقي في بعض النصوص في الوقت الحاضر .

حكم البارثيين الاسمي ذا سيطرة صارمة أو سيطرة مركزية • إذ أن كل منطقة في ما بين النهرين اكتسبت حكماً ذاتياً بدرجة نسبية • وكان بعضها تحكمها عائلات من أصل عربي أو نبطي ، منها منطقتا حران وسينغارا في الشرق ومنطقة مسين (٢) في الجنوب ، وأنثيموسيا والرها في الغرب • وغدت الرها كرسى مملكة مستقلة ، وكان هذا بموجب تقليد يبدو موثقاً به ، بوقت قصير قبل اندحار أنطيوخس سيديتس ، والسبب واضح • كانت الرها أعظم مدينة بارزة في المنطقة التي كانت تدعى الآن اقليم أوسروين Osrhoene – وهو اسم يبدو أنه مشتق من أورهي ، الاسم الاصيل للرها • كان الاقليم يحده نهر الفرات من الغرب ، والشمال الغربي ، والجنوب الغربي • وطالما تعلقت سوريا السلوقية بتحقيق مطالبها السياسية في ما بين النهرين فانها لم تستطع أن تتخلى عن اهتمامها في النقاط المتقاطعة من نهر الفرات من شمشاط حتى كلينيكوس (الرقّة) • كان هناك طريق يمر في زوغما – ولكن من القرن الثاني بعد المسيح مرّ في قيسيليانا قرب هيرابولس – ليوصل أنطاكيا ، العاصمة القريية للسلوقيين بعاصمتهم الشرقية سلوقيا على أوسط نهر دجلة • وكان طريق آخر يمر شمالاً الى نصيبين المركز التجاري العظيم في الحدود الشرقية – والتي دعيت بكل لياقة في السريانية صوبا أي الملتقى – ثم يقطع دجلة شمالاً فيقود الى اربيل ، بطريق يتشعب الى الجنوب • وكانت باتني (سروج) وحران وريشعينا والرها أيضاً نقاط محطات هامة على هذه الطرق •

نحن لا نملك على وجه التحديد اشارات معاصرة عن دور الرها على المسرح العالمي أثناء العصر السلوقي الباكر • أما عن الفترة اللاحقة فعلىنا أن نعتمد بصورة واسعة على المؤرخين الرومان (في اللغتين اللاتينية واليونانية) ، ويجب ألا يغرب عن بالنا أن هؤلاء كان لهم اهتمام مباشر قليل في مسرح أحداث بعيد كل هذا البعد عن العاصمة الامبراطورية • ومع ذلك فانه واضح بأن روما كلما تدخلت في شؤون هذه المنطقة من ما بين النهرين ، كانت تتصل بالرها •

قاد سكستيليوس حملة رومانية ضد تفرانس الأرمني ، وكان ملك الرها (٣) حليفاً لتفرانس فدُحرا سوية سنة ٦٩ ق.م • وبعد بضع سنوات ، في شتاء ٦٤-٦٥ ق.م :

٢ - ميشان ( كرخا داميشان ) •

٣ - تعني ايجر الاول فيقا ( المتاني ) ٩٤ - ٦٨ ق.م •

« بينما [كان جنود القائد الروماني أفرانيوس] عائدین عبر ما بین النهريين الى سوريا ٠٠٠ تاهوا عن الطريق وصادفوا صعوبات جمّة بسبب الشتاء ونقص في الامدادات وغدوا على وشك الهلاك لو لم يستقبله شعب حران وسكان المستعمرات المقدونية المجاورون في تلك المناطق وساعدوه على التقدم (٤) » .

من الواضح أن الرها أيضاً أظهرت الصداقة للرومان لأنه في أثناء ترسيخ بومبي أمور الشرق بعد اندحار تفرانيس ثبتت أبحر الرهاوي حاكماً على مدينته (٥) .

كان أبحر الرهاوي هذا هو نفسه الذي بعد اثنتي عشرة سنة في سنة ٥٣ ق م٠ لعب دوراً في أعظم كارثة ساحقة حلت بجيش روماني على الاطلاق . كان كراسوس قد صمم على أن يكسب شهرة بانتصاره على بارثيا - ويُزعم بأنه التهب مشاعره بما قام به لوكولس الذي كان قد غنم مغانم عظيمة في نصيبين وتفرانوسرتا - فقاد قواته عبر الفرات . أما الأحداث التي جرت فقد صورها بلوتارخ تصويراً حياً (٦) :

« بينما كان كراسوس لا يزال ٠٠٠ يقرب أمر [سبر العمل] ٠٠٠ أتاه رجل عربي يدعى أريامنيس (٧) ، وكان رجلاً خبيثاً مكاراً ، وبرهن على أنه أنزل كارثة من أعظم الكوارث التي دبرها الحظ لدمار الرومان . وكان بعض الجنود الذين خدموا تحت أمرة القائد بومبي في تلك المناطق عرفوا الشخص بأنه أفاد من عطف ذلك القائد فظنوه صديقاً لروما . ولكنه حاول الآن أن يفتح له طريقاً لكسب ثقة كراسوس ، وذلك بمعرفة قواد الملك [البارثي] ويرى فيما إذا كان يستطيع أن يحيد كراسوس بعيداً عن النهر وسفوح التلال على قدر إمكانه ويسوقه الى سهل مفتوح حيث يمكن تطويقه ٠٠٠ وبناء على هذا أتى الغريب الى كراسوس ( وكان متكلماً مقنعاً أيضاً ) وكال المديح لبومبي المحسن اليه وهناً كراسوس على قواته ثم راح ينتقده على تضييعه الوقت في التأخير والتعضير ٠٠٠ »

٤ - ديوكاسيوس

٥ - ابحر الثاني ٦٨ - ٥٣ ق م٠

٦ - لم يصف ديوكاسيوس الذي كتب بعد بلوتارخ بقرن من الزمان شيئاً مهماً الى روايته ما عدا ادعاءه ، بأن الرهاويين انضموا فعلاً الى البارثيين بهجومهم على الفيالق الرومانية . فهذا الزعم يجب أن يؤخذ بعين الحذر اذا كان النقاش المقدم هنا عن ابحر صحيحاً .  
٧ - قد يكون هذا الاسم مشتقاً من « آرامي » أما اشتقاقه من ( ارمين ) فأقل احتمالاً . ويدعى ابحر في روايات أخرى باسم عائلته المتوارث ، مزور .

« وفي هذا الوقت ، وبعد أن أغرى الغريب كراسوس ، ساقه بعيداً عن النهر وقاده وسط سهل من طريق وكان في البداية مناسباً وسهلاً ولكنه ما لبث حتى أصبح صعباً عندما أعقبته رمال كثيفة وقلوات لا أشجار فيها ولا ماء ولا حدود حيثما اتجهت العين ، فأنهك الرجال من العطش وصعوبات السير ، وكل ما صادف أبصارهم ملاًهم باكتئاب لا يلين ، لأنهم لم يروا نبتة ولا جدولاً ولا نتوء تلة منحدره ولا عشباً نامية - بل موجات كموجات البحر من أكوام الرمال الصحراوية اكتنفت الجيش ، وكان هذا وحده كافياً لفرض شبهة الخيانة ... »

« وستم كاسيوس الغريب على انفراد قائلاً : يا أحقر الرجال ، أية روح شريرة أتت بك إلينا ؟ بأي عقار وشعوذة أغريت كراسوس ليدفع بجيشه في هوة صحراوية فاغرة الفم وأن يتبع طريقاً أكثر لياقة بزعم لصوص بدوي منها بامبراطور روماني ؟ »

« ولكن الغريب ، وكان حاد الذكاء ، حاول أن يشجعهم بكل خضوع ويحثهم على التحمل وقتاً أكثر قليلاً . وبينما كان يرمح بجانب الجنود ويمد لهم مساعدته كان يمازحهم ضاحكاً ويقول لهم : أتظنون أنكم سائرون في «كمبانيا» ، تحنون إلى ينائبعها وجداولها وظلالها وحماماتها وحاناتها ؟ هكذا لعب الغريب دور المعلم مع الرومان ثم فرّ قبل أن ينكشف خداعه ، وإن يكن ذلك بعلم من كراسوس - حتى أنه أقنعه بأنه كان يعمل لمصلحته ويفسد خطط أعدائه ... »

اننا لسنا في حاجة هنا لاعادة حكاية مصير كراسوس المريع مع معظم رجال جيشه .

فهل كان أبجر خائناً لروما ؟ أم كانت نصيحته لكراسوس سليمة القصد ولكن غير حكيمة ، أو أنها أسيء فهمها ؟ ان المؤرخين الحديثين يحكمون على أبجر بقساوة أقل من بلوتارخ . لقد كان موقفه ، على أي مستوى ، لا يحسد عليه . لأن الرها كانت واقعة في نطاق بارثيا السياسي والثقافي . ولا بد أن أبجر كان يحترم قوة الرومان ، وربما كان يشعر بالامتنان ، ولكن عواطفه كانت ميالة نحو البارثيين دون شك . وقد يكون العار الذي لحق بكراسوس لاندحاره هو الذي دفع المؤرخين الرومان ليعزوه لأسباب أخرى وليس لعجز قائدهم - أي بقساوة الأحوال المحلية وخيانة الحلفاء . ان حججهم ليست مقنعة . فالريف الخرائني في الربيع ليس له ذلك المظهر المفزع الذي يصفه بلوتارخ ، وليست القرى

ومراكز المياه أيضاً بعيدة عن بعضها البعض . أما عن تصرفات أبجر ، فالمؤرخون الرومان أحرار في اتهاماتهم الزعماء العرب بنكث العهود . أما اليوم فانه بإمكاننا أن نحكم عليهم كمدنبيين في جريمة هي ليست أكثر من رفضهم أن يضعوا مقدراتهم في قضية كان اهتمامهم بها قليلاً . وفي الحق هناك بينة قد تبرئ أبجر هذا كلياً من الخيانة ، إذ ان هناك تاريخاً سريانياً يفيدنا بأنه كانت هنالك فترة انقطاع في استمرارية حكم الملوك الرهاويين ما بين سنة ٥٣ ق.م . السنة التي هزم فيها كراسوس ، وسنة ٥٢ ق.م . وليس من المستحيل أن أبجر عوضاً عن أن يكون ناكثاً للمهد ، كما يريدنا بلوتارخ أن نصدق ، بقي مخلصاً لحليفه الروماني ودفع ثمن ثباته بفقدانه عرشه .

ان هزيمة كراسوس أرجعت السيادة البارثية على جميع الأراضي الواقعة شرقي الفرات . ومرةً قرن من الزمان قبل أن تظهر الرها مرة ثانية في التاريخ الروماني . ففي سنة ٤٩ - كان أبجر ملك الرها ، وهو أبجر آخر (٨) ، عضواً في وفد ذهب الي زوجنا ليستقبل ميرداد أمير بارثيا المرشح الروماني لعرش بلده . وأختر أبجر « الغدار » ميرداد « يوماً إثر يوم في الرها » وفي وسعنا أن نفترض بأنه أولم له وليمة سخية ، طالما أن الأمير البارثي ، كما يشير مؤرخنا ، كان « شاباً عديم الخبرة يظن أن قمة الحظ في المجون » . ورافق أبجر ميرداد في آخر الامر في حملته الى الشرق ، وألقى الرومان اللوم على الرهاويين ليس على التأخير وحسب - وكان الشتاء قد حل - بل على الطريق الذي ساروه . ومرةً ميرداد مع مرافقيه الحراس من بين جبال ارمينيا وعبر أديابين (٩) . ولكنه قبل أن يضع ادعاءه على محك المعركة هجره أولاً ملك اديابين ، ثم ملك الرها . فهزم وقبض عليه وبترو الملك البارثي غودرز أطرافه . فربما كانت خيانة هذا الملك أبجر هي التي دفعت ببلوتارخ ، بعد ستين سنة ، الي أن يعزو تصرفاً مشابهاً الي أبجر السابق في زمن كراسوس .

يجب الاقرار بأن مجرد اسم أبجر الرهاوي في أعين الرومان كان يساوي بسهولة بالانتهازية والرياء . وفي سنة ١١٤ م . وصل تراجان الي أنطاكيا ليشرع في حملة تكون التسوية الأخيرة للمناطق الشرقية

٨ - ابجر الخامس أو كاما ( الأسود ) ٤ ق.م - ٧ ب.م - ومن ١٣ - ٥٠ ب.م . ويدعوه تاسيتوس « أكبر ، ملك العرب » .

٩ - حدياب .

للامبراطورية الرومانية ، فاتاه مبعوثو ملك الرها (١٠) محملين بالهدايا ورسالة صداقة يعتذرون فيها عن تواني الملك في اظهار الخضوع وذلك خوفاً من البارثيين - ولو أنه قبل خمس سنوات فقط ، بموجب أحد المصادر ، كان قد اشترى مملكته من بارثيا بمبلغ ضخم من المال . وزار تراجان الرها حيث أقام له الملك وليمة فخمة وأتى بابنه ليرقص أمامه « رقصة شرقية غريبة » . ان تأكيدات أبجر القاطعة بولائه وهداياها الثمينة - مئتين وخمسين حصاناً مع فرسان مدرعين وطواقم كاملة من لباس الزرد . وكمية كبيرة من النبال - ووساطة ابنه الوسيم الذي كان قد غدا الامبراطور يوده ، هذا كله دفع تراجان الى أن يرجع أبجر الى عرشه . أما ملك أنتيموسيا المجاور الذي قصّر في ابداء احترامه لتراجان فقد كان أقل حظاً ، فلاذ بأذيال الفرار ، ونزولاً عند اقتراح أبجر احتلت الجنود الرومانية عاصمته باتني وضموا مقاطعته . ولكن كان يجب ألا يؤتمن أبجر لأنه في سنة ١١٦ م . بينما كان تراجان يأخذ قسطاً من الراحة بعد اخضاعه أديابين وقطيسفون انضمت الرها الى ثورة عامة في ما بين النهرين . قدّ بحت الحاميات الرومانية أو طردت . ولكن الرومان حققوا انتقاماً سريعاً . وأرسل لوسيوس كوتيوس ليعيد الأمن والنظام . وحاصر نصيبين وفتحها . ثم استرجع الرها وعاث فيها الخراب بالسيف والنار . ويبدو أن ملكها هلك في أثناء الفوضى (١١) .

بعد موت تراجان سنة ١١٧ م نبذ خلفه هديران فتوحاته شرقي الفرات . وعين لعرش الرها الذي يبدو أنه بقي شاغراً مدة سنتين أميراً بارثياً يدعى بارثاما سباط كان الرومان قد رفعوه الى عرش بارثيا ولكن أبناء بلده رفضوه . ومهما يكن من أمر فانه يبدو أن السلالة الوطنية الأصلية كانت قد أرجعت الى الرها باعتلاء الملك معنو العرش (١٢) . وبعد قرن من الزمان في أيام حكم ماركوس أوريليوس الباكرا أعاد البارثيون الهجوم على روما . وكان ملك الرها ملكاً آخر

١٠- ابجر السابع ١٠٩ - ١١٦ م.

١١- بموجب سيرة حياة الامبراطور انطونيوس بايوس ان ملكا اسمه ابجر اغراه ذلك الامبراطور كي يرجع الى الرها من بارثيا الشرقية . ولقد اقترح بان هذا هو الابجر الذي في ايام حكمه نهب القائد لوسيوس كوتيوس الرها وانه في الواقع فر ونجا الى الشرق . ومهما يكن فانه اكثر احتمالا بان الاشارة هي لملك لاحق ، ربما معنو الثامن . وقد يكون اسم ابجر اعتبر كاسم مميز لملوك اسلالة ارهاوية .

١٢- معنو السابع ١٢٣ - ١٢٩ م.

باسم معنو(١٣)، عُرِز وحل مكانه على العرش ملك يدعى وائل بار سهرو (الذي سك النقود وعليها صورة ملك بارثيا والكتاية فوقها منقوشة باللغة السريانية) . وقطع البارثيون نهر الفرات ودخلوا سوريا . والتجأ معنو المخلوع الى المسكر الروماني ، ولم يتأخر رجوعه الى عرشه كثيراً . ففي سنة ١٦٥ حاصر أفيدديوس كاسيوس الرها ، فقتل مواطنوها الحامية البارثية وأدخلوا الرومان الى المدينة . وبموجب معاهدة أبرمت في السنة التالية غدا حاكم أوزروين موالياً لروما . وأرجع الرومان معنو الى العرش بلقب فيلو رومايوس ، أي المحب لروما .

وبعد ثلاثين سنة نكث حاكم الرها عهده مرة أخرى مع روما . ففي سنة ١٩٤ أثناء الاضطراب الذي تبع مقتل الامبراطور برتيناكس Pertinax نشبت ثورة عامة موالية للبارثيين في ما بين النهرين . وانضم أبجر(١٤) ملك أوزروين الى حاكم أديابين في حصار نصيبين . وادعيا بعدئذ في بعثة سفارة الى سبتيموس سيفيروس بأنهما هاجما نصيبين لأنها دعمت خصمه بسينيوس نيفر . ولكن الأكثر احتمالاً أنهما أملا في أن قبضة روما قد وهنت وأن باستطاعتهما استعادة استقلالهما . ولكن آمالهما لم تتحقق . ولم يتمكنوا من فتح المدينة ولو أنهم أهلكتا بعض مؤازري نيفر . ونتيجة لهذا تقدما يارجاج السجناء الرومان الى سيفيروس ، ولكنهما لم يظهرهما الميسل لاخللاء الحصون التي احتلوها أو أن يقبلا بمرابضة جنود رومان في أراضيها . وتغلب سيفيروس على « أبجر ملك الفرس » وحلفائه بصورة سريعة وأسبغ على نصيبين منزلة « كولونيا » (مستعمرة) ، وعين لفترة حاكماً نائباً مسؤولاً على أوزروين شاعراً لربما أن الحزب الموالي للبارثيين ما يزال قوياً . ومهما يكن من أمر فانه أعاد العرش لأبجر بعد فترة وجيزة . وفي هذه المرة كانت ثقة الرومان في الملك لها ما يبررها . إذ انه عندما رجع سيفيروس الى روما قطع البارثيون نهر دجلة وحاصروا نصيبين . ولكن أبجر الذي كان قد اتخذ لنفسه أسماء رومانية ، مثل لوسيوس ايليوس أوريليوس سبتيموس ، اعتبر القضية الرومانية قضيته وأعطى أبناءه كرهائن لروما ، وكذلك قدم أيضاً خدمات نبّالته المهرة . وبعد أن سحق سيفيروس البارثيين في حملة سهلة في سنة ١٩٧-١٩٨ أعلن مرة ثانية أن أوزروين بلد موال ، واعترف بسلطة أبجر باسم « ملك الملوك » ودعا لزيارة روما . ويعلن أحد المؤرخين الرومان أن استقبال ملك

١٣- معنو الثامن ١٣٩ - ١٦٣ و ١٦٥ - ١٧٧ ب م .

١٤- ابجر الثامن المدعو بالكبير ١٧٧ - ٢١٢ ب م .

الرها هناك كان أعظم استقبال باذخ استقبال به ملك أجنبي منذ أن  
استقبل نيرون تيريديتس الأرمني سنة ٦٦ م . ولا بد أن رحلة أبحر  
هذه كانت بعد سنة ٢٠٤ ، عندما رجع الامبراطور الى وطنه .

مات أبحر الكبير ، ربما في سنة ٢١٢ ، وخلفه ابنه أبحر  
سيفيروس (١٥) . ولكن استقلال الرها كان قد أوشك على نهايته .  
اذ بينما كان كراكلا يهيئ حملته ضد يارثيا أرسل رسالة ودية الى  
ملك الرها يدعوه فيها الى زيارته ، من المحتمل في روما . وعندما  
وصل ألقى القبض عليه وعزله عن العرش بحجة أنه كان يسيء معاملة  
رعاياه بينما هو ادعى بأنه كان يعرفهم بالممارسات الرومانية .  
وفي سنة ٢١٣-٢١٤ م وربما في كانون ثاني سنة ٢١٤ أعلنت الرها  
« كولونيا » أي مستعمرة (١٦) .

ان أحداث السنين التالية غامضة ، وتظهر نقود الرها أنها استعملت  
اللقاب أوريليا أنطونيا ، وتحت حكم مقرينيوس استعوض عنهما باسمي  
أوبيليا مقرينيانا . وبالتالي حملت المستعمرة أسماء مارسيا ، أوريليا ،  
أنطونيانا ، وفيما بعد حملت اسم الاسكندرية أو ألكسندريانا ، ثم حملت  
هذه الأسماء مختلطة ببعضها بطرق مختلفة . ومهما يكن من أمر فانه  
بموجب تاريخ سريانتي حكم ملك اسمه معنو بار أبحر ستاً وعشرين سنة  
حتى سنة ٢٤٠ . ويبدو أنه كان ملكاً اسماً بدون سلطة فعالة .

تظهر نقود الرها بأنه ما بين سنة ٢١٤ و ٢٣٥ تحت حكم كراكلا  
ومقرينيوس وايلابالوس واسكندر سيفيروس كانت المدينة مستعمرة  
ومن زمن اسكندر سيفيروس وحتى سنة ٢٤٢ كانت كمدينة باتني قصبية .  
ويظهر أن معنو خلفه أبحر آخر بناءً على ما تقدمه لنا المسكوكات من  
برهان لا بد أنه قبل ، مهما كان ذلك اسماً ، بحق سلطة الامبراطور  
غوردريان الثالث . ولكن احتلال شابور الأول الفارسي لمدينتي نصيبين  
وحران وتقدمه الموغل في سوريا أتى بغوردريان الى ما بين النهرين .  
واسترجع الرومان حران ونصيبين ، ويانتصارهم في روشينا استرجعوا  
« مستعمرة » الرها ، وفي أيار من سنة ٢٤٣ كانت المدينة تدار من قبل  
مقيم روماني واثنين برتبة ستراتيجوي Strategoi . وربما كانت تلك  
هي السنة الثانية من هذا الأسلوب في الحكم . ويبدو أن الملك أبحر

١٥- أبحر التاسع سيفيروس ٢١٢ - ٢١٤ م . ولا ريب في أنه اتخذ اسم سيفيروس كتهنئة للامبراطور

بعد حملة الرومان المظفرة ضد يارثيا في سنة ١٩٧ - ١٩٨ .

١٦- قضى كراكلا شتاء سنة ٢١٦ - ٢١٧ في الرها واغتيل في ربيع سنة ٢١٧ بينما كان يقوم بزيارة

لحران .

انسحب الى روما مع زوجته . وبلغت المملكة نهايتها بعد نحو ٣٧٥ سنة من بدئها (١٧) .

## البيان الاجتماعي والاداري

تأسست مملكة الرها عندما انسحب السلوقيون الى غربي الفرات هاجرين ما بين النهرين للبارثيين . وزالت المملكة عندما فرضت روما حكمها المباشر على الأقاليم الشرقية ، كان باستطاعتها أن تحافظ على نفسها تحت سلطان البارثيين الخالي من الغرض ، أو عندما كانت روما قائمة بممارسة قيادة غير مباشرة فقط . ولكنها لم تكن لتستطيع البقاء بعد مواجهة معركة مكشوفة مع قوة عظمى . ومع ذلك ، أن تكون سلالة الرها قد استطاعت الدوام ثلاثمئة وخمسا وسبعين سنة ، هو سجل فريد في منطقة معرضة للفوضى والعنف ، وفي فترة من التاريخ قلقة بهذا الشكل . والملوك الذين أنجزوا هذا العمل الباهر من فن ادارة الحكم المرن يستحقون منا الانتباه . وباكتشاف الكتابات المنقوشة والنصب التذكارية الأخرى في أورفا في السنوات الثمانين الأخيرة ، وعلى الأخص في العقدين الماضيين ، غدونا في موقف يمكننا من تقدير نمط الحياة في الرها تحت حكم الملكية .

١٧- قد يكون من الجدير الإشارة الى أنه في زمن حكم الملك ابجر العاشر أي في سنة ٢٤٠ - ٢٤٢ يبدو أنه كان للرها الامتياز باحتكار سك النقود البرونزية في شمال ما بين النهرين . وبعد سنة ٢٤٢ كان هذا الامتياز قد قسم بين الرها وحران ونصيبين وسنغارا . أما قائمة ملوك السلالة الرهاوية ففي وسعنا أن نبينها على الوجه التالي . ( ومهما يكن من أمر فان الأسماء والتواريخ الباكرا يجب أخذها بعين الحذر ) .

الملك اريو ١٣٢ - ١٢٧ ق م - عبدو بار مزعور ١٢٧ - ١٢٠ ، فرادشت بارفيبارعو ١٢٠-١١٥ ، بکرو الأول بار فرادشت ١١٥ - ١١٢ ، بکرو الثاني بار بکرو لوحده ١١٢ - ٩٤ ، بکرو الثاني ومعنو الأول ٩٤ ، بکرو الثاني وابجر الأول فيقا ٩٤ - ٩٢ ، ابجر الأول لوحده ٩٢ - ٦٨ ، أبجر الثاني بار أبجر ٦٨ - ٥٣ ، فترة خلو في العرش ٥٣-٥٢ ، معنو الثاني ٥٢-٣٤ ، فاقور ٣٤ - ٢٩ ، ابجر الثالث ٢٩ - ٢٦ ، ابجر الرابع سوماقا (الأحمر) ٢٦-٢٣ ، معنو الثالث سفلول ٢٣-٤ ، ابجر الخامس أوكاما (الأسود) بار معنو ٤ ق م - ٧ ق م ، معنو الرابع بار معنو ٧-١٣ م ، ابجر الخامس ( مرة ثانية ) ١٣ - ٥٠ ، معنو الخامس بار ابجر ٥٠-٥٧ ، معنو السادس بار ابجر ٥٧ - ٧١ ، ابجر السادس بار معنو ٧١ - ٩١ ، فترة خلو في العرش ٩١-٩٠ ، ابجر السابع بار ايزاد ١٠٩-١١٦ ، فترة خلو في العرش ١١٦-١١٨ ، يالوت وبرتما سباط ١١٨-١٢٢ ، برتما سباط لوحده ١٢٢-١٢٣ ، معنو السابع بار ايزاد ١٢٣-١٣٩ ، معنو الثامن بار معنو ١٣٩ - ١٦٣ ، وائل بار سهرو ١٦٣ - ١٦٥ ، معنو الثامن ( للمرة الثانية ) ١٦٥-١٧٧ ، ابجر الثامن الكبير بار معنو ١٧٧ - ٢١٢ ، ابجر التاسع سيفيروس بار ابجر ٢١٢-٢١٤ ، معنو التاسع بار ابجر ٢١٤ - ٢٤٠ ، ابجر العاشر فراهاد بار معنو ٢٤٠ - ٢٤٢ . ( بار كلمة سريانية تعني ابن ) .

ان تأسيس مملكة الرها يعزوه المؤرخون السريان الى سنة ١٨٠ من التاريخ السلوقي - أي الى سنة ١٣٢-١٣١ ق م (١٨) . ويقال ان أول ملك كان رجلاً يدعى أريو . والاسم اصطلاح ذنماني - سرياني للأسد . وأسماء الحيوانات في العالم السامي وبخاصة في العالم العربي نجدها باستمرار ككنية لجماعات قبلية وأشخاص فردية . ولكن اذا كان علينا أن نبحث هنا عن صلات طوطمية فالمجال مفتوح للتساؤل . ويدعي الكتاب الأرمن (١٩) أن حكام الرها أرمن ، خلفاء أبجر (٢٠) بن أرشم الذي حول عاصمته من متسبين (نصيبين) الى هناك . ولكن أسماء ملوك الرها وأبائهم لا تدعم هذه النظرية . وبعض هذه الأسماء ايرانية (كفراذشت وايزاد وفراهاد) . وسنرى بأن الرها وقعت بصورة واسعة في نطاق المحيط الثقافي لبارثيا . وأسماء أخرى (كمزغور وأبجر وواثل) فهي شائعة في العربية ولكن أعظمها بروزاً وتجلب الاهتمام وأقلها سهولة للايضاح هي تلك الأسماء التي تنتهي بالواو مثل (معنو وعبدو ويكرو وغيبارغو وسهرو) . انها دون شك نبطية . والنبطيون في الأصل السلالي كانوا عرباً . وامتد نشاطهم ومنطقة استقرارهم من جنوبي فلسطين الى سوريا والجزيرة العربية والخليج العربي ، ومهما يكن فان لغتهم كانت فرعاً من الآرامية وقريبة الى العربية ومكتوبة بكتابة غريبة فريدة . ولكن المهم هو أن لغة معظم الكتابات المنقوشة في الرها في زمن الملكية هي السريانية ، وهذه كانت لغة سكان مدنها وعلمائها أثناء القرون التالية . واللغة السريانية كعضو رئيسي في أسرة اللغات الآرامية تتصل اتصالاً وثيقاً بالنبطية في بنائها ومفرداتها .

مهما يكن الأمر ، فانه بينما كان حكام الرها عموماً من أرومة نبطية فقد كان عموم السكان مزيجاً من أصول عديدة : لا بد أنه كان هناك اختلاط كبير في الزواج بين المستقرين من المقدونيين أو سكان

١٨- ويموجب تاريخ سرياني متأخر قبل خمس سنين من هذا التاريخ . ويعتبر تاريخ فتح البارثيين لما بين النهريين تاريخاً لبدا مملكة الرها .

١٩- ان « انتوارخ » الأرمينية على هذه الحقبة تتكون من خليط من الأساطير .

٢٠- ان هذا الاسم « ابجر » المتميز في سلالة الرها يقال انه يعني « اعرج » في اللغة السريانية . ( قارن صفحة ٩٠ ) وسوف نرى هذا الاسم لطران في القرن العاشر . والكلمة في العربية تعني شخصاً مفتوق السرة . رجلاً ذا كرش . وتجده في العربية اسماً لشخص أيضاً . أما علاقة اسم ابجر بالايرانية فمشكوك فيها . وأما اشتقاقه من الأرمينية *Awag - ayn* « رجل عظيم » الذي اقترحه موسى الخورني فيجب رفضه قطعاً . والكتاب الروماني تاسيتوس يكتبه « أكبر » بينما يكتبه كلوتارخ اجبر وأبجر . واننا نجد اسم ابجر في الكتابات المنقوشة التدمرية . وكذلك فاننا نعثر على « شكل » ابجر في الكتابة الآرامية المنقوشة في نيراب التي ربما نقشت في القرن السابع قبل المسيح .

آسيا الصغرى أو سوريا وبين الأهالي الوطنيين . ويزعم يوحنا الملا لاسي في القرن السادس أن سلوقس نيكاتور وصف الرهاب « أنطاكيا نصف الهمجية Half barbarian Antioch » . وتظهر الكتابات المنقوشة أن اسم سلوقس كان شائعاً في الرها في عصر الملكية . وكذلك كان اسم أنطيوخس ، ولو أقل تكراراً . وتحت تأثير الرومان اتخذ الرهاويون أسماء رومانية أيضاً - مثل مرقس ومارسيا وأوريليوس وأوريليا وسيفيروس وأنطونيوس وأوغسطينا . وهذا قليل من كثير ، وبعض يهود المدينة كان لهم أسماء عبرية مثل يوسف وصموئيل وآخرون يسمون سلوقس ، وغورديان وايزاد . ولكن النصوص في زمن الملكية وفي الفترة التالية المباشرة تعطينا عدداً طائفاً من الأسماء السريانية . أما الأسماء النبطية فنادرة .

من المحتمل أنه قبل أن تستولي سلالة أريو على السلطة كانت مدينة الرها كبقية المدن الأخرى في الامبراطورية السلوقية تدار من قبل قاضيين مدنيين يدعيان Strategio ، أنهما يذكران في سجلات كتبت بعد نهاية الملكية بوقت قصير ويظهران مراراً في النصوص اللاحقة وعلى الأخص في تواريخ الشهداء الرهاويين ، ولكننا لا نجد أي إشارة اليهما في النصوص الوافرة من عصر سلالة الملك أريو . وبوسعنا الاستنتاج أن وظيفتهما ألغيا أولئك الملوك المطلقو السلطان .

ويجدر بالملاحظة أن ملوك الرها لم يسبقوا على أنفسهم السلطة المطلقة . فقد كانوا يحكمون الزعماء العرب القبليين ، بواسطة مجلس من كبار القوم ، ربما شيوخاً وبضمنهم ولا ريب أعضاء من الأسرة المالكة . هناك إحدى الروايات تصف أفراد حاشية الملك الرئيسيين بـ « زعماء أولئك الذين يجلسون القرفصاء » . ويطلق المؤرخون الرومان على حكام الرها كلمة « فيلارك » Phylarch و بحق ، لأن الرها عند نهاية الملكية كانت لا تزال مقسمة ، رسمياً على الأقل ، الى مقاطعات موزعة توزيعاً قبلياً كل منها يديرها « أركون Archon » ( ٢١ ) أي رئيس . ومع ذلك ، ولو أن ملك الرها لم يكن ، نظرياً ، أكثر من الأول

٢١- هناك نظرية تقول ان بلاط الملك ابجر كان منظماً على نمط هليني أكثر منه على نمط شرقي ، ويوصف مبعوثو الملك ابجر الى الحاكم الروماني في كتاب « تعاليم ماراداي

#### « Doctrine of Addai »

بانهم « زعماء ورجال مملكة ( ابجر ) الشرقاء » . وهذا يطابق تماماً نمط حكم الممالك الهلينية . ومهما يكن فانه علينا ألا نتجاهل التأثير البارثي والعربي وتركيب الرها القبلي في هذه الفترة .

بين الأمراء فإنه احتفظ بالدلائل الخارجية للسلطة كما احتفظ بجوهرها بحزم بين يديه ، وكانت السنة التي يعتلي فيها العرش هي السنة الرسمية للتأريخ جنبا إلى جنب مع سنة تأريخ الأباطرة ، وكان يسكن في « قصر عظيم جميل » على « منابع العيون » التي كانت تمد برك السمك الشهيرة . لقد هدم هذا القصر في فيضانات سنة ٢٠١ م . وأعيد بناؤه على نفس البقعة بعد بضع سنين وبعد زوال الملكية كان الحجاج يأتون إلى الرها لمشاهدة تماثيل الملوك المرمية وبرك السمك في داخل بنايات القصر . وخوفاً من حدوث فيضانات مرة أخرى بنى أبجر الكبير « بيتاً شتوياً لمقر ملكي » (وفي أحد النصوص يدعى قصرأ) على جبل القلعة ، من الواضح في سنة ٢٠٥-٢٠٦ م . أما نبلاؤه فكانوا يعيشون في قصور أقل فخامة بجوار مسكنه . وفي حالة الموت أيضاً كانوا يتلقون التبرجيل والاحترام . فكانوا يدفنون في ضريح ذي أبراج (٢٢) أقيم لأبجر السادس في سنة ٨٨-٨٩ م . ويصفه أحد الكتاب بأنه « قبر عظيم من النحت المزخرف » .

كان رمز الملكية البارز لباساً خاصاً للرأس وهو من امتياز الملك (٢٣) وكان الملك ينعم على جميع الزعماء والقادة والشخصيات ذوي المقام العالي في المملكة بعمامات حريرية Tiara وهذه تبدو واضحة في منحوتات الرها وما جاورها (٢٤) . وكان لبس العمامة بين البارثيين شرفاً « يتقاسمه أولئك الذين يجلسون على المائدة الملكية ، وتسمح لذوي المواهب . . . بأن يتكلموا في ابداء النصح والمشورة وأن ينتخبوا في الاجتماعات » وإذا كنا نثق بأحدى الروايات التي وردت في تاريخ متأخر للشهداء . كان الكهنة الوثنيون الرئيسيون في الرها يتعممون بعمامات مطرزة تطريزاً نافرأ بالذهب . ومهما يكن من أمر فإن الملك وحده كان له الحق في لبس تاج مع عمامته . وهذا التمييز يظهر بوضوح على بعض نقود الرها ، فعلى وجه القطعة يلبس الملك أبجر كامل شعاره العمامة والتاج بينما على الوجه الآخر من العملة يبدو شخص اسمه معنو وعمامة فقط على رأسه وحول الرأس كلمة يونانية « بياس » . وهذه قد تكون

٢٢- في السريانية يدعى نفسا

٢٣- على بعض نقود الرها هناك صولجان باد أمام وجه الملك .

٢٤- منها في المنحوتات النافرة للضباط ذوي الرتب العالية في مملكة سوماتار هارابيسي صفحة ٧٣ .

كلمة مختصرة لكلمة باسفريبا رئيس ضباط المملكة (٢٥) . وأهمية امتياز لباس الرأس الملكي يُستذكر بوضوح في سيرة حياة أغاي Aggai مطران الرها الأسطوري والأول بعد آداي الرسول . إذ أنه عندما ارتقى الفاسد المرفول ابن أبجر العظيم على العرش أعطى تعليماته لأغاي الذي من الواضح أنه كان يحتكر صناعته ، وقال له : « اعمل لي عمامة (تيارا) من الذهب كما كنت تصنع لأبائي » \* فرفض أغاي ، وبأمر من الملك أعدم لعصيانه .

كانت مهمة فرض الضرائب في يد الملك كما سنرى فيما بعد ، وكان هو الوحيد الذي بيده السلطة لتخفيضها . ونقرأ بعد بضع سنوات من نهاية الملكية عن « سيد المكوس » الذي تحقق من أن الأجر قد دفع عن بيع فتاة رقيق باعتهام امرأة من الرها . وكان الملك يسيطر على قوات الدولة العسكرية أيضاً . وفي أثناء الحملة التي هزم فيها كراسوس في سنة ٥٣ ق م . كان الملك أبجر الثاني موجوداً مع جنده . وعلينا أن نتذكر بأن أبجر السابع كان قد أهدى تراجان خيولاً وفرساناً مدرعين بالزرد وطواقم من السلاح ونبالاً في سنة ١١٤ م . وبعد ثمانين سنة قدم أبجر الكبير للإمبراطور الروماني سيفيروس خدمات نبّالته المهرة . وكان فن رشق السهام رياضة محببة في الرها . ونبّالة المنطقة كانوا شهيرين منذ القرن التاسع (٢٦) ق م . وشكل النبّالة الرهاويون فرقة لا مثيل لها في الجيش الروماني الذي قاده مكسيموس الى ألمانيا وثاروا ضده عند موت الكسندر سيفيروس سنة ٥٢٣ . ورفعوا شخصاً من مجلس الشيوخ يدعى كوارتينوس الى سدة العرش ولكن نهايته كانت القتل . غير أن خضوع الجيش للبيت المالكي في الرها تظهره ببلاغة الكتابة السريانية المنقوشة على العمود في جبل القلعة الذي نصبه حاكم المدينة العسكري :

٢٥- ربما معنو هذا ، الباسفريبا هو والد الملكة شلمات التي كان تمثالها ينتصب على عامود على جبل القلعة في الرها . صفحة ٢٦ .

٢٦- يظهر نبالة منطقة باليخ على لوحات تسجل منجزات اشور - ناصر بال الثاني منقوشة على أبواب أقيمت في بلوات قرب الموصل ولكنها محيت الآن . ولعل بلاد وادي الرافدين كانت شهيرة بنبالتها قبل هذا التاريخ بكثير . ففي مدينة آمد ( ديار بكر ) وجدت بلاطة منقوشة لتأرام سيني حفيد سرجون نصبت حوالي ٢٣٠٠ ق م . واستخدام ذلك القائد الظاهر لرماة السهام قد يكون ساهم الى حد كبير في نجاحه . وتظهر جنوده على البلاطة وهم لابسون لباساً خفيفاً ومسلحون بالأقواس والسهام . ان تدمر أيضاً جهزت الجيش الروماني بالنبالة في وقت الحرب الأهلية ، وكانوا تحت قيادة أنطوني ، ويقال أنهم ساهموا في القتال ضد اليهود في اورشليم سنة ٧٠ م . وفي حملات في أوروبا وإفريقيا بقيادة سيفيري . ويظهر النبالون على لوحة في دورا يوروبوس ( الصلاحية ) .

\* الأرجح أن المسألة تتعلق بعق المطران في تنويع الملك - المصحح .

« أنا أفتوحا النوهدرا ابن بارش [ ٠٠٠ ] (٢٧) صنع هذا العمود  
والتمثال الذي عليه لشلمات الملكة ابنة معنو الباسفريبيا زوجة [٠٠٠ الملك]  
سيدتي [ ٠٠٠٠٠٠ ] » .

يبدو أن إدارة دفعة الحكم في الرها كانت منظمة تنظيمياً فعلاً كما  
يليق بمؤسسة هلينية بهيئة من الرسميين لكل منهم رتبة محددة في علو  
المقام والعمل . وفي حكاية انقلاب الملك أبيجر الى المسيحية نقراً عن  
« الثاني في المملكة » الذي شفاه اداي الرسول من النقرس . ويجدر  
بالملاحظة أن هذا الشخص كان يدعى عبدو بار عبدو فيكون اسمه ، اذن  
لربما نبطياً كبقية أسماء العديد من ملوك الرها . ولا شك في أن  
« الثاني في المملكة » كان يحمل اللقب الايراني « باسفريبيا » . وربما لم  
يكن نائباً للملك بل الوارث الشرعي للعرش ( ولي العهد ) . وبالتأكيد  
كانت رتبته أعلى رتبة في المملكة ، و « الباسفريبيا » معنو المذكور في  
الكتابة المنقوشة على العمود في القلعة كان والد ملكة الرها . وقد يكون  
معنو هو ذاك الذي يظهر رأسه على الوجه الآخر من قطعة النقد الرهاوية .  
وكانت الوظيفة الأخرى الرئيسية في الدولة تلك التي تدعى « حاكم  
العرب » أو « عربرخوس » الذي لربما كان حاكم مناطق الحدود شرقي  
الرها . أما النبيل الذي يطلق عليه اسم « نوهدرا » فلعله كان أقل  
مرتبة من « العربرخوس » لأن ابن أحد هؤلاء « العربرخوس » ، يبدو  
أنه ، بموجب كتابة سريانية منقوشة ربما في القرن الثاني ، كان حائزاً  
على رتبة « نوهدرا » . واللقبان « باسفريبيا » و « نوهدرا » هما ايرانيان .  
وفي القرن الثالث في بارثيا كان حاكم المدينة وما جاورها يحمل لقب  
« نوهدرا » . وفي نفس الفترة في الرها لربما كان « النوهدرا » مسؤولاً  
عن الادارة المحلية . ومن المحتمل أيضاً أنه كان يحمل أعباء عسكرية لأن  
القائد الفارسي الذي غزا اقليم الرها ( أوزروين ) في سنة ٣٥٤ كان  
يحمل لقب « نوهدرا » .

كان الأمن والنظام في المدينة يقوم بهما حارس المدينة الذي يدعى  
« جزيرايه » ، وهو لقب قد يكون من أصل ايراني . فبعد كارثة سنة  
٢٠١ أصدر الملك تعليماته بأنه على بعض « الجزيرايه » أن يناموا على  
الأسوار من شهر تشرين الأول وحتى نيسان لكي ينهوا الأهالي عن قرب  
حلول فيضانات النهر . وكان هناك أيضاً مساحو المدينة وخبراء آخرون

٢٧- لعلها بارشوما ، او بارشلاما ، او بارسميا .

يدعون « الرجال الحكماء » أو « الرجال ذوي المعرفة » في ادارة شؤون البلدية ، كما أنه كان هناك عمال يشتغلون في صيانة العمارات الملكية . أما الشيء المتميز في حكم ملوك الرها الشخصي فيبدو أنه كان أولئك الذين يدعون « شاريرا » أو الأسماء لربما كانوا أشخاصاً انتقاهم الملك كأمناء لسره . وكان هناك موظف رسمي هام آخر بمنزلة « شاريرا » هو « التابولارا » كاتم سر الملك . وسنشير في فصل قادم الى دور حنان كاتم سر الملك أيجر في نشر المسيحية في الرها . وكان اثنان من «شاريرات» المدينة مسؤولين عن قسم « الأرشيف » الذي كانت السجلات الرسمية تحفظ فيه . وربما كانا في شكل من الأشكال مساويين في زمن حكم الملوك لحامل لقب « ستراتيفوسي » في أيام ما قبل الملكية . وفي دورا في القرن الثالث كانت العقود يحضر لشهادتها « الاستراتيفوسي ووكيل خرج المدينة » وفي سنة ٢٤٣ في الرها هناك وثيقة موقعة من ستراتيفوس ويحمل لقب « بحورا » أي المفتش . وهذا يعني أنه ثبت أصالتها . وبعد هذا في عصر البيزنطيين كانت وظيفة « الشاريرا » قد خففت وفقدت الكثير من مكانتها الشائمة . وفي كتابات تواريخ الشهداء في القرن الرابع كان « الشاريرات » قد أصبحوا موظفين صفاراً يكتبون ثم يبلغون السلطات أعمال المواطنين (٢٨) .

كان قسم الأرشيف في الرها شهيراً في الاعتماد عليه . ويروي يوسابيوس قصة بدء المسيحية هناك ويقرر فيها بأنها ترجمت الى الاغريقية من الآرامية من أضاير أرشيف الرها التي كان يحكمها في ذلك الزمن ملوك من شعبها (٢٩) . وهناك تاريخ سرياني عن الرها بقي حتى يومنا هذا ويزودنا بخلاصات عن أضاير المدينة . والقسم الأعظم منها موجز ويخص بشكلها الحالي القرن السادس . ولكن وصف الفيضان في الرها في سنة ٢٠١ م . يظهر أن السجلات لا بد أنها كانت قد نسقت بشكل أطول بكثير . ان وضوح وتفاصيل الرواية تسمها بأنها أصيلة ومعاصرة - عند كتابتها ، أي في أثناء الملكية وبأمر خاص من الملك . كانت هنالك مجموعة واسعة من الوثائق قد أودعت في هذه الأضاير .

٢٨- في النسخة السريانية من التاريخ المعزو لذكريا ويطور يطلق لقب « شاريرا » على أعضاء مجلس الشيوخ في روما .

٢٩- ان تاسيس قسم الأرشيف في الرها يعزوه موسى الكورتي الأرمني الى الرومان . ويعلن تاريخ سرياني بأن يسوع عاش على الأرض اثنتين وثلاثين سنة « بموجب الشهادة التي وجدناها في الكتاب الصادق في أرشيف الرها الذي لا يخطيء في شيء بل يعلن عن كل شيء بصدق » .

وتوصف عند نهاية النظام الملكي بـ « أرشيف الرها المقدس والديوي » وبعد قرون كانت لاتزال أضاير الرها مرتبة الى صنفين: كنسي وعلماني . وفي الحق هذا هو النمط المتبع في معظم التواريخ السريانية . ان كاتب التاريخ الزائف عن حياة الشهيد شربيل يدعي بأنه كتب ليوضع في « أرشيف المدينة حيث توضع البراءات الملكية » . ومهما يكن من أمر لم تكن الأحداث ذات الأهمية الشعبية فقط تسجل هناك بل حتى حجج العقود التجارية الخاصة أيضاً ، كحجج بيع الاماء والجواري ، كانت توضع في الأرشيف الرسمي (٣٠) . وكان « كتّاب الرها » يقومون بنسخ الحجج - وفي زمن الملكية كان « كاتب الملك » يقوم بذلك - أو كتّاب (٣١) خاصون - Asceptores ، وبعد ذلك كانت توقع من الشهود ومن مفتش العقود ثم يصادقها « الستراتيغوس بحورا » ( كما ألمحنا سابقاً ) بحضور الفرعاء المعنيين .

ان النبلاء الذين كانوا يرافقون الملك وكان لهم الحق في لبس « العمامة » يدعون في الوثائق السريانية « عظماء » أو « زعماء » أو « ولاة » . ولا نعلم الأهمية الحقيقية لهذه الألقاب ، ولكن بالامكان وصف جميع النبلاء بـ « الرجال الأحرار » . ولا بد أن العديد منهم كان حائزاً على المواطنة الرومانية . ولربما أصبحت هذه المنزلة عامة في العقود الأخيرة من الملكية فقط ، وذلك بواسطة منح كراكلا الرها منزلة «كولونيا» . هناك عقد من الرها في سنة ٢٤٣ يظهر أن الفرعاء في العقد ومعظم الموظفين الرسميين في المدينة يحملون أسماء رومانية ، دليل المواطنة ، أما أسماء والديهم من ناحية أخرى فهي سامية .

بنى « الرجال الأحرار » عماراتهم على « الشارع الرئيسي العام » في المنطقة المجاورة لقصر الملك . ولا شك في أنهم كانوا يستمدون ثروتهم من أملاك عقارية بامتلاكهم قرى خارج المدينة . وربما كان بعضهم تجاراً يتعاملون في منتوجات تجلبها القوافل الى الرها من الشرق وخصوصاً على الطريق القديم من نصيبين . ويبدو أن التجار كانوا معروفين في البلاط . وكان طوبيا بن طوبيا من فلسطين الذي سكن معه اداي بموجب الأسطورة ، وطلب من طوبيا أن يقدم اداي الرسول الى الملك . وكان « الغريباء من

٣٠- كانت نسخة طبق الاصل تعطى لمشتري الجارية ، لكي يبرزها في حالة بيعها مرة أخرى أو للدفاع عن حقه فيها . فارد بتعاليم اداي : « سجلات الملوك حيث توضع الشرائع والقوانين و (عقود) الشارين والباعين وتحفظ بعناية بدون اهمال بقاتا » .

٣١- تنخبر بان الكتاب سجلوا تفاصيل محاكمة وقرار الحكم على الشهيد حبيب . انظر صفحة ١٠٥ .

أراضي نصيبين (٣٢) وحران» الذين حضروا وعظ اداي الرسول تجاراً من المركزيين التجاريين العظميين شرقي وجنوبي الرها .

كان الصنّاع المهرة عنصراً هاماً في المجتمع الرهاوي ، وكان الملك يستخدم بعضهم ويأويهم قرب مسكنه ، تخميناً على حسابه الخاص . وكان « العمال (٣٣) والمهنيون الصنّاع الذين ( يشتغلون ) بأيديهم » مصنفين تذكر أسماؤهم بعد « الزعماء ورجال الملك الأحرار والقادة » . في رواية الاجتماع الذي دعا اليه الملك أبحر لسماع اداي الرسول . وبعد فيضان سنة ٢٠١ صدرت التعليمات للصنّاع بأن ينقلوا أماكن عملهم المصنوعة على شكل خصاص ويحولوها من جانب النهر . ثم سمح لهم بأن يقيموها مرة أخرى على مسافة من النهر عيّن لها المساحون وخبراء آخرون من البلدية . أما العمال ، وبامكاننا أن نخمن أن الصنّاع الحرفيين الذين كانوا يجلسون في المناشي المعمدة لانجاز أعمالهم قرب النهر منعوا هم أيضاً من قضاء الليل في هذه المنطقة في أشهر الخريف والشتاء التي يخشى أن يحدث فيها فيضان غير متوقع - برهان بليغ على أبوة الملك ومشاعره .

أما اذا كان هنالك عبيد ممالك في الرها في زمن حكم الملكية فهذا ما تظهره لنا وثيقة سريانية مؤرخة سنة ٢٤٣ وجدت في دورايوروبوس . وهي عقد بيع جارية تدعى أمات سين\* ، لها من العمر ثمانية وعشرون عاماً اشتراها رجل من حران من امرأة رهاوية بسبعمائة دينار . وقد يكون الحراني اشتراها لبييعها ثانية . وتتصل البائعة من المسؤولية اذا ما حاولت الجارية الهرب من سيدها الجديد ، ولربما أيضاً اذا ظهر فيها نقص أو عيب بعد فترة تجريبية مدتها ستة أشهر - وهذه فقرة عادية في العقود التي من هذا النوع من أقدم العهود .

أصدر الملك أبحر أمراً بعد فيضان سنة ٢٠١ بأن الضرائب يجب أن تخفض « عن الذين في داخل المدينة وعن الذين يسكنون القرى وفي المزارع » . وهذه القرى والمزارع تقع في الريف الزراعي حول المدينة ، وسكانها يرتبطون مع أهالي المدينة برباط الدم والاتكال الاقتصادي - كما في المناطق الأخرى من الشرق الأدنى القديم - وفي ما وراء نطاق

٣٢- بالسريانية صوا .

٣٣- بالسريانية بلاحة Pallaha .

\* أمات سين ، ولعلها « أمة سين » ، أي : عبدة القمر . ( المترجم ) .

القرى عاش أولئك الذين يسكنون الأراضي المهملة غير المفلوحة وكانوا في مرحلة متوسطة من الانتقال من حياة البداوة الى الحياة المستقرة وكان أشباه البدو يعيشون قرب القرى ، العرب الذين صرفوا قسماً من السنة يعتنون بالحقول والقسم الآخر في العناية بقطعانهم . أما البدو الذين يعيشون حياة البداوة الصرف فقد كانوا بعيدين وفي حالة تنقل دائم ، يعيشون في الخيام ويرفضون سلطة المدينة ، ويستمدون عيشهم ليس من تربية الماشية وحسب بل أحياناً من الغزو والنهب . هؤلاء هم الذين يسميهم الكتّاب اليونان والرومان Saracens والكتّاب السريان يسمونهم « طايه » نسبة لقبيلة طي التي كانوا يعرفونها أكثر من غيرها .

لم يكن البدو يحترمون أحداً فكانوا يتهبون وينغصون حياة العربي الآخذ في الاستقرار تماماً كما كانوا يتهبون قوافل التجار وسكان المدن . وربما كان يقصد الدفاع عن العرب من ناحية ولحماية الطرق من «الطايه» من ناحية أخرى ان أنشئت وظيفة الـ « عربرخوس » ، التي تدعى في السريانية شليطا د عرب وتعني سلطان العرب، في الرها . هناك نص من دورايوروبوس مؤرخ سنة ١٢١-١٢٢م . يذكر « ستراتيفوس ما بين النهرين وباربوتنيا وارا برخوس » الذي كان جابي ضرائب وحائزاً على رتبة بارثية . ولقد سخر شيشرون بيومبي ووصفه كـ « ارا برخوس » الذي يتصرف كموظف بارثي وزعيم عربي خشن . ولكن السلطة الشرعية « لأرا برخوس » الرها ربما لم تكن تمتد بعيداً عن ضواحي المدينة . ولقب « شليطا د عرب » يظهر في الكتابات السريانية المنقوشة في سوماتار هارابيسي في هضبة التكتك الوعرة ، هنا ، وعلى تقاطع الوديان على بعد نحو من ستين كيلو متراً جنوب شرقي الرها وثلاثين كيلو متراً شرقي شمال شرقي حران ، تقع واحة هامة يتجه اليها الرعاة البدو بقطعانهم ومواشيهم حتى اليوم . وفي إحدى الكتابات المنقوشة المؤرخة في سنة ١٦٥م . ووجدت في سوماتار هارابيسي ، يصلي « شليطا داعرب » لأجل حياة « سيده الملك » وابنائهم . وهو يشير ولا شك الى الملك وائل بار سهرو ملك الرها الموالي للبارثيين . وهناك « شليطا داعرب » اخر نقش كتابة تذكارية على شرف شخص يدعى اوريليوس حفصاي « سيده والمحسن اليه » . فبإمكاننا الاستنتاج ان شليطا العرب كان يسيطر على مناطق الحدود شرقي الرها نيابة عن حاكم تلك المدينة .

## طوبوغرافية الرها

الى أي مدى كانت سلطة ملك الرها تمتد ؟ في زمن الرومان المتأخر كانت الرها المدينة الرئيسية في اقليم أوزروينة الذي قد يكون استمد اسمه هذا من المدينة (٣٤) . ولكننا لا نعرف أين كانت تقع حدوده ، وهي غير محددة في نصوص البت النهائي الذي أقره لهذه المنطقة الأباطرة رومي و تراجان وهديريان وخلفاؤهم على عرش روما . ولا شك في أنها اختلفت على مر الزمن . أما حدودها الطبيعية في الغرب ، بالطبع ، فهو نهر الفرات . وهناك كتابة سريانية منقوشة في بيرثا (بيريشك) تسجل إعادة بناء مدفن من قبل حاكمها ( شليطا ) سنة ٦ م . وتخبر بأنه كان معلماً خاصاً لابن شخص يدعى معنو بار معنو (٣٥) . وتخبر بأنه لا لقب له ولذلك لا يمكن تخميناً أن يكون ملك الرها . وتوجد كتابة سريانية أخرى منقوشة على ضريح ذي أبراج في سرين على ضفة الفرات من ناحية أوزروينة تجاه منبع كانت قد دشنت في سنة ٧٣ م : ربما من قبل شخصية دينية (٣٦) . ولكن للمرة الثانية لا علاقة ظاهرة لها بالرها . ومع ذلك نعلم أن ملك الرها ذهب في سنة ٤٩ م ليرافق ميرداد المطالب بعرش بارثيا من زوجما الى الرها ، وبإمكاننا الافتراض أن المقاطعة الممتدة حتى الفرات كانت خاضعة للرها في هذا الوقت . ولكن الوضع شرقي المدينة كان أقل تأكيداً . ورافق جيش الرها ميرداد بعيداً حتى أديابينه . وهناك دليل على أن البيوت الحاكمة في الرها وأديابين كانوا متصلين بمعاودة أن لم يكونوا متصلين برباط الدم (٣٧) . ففي سنة ١٩٤ م كان جيشا الرها وأديابين متأزرين في حصار نصيبين

٣٤- انظر أعلاه صفحة ٦ .

٣٥- ان هذه أقدم كتابة سريانية وتقرأ : في شهر آذار سنة ٣١٧ ، انا زرين بار أ ( جر ) حاكم بيونا مهذب وي دن ت WYDNT بار معنو بار معنو . عملت ( هذا المد ) فن ( من أجل ) نفسي ومن أجل ح ل وي HLWY سيده بيتي ومن أجل ابنا ( ني ) . وكل من يدخل هذا المد ( فن ) ويظهر الاحترام ويقدم الثناء - جميع ( الآلهة ستباركه ) .

٣٦- « في شهر تشرين الأول سنة ٣٨٥ ، انا ، معنو القاشيشا ، ( بدار ) ناحاي ، ابن معنو حفيد س درونج SDRW NH بنيت هذا النفشا ( ضريح ذو أبراج ) لنفسي ولأولادي وأنا في سن التسعين . لكل من يقدم الثناء جميع الآلهة ستباركه . وسيحوز على المسكن والمياه . ( ولكن ) الذي يأتي ويغرب هذا العمل وهذه العظام . . . تكفيرا عن الخطيئة ( ؟ أو « المدفن ) ، وهذه الكلمة اذن هي نبطية أو من لهجة محلية ) لن ينال ، ولن يجد له أبناء يدرون التراب على عينيه » .

٣٧- صحيح أن بلايني يفترض أن أورو ( أورهوي ) امتدت من الفرات .

— وذلك دليل على عدم استقرار الأحوال • وربما كان أيضاً لغرض السيطرة على طريق التجارة • وبقينا ان واحدة سوماتار هارابيسي اعترفت بسلطة الرها في سنة ١٦٥ م • ولا بد أنه كان هناك منافسة في جنوب الرها بين هذه المدينة وباتناي عاصمة أنتيموسيا • وكلتا المدينتين كانتا كرسياً للملك عربي أو نبطي • وكانت باتناي كالرها مركزاً تجارياً لا بأس به • ويظهر أن ملك الرها شجع الرومان على ضم أنتيموسيا ربما في سنة ١١٥ وقد يكون أصاب فائدة نتيجة لذلك • ولكن حتى حران التي لم تبعد أكثر من أربعين كيلو متراً جنوبي الرها فانها احتفظت بمنزلة « كولوتيا » وأرجعت نظام حكومتها التقليدي وبقيت مستقلة فعلاً عن الرها حتى تاريخ متأخر جداً (٣٨) •

اننا نحصل على صورة واضحة دقيقة عن طوبوغرافية الرها نفسها من الرواية الواردة في « تاريخ الرها » عن فيضان المدينة في سنة ٢٠١ م • وهي مكتوبة بلغة سريانية سلسة ولا بد أنها كتبت في وقت ليس بالطويل بعد تلك الليلة التي لا تنسى من ليالي تشرين الثاني • انها تستحق النقل كاملة :

« في سنة ٥١٣ في زمن حكم [سبتيموس] سيفيروس وحكم الملك أبجر ابن الملك معنو وفي شهر تشرين الثاني أصبح النبع الذي ينبع من القصر العظيم للملك أبجر الكبير غزيراً وراحت المياه تملو بكثافة كما دنتها القديمة ثم طفحت من كل جانب • وبدأت الأحواش والمماشى والقاعات الملكية تغص بالمياه • وعندما رأى مولانا الملك أبجر هذا صعد الى مكان أمين على الرابية فوق قصره حيث كان عمال القصر الملكي يسكنون ، وبينما كان الخبراء يفكرون ماذا يفعلون بالمياه الفائضة هطل وابل من الأمطار الغزيرة أثناء الليل ، وفاض [النهر] ديسان قبل أوانه وشهره مصحوباً بمياه غريبة وكانت بوابات المياه مغلقة [بقضبان] حديدية مصفحة ضخمة ، ومدعمة بتاريس حديدية • وعندما لم تجد المياه لها منفذاً تجمعت بركة هائلة خارج أسوار المدينة وبدأت تنزل من بين فتحات السور العليا الى داخل المدينة • وكان الملك أبجر واقفاً على البرج العظيم المدعو [برج] الفرس » وشاهد المياه [بنور] المشاعل الملتهية وأمر بإزالة بوابات المياه الثمانية الكائنة في السور الشرقي من [المكان] الذي يخرج منه النهر • ولكن في تلك اللحظة بالذات هدمت المياه السور الغربي وتدفقت الى داخل المدينة

٣٨— عن العداء التقليدي بين الرها وحران راجع مقال مؤلف هذا الكتاب : اديسا وحران ( معاضرة تدهشينة أقيمت في التاسع من أيار ١٩٦٢ ) •

فهدمت قصر مولانا الملك العظيم الجميل واكتسحت كل ما صادف طريقها :  
المباني الضخمة البديعة في المدينة وكل ما كان قرب النهر شمالاً  
وجنوباً ، وعلاوة على ذلك فانها سببت خراباً في هيكل كنيسة المسيحيين .  
ففقد في هذا الحادث أكثر من ألفي شخص حياتهم . اذ بينما كان الكثير  
منهم نياماً أثناء الليل داهمتهم المياه فجأة وأغرقتهم » .

وقام الملك أبجر بدور نشيط فعال في وجه الكارثة .

« وعندما غصت المدينة بأصوات العويل وعندما رأى الملك أبجر  
هذا الدمار الذي حلّ أمر بأن على جميع أصحاب الحرف في المدينة أن  
يزيلوا خصاصهم من جانب النهر وألا يُسمح لأحد بأن يقيم له خصاً أو  
مكاناً يشتغل فيه هناك . وبواسطة [مهارة] المسّاحين الخبراء والرجال  
ذوي المعرفة وضعت الخصاص على أبعاد مسافة [سمح] بها عرض النهر  
وأضافوا الى مقاييسه القديمة لأنه وان كانت المياه عظيمة وغزيرة فان  
عرض النهر الحقيقي كان صغيراً ، اذ كان يتقبل المياه من خمسة وعشرين  
جذولاً تتشابك وتصب فيه من كل جانب ، وأمر الملك أبجر بأن جميع  
أولئك الذين يقيمون في المشى المعمد يزاولون مهنتهم أمام النهر يجب  
ألا يقيموا أثناء الليل في خصاصهم من شهر تشرين الأول حتى شهر  
نيسان . وان على خمسة من « الجزيرايه » الذين يحرسون المدينة أن  
يمضوا الليل على السور فوق المكان الذي تدخل منه المياه الى المدينة ،  
وذلك طيلة الشتاء ، وعندما يلاحظون ويسمعون صوت مياه غريبة قد  
بدأت تدخل المدينة و . . . وكل من يسمع [هذا] الصوت ويبقى مهملاً  
ولا يخرج [ليصيح] « أتت المياه » سيعاقب لاستخفافه ولأنه احتقر أمر  
الملك » لقد صدر هذا الأمر منذ أن وقع الحادث على هذا النحو والى الأبد .

« ولكن مولانا الملك أبجر أمر بأن يقام له مبنى جديد كمسكن  
ملكى وبيت شتوي في « بيت طبارا » وأخذ يسكن هناك طيلة فصل  
الشتاء . وفي الصيف كان ينزل الى القصر الجديد الذي كان قد بني  
على رأس التبع . وكان نبلاؤه أيضاً قد بنوا لأنفسهم مباني ليسكنوا  
فيها في المنطقة المجاورة للملك على الشارع الرئيسي الذي يدعى « بيت  
صحرايه » (٣٩) ، ولكي ترجع المدينة الى طمأنينتها السابقة أمر الملك  
أبجر بأن تلغى الضرائب غير المدفوعة من قبل الذين في داخل المدينة

٣٩- اي ساحة كنف القصر او منطقة الباعة المتجولين .

وسكان القرى والمزارع وأن تعلق الضرائب عنهم لمدة خمس سنوات  
الى أن تدمر المدينة بسكانها وتزين بعماراتها» (٤٠) .

ثبتت هذه الرواية أن مجرى النهر هو في قلب المدينة وبأنه يجري  
من الغرب الى الشرق ومكان قصر الملك قرب البرك . « والمكان الأمين  
على الرابية » الذي صعد اليه الملك ليتفحص الفيضان لأول مرة لا يمكن  
أن تكون الأرض المرتفعة في شمال غربي المدينة ، إذ في تلك الحالة كان  
يتوجب عليه أن يقطع ممر المياه . فلا بد أنه كان جبل القلعة لأنه هو  
الذي كانت له سيطرة فريدة تمكن الناظر من علو سامق الى النهر .  
وهناك بنى الملك بيته الشتوي . ومن هناك أيضاً ، بموجب الأسطورة ،  
خاطب آدائي الرسول شعب الرها الذي اجتمع بدعوة من الملك . أما  
« بيت صحراية » حيث شيد النبلاء منازلهم فربما كان القسم الشرقي من  
جبل القلعة الحالي والأرض المرتفعة الأبعد قليلاً الى الشرق والشمال .  
وفي طرف هذا المكان وجدت المغارة التي عثر فيها على صورة العائلة  
الفسيفسائية . وهيئة الأنفة التي تبدو على شخصيات هذه اللوحة  
الفسيفسائية تظهرهم نبلاء عائشين في أحوال رخية .

أما « برج الفارسيين » الذي تفحص منه الملك أبجر الفيضان للمرة  
الثانية فلا بد أنه كان قرب القصر أو لربما داخل القصر ، ومن المحتمل  
أنه كان قائماً على مكان البرج الذي لا يزال قائماً جنوبي بركة ابراهيم (٤١) .  
و « كنيسة المسيحيين » التي كانت في زمن أبجر - ودعيت فيما بعد  
« الكنيسة القديمة » - من الواضح أنها كانت معروفة لدى الراوي لأنه  
يذكرها دون مقدمة أو ايضاح . ولا بد أن موضعها كان شرقي القصر

٤٠- وتضيف الرواية : « وكتب هذا الحادث ماريهاس بن شمش وقيوما بن مفرطاط ، الكاتبان  
الرهاويان بأمر من الملك ابجر وسلماه الى باردين وبوليد اللذين كانا المسؤولين عن أرشيف  
الرها ، ووضعاه فيه ( بصفتها ) « شاوريه » المدينة » . وتزودنا الرواية الواردة في تاريخ  
زوقنين الذي قد يكون من القرن الثامن كتبه مجهول عن هذا الطوفان بتفاصيل اضافية . سادت  
منافذ النهر في السور الشرقي بتراكم الحثالة الواردة من التلال ومن شوارع المدينة ، وتداعت  
البيوت المصنوعة من القرميد والصلصال تحت ضغط مياه الطوفان وعامت الأجساد والأخشاب  
والأواني المنزلية في السيل . وطاقت الأسرة بأجساد أصحابها محمولة عليها وانسابت على  
الياه خارجة من السور الشرقي الى السهل . ومهما يكن من أمر فقد يكون هذا الوصف لطوفان في  
الرها حدث في زمان أقرب الى زمان الكاتب منه الى ذلك الذي حدث في سنة ٢٠١ .  
انظر صفحة ٢٥٢ - ٢٥٤ .

٤١- يؤكد الكتاب بأن هذا البرج يقوم على المكان الذي كانت عليه يوماً من الايام مدرسة الفارسيين  
الشهيرة . والنظرية محتملة ، إذ هنا شيدت كنيسة اليعاقبة « كنيسة والد الله » صفحة ١٩٥ .

وعلى أرض منخفضة • وإذا كنا نفترض أن مساجد اليوم في أورفا تقوم على أماكن كنائس مسيحية ، فالمكان الأكثر احتمالاً للكنيسة هو « مقام إبراهيم » .

لم يبق اليوم شيء من « العمارات الجميلة البديعة » التي كانت في الرها في زمن الملك أبجر الكبير • وكل ما تبقى من قصر الملك أبجر ومنازل النبلاء ، برك السمك والعمودان الرشيقان اللذان يقفان شامخين على جبل القلعة بين خرائب أبراج وأقواس وحطام ساقط • والعمودان قائمان على قاعدتين دعمتا فيما بعد • وكل مدمك من المداميك السبعة والعشرين التي يتكون منها العمود هو قطعان من الحجر المستدير نصف استدارة به حذبة بارزة لتعين البنائين على رفعه ووضعها في مكانه (٤٢) • أما نمط تاجيهما الكورنثيين فيشير إلى أنهما ينتميان إلى عصر روماني متأخر • وهذا التاريخ تثبته الكتابة السريانية التدمشنية للملكة شلمات المنقوشة على العمود الشرقي • وربما كانت شلمات بحق زوجة الملك أبجر الكبير في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث • ولا بد أن تمثالها كالكتابة المنقوشة كان مواجهاً المدينة • ويمكننا الافتراض ، إذن ، أن العمودين وقفا على المدخل الشمالي من مجمع العمارات • وهناك دلائل سطحية بين الخرائب على أنه كان هناك صف من العمارات على الجبل إلى الجنوب على خط مستقيم مع العمودين • والعمودان متماثلان في الشكل والبناء ولكنهما في الحجم متقاربان فقط ، ويبدو أن واقفين بحرية •

أما علاقتهما بما جاورهما من العمارات في القرنين الثاني والثالث فليست أكيدة تماماً • وغريب حقاً أن يحمل أحدهما فقط كتابة منقوشة تشير إلى تمثال • وكنا نتوقع من تمثال الملكة أن يصحبه ، بل بالأحرى أن يتقدمه ، تمثال الملك • ولربما كان العمودان جزءاً من رواق معمد ، وهناك دلائل أيضاً ، ولو أنها ضعيفة ، للزعم بأن العمارة التي وقفا فيها كانت هيكلًا وثنيًا •

٤٢- لم تعد الحديبات البارزة تستعمل لرفع الأحجار الثقيلة في القرب ابتداء من القرن الثاني • ولكنها تستعمل من قبل البنائين في الأزمان الهلينية • ولعل تطبيقها بقي مستعملاً في الأقاليم الشرقية. والمسافة بين الأعمدة في أورفا هي ١٠٤٠ سنتيمتراً • وعلو قاعدة العمود الشرقي من وجه الأرض العالية هو نحو ٢٧٥ سنتيمتراً - ومن الواضح أن وجه الأرض لم يكن مستويًا أيضاً في وقت إقامة العمودين • أما مقاييس القواعد الأخرى فهي ٤١٥ × ٥٠٧ سنتيمتراً و ٣٧٥ × ٣٩٠ سنتيمتراً على التوالي • وعلو المداميك غير منتظم • وهي تملو وتنخفض ما بين ٤١ و ٤٨ سنتيمتراً وبمعدل نحو ٤٥ سنتيمتراً • أما العلو الكلي للعمودين مع القاعدتين والتاجين والأفاريز المائلة والأطناف البارزة فهو نحو خمسة عشر متراً

أعطتنا مقابر الرها في السنين الأخيرة معلومات مفيدة . ففي الشمال الغربي ، والغرب ، والجنوب الغربي من المدينة تنحدر سفوح هضبة الأناضول العظيمة بحدة نحو السهل . هنا نجد قبوراً كهفية - وتدعى في السريانية « بيوت الأبدية » وكذلك تدعى في التدمرية - منحوتة في الصخر ويبلغ عددها نحو المائة . وكان هناك ثلاث مساحات رئيسية للمقابر تستعمل في الرها في زمن الملكية والعقود التي تلتها مباشرة . وهناك على الروابي المنخفضة غربي القلعة قرب القرية العصرية التي يُطلق عليها اسم « قرخ مغارة » أي « المغاور الأربعة » مجموعة من المدافن على جانبي الوادي ، وكان اليهود أيضاً يدفنون هناك إذا كان لنا أن نحكم من الكتابات المنقوشة الموجزة بالعبرية واليونانية . وعلى أحد جانبي مدخل أحد القبور يوجد أيضاً شمعدان منقوش من خمسة فروع . وهناك قبور أخرى في « قرخ مغارة » هي وثنية . وأحد هذه القبور الوثنية مزخرف زخرفة نائثة الوليمة جنازية وكتابة سريانية بتاريخ (٢٠١-٢٠٢ م ، وهي السنة التي حدث فيها الطوفان في الرها في عهد الملك أبجر الكبير . ويبدو أن هذه المقبرة الغربية كانت تمتد شمالاً أيضاً نحو « وادي منسى » العصري . وربما فيها أيضاً كان المكان الذي ارتاحت فيه عظام القديس أفرام في القرن الرابع . وضع جثمانه هناك نزولاً عند طلبه بين الفقراء والمجرمين . ولكن بعد زمن قصير نقل إلى ضريح أساقفة الرها . وفي مقبرة جنوبي القلعة تقع المغارة التي عثر فيها على صورة « العائلة » الفسيفسائية التي قد تكون لعائلة نبيلة . والمقبرة تمتد غرباً ، وأكثر أهمية شرقاً أيضاً نحو « أيوب مهلاسي » - محلة أيوب - الحالية . ان توارينغ اللوحات الفسيفسائية في هذه المنطقة تتراوح ما بين سنة ٢٢٨ و ٢٧٨ م ، فيما عدا كتابة وحيدة تاريخها ٢٠٨-٢٠٩ . وهناك مقبرة ثالثة تقع وراء سد جستينيان شمالي غرب الأسوار . ومهما يكن من أمر فانه بانتصار المسيحية في الرها فيما بعد يبدو أن المقبرة الشمالية عدت أكثر استعمالاً وشهرة وفيها بني هيكل « المعترفين » على المكان الذي دفن فيه شهداء الرها .

هذه القبور الكهفية ، باستثناءات قليلة ، ذات اتساع معتدل ، وتتراوح ما بين ٢٨٥ سنتمتراً مربعاً الى ٣٠٠ × ٣١٧ سنتمتراً . بينما كهف الصورة الفسيفسائية للعائلة الثرية هو ٢٥٠ سنتمتراً مربعاً فقط . وحيثما يقود كهف الى كهف داخلي يكون الخارجي أكبر حجماً - وأحد الكهوف الخارجية هو ٤٧٠ × ٤٠٠ سنتمتراً والكهف الداخلي

نحو ٢٩٠ سنتماً مربعاً • والمدخل الى العديد من القبور الكهفية يكاد لا يرى حتى يصل المرء قريباً من الفتحة • والقليل منها له اطارات مزخرفة فوق قوس المدخل ، أو عمود جداري مربع أو عمودان على كلا الجانبين • ولبعضها أيضاً صور تماثيل داخل الشكل الهرمي العالي في الواجهة كفيلان البحر وما أشبه • وكان لأحدهم أربعة أعمدة منقوشة بأخايد مستطيلة (٤٣) •

أما الجدران في داخل القبور الكهفية فهي مزينة بنقوش في الأفاريز وأحياناً بأوراق الكرمة • وهناك « الأركوسوليا » التقليدية منتظمة حول الجدران • بعضها مجوف ، أكان ذلك اصطناعياً أم نتيجة أسباب طبيعية ، حتى غدت كالتواييت الحجرية • ومقاييس « الأركوسوليا » Arcosolia تختلف من ١٧٠ × ٩٥ سنتماً الى ٢٢٠ × ١٠٠ أو حتى ١٢٥ سنتماً • وقمة المحراب Miche الموضوع في « الأركوسوليا » إما مقوسة أو مدببة الشكل • والزينة الهندسية للأركوسوليا تتفاوت في دقة صناعتها • وكثيراً ما يكون الجدار تحت المصطبة التي يوضع عليها الجثمان مصنوعاً بشكل يمثل أرجل متكأ • وأحياناً يكون محراب الأركوسوليا مؤطراً بأفريز منقوش وعمود جداري على كل جانب متوج بتاج منقوش بالورود أو بنسور حاملة غنائم أو بأوراق الكرمة أو أطفال ، وبعض التيجان عليها الهة النصر المجنحة واكليل ورد بيدها الممدودة • وهناك ثلاثة قبور مزخرفة بصورة حجرية نافرة على جدار الأركوسوليوم الخلفي يمثل الرجل المتوفى متكئاً في وليمة جنازية • وهناك أيضاً كهف واحد فيه تمثال نصفي فوق المدخل من الداخل ، وتمثالان نصفيان يطلان من سقف قوس المحراب على الأركوسوليوم • وتوجد كهوف أخرى خالية من النقوش سوى أن أرضها مفروشة بفسيفساء دقيقة الصنع تنصقها فيما بعد • عدد قليل منها فيها كتابات سريانية منقوشة اما بالفسيفساء أو محفورة على الجدران • وبعضها يحمل تاريخاً ولكن جميعها مكتوبة بكتابة تمكنا من تحديد فترتها في العصر الملكي أو الى ما بعد ذلك بقليل (٤٤) •

٤٣- وهي موجودة الآن في متحف أورفا •

٤٤- إن الضريح الكائن في « فرخ مغارة » والذي توجد فيه الصورة الحجرية النافرة لوليمة جنازية به الكتابة المنقوشة التالية : « في سنة ٥١٣ أنا سلوقس بار مقيمو عملت هذا المدفن لنفسي ولأولادي ولورثتي » ولذلك فإن الضريح أقيم في سنة ٢٠١ - ٢٠٢ م • والكتابات الأخرى في نفس المنطقة هي أكثر إيجازاً • أحداها تقول : « مقيمو يسار سلوقس ووأخرى : « رجبو ابنة سلوقس » • وثالثة : « مغدال ابنة عبد اللات ، تراب ؛ وأسفاه له » •

كان هناك أسلوبان يستعملان لإغلاق مداخل القبور الكهفية ، أحد القبور في صهتليك مهلاسي له بلاطة مستقيمة الزوايا تدور على محور علوي وسفلي ، وكان يغلق من الخارج بواسطة سلسلة تسحب قضيباً من طرف الى الطرف الآخر ليدخل في محجر في قائمة الباب . ويظهر بأنه كان يفتح بإدخال القضيب في فتحة في وسط الباب والقضيب به أخاديد تماثل تلك التي في محجر في قائمة الباب . ومهما يكن ، فإن الأكثر استعمالاً كان الحجر المستدير المتبسط الذي يدرجه رجل بمثابة باب أمام الفتحة ليستقر في فرجة خارج المدخل عندما يكون الباب مفتوحاً .

بينما كانت هذه القبور الكهفية المكان العادي للدفن كان بعض الأثرياء الرهاويين يدفنون موتاهم في أضرحة ذات أبراج تدعى في السريانية « نفشاثا » . ولقد شيد ضريح على هذا الشكل ، كما ألقينا سابقاً لأعضاء سلالة الملك اريو في سنة ٨٨ - ٨٩ م . ولقد وجدت عدة أضرحة ذات أبراج في قصر البنات وأماكن أخرى في جبال التكتك التي تبعد نحو ثمانين كيلو متراً عن أورفا . وكنا قد أشرنا الى ضريح ذي أبراج وعليه كتابة منقوشة في سريين على شاطئ الفرات (٤٥) . ولكن لم يبق أي من هذه الأضرحة في أورفا نفسها . وأقرب ضريح ذي أبراج الى المدينة والذي لا يزال قائماً هو ذلك الذي في دير يعقوب في التلال الجرداء على بعد نحو سبعة أو ثمانية كيلو مترات الى الجنوب . وتوجد هنا في الجدار العالي صورة محفورة لشخص متكىء ، وربما - لأن الصخر متآكل بفعل الطقس مما لا يسمح بتمييز التفاصيل بوضوح - على رأس الشخص لباس عال مما يلبسه الكهنة أو النبلاء ، والرأس مستريح على وسادة . وبالقرب منه فوق المدخل الى أعلى طابق من الضريح البرجي

→

ورابعة : « هذه صورة بارعانا بن (٥٥٥) » وخامسة : « ٥٥٥ ابنة ٥٥٥٥ أخت بار شمش ٥٥٥٥ » . وفي منطقة مقبرة « أيوب مهلاسي » توجد مغارة غير بارزة للعيان بها كتابة منقوشة فوق المعراب الوسط : « في شهر آذار من سنة ٢٠٥ (٥) ، أنا عبشا بار بارعانا أقمّت هذا الضريح لنفسي ، ولأولادي » ، فالضريح شيد اذن في سنة ٢٠٨ - ٢٠٩ م . في هذه المقبرة وجد المثل الوحيد الذي اكتشف في أورفا لبقير يصل المرء الى داخله من فتحة عمودية . ويوجد فيه أركوسوليا على الجانبين تحت الأرض ، وجعل له سقف بواسطة بلاطة أو بلاطات حجرية . هناك كتابتان سريانيتان مهشمتان تصعب قراءتهما . وكتابة ثالثة تقول : « هذا قبر يوحنا العا (كم) ابن ثيوفيلاكثوس تشا (ركه) فيه زوجته ، ابنة يوحنا ضابط جنود اليونان ، ( وهذا قبر ) ثيوفيلاكثوس ابنهم وجميع الآخرين » . فهذا النص بموجب الكتابة بالإمكان تعديده بالقرن الثالث عن كتابات أورفا راجع المقالات في BSOAS لكاتب هذا الكتاب .

٤٥ - راجع صفحة ٢١ .

توجد كتابة منقوشة بلغتين : اليونانية وما يشبه الكتابة التدمرية وكتابة أخرى بكاملها بخط تدمري (٤٦) . ولقد عزيت هذه النصوص ، بموجب الكتابة ، الى القرن الثاني . ففي وقت من الأوقات لا بد انه كانت هناك أبراج أكثر على هذا المكان ، إذ كان هناك دير له اسم سرياني « نفشاثا » ( أي أضرحة برجية أو ذوات أبراج ) أقيم هنا في القرن السادس . أما علاقته بالوثنية فقد أشار إليها تاريخ ، لعله من العصر الإسلامي ، ينص على أن الدير « قام وسط التلال حيث يوجد هيكل وثني عظيم ما زال قائماً حتى هذا اليوم » .

## الحياة الثقافية

ان الكتابات المنقوشة بخط تدمري في دير يعقوب تبرز العلاقات الوثيقة التي لا بد انها كانت قائمة في زمن الملكية بين قادة المجتمع الرهاوي والغرب . ففي هذا النص الباكر جعلت التجارة تجار الرها يتصلون بمدن أبعد من تدمر بكثير . ولدينا تلميحات عدة معززة من مصادر مستقلة عن دور التجار الهام في بث الفكر الحضارية والدينية (٤٧) كانت هناك حركة تجارية مستمرة بين الرها وأديابينه (حدياب) عن طريق نصيبين . وفي القرن الأول الميلادي كان البيت الحاكم في أديابينه يهودياً وقام أعضاؤه بزيارات متكررة ومطولة لأورشليم . وكان للطائفة اليهودية تأثير كبير على فكر وممارسات مدينتهم كما سنرى . وكان مضيف آدائي الرسول الذي حول الرها الى الدين المسيحي كما يخبرنا التقليد السرياني شخصاً يدعى طوبيا من فلسطين . فكان على حد التخمين يهودياً . كانت الرها قرب نهاية الملكية تحت سيطرة روما السياسية . ومبعوثو الملك أبجر في قصة مار آدائي يقدمون تقاريرهم الى حاكم سوريا الروماني . ولكن ولا شك في أن أزياء روما نفسها هي التي كانت متبعة في الرها . والزيارة التي قام بها أبجر الكبير الى العاصمة الامبراطورية بدعوة من سبتيموس سيفيروس كانت كما أدينا سابقاً مناسبة لها بعض الأهمية ، والقصد الواضح منها التأثير على حليف الفائدة منه غير أكيدة . ان

٤٦- كلتا الكتابتين في دير يعقوب تنص بكل بساطة : « انا شمش زوجة شردو بار معنو » .

٤٧- ان أهمية الرها في عالم التجارة في ذلك الوقت تظهرها حقيقة أن مايقرب من نصف النقود المسكوكة ما بين سنة ٢٢١ و ٢٥١ التي اكتشفت في دورا يوروبوس كان أصلها من هناك . ( ٤١ في المئة - ٤٨ في المئة ) . أما نصيبين وأنطاكيا فقد كانتا متخلفتين عنها بكثير : على التوالي ١٧ في المئة - ٣٠ في المئة ١٦ في المئة - ١٨ في المئة .

الحفاوة التي استقبل بها أيجر توحى بأن لا شيء دون القيام باستقبال بمنتهى الأبهة كان له التأثير الذي يرغب فيه الامبراطور . ولا بد أن الرهاويين كانوا على علم بترف العاصمة ، وكذلك فان الرهاويين الذين وجدت كتابات منقوشة في روما تشير الى وجودهم هناك لربما كانوا قد وصلوا هناك كمنفيين أو رهائن ، ولكن يمكن الافتراض بأنهم دمجوا أنفسهم بالمجتمع الروماني (٤٨) .

مهما يكن من أمر فان الثقافة اليونانية التي نقلها الاسكندر وخلفاؤه هي التي تركت طابعها على الرها . فنقود الرها كانت تحمل كتابة الشعار باللغة اليونانية (٤٩) وكان هذا أكثر من مجرد عادة متبعة رسمياً . ولقد أشرنا الى أن جزءاً من الكتابة المنقوشة بلغتين في دير يعقوب قرب الرها كان باليونانية . وفي الوثيقة الرهاوية من سنة ٢٤٣ يوقع المفتش اسمه باليونانية . وكانت العائلات الثرية الرهاوية في زمن الملكية قد اكتسبت عادة ارسال أبنائها ليتثقفوا في البلاد التي تتكلم اليونانية غربي القرات ، الى انطاكية أو بيروت أو الاسكندرية أو بلاد اليونان نفسها . ولعل هذه العادة هي التي نراها منعكسة في « نشيد الروح » من أعمال توما الرسول . وهذه الأعمال ربما كانت مستمدة من مصدر سرياني وألفت قبل القرن الأول الميلادي . فيها يرسل الأمير لينشد « لؤلؤته الثمينة » في مصر . ويقال ان الفيلسوف الرهاوي برديسان أرسل ابنه الى اكاديميات أثينا ، ويعتقد بأنه اكتسب مقدرته في الشعر والموسيقى هناك . ان هذا التقليد متأخر ولكنه يحتوي على عنصر من الاحتمال . ويقدم « كتاب شرائع البلدان » الرهاوي الدليل ، في كل تركيبه ونقاشه،

٤٨- ربما كان الملك ايجر العاشر فراهاد هو الذي اقام ضريعا في روما لزوجته هدى . ان كتابته المنقوشة الموجزة تحتوي على الصيغة بموجب العادة المرعية .

**D. M. Abgar Phrahates filius rex principis Orrhenorū Hodda conjugī bene merenti fec.**

هناك كتابة يونانية منقوشة في روما أيضا تعبر يشعر رثائي عن موت شاب في السادسة والعشرين من العمر يدعى ايجر ابن « الملك السابق ايجر » . أما الضريح فقد شيده أخو الرجل المتوفى أنطونيوس . ربما كانا ابني الملك ايجر التاسع سيفروس .

٤٩- كان الشعار في أقدم النقود الرهاوية المعروفة بعد العصر السلوقي مكتوبا باللغة السريانية . وكانت قد ضربت في زمن حكم الملك المه الى للبادثيين وائل بارسهرو وخلفه الملك معنو فيلوروميوس، الذي أرجعه الرومان الى عرشه ، والملك التالي ايجر الكبير . وهذا ربما كان في الفترة الباكرا من حكمه . وبعد ذلك غدا الشعار يكتب باليونانية .

على عمق تأثر مدرسة برديسان بالأساليب الاغريقية في الشرح الفلسفي .  
وكان للرها أن تكتسب الشهرة في بلاد ما بين النهرين الناطقة بالسريانية  
كمركز للعلم اليوناني .

ومع ذلك لا بد أن الحضارة اليونانية في عصر الملكية وما بعدها  
أيضاً كانت قد أثرت في جزء صغير فقط من أهالي الرها . والمشهور عن  
برديسان نفسه ، وكذلك عن القديس افرام بعد قرن ونصف من الزمان ،  
أن معرفتهما باللغة اليونانية كانت قليلة ، أو انها لم تكن مستمدة من  
مصدر أصيل . وكان قد احتفظ في الرها بالتقاليد الهلينية المرعية حول  
القوانين والتنظيم المدني والتاريخ السلوقي بعد انسحاب السلطة السلوقية ،  
ولكن في هذا كانت الرها منسجمة مع بقية وادي الرافدين . وفي الصراع  
الناشب بين روما وبارثيا على السلطة في ما بين النهرين كانت الرها عادة  
الى جانب الأخيرة . ومن وجهة نظر روما كان أبجر الرهاوي بارثياً  
واستمرت هذه الفكرة حتى زمن البيزنطيين ، إذ نجد أن الشعراء السريان  
أنفسهم يصفون الرها بأنها « بارثية » أو « ابنة البارثيين » . وألقاب  
ذوي المناصب العليا في المملكة مثل « باسفريريا » و « نوهذرا » كانت  
ايرانية . وكما سترى فيما بعد كان لباس الشعب الرهاوي أيضاً ايرانياً  
( ولو أن النساء ، كما في الأماكن الأخرى من بلاد ما بين النهرين . كانت  
تلبس الزي الروماني ) . وفي الصور الفسيفسائية الرهاوية ترى  
الأشخاص يمثلون مواجهة ، وهذه صفة مميزة في الفن الايراني . وكانت  
أديابين ، حليفة الرها ، واقعة كلياً في نطاق سلطة بارثيا . ويكتب  
ثيودوريط عن أديابين بأنها « تنتمي الى البارثيين ولكنها تدعى الآن  
اوزروين » . وكنا قد نوهنا انه حتى في جوار قصر الملك أبجر في الرها  
كان هناك برج يدعى « برج الفارسيين » . وكان نهر القلاب لا يزال  
يدعى « نهر الميديين » بعد ٢٥٠ سنة من نهاية الملكية . ولا بد أن موقع  
الرها على « طريق الحرير » الى نصيبين ومن هناك الى الهند والشرق  
الأقصى قد أتى بالتجار من الشرق . وتُعزى الى برديسان رواية عن  
تاريخ وممارسات الهندود يقال انه استمدها من سفارة هندية كانت مارة  
في اقليم الرها في زيارة للامبراطور الأغبالوس حوالي سنة ٢١٨ م .

ان تقاطع تيارتي الحضارتين الغربية والشرقية أوجد جواً نشطاً  
حيوياً في الرها . وبلاطها الملكي في نهاية القرن الثاني كان من الواضح  
مشهداً من البهجة والحركة وعلى شيء من السفسطة أيضاً . والمعنا سابقاً

الى أن الرهاويين في هذه الفترة كانوا عارفين بتurf الغرب • وفي القرن الأول كان ميرداد المدعي البارثي الذي اعتاد على حماقات أنطاكيا وطيشها يرغب في التلكؤ في الرها • وطراجان أيضاً من الواضح أنه تأثر بالترحيب وكرم الضيافة اللذين لاقاهما هناك ( وبضمنها « الرقص الشرقي الغريب » الذي قام به ابن مضيفه الملكي ) • والحمامات الشتوية التي لا تبعد كثيراً شمالي البرك لا بد أنها بنيت في زمن الملكية في الرها • وكان هناك ميدان لسباق العربات Hippodrome في شمال غرب المدينة قرب الاسوار يؤكد التقليد بأن أوغسطس قيصر نفسه أهداه للملك •

حافظ الرجال الرهاويون على مهارتهم في رمي النبال كوسيلة من وسائل اللهو والتسلية • وكانوا شهيرين جداً في هذا الفن في الحرب ، كما كانوا من أشد الناس ولعاً بالصيد • ولدينا صور حية لحيوانات على لوحة باقية - طيور وأسد وغزالة وفونيق وأورميوس على فسيفساء ( مؤرخة ٢٣٥ - ٢٣٦ و ٢٢٨ على التوالي ) • وكذلك خنزير بري شرس على طنف لوحة فسيفسائية للحيوانات بقي منها جزء الآن • ويقص علينا جوليوس أفريكانس الذي زار الرها في نهاية القرن الثاني حادثة حملة صيد ، وكيف ان دباً هائلاً هجم من دغل وألقى الذعر في قلوب الموجودين ، فتصدى له الأمير معنو وقتله بأن رشق سهماً بكل رباطة جأش في كل عين من عيني الحيوان • وكان برديسان نفسه نبالاً لا يستهان به ، كما يقص علينا جوليوس بعبارة واضحة • ففي إحدى المناسبات طلب برديسان من شاب وسيم أن يقف قبالة ثم راح يرسم شكل الشاب على ترسه بالنبال كما يفعل الرسام بالفرشاة ، رسم رأسه « ويريق العينين وانعطاف الشفتين وتناسق الذقن » ، وأخيراً رسم شكل الشاب بكامله • واستغرب المشاهدون « ليروا بأن القوس لم يكن أداة حرب وحسب بل [ مصدر ] لهو بهيج ساراً أيضاً » ، وراح الشاب يرمق صورته مدهوشاً •

نمى الرهاويون ، في زمن الملكية ، الفنون الحرة بزخم وقوة • ولا بد أن المهندسين منهم كانوا قد بلغوا درجة عالية من البراعة • فالنصب التذكارية الموجودة في سوماتار هارابييسي على جبال التكتك ، اثنان من أبراجها مستديران وبتفس المحيط تماماً ، وآخر مربع تماماً ، وآخر مستدير موضوع على قاعدة مربعة ، وجميعها على خط مستقيم بدقة بلغت حد الكمال • وهذه النصب ، ولا شك ، من عمل الرهاويين أو مهنيين غرباء يعملون بأرشاد الرهاويين • وفي المدينة نفسها كانت تشيد

الأروقة المعمدة في الأماكن العامة • ولدينا في العمودين الكورنثيين على جبل القلعة أثر باق من العمارات الضخمة في زمن الرها الملكية • وأشرنا أيضاً الى صور اللوائم الجنائزية والنحت الزاهر في الأضرحة الكهفية خارج أسوار الرها • فصور الأشخاص المنحوتة نحتاً بارزاً في الصخر في سوماتار في كهف قُدّ في الصخر وعلى الجبل المقدس هي ولا شك من صنع نحائين رهاويين في القرن الثاني • وهناك في سوماتار أيضاً ، تمثال لرجل واقف وقفة منفردة وهو في زي إيراني ، وسيف ضخم على جانبه • وهذا قديكون أقيم هناك في نفس الفترة • وظاهر ان التماثيل كانت ميزة بارزة شائعة في الرها نفسها • فأحد العمودين على جبل القلعة كان متوجاً ، كما رأينا ، يتمثال للملكة شلمات • وكانت الراهبة ايغريا الأكويتانية التي زارت الرها ، ربما في القرن الخامس ، قد تأثرت بالتماثيل المقامة في القصر الصيفي بجانب البرك التي شيّدت على الأرجح في عصر الملكية ، وكتبت تقول :

« قادني [المطران] الى قصر الملك أبجر ، وأراني هناك التمثال الذي كما قالوا ، يشبهه شبيهاً كبيراً ، وقد صنع من رخام براق حتى لتظنه من اللؤلؤ • ومن تقاطيع الملك أبجر كان يُرى حقاً أن هذا الرجل كان حكيماً وذا أنفة • وبالقرب منه كان هناك تمثال صنع أيضاً من الرخام قال عنه [المطران] بأنه [تمثال] لمعنوس ابن [الملك أبجر] له بعض الرشاقة والجمال في تقاطيعه » (٥٠) •

كانت هنالك تماثيل أخرى لأبجر في الرها بقيت حتى زمن ايغريا • من الواضح أنها كانت قرب الباب الغربي الذي منه ، بموجب التقليد ، اجتازت رسالة يسوع لأبجر • وتضيف الراهبة ايغريا « واطلعنا المطران البار أيضاً على نصب تذكاري لأبجر وجميع أسرته • وكان النصب جميلاً جداً ، ولكنه مصنوع على الطراز القديم » •

هناك بضع منحوتات ناتئة مكانها الأصلي غير مؤكد ولكنها لربما من منطقة الرها ومحفوظة في أورفا ، وبالإمكان عزوها الى عصر الملكية ، وتتضمن ثلاث صور ناتئة لرجل عار وامرأة نصف عارية يتبادلان العناق ، وتمثالين نصفيين لشخصين ماسكين ملفاً ، وآلهة النصر وبعض غيلان البحر ، وهناك قطعتان من النحت لهما أهمية فريدة بقيتا

٥٠- من المظنون ان معنوس هذا هو معنو التاسع الذي حكم من سنة ٢١٤ - ٢٤٠ م • ولكن إذا كانت أسطورة الملك ابجر أو كما مقبولة فهو معنو الخامس اذن ( ٥٠ - ٥٧ م ) •

في أورفا ، وكلتا القطعتين عليها كتابة سريانية منقوشة ، وقد تنتميان إلى هذه الفترة الباكرة . وتوجد أيضاً صورة حجرية ناتئة كاملة تظهر امرأة جالسة وبجانبها شخص ابنتها في شكل مصغر (٥١) . وكان قد أقام الصورة زوج المرأة . ومن الأشياء الأخرى تمثال نصفي لسيدة جميلة تدعى شلمات وهذا أيضاً أقامه زوجها . وبجانب هذا التمثال النصفي تمثال كامل مصغر لابنتها (٥٢) .

لدينا سجل لثمانى لوحات من الفسيفساء من الرها ، وجدت أغلبها في الآونة الأخيرة وتعزى جميعها إلى السنين الأخيرة من الملكية أو العقود التالية مباشرة . وباستطاعتنا التكلم عن مدرسة رهاوية لصناع الفسيفساء ، كانوا قد بلغوا درجة لا يستهان بها من الدقة في عملهم ويميزون بعناية بين العيون البنية والرمادية ، وبين الشعر الأسود والأشيب . وبراعتهم الفنية ظاهرة من التشكيل الجماعي للأشخاص . وتعكس الصور الفسيفسائية أيضاً ذوق الرهاويين للالوان البراقة المتنوعة والتمييز في زيههم ، أما الشخصيات التي يصورونها فتتعم بالراحة والترف على نحو يذكرنا بقوة بصور التجار الأوروبيين في العصور الوسطى .

كان للرهاويين ميل حيوي للموسيقى في الأزمان القديمة والمتأخرة أيضاً . وقد لعنت أشعار برديسان ، وكانت ما تزال تحتفظ بجاذبيتها للارستقراطيين الشباب في الرها بعد قرنين من موت الشاعر . وحاول القديس افرام أن يقابل سحر هذه الترانيم الوثنية الخداعة الماكرة بأن أنشأ جوقة ترانيم لانشاد مدائحه وأوراده الخاصة . ولكن أتماعه لاقت نجاحاً ضئيلاً . فبعد أربعين سنة اغتم المطران رابولا عندما وجد أن قصائد برديسان لم تفقد شيئاً من شعبيتها في الرها . ولقد لعبت الموسيقى والموسيقيون دوراً بارزاً في الدين الوثني لهذه المنطقة كما سنرى فيما بعد . فاورفيسوس وقيثارته السحرية هما الموضوع الرئيسي للوحة من الفسيفساء في الرها تعود للعقود الأخيرة من عهد سلالة الملك اربو .

من الواضح أن الكتابة والأدب كانا شائعين في زمن الملكية . فشهرة المدينة في الأزمان المسيحية كمركز أكاديمية شهيرة كانت مبنية على تقليد راسخ طويل . والكتابة السريانية المنقوشة على التماثيل وعلى جدران

٥١- اسمها منقوشان على الحجر بالسريانية . متحف أورفا .

٥٢- اسمها منقوشان على الحجر بالسريانية . متحف ديار بكر .

الأضرحة ولوحات الفسيفساء مكتوبة كتابة أنيقة • ولدينا الدليل ، مهما كان ضئيلاً ، على رشاقة الأسلوب • فعلى اللوحة الفسيفسائية المسماة « الركيزة الثلاثية » مقطع شعري قصير يقول :

كل من يحتقر  
آمال [ أيامه ] الأخيرة ،  
ويندب [ أيامه ] الأولى -  
سينال آخرة صالحة •

ان فكرة الانسان الذي يحتقر الحياة الطويلة ويندم على أخطاءه شبابيه فقط هو الذي بإمكانه أن يعتبر نفسه أهلاً للحياة بعد الموت معبّرة هنا ببراعة ، فالسطر الثاني والثالث مقفيان • ويبدو أن القطعة الشعرية مبنية على « النبرة » وليس ، كالشعر السرياني المتأخر ، على تعداد المقاطع • هناك تضاد بارع بين [ الأيام ] الأخيرة و [ الأيام ] الأولى ، وتورية تلعب على كلمتين سريانيتين • والنص يذكرنا بأساليب الشعر السامي الجيد • وهناك كتابة ضريحية أخرى بنفس الميزة ، وهي في المقبرة الجنوبية في الرها • ونمط الخط القديم المكتوبة به ترجعها أيضاً الى عصر باكر •

« مبهج هو مكان راحة شلمان بن كوكب ، اليك التحيات ••• هم أجابوك ، وهم نادوك والكنك لم تجبهم - أولئك الذين لمستهم ، انك رأيت العلو والعمق ، البعيد والقريب ، الخفي والظاهر • وهم يشرفون على منافع حساباتك ••• معطياً الراحة ••• » (٥٣) •

علينا اذن ألا نتردد في أن نعزو الى الرها نشاطاً أدبياً مليئاً بالحيوية في السنين الأخيرة من الملكية • ولكن للأسف قليل هو ما تبقى من التأليف التي بالامكان تحديدها واعتبارها رهاوية • ان رسالة مارا بار سيرايبون المؤثرة كتبها وثني من جوار شمشاط لابنه عندما

٥٣- ان النجمات المسجمة في هذه الكتابة الأدرية « الفنوصية » • الفريدة والغامضة في نفس الوقت تذكرنا بملاحظة مار أفرام على برديسان : « ••• عدة ستة عناصر • أربعة عناصر وضعها في الاتجاهات الأربعة ( للبوصله ) : ووضع عنصرها في الأعماق وآخر في الاعالي » • انظر صفحة ٤٨ أيضاً •

✱ hartha سطر ٢ hritha ✱

أخذ المؤلف أسيراً الى سلوقيا ، ربما في نهاية القرن الثاني . والخطبة الموجهة لأنطونيوس قيصر ، وهي حوار عن الارادة الحرة والخطيئة ، تمزى خطأ للفيلسوف ميليتو السارديسي . ان مؤلفها ربما هو مسيحي ، وربما من اقليم الرها في القرن الثالث . وقد تكون الرها أو ماجاورها هو المكان الذي أُلّف فيه النص السرياني لأعمال توما الرسول . وربما كتب في محيط اجتماعي ايراني وفي العقود الأولى من القرن الثالث (٥٤) . والى هذه الحقبة أيضاً تنتمي ترجمات العهد القديم والجديد الى السريانية ، ولكن ليس بالامكان التحديد بالضبط ما اذا كان المترجمون قد أنجزوا عملهم في أوزروين (اقليم الرها) أم في أديابين (٥٥) (حدياب) . ولكن هذا التساؤل يجب ألا يعيقنا ، فالأسلوب النيرّ الدفاق لكثير من هذه الترجمات لا بد أنه كان التراث المشترك لمنطقة واسعة من بلاد ما بين النهرين الناطقة بالسريانية . والدليل على أن الرها شاركته في هذا ، ظاهر من الخلاصة المستمدة من قسم الأضابير ( الارشيف ) في المدينة والتي تصف فيضان سنة ٢٠١ الذي نقلناه سابقاً . ولا بد أن الخلاصة كتبت في وقت قريب للحادث وتظهر لنا ميزات من النضارة والوضوح .

## برديصان

ان عملاق الأدب الرهاوي في عصر الملكية كان برديصان ، وأسماء أفراد عائلته تبدو مجازية تبعث على الفضول . يقال أن أباه كان يدعى نوحاما (أي القيامة) وأمه تدعى نحشيرام (صيد) . ويكتب القديس أفرام عن « قذارات وغوايات برديصان » ولكنه أقر مرغماً بأنه « يتكلم ببراعة نفاذة دقيقة » ، واذ يظهر رحمة غير عادية نحو هرطوقي مثله يملن : « يا أبناء [الله] صلوا من أجل برديصان اذ في وثنيته دخل شيطان في قلبه ولكن ربنا بقي في فمه » .

هناك كتاب نشر يُعزى الى مدرسة برديصان ولكن قد يكون مؤلفه هو تلميذه فيليب . ويدعى الكتاب « كتاب شرائع البلدان (٥٦) » .

٥٤- هناك ادعاء بأن أناشيد سليمان ( التي تحتوي كاعمال توما الرسول تعابير أدبية ) قد ألّفت في الرها . . . ولكن البيئة ضعيفة وعرضية .

٥٥- ربما ألف طيطيان النص السرياني للديباطرون في الغرب قبل رجوعه الى « آشور » في سنة ١٧٢ م . ( ولا شك أن آشور هنا هي اديابين . انظر الصفحات ٨٥ - ٨٧ ) . ولكن أسلوب النص المذكور هو تخميننا نفس الأسلوب الذي كان يستعمله في موطنه .

٥٦- يطلق عليه هذا الاسم لأنه يقدم أمثلة من شرائع الشعوب متسلسلة من « السريس Seres » والهنود في الشرق الى الاغريق والبريطان في الغرب . انظر الصفحة ٥٥ بخصوص محتوياته .

قد تعطينا بعض التبذ الموجزة منه فكرة عن مقدار ما تمتع به برديسان من حدة ذكاء وانسانية . ان هذه المزايا ظاهرة فيه حتى وان يكن النص قد نقّحه أحد المدافعين عن المسيحية .

« اذا رغبت في العلم فمن المفيد أن تأخذ العلم من الكبار . . . ولكن اذا [رغبت] في أن تعلم فليس من الضروري أن تسأل [الناس] شيئاً بل أغرمهم كي يسألوك هم ما تريد . . . انه لشيء حسن أن تعرف كيف تسأل الأسئلة . . . »

« ليس هناك شيء أمر الناس القيام به ولا يستطيعون فعله . . . نحن لم يلق علينا الأمر لحمل أحمال ثقيلة من الحجارة أو الأخشاب أو أي شيء آخر - مما لا يستطيع حمله الا من هم أقوىاء في الجسد ، أو أن نبني قلاعاً أو نؤسس مدناً - مما لا يستطيع الا الملوك فعله . أو أن تقود السفن - التي لا يعرف قيادتها الا الملاحون . أو أن نقيس ونقسم الأرض - الأمر الذي لا يعرفه الا المساحون . . . ولكننا أعطينا وصايا دون ضغينة وبموجب كرم الله يستطيع أي انسان له روح أن ينجزها بفرح . . . »

« انه لمن الأسهل أن تفعل خيراً من أن تمتنع عن الشر . لأن الخير هو جزء من الانسان ولذلك يبتهج عند فعله . ولكن الشر هو نشاط العدو . ويفعل الانسان هذه الأشياء القبيحة عندما يكون مضطرباً ومريضاً في طبيعته . . . ان من طبيعة الأسد أن يأكل اللحم ، ولهذا فان جميع الآساد هي آكلة لحوم . . . والنحلة تعمل الشهد لتقتات به ، ولهذا فان النحل جميعه صانع شهد . . . والنملة تكس لنفسها مؤونة في الصيف لكي تقيت نفسها منه في الشتاء ، ولهذا السبب يعمل جميع النمل الشيء نفسه . . . ولكن البشر ليسوا محكومين على هذا النمط ، بل بالأشياء التي تتعلق بأجسادهم يحافظون على طبيعتهم كالحوانات ، وبالأشياء التي تتعلق بعقولهم يفعلون ما يرغبون كأنهم أحرار وذوو سلطان وكأشباه الله . . . »

عندما يشاء المولى يغدو بإمكان جميع الأشياء أن تكون عديمة القوضى . وليس هناك شيء باستطاعته أن يكبح إرادته العظيمة المقدسة . . . »

« في دستور عالم جديد ستنتقطع جميع الحركات الشريرة، وسينتهي كل عصيان ، وسينال الأحق معتقداً ، وكل تقصير سيغدو كاملاً ، وسيكون هناك سلام ورفاهية بمنة رب جميع المخلوقات . »

ومهما يكن من أمر فإن الأسلوب الأدبي الذي اتخذهُ برديسان بشكل فريد كان الشعر ، ولقد أَلَّفَ مئة وخمسين ترنيمة على عدد مزامير التوراة تدور حول معتقداته الدينية والفلسفية . أما إيقاع شعره فقد كان يتسم بالنبرة، كتلك الكتابة الضريحية لشلمان باركوكب، ولحنت ترانيمه بعدئذ ونالت شعبية سريعة ودائمة ، ويعلن القديس أفرام بحزن :

« أوجد [برديسان] ترانيم وأرفقها بموسيقى تصحبها وألَّفَ مزامير وقدم أوزاناً : بالمقاييس والأوزان قسم الكلمات . والبسيط أفسده بالمر في الحلاوة ، والعليل الذي لم يختر شفاءً [أعطاه] غذاءً » .

وبقيت قطع من أشعار برديسان في كتابات القديس أفرام . ولكنها لسوء الحظ زهيدة جداً بحيث لا نستطيع الحكم على موهبتها الشعرية . ولكن على كل حال لدينا نبذة مطولة نقلها لاهوتي في القرن الثامن يدعى ثيودور بارقوني يشرح برديسان فيها نظرياته الكونية .

« خمسة عناصر منذ القدم كانت في الجوهر . ولكنها تراخت وتاهت ، وفي النهاية انتفضت كما لو كان لسوء الصدفة . وعصفت الريح بكل قوتها ، وزحف الواحد (٥٧) منها والتقى برفيقه .

أشعلت النار الغاية ، والغيم الأسود الذي لم تلده نار غذا متلبداً . والهواء الصافي غذا كريهاً .

واختلطت كلها مع بعضها ، وغدا أصلها المنتخب مغموراً ، وراح الواحد منها يعرض الآخر كحيوانات كاسرة .

ثم أرسل لها ريبها كلمة فكر ، وأمر الريح بالسكون . فألوت وجهة سيرها واستدارت على نفسها .

هبّت الريح عالياً . . . وأهمدت بقوة . وضغط الدنس الى أعماقه . كان الهواء مشعاً في وسطه . الهدوء والراحة كانا هناك . وتمجد الرب لحكمته وصعد الحمد على نعمته .

من ذلك الخليط والمزيج الباقي ، من . . . العناصر صنع الخليقة بأكملها ، الأشياء العليا والسفلى .

انظروا ، ها الطبائع بأكملها - سارعت بأشياء مخلوقة لتطهر نفسها وتزيل ما امتزجت فيه طبيعة الشر » .

## المرأة

نجد في الهيئة الاجتماعية المثقفة في الرها ، كما نتوقع ، موقفاً متفتحاً تجاه المرأة . وتظهر النساء في أوضاع مهندمة في حلقة العائلة في صور الفسيفساء والنقوش البارزة على الحجر في الأضرحة الكهفية ، والعديد من النصوص التذكارية مدونة للنساء . وظاهر أن تماثيل النساء كانت شائعة كما رأينا . وكذلك فإن التمثالين المستقلين اللذين بقيا في أورفا هما تماثالا امرأتين . والبرج الضريحي في بيرثا على ضفة نهر الفرات من اقليم الرها كان من أجل « سيدة البيت » كما كان للمالك وأولاده . وفي حالتين اثنتين ، علاوة على ذلك ، جُهِز ضريح قرب الرها لذكرى امرأة . ومن الواضح أن أحدهما قدمه ابن أخي المرأة المتوفاة . ويحمل الآخر نصاً مطولاً لذكرى المرأة المرحومة ، بينما هناك عبارة مقتضبة على الجانب لذكرى الرجل الذي ، اذا حكمنا من اسمه ، قد يكون والد المرأة !

فالنساء اذن ، تمتعن بالاحترام في الرها وحُزن على مركز ميجل في العائلة . وكان لعفتهن اعتبار كبير لدرجة أن أية امرأة رهاوية اذا ما اقترفت الزنا لم يكن يحكم عليها بالموت وحسب بل انه اذا ما وجهت اليها تهمة الزنا فانها كانت تنال عقاباً سريعاً . ولكن مع ذلك ، علينا ألا نظن بأنهن كن مساويات للرجال في نظر القانون . كان للنساء الحق في ما يملكن ولكن كانت تتبع الممارسة الاغريقية الشرعية التي تطلبت منهن أن يمثلهن وصي في عملية رسمية . واذا ما تزوجت امرأة كان الوصي زوجها . ولذلك نرى في وثيقة سنة ٢٤٣ التي تبين فيها امرأة رهاوية جارية توقيع زوجها الى جانب توقيعها . واذا كنا نرى النساء في حلقات العائلة في صور الفسيفساء وفي المنحوتات البارزة في الأضرحة الكهفية غير محجبات ، هذا لا يعني أن الحجاب لم يكن مستعملاً في هذا الزمن ، لأن هذه الصور كانت تقتضي التعريف بتقاطيعهن . ونلاحظ أيضاً في هذه اللوحات أن زوجة صاحب الضريح (ما عدا في صورة فسيفساء واحدة هي حماة المتوفى) تظهر على يساره . ولا شك في أن الجانب الأيمن كان يعتبر أكثر منزلة وشرفاً . فكان يقف هنا أولاد الميت ، وهكذا أيضاً نرى في صورة « العائلة » الفسيفسائية تقف الابنة مع أشقائها الى يمين والدها ، ولكنها تقف بعد اخوتها . ومما تجدر الاشارة اليه أنه في الصورة الفسيفسائية المسماة بـ « الركيزة الثلاثية »

فقط والتي أقامتها عائلة متواضعة نسبياً ترى النساء ، زوجة وابنة ،  
تحملان مغزلاً كتذكار لواجباتهما البيتية . لعل باستطاعتنا الاستنتاج  
أنه كلما علت مكانة العائلة في السلم الاجتماعي كان موقفها أكثر  
سخاءً وتسامحاً تجاه المرأة .

## الزّي واللباس

اننا نحصل من الصور الفسيفسائية ، ومن المنحوتات بنسبة أقل ،  
على صورة واضحة فريدة عن لباس المرأة في الرها في هذه الفترة من التاريخ .  
وتعرض صورة « العائلة » الفسيفسائية غير المؤرخة أسرة من المواطنين  
الموسري الحال . وفيها تلبس النساء البالغات حلة فضفاضة مزركشة  
زركشة كثيفة على طول الأكمام ، وعلى الصدر أيضاً اذا كانت المرأة  
والدة الأسرة ، وفوق الحلة تلبس رداءً طويلاً مختلف اللون يضم  
بدبوس فوق الكتف الأيسر . أما شعرهن فمجدول في ضفائر ، وفي  
أقدامهن خف مدبب الرأس . وفي الصورة الفسيفسائية الأسرة المحتشمة  
المسماة « الأريكة الجنائزية » (المؤرخة سنة ٢٧٨م) ترى زوجة المتوفى  
جالسة على كرسي ذي ذراعين وقدمها على كرسي واطء صغير بجانب  
أريكة زوجها ولها زي مشابه ولكنه أقل زخرفة ، بينما حلة ابنتها هي  
أكثر بساطة . وهكذا أيضاً اللوحة الفسيفسائية « الركيزة الثلاثية »  
التي وجدت في منطقة المقبرة الشمالية خارج المدينة - اللوحتان  
الفسيفسائيتان الأخريان هما من منطقة المقبرة الجنوبية - تظهر امرأة  
يافعة في زي بسيط وشعرها متساقط في خصل ملتوية طويلة ، والفتيات  
الشابات في كل من صورة « العائلة » وصورة « الركيزة الثلاثية »  
الفسيفسائيتين لا يلبسن رداءً . وحللهن الفضفاضة منمنطقة بحزام  
عريض . ان الأزياء بأكملها ملونة تلويناً مبهجاً ، والنساء يلبسن  
مجوهرات وأساور ذهبية وازيماً ذهبياً لتثبيت الحلة الخارجية .  
وتظهر التماثيل النساء لابسات عقداً إما من خرز على شكل أسنان  
أو قطع من الذهب .

ان أعظم ما يجلب الانتباه في النساء الرهاويات هو لباس رأسهن  
كما تصوره اللوحات الفسيفسائية والتماثيل . ففي لوحة العائلة  
الفسيفسائية تلبس النساء اليافعات قبعات عالية مستدقة قليلاً عند  
قمتها . والقبعات ذات أربعة صفوف مختلفة الألوان ، أو ، الأكثر  
احتمالاً ، لها عصابتان من القماش من ألوان أخرى ملتفتان حول  
وسط القبعة ، وفوق هذه القبعة وضع الرداء الخارجي لينسدل على

الجانبيين كالخمار (٥٨) . ونفس لباس الرأس هذا يظهر في اللوحات الفسيفسائية الأخرى وفي التمثال الكامل في أورفا ، وفي اللوائيم الجنائزية من الصور النافرة على الحجر في أورفا وقرة كوبرو . ومهما يكن فان الأم في الأسرة الأقل ازدهاراً في لوحة « الركيزة الثلاثية » الفسيفسائية نرى قبعتها أكثر اتساعاً وأقل علواً ولها عصابة واحدة فقط حولها . وفي التمثال النصفي الذي وجد في أورفا نرى لتمثال الابنة المصغر نفس القبعة العالية في اللوحات الفسيفسائية . ولكن والدتها شلمات ، وربما أكثر تمشياً مع الطراز السائد ، لها قبعة أقل انخفاضاً وبمصابة واحدة حولها ومكسوة بوشاح وعليها حلقة بروش من الأمام . وهذا الشكل من لباس الرأس بقي حتى الأزمان العصرية . ففي سنة ١٨٤٤ رسم المستر بانجر الارسالي رسماً لامرأة بقبعة شبيهة بقبعة شلمات ولكنها مصنوعة من صفيحة فضة - وهي بالمناسبة تلبس أيضاً قلادة من الخرز على شكل الأسنان المستعملة في صور الفسيفساء والتمثيل العائدة الى القرن الثالث في الرها .

اما الفتيات فقد كن يلبسن لباساً للرأس أقل اتقاناً ممن يكبرهن . ففي اللوحة الفسيفسائية « الأريكة الجنائزية » هناك فتاة لا قبعة لها ولكن رداءها ملتف ببساطة حول رأسها . وفي لوحة الركيزة الثلاثية هناك فتاة أخرى لها قبعة فريجية كأخيها ، وفي اللوحة الفسيفسائية للعائلة السائرة على الطراز السائد هناك حفيدة واقفة في الخلفية لها ثلاثة أمشاط مستديرة في شعرها . وهذا طراز يظهر أيضاً في لوحة رهاوية أخرى ولكنها تلفت الآن .

لم يكن رجال المجتمع في الرها أقل تدقيقاً في لباسهم . ونلاحظ من الفسيفسائيات أنهم كانوا يلبسون قمصاناً تصل حتى ركبهم ، وشكلاً بسيطاً من القمصان اذا كانوا أولاداً . والأحزمة في الركيزة الثلاثية منمقة ، وحزام الوالد بشكل خاص حيث له ابزيمان . أما السراويل فهي من طراز إيراني شائع يصل حتى الرسغ أو منتصف بطة الساق ، بعضها منتفخ وبعضها أقل انتفاخاً . وفي لوحة « الركيزة الثلاثية » يبدو سراويل الرجل المتوفى مضموماً في أسفله بحبل رفيع يمسك من طرفيه بشرابتين . وتصل الأحذية حتى منتصف ربة الساق ، ولكن في اللوحة الفسيفسائية للعائلة الكيسية يلبس

٥٨ - هذه القبعة تذكرنا بلباس الرأس الذي كان الزي الشائع في أوروبا في القرن الخامس عشر .

الرجال أخفأفاً مفتوحة من الخلف ( كما هو شائع في الشرق الأوسط اليوم )  
والسنة مثلثة فوقها .

يحمل الشخص في وسط فسيفسائية « الركيزة الثلاثية » على كتفه  
ما قد يكون عباءة . وله حلية مثلثة على صدر قميصه . والشباب في  
فسيفسائية « الأريكة الجنائزية » لهم أناشيط فوق أكتافهم ، وهذه تخميناً  
لكي تمسك بالبرنس ولكن الرجال في لوحة « العائلة » يلبسون فوق  
قمصانهم معطفاً ضيق الأكمام كالفطبان . أما الأبناء فلهم أكمام تصل  
حتى الكوع بينما أكمام الوالد تصل حتى المعصم ، كلباس الملك أيجر على  
نقود من حكم غورديان الثالث . وهذا يشبه الثوب الذي يسميه العرب  
« قباء » وكان قد غدا استعماله محصوراً في القرن التاسع ولكنه حتى  
ذلك الوقت كان يلبسه وثنيو حران بصورة عامة (٥٩) . جميع الرجال في  
لوحة « العائلة » لهم ما يبدو كشرائط مقصبة على أكتافهم . ولعلها  
علامة الرتبة ، غير أننا لا نراها في أية لوحة أخرى .

يلبس الأب في هذه الفسيفسائية قلادة متدلّية ( يد مجهولة أزالته  
بعض القطع الفسيفسائية هنا ) بينما نجد أن ابنه معنو ، الذي قد يكون  
والد الفتاة في الخلفية ، متحلّ بقلادة ذهبية ولو أنه من الواضح الابن  
الأصغر . ولكن أبرز ميزة في اللباس بين الرجال ، وبين النساء أيضاً  
في الرها ، كان لباس الرأس . والشخص المركزي الذي يكون الضريح  
مكرساً له يتميز دوماً عن بقية العائلة بقبعته . ففي لوحة « الأريكة  
الجنائزية » يلبس الشخص شكلاً متقناً من قبعة فريجية ، وأعضاء عائلته  
الذكور الآخرون رؤوسهم مكشوفة . وفي لوحة « الركيزة الثلاثية » يلبس  
الأولاد قبعات فريجية (٦٠) . لباس رأس الرجل المتوفى ضائع أصيبت  
الفسيفساء بالتلف . ولكن هناك شخصاً يمد له ما لا يد أنه قبعة رسمية  
أنيقة الشكل . وفي لوحة « العائلة » اثنان من الأبناء الثلاثة ، شعورهم  
مصوجة بأناقة . وعلى نفس هذا الطراز هناك شخص على نقش بارز من  
القرن الثاني في سوماتار ، شعره مكشوف ولكنه مضموم بعصابة وفيونكه

٥٩- استناداً الى ابن التديم كان القباء لباس « مرافقي الحكام » ( أي « المسؤولين عن الادارة » ) .  
وقد استعمل في مصر في عصر لاحق .

٦٠- وهكذا أيضاً في قطعة الفسيفساء من أورفا والمحفوطة حالياً في اسطنبول ، وفي الصورة الثالثة  
على كتلة رخامية من أورفا وهي أيضاً في اسطنبول . انظر الصورتين ١٧ و ١٤ . الصورة  
الثانية عليها كتابة سريانية ، والكلمة الوحيدة التي باستطاع قراءتها هي : « لسيدنا . . . »  
٠٠ من شمشغرام .

وأنشودة على كلا الجانبين ، الابن التالي للشخص المركزي في لوحة «العائلة» يلبس قبعة فريجية ، ولعلها علامة على أنه الابن الأكبر . ولكن الهيئة الوقور للوالد تتميز بعمامة بديعة . انها العمامة الوحيدة من هذا النوع في الصور الفسيفسائية الرهاوية ، ان أقرب ما يكون الى لباس الرأس البديع هذا قبعة من ريش النعام أو الطاووس منقوشة على نقش نافر لوليمة جنائزية في قره كوبرو قرب أورفا . وهناك اشارة واحدة في الأدب عن العمام في الرها ، ومن الأهمية انها يأتي ذكرها في وصف لمهرجان وثني أقيم بعد هذه اللوحة الفسيفسائية للعائلة بقرنين أو ثلاثة قرون . اننا نقرأ هناك أن الجمهور احتفل بالمناسبة بالذهاب الى المسرح نحو المساء مسرلين بشباب من الكتان ولايسين العمامم وأحقاؤهم غير ممنطقة » . وكذلك اهتمام الذكور أيضاً بلباس الرأس في الرها يجب ألا يدهشنا . وكنا قد ألمحنا كيف أن الملك لبس التاج مع عمامته كإمارة على ارتقائه العرش وبأن العمامم بدون التتويج كانت تسبغ على النبلاء كعلامة للمرتبة .

ان الأشخاص المصورين على الفسيفساء وفي التماثيل في الرها كانوا من الواضح وثنيين اذ لانرى في الكتابات المنقوشة والزينة أياً من العبارات والصيغ أو الرموز التي هي الزامية في النصب التذكارية المسيحية .

### الطائفة اليهودية

أما يهود الرها فقد وجهوا أنظارهم شرقاً نحو طوائف يهودية أكثر قوة في شمال شرقي ما بين النهرين . ففي حدياب كانت العائلة الحاكمة قد اعتنقت اليهودية في القرن الأول للمسيح . وحكاية الملكة هيلانة الحديابية وولديها كانت شائعة بصورة واسعة حتى ان بعد ثلاثة قرون شكل مؤرخو حياة الملكة هيلانة والدة الامبراطور قسطنطين حياتها على هذه الحكاية الى حد كبير . وكان لا يزال يهود حدياب في القرن الثاني كثيرين . ولكن أكبر طائفة يهودية في هذه المنطقة كانت في نصيبين . وكانت معقلا يلتجىء اليه يهود ما بين النهرين في أوقات الاضطهاد ، لأنه، كما يقول يوسفوس « كان سكانها العديدون رجال حرب » . وفيها أيضاً كانت تحفظ تبرعات يهود هذه المنطقة للهيكل في أورشليم . وكذلك كانت مركزاً لأكاديمية يهودية ذاعت شهرتها ليس في جنوب ما بين النهرين وحسب بل حتى فلسطين أيضاً . ولم يكن الأمر مجرد صدفة أن يصبح

ملوك حدياب يهودا في زمن الربان يهوذا بن بثيرا النصيبيني ، الأول بهذا الاسم في التلمود .

لقد لاحظنا كم كانت العلاقات وطيدة بين الرها ونصيبين وحدياب كانت هذه المدن الثلاث متصلة بعضها ببعض الآخر « بطريق الحرير » . وكان التجار قد هجروا الطريق الجنوبي عبر سهل حران حيث كانت قوافلهم معرضة للنهب وابتزاز البدو . فضلوا السلامة النسبية على الطريق التي التفت حول الجبال الى الرها . فلن نمجب اذن أن نكتشف أن يهود الرها كان بينهم تجار أقمشة وأنهم كانوا رجال مادة . وكان لهم كنيس في وضع بارز في مركز المدينة . ويبدو أن كنيساً آخر كان موقعه تجاه كنيسة الرها الكاتدرائية القديمة . ولقد عاش يهود الرها في وئام مع جيرانهم وشاركوا الوثنيين في مقبرة قرخ مغارة حيث وجدت ثلاث كتابات منقوشة بالعبرية وأخرى باليونانية تحيي ذكرى يهود . ان اختلاط الأسماء العبرية والمقدونية والرومانية والبارثية تشير الى درجة من الامتزاج التام مع السكان . ولكن اليهود تمسكوا بهويتهم المنفصلة لأننا نجد أيضاً « منورة » منقوشة على الجدار خارج المغارة . ويبدو أن عطف اليهود كان على البارثيين وليس على الرومان . فعندما تقدمت جيوش طراجان نحو المشرق في سنة ١١٤ - ١١٥ قاومهم يهود الرها ونصيبين وحدياب فدفعوا ثمناً باهظاً بالأرواح لتمردهم .

ان جميع أسماء البلدان في ولاية الرها والمذكورة في السجلات التاريخية وثنية . ولكن اليهود في المدينة ربما كانوا معروفين لدى الملك . ومهما يكن من أمر . فاننا نخبر بأن الملك أبجر طلب من طوبيا بن طوبيا الفلسطيني الذي كان اداي ساكناً عنده في بيته في الرها ، أن يأتيه بالرسول . ولو ان الكثير من الحكاية التقليدية عن ادخال المسيحية الى الرها هو غير تاريخي ، وان الازدهار السريع للمسيحية في الرها هو شهادة كافية لتأثير اليهود . انها حقيقة بديهية أن يكون تقدم الدين الجديد أعظم سرعة في الأماكن التي عاش فيها اليهود مستقرين آمنين . وفي شمال ما بين النهرين وجد المبشرون المسيحيون في الطوائف اليهودية أدوات جاهزة لبث عقيدتهم . لأنهم كانوا جماعات متكاتفة محترمين من قبل جيرانهم ، مستعدين لقبول المسيحيين كحلفاء لهم ضد الوثنية السائدة ومطلعين اطلاعاً حسناً على أساليب التحليل والنقاش الملائم لجو البلاد اللاهوتي ، ومطلعين بصورة واسعة أيضاً على تعاليم العهد القديم .

وهذا العامل الأخير ليس الأقل في الأهمية على الإطلاق . ولقد ألحنا الى  
الامكانية أن في الرها تمت ترجمة التوراة الى اللغة السريانية . ومن المؤكد  
أن بعض المقاطع تعكس التفسير اليهودي الأرثوذكسي . فبواسطة هذه التحولات  
المثيرة للاعجاب في التخاطب المحلي إنتشرت عقيدة الإله الواحد وحكايات  
اسرائيل بين الشعب .

ان الحكاية التقليدية عن تبشير الرها بالمسيحية تعطي معرفة موجزة  
عن الدور الذي لعبه اليهود . وتعلن الحكاية أن « اليهود أيضاً ، الملمين  
بالشريعة والأنبياء ، والذين يبيعون المواد الناعمة ، أقنعوا فأصبحوا  
رسلاً واعترفوا بالمسيحية » . وبيئنة أخرى عن تأثير يهود الرها بالامكان  
أن تعطينا اياها عبارة غريبة في مقالة سريانية من القرن الثالث تقول  
ان : « شعب ما بين النهرين قدم العبادة أيضاً [للمرأة] العبرية كشي  
التي خلّصت بكرو شريف الرها من أعدائه » .

لا يوجد لدينا سجل عن هذا الحادث في مكان آخر . وبالكد يعتبر  
تاريخياً . وقد يكون اسم كشي مشتق من الجذر السامي K T H A B  
كتب ، وان الكلمة لا تشير الى « امرأة عبرية » بل يجب أن تفسر  
« كتابة عبرية » . واننا نعرف الآن أن الأنباط عبدوا الالهة كثبا  
أو كثباي تخميناً « كتابة » . والكتابة يعتبرها العرب مهارة خاصة  
بالأنباط . وكما استنتجنا ، كان حكام الرها من الأنباط . ولكن هنا  
الكتابة مقرونة باليهود ، وبامكاننا أن نفترض أن الرهاويين كانوا  
عارفين بالممارسة اليهودية بتثبيت نصوص توراتية على أبواب البيوت  
وأبواب المدينة (Mezuzah) ، وهذه الممارسة كان يتقيد بها يهود تدمر  
بالتأكيد . والتلمود يعلمنا ، حقاً ، أن يهود حدياب كانوا مكرسين  
لهذه العادة لدرجة أنهم وضعوا (Mezuzah) خارج سكنهم أينما رحلوا ،  
فقد يكون ، اذن ، أن الرهاويين استمدوا من اليهود احترامهم العميق  
للمرسالة المقدسة (٦١) التي ثبتوها على باب مدينتهم ، كما سنلاحظ في  
فصل لاحق .

## العقائد الدينية

كانت المئة سنة الأخيرة من الملكية في الرها زمناً لاختمار ديني في أنحاء الشرق الأدنى كافة . وتشاحت الأثرة كسية مع نظريات أتباع مرقيون . واستنبطت مدارس الأديين (٦٢) Gnostic وبخاصة مدرسة فالنتينوس ، خططاً معقدة وفلسفة فتمهدت الطريق للعقائد المانوية المبنية على الفكر الثنائية لقوى الخليقة . ان طبع الأزمنة الميال للتوفيق بين العقائد والفلسفات المتناقضة تصوره لنا بجلاء شيعة الكسائيين الغربية . كانت عقائد الكسائيين مزيجاً من اليهودية والمسيحية والوثنية: الاعتراف باله واحد ، ورفض الأنبياء القدامى ، وتبجيل المياه كمصدر للحياة والاعتراف بمبدأي الذكورة والأنوثة في المسيح والروح القدس ، والايان بتكرار التجسد - لأنهم اعتقدوا بأن يسوع تجسد ثانية في نبيهم ومؤسس عقيدتهم الكسائي ، وكانوا يزعمون أن الكسائي أتى من مدينة تدعى « سيراى » في پارثيا . ويجب ألا يغرب عن بالنا أن پارثيا تضم مقاطعتي حران والرها أيضاً . وان اسم سيراى (وهو مأخوذ من كلمة صينية تعني الحرير) قد يشير الى تجارة الحرير التي أتت بالازدهار لسكان تلك المدن .

في حران كان الصابئة ( بموجب نصوص كتبت في عهد متأخر ولكنها تصف ممارسات أقدم) يوجهون صلواتهم الى كائنات تمثل دور الوسطاء بين البشر ومعبود سام وهذه الكائنات تسكن الكواكب وتسيرها وهي لها بمثابة الروح من الجسد ، وبنشاط هذه الكائنات تنتج الحركة في الفضاء فتتكون من جراء ذلك أشياء مادية: النباتات والحيوانات والبشر، ولكن المادة رديئة بالطبيعة ، والكائنات البشرية لها تحاملها وانفعالاتها ، وبتأثير الكائنات الروحية فقط يوهبون الحب والألفة والمعرفة والاحساس ، ولهذا رفض الصابئة التعليم القائل بأن باستطاعة نبي بشري التوسط بين الانسان والمعبود الأسمى . ولم يؤمنوا بالقيامة بالمعنى التقليدي ، ولكنهم تمسكوا برأيهم بأنه في كل ٣٦٤٢٥ سنة يُخلق نظام جديد من البشر والحيوانات والنباتات من جديد .

القول بأن الأدرية Gnosticism المولودة من التأليه الشرقي والفلسفة الهيلينية كانت معروفة لدى الرهاويين وأضح من الكتابات

٦٢- أو « الغنوصيين » ، وهي تعريب الكلمة اليونانية . ( المترجم ) .

التذكارية المنقوشة التي تلونها سابقاً (٦٣) . ولا شك في أن هناك عناصر ادريية ايضاً في « أعمال توما الرسول » الذي ربما أنتفت في هذه الفترة ، ومن المحتمل ان جزءاً منها الف في ألرها نفسها ، وفي كتابات برديصان أيضاً اكتشف العلماء فلسفة أدريية ، وهناك بعض الاسس لتأكيدهم . ففي ترنيمة تعزى الى برديصان يصر على أنه كان هناك خمسة عناصر اساسية في البدء : الريح والنار والنور والماء والظلمة أو المادة . ومن هذه العناصر المتحاربة نظمت الكلمة Logos العالم . ان برديصان هنا يتبع نظريات هرموجينيس . وفي « كتاب شرائع البلدان » يظهر أعضاء مدرسة برديصان وهم يتصارعون مع مشاكل الخير والشر . والارادة الحرة والقدر . ويؤكدون أن أعمال الطبيعة البشرية وظروف الانسان الخارجية تتكل على القدر ولكن تصميمه الأخلاقي حر . والايمان هام كل الأهمية :

« . . . ان الذين لا ايمان لهم . . . ليسوا بأهل للكلام والارشاد . انهم لا يميلون أنفسهم للاصغاء بسهولة لأنهم . . . لا ثقة لديهم يضعون أملهم فيها . . . ولكن [الله] مجد [الانسان] بالارادة الحرة فوق أشياء عديدة وجعله مساوياً للملائكة . . . وطبيعة الانسان هي . . . أن يولد وينمو وينجب الأطفال ويهرم . . . وانه يجب أن يموت . ولكن القول بأن كل شيء لا [يدخل ضمن] ارادتنا فواضح . . . اليواقيت والشرف والصحة والمرض والأولاد وبواعث الرغبة المختلفة هي خاضعة للحظ وليست في نطاق قدرتنا . ولكن . . . تماماً كما نرى بأن الحظ يسحق الطبيعة هكذا بوسعنا أيضاً أن نرى ارادة الانسان الحرة تنبذ وتسحق الحظ نفسه ، ولكن ليس في كل شيء ، لأنه لائق أن تحفظ الأشياء الثلاثة : الطبيعة والحظ والارادة الحرة في حياتهم الى أن . . . يوفى المقياس والعدد ، كما بدا له حسناً ذلك الذي قرر كيف تكون حياة وكمال جميع المخلوقات وحالة جميع المخلوقات والطبائع » .

أنكر برديصان قيامة الجسد ، وكاتباع الكساي قال : ان الجسد فيه بعض مزيج من النجاسة . وانه لن يخلق ثانية من قبل إله قدوس . واعتبر القديس أفرام هذه العقيدة هرطقية ، ولكن برديصان آمن بقيامة الروح . لقد كان فيلسوفاً ومنجماً أكثر منه لاهوتياً ، وحاول أن يوفق بين المعتقدات المسيحية وتنجيم الكلدانيين المشرب بالهيلينية وتأملاته الفلسفية الخاصة . ان نظرتة الشخصية الفردية لم يكن لها بد

من أن تصطدم بالدوغما الأرثوذكسية ، ومع ذلك فإن النظريات الهرطقية المعزوة إليه من قبل اللاهوتيين المسيحيين في وقت متأخر قد لا تكون أكثر من مجرد انعكاس لمناقشاتهم الخاصة في الدفاع عن العقيدة الأرثوذكسية . كانت هذه المناقشات مريرة وهذا قد يشير إلى أن أتباع برديسان في بلده الرها فاقوا في وقت من الأوقات أولئك المعتقدين بالمسيحية « الأرثوذكسية » .

استطاعت الفلسفة الأدرية أن تجتذب نخبة قليلة فقط ، لأنها لم تقدم هيكلًا من الممارسات الطقسية التي بوسعها الاحتفاظ بإخلاص الجماهير . وقبل أن نجمع الدلائل عن معتقدات وممارسات وثنيي الرها علينا أن نتفحص ، ولو بإيجاز ، تلك المراكز المذهبية التي كان للرها اتصال مباشر بها .

ذكرنا سابقاً شيئاً عن الاتصال بين الرها وتدمر . ففي تدمر كانت ثمة آلهة كوكبية تحتل دوراً بارزاً في البانثيون - وكان في مركز الصدارة بيل إله الشمس والأجداد ، وملكبيل ، ويرحيبول ، وعقليبول الذين كانوا على التوالي آلهة شمسية وقمرية . ثم بليتس زوجة بيل ، وشمش إله الشمس ، ونبو (مركيوري) ، وبعل شامين إله السموات ، وكذلك عثارعاثا (أتارغاتيس) وعلها الإلهة عثار متصفة بخصال الإلهة عاثا التي كانت تعتبر إلهة للبحر أو البحيرة . وكان لتدمر آلهة ثلاثية خاصة : بيل ويرحيبول وعقليبول ، أو بعل شامين وعقليبول وملكبيل . وفي حران أيضاً التي لا تبعد كثيراً عن الرها كان المعبود الكوكبي الإله القمر « سين » هو الذي يسيطر على الآلهة في البانثيون . ويرد ذكره في سجلات قديمة ترجع إلى القرن التاسع عشر ق.م . ووجد شعاره في منطقة واسعة . ولكن الإله « سين » كان أيضاً العضو المسيطر على ثالوث عضواه الأخران هما الشمس وعشتاروت (عزى العربية) . وكانت الآلهة الكوكبية الأخرى زحل والمشتري والمريخ وعطارد يعبدها الصابئة في حران حتى القرن الحادي عشر ب.م .

كانت منبج (٦٤) المشهورة باسم هيرابولس المدينة المقدسة متصلة بالرها بطريق رئيسي هام . وكانت كلتا المدينتين نقطة التقاء ومحطة منتظمتين على الطريق الذي يقطع الفرات عند زوغما ويؤدي إلى نصيبين في الشرق وبسيفادا في الجنوب الشرقي (والكن من القرن الثاني للميلاد كان الطريق يقطع الفرات عند قيسيليانا قرب منبج) . ويظهر

٦٤- يعرف اليونان منبج باسم بامبيسي Bambyce وتعني دودة القز .

يطليموس والمصادر الصينية في القرن الثالث أن الطريق كانت تستعمله القوافل المسافرة بين أنطاكيا والشرق الأقصى . وفي القرن الأول الميلادي مرّ الفيلسوف الفيثاغوري الحديث Neo-Pythagorian أبولونيوس الطلياني عبر هيرابولس في رحلته الشهيرة الى الهند ، ولربما كان نفس الطريق الذي سلكته السفارة الهندية عند زيارتها الامبراطور الروماني حوالي سنة ٢١٨ م . في زمن برديسان . ولقد استمر الاتصال الوثيق بين هيرابولس والرها في التجارة والحرب زمناً طويلاً بعد سقوط سلالة الملك اريو ، ولكن شهرة هيكل هيرابولس كانت واسعة الانتشار . واستناداً الى لوقيان الشميشاطي استمد الهيكل ثروته من المتعبدين الوافدين من بابل وأشور ومن كيليكيا وفينيقيا والبلاد العربية ، وحتى من مصر والحبشة . ولكن مع الرها كان لهيرابولس اتصال وثيق خاص، حتى ان استرابون يخلط بين المدينتين حيث يقول: « تبعد بامبيسي أربعة فراسخ Parasangs (٦٥) من النهر [الفرات] ويطلقون عليها اسمين هما : أديسا وهيرابولس ، وفيها يعبدون الإلهة السورية أتارغاتس » . ويقول تقليد متأخر وبصورة ملحة ان فيلسوف الرها برديسان أمضى سني حياته الباكرة في هيرابولس وانه تثقف هناك على يدي كاهن وثني . ودام الاتصال بين المدينتين حتى الأزمان المسيحية . ويعتقد بأن مبعوث الملك أبجر الى أورشليم مرّ في هيرابولس ، وأن هذه المدينة بقيت على طريق الحجاج كما بقيت على طريق الجيوش الآتية من أنطاكيا الى الشرق(٦٦) .

كانت الإلهة الرئيسية في هيرابولس هي الإلهة الأم عثار-عاتا ، واسمها بالسريانية ترعاثا . والمعروفة لدى شعوب غربي آسيا بأسماء عديدة ولكن الاغريق عرفوها باسم هيرا ، ونقل مذهبها الى أوروبا ، وكان منتشراً بصورة واسعة في مدن سورية وما بين النهرين . وكان قرينها حداد أوزيوس ، ثم أكمل الثالث باله شاب يدعى باليونانية أبولو . وجنباً الى جنب مع هذا الثالث كانت تُعبد آلهة أخرى في هيرابولس منها الشمس وأطرس (ربما زحل) وهرميس ( نابو ، مركيوري) وإيلياثيا Eileithya وأفروديت (فينوس) . وفي هذا النسق كانت

٦٥- أي نحو ثلاثة وعشرين كيلو مترا .

٦٦- سلك قسطنطيوس الطريق عبر هيرابولس عند رجوعه من الرها الى الغرب سنة ٣٦١ م . وسلك جوليان نفس الطريق في الاتجاهات الأخرى عندما غزا ما بين النهرين البارثية . وساق الغضراء العسكريون الشهداء دومينا وابنتيها الى هيرابولس بعد هروبهن الى الرها سنة ٣٠٥ أو ٣٠٦ . انهن أفرقن أنفسهن في النهر القريب .

أتارغاتس تعتبر أنها القمر ، وحاداد كجوبيتر ، وأبولو في زي حربي كالمرينخ أو مارس .

كان هيكل بيبيل العظيم في تدمر قائماً وسط فسحة كبيرة محاطة بأعمدة كورينثية علوها حوالي اربعة عشر متراً ، وكان جدار يحيط بالهيكل ومدخله من الغرب . أما في حران فقد كان ترتيب ونظام الهياكل المبنية للكواكب وكذلك علو الأصنام يبدو أنها كانت تلتزم بموجب مسافة علو كل كوكب وبموجب حساب الفلكيين . وكان لكل هيكل شكله ولونه الخاص الفريد ، وكل صنم من مادة معينة ، وخصص لكل معبود يومه في الأسبوع (٦٧) . وكان هيكل أتارغات في هيرابولس محاطاً بجدار وموجهاً نحو المشرق وكان مدخله من الشمال ، وكان يتوهج بالذهب ويعبق برائحة البخور . وفي معبد داخلي مكشوف ، والذي لم يكن يسمح بدخوله الا لكهنة معينين ، انتصبت ثلاثة تماثيل من الذهب : أولها تمثال أتارغاتس محمولة على أسود ، وتحمل بيد صولجاناً وبالأخرى عرناس غزل ، وعلى رأسها أشعة وبرج . وكانت لها صفات إلهات عدة بضمنها الالهة أثينا وافروديت وسيلينه . التمثال الثاني كان لحاداد محمولاً على ثيران وله مزايا زيوس ، وبين الاثنين كان هناك شعار يسميه أهل البلاد سيميون Sémeion ويشبه علم الفيالق الرومانية وعلى قمته حمامة ، وكانت هناك في أماكن أخرى من الهيكل أصنام لمعبودات أخرى وكانت الشمس هي الوحيدة المثلة بعرش بدون تمثال . واستناداً الى أحد المصادر كان أبولو يُعرض مدرعاً وحرية في يده اليمنى وزهرة في يسراه . وانتصبت خارج الهيكل تماثيل لأنصاف الآلهة لها مزايا حيوانية ، وتماثيل ملوك وملكات وأبطال وكهنة ومدبح من البرونز .

كان أفراد الهيئة الذين يخدمون الهيكل في تدمر يلبسون أثواباً بيضاء طويلة الأكمام تصل حتى بطن الساق . ويضعون على رؤوسهم قبعات عالية مخروطية الشكل وكانوا حفاة الأقدام (٦٨) . وكان نفس هذا الزي يلبسه الكهنة المعديدون في هيرابولس . ولكن كان هناك الكاهن الأعظم الذي ينتخب لوظيفته لسنة واحدة فقط ، هو وحده يلبس أثواباً أرجوانية وعمامة (تيارا) مذهبة . وكان هناك أيضاً في

٦٧- راجع التفاصيل في « أسرار الصابئة » لمؤلف هذا الكتاب في كتاب

Vanished Civilizations, E. Bacon, ed. 1963.

٦٨- وهذا مصور بدرجة تبعث على الإعجاب في لوحة من النصف الأخير من القرن الأول للميلاد في

دورا يورويوس ( الصلاحية ) .

هيرا بولس هيئة صغرى من القائميين بشؤون الهيكل الذين كانوا موسيقيين يعزفون على المزامير والنايات ، وعدد من النساء يستحوذ عليهن نوع من المس ، ورجال ينجرفون بنشوة موسيقى النايات والدفوف والرقص ويحركون أيديهم حركات هوجاء ويخصون أنفسهم خارج هيكل الالهة الأم . وكانت جحافل الحجاج الذين يقومون بتضحية طقسية يلبسون لباساً خاصاً . وكان حجاج كل مدينة يرشدهم مضيّف « يسميه الآشوريون بالمعلم » .

كان الاحتفال الطقسي في الهيكل في تدمر كالاحتفالات في أماكن أخرى ، يتضمن تضحية وتقديم خمر وبخور وتلاوة الصلوات . وكان المتعبدون يرفعون أيديهم اليمنى إشارة للعبادة ويمسكون باليسرى زهرة أو ضمة من العساليح لنضح الماء المقدس . وكانوا في بعض الأحيان يمسكون كؤوساً في أيديهم لعلها كانت من الخمر . ففي دورا يوروبوس قرب الفرات وليس بعيداً عن نقطة اتصاله بالخابور هناك رسوم تمثل الطقوس في تدمر ربما في القرن الأول الميلادي . هناك شخص في لباس كاهن يغمس بيده اليمنى غصناً أو نبتة في مزهرية عالية بها ثلاثة تنوعات بصلية الشكل قرب قممتها وقاعدتها منقوشة بخطوط مجوفة مستقيمة وهي موضوعة على ركيزة ثلاثية الأرجل . والمزهرية مليئة بسائل شفاف لعله ماء مقدس . ويحمل الكاهن في يده اليسرى ابريقاً وطاساً ومديتين . وكاهن آخر في يده اليمنى كأس مديتان يبدو أنه يلقي بخوراً بيده اليسرى في مبخرة مشتعلة . ان عملية تغطيس الغصن - للتطهير على الأرجح - في مزهرية تتكرر في لوحة أخرى في دورا ، ولكن القائم بالطقس قد يكون ، من الواضح ، رجلاً علمانياً لأنه في إحدى اللوحات يبدو بغير ثياب الكهنوت ، وكان المتعبدون في حران يصلون متجهين نحو الشمال (أقل احتمالاً ، بموجب بعض الكتاب ، نحو الجنوب) عند الشروق والظهر والغروب . ويتطهرون بالماء قبل الصلاة . وهناك أيضاً ، كانوا يلبسون زياً خاصاً يليق بالكوكب الذي يوجهون اليه تضرعاتهم ويجعلون تقدماتهم لائقة بالعبود . وهناك قصة متأخرة من القرن التاسع للمسيح تصف الاحتفال بثور أسود مزين بأكاليل الزهور والأجراس يرافقه المرمنون والموسيقيون بغية تقديمه ضحية . وكانت التضحية في هيرا بولس تقدم مرتين في اليوم : لحاداد تقدم بصمت ، ولكن التضحية لاتارغات كانت تقدم مصحوبة بموسيقى عنيفة صاخبة . وفي بعض الأحيان كانت الضحايا الحيوانية

تلقى من علو لتلاقي حتفها • وكان هذا نفس مصير الأطفال الذين كان والدوهم يضحون بهم •

لعبت المياه الجارية دوراً بارزاً في جميع هذه المعابد ، كما لعبته في المعابد الأخرى في الشرق الأدنى القديم • ففي تدمر قام هيكل بيل العظيم قرب جدول ينساب من النبع المقدس في افق (٦٩) • وكانت الهبات تقذف في مياهه الكبرى كل سنة كتقدمة لـ « ربا » • وكانت هناك ربما استشارات تطلب من هيكل الوحي وتجاب • وكان هناك هيكل للقمر قرب حران مقام في معبد « صنم الماء » الخاص بالصابئة ، الصنم الذي عاد الى البئر خارج المدينة بعد فراره الى الهند • وكانت الاحتفالات تقام هناك في اليوم العشرين من كل شهر وخصوصاً في العشرين من نيسان (٧٠) وفي هيرا بولس أيضاً كانت هناك طقوس حمل المياه ، فكان الماء يؤتى به الى هناك من « البحر » مرتين في السنة ويسكب في هوة خارج الهيكل مصحوباً بطقس معقد غامض (٧١) • وكان الهيكل تنتصب فيه تماثيل لبحريات البحر • وكان الماء يجري لينسكب في بحيرة قريبة للهيكل تسبح فيها أسماك لم تكن تؤكل أبداً • ويقص لوقيان الشميشاطي أن بعضها كانت أليفة لدرجة أنها كانت تهرع اليك عند مناداتها بأسمائها • وكانت سمكة تحمل تصميماً من الذهب على زعنفتها • وفي وسط البحيرة أقيم مذبح يسبح اليه المتخشعون للالهة ويقومون بالاحتفالات الدينية • وكانت الآلهة تزور البحيرة في مناسبات مهيبه تقودها هيرا • وكانت هناك بحيرة للسماك المقدس في هيكل أتا رغات في ديلوس ، كما كانت هناك بحيرات مشابهة في هياكل أخرى في فلسطين وسوريا وآسيا الصغرى وأماكن أخرى • ويعلق أزنوفون في كتابه « الصعود ANABASIS على بحيرة السمك التي زارها قرب « خاليس » بجوار حلب ويلمح ايليان الذي كان معاصراً لبرديصان الى أسطورة تقول : ان هيرا استحمت في منبع الخابور بعد وصالها مع زيوس • ويقال ان الهواء هناك عطر بصورة مستديمة والسمك الأليف يتواشب زرافات وأسرابا • وعلى مقربة من المكان هناك اليوم بحيرة صغيرة من السمك المقدس على المصدر

٦٩- هناك نص سرياني قديم يقص الأسطورة الواسعة الانتشار وباشكال مختلفة في جميع أنحاء الشرق الأدنى أسطورة بلثي ( قارن مع « بليثس » في تدمر ) ملكة قبرص التي عشقت تموز أمير فينيقيا ، وعندما قتله زوجها الغيور هيفيستوس في لبنان مكثت في غيبال وماتت في مدينة افاقا ( قارن مع « افق » في تدمر ) حيث دفن عشيقها تموز •

٧٠- يقال ان تقويم الصابئة كان يحتوي على طقوس مهيبه من الاستحمام في مدينة سروج •  
٧١- قارن خطبة ميليتو : أمر المجوس سيمي ابنة مادا بأن عليها أن تنتشل ماء من البحر وأن تفرغه في بئر ( في حرش في منبج ) لكي لا تنهض الروح ( النجسة ) وتقرق الأذى •

الرئيسي لنهر البليخ تدعى عين العروس ، وتدعى أيضاً تيمناً بإبراهيم  
عين الخليل الرحمن ، وتبعد خمسين كيلو متراً جنوب شرقي أورفا ،  
وبالقرب منها نبعان تعزى اليهما مزايا شافية ، وعلى بعد  
عشرين كيلومتراً شرقي عين العروس يوجد رافد آخر للبليخ يدعى  
عين سلوق .

كان هناك في فناء الهيكل في هيرابولس أسود ودبية أليفة ونسور وخيول  
وثيران ضخمة تحوم في أرجائه . وكانت بداية الربيع تتميز بأعظم مهرجان  
في السنة نجد أمثلة له في أمكنة أخرى من الشرق الأدنى : تطواف بتماثيل  
الآلهة يتبعه حرق مهيب للأشجار بعد أن تعلق عليها قرابين من الحيوانات  
والملابس والمعدن الثمين . ومن الطقوس الفريدة التي لا مثيل لها كان  
الطقس المقام في هيرابولس لعمودين خشبيين يبلغ ارتفاعهما ( استناداً الى  
قول لوقيان ) حوالي الستين متراً وينتصبان على مدخل الهيكل الى الشمال .  
ويعزو اليهما لوقيان رمز ومغزى العضو التناسلي . ويخبرنا لوقيان أن  
أحدهما كان منقوشاً بكتابة مهداة من ديونيسوس الى الآلهة هيرا . ومرتان  
في السنة كان رجل يضع حبلاً حول خصره ويتسلق أحد العمودين كما يتسلق  
العرب والمصريون شجرة النخيل ، بمساعدة نتوءات بارزة على طول العمود .  
وعندما يصل القمة كان ينزل حبلاً ينتشل الحطب والثياب والأشياء الأخرى  
التي يقعد فيها « وكأنه في عش » . كان يبقى على القمة سبعة أيام وهو  
يقوم بالتضرعات - أما عن ماذا ، فليس أكيداً : أما أنه كان يتضرع كي  
لا يحدث طوفان على الأرض مرة أخرى ، أو من أجل رفاية الشعب ، وبنوع  
خاص من أجل الورعين الذين أتوا بالعطايا أمام الصمود ، وإذا أخذت هذا  
« العمودي » غفوة ، أيقظته عقرب لكي يستأنف واجباته .

لدينا دليل على احترام الأموات في تدمر ودورا . وكانت هناك كهوف خارج  
أسوار المدينة يدفن فيها الأموات ، وكان الأثرياء يشيدون لأنفسهم أضرحة  
ذات أبراج عالية عدة طبقات . وكان الأموات يحنطون وتوضع أقنعة الموت  
على وجوههم في غالب الأحيان ثم يطرحون في التجاويف المخصصة Locali  
لهم . فهذه الأضرحة ، أو بيوت الأبدية ، كان ينقش عليها في بعض الأحيان  
كتابات تلعن الزنديق الذي يخلق راحة الميت . وكانت تزين بالنحوت  
والرسوم . هنا ترى صورة النسر التقليدي والهة النصر المجنحة . وفي  
بعض الأضرحة يصور المتوفى واقفاً أو متكئاً وكأنه في وليمة ، وغالباً ما يكون  
مع أعضاء أسرته ، وسيدة البيت ممسكة بيدها عناناً أو مغزلاً ، والأشخاص  
يلبسون زياً رسمياً منمقاً . وفي بعض الأحيان يكون المتوفى لابساً تاجاً أو  
ممسكاً بلوح أو ملف من الرق أو سعفة من النخيل . للرجل أن يمسك كأساً

من الخمر بيده ، ولكن ليس لامرأة أو ولد أن يفعل ذلك • وهذا دليل على ان الرجال فقط شاركوا في الولائم التي كانت عنصرأ يتكرر كثيراً في الحياة اليومية • ولربما كانت لهذه الولائم أهمية دينية طالما أن الخمر كانت مقدمة للاله بيل • ولكن في حران كان هناك تدبير معقد من الطقوس الغامضة لدينا منها روايات مشوهة من مصدر عربي متأخر • ولا بد أن الطقوس الغامضة كانت قد تشكلت في مذهب أتارغات في هيرابولس •

اننا اذا ما وجهنا أنظارنا نحو الرها في زمن الملكية نجد أن سكانها عبدوا الكواكب كجيرانهم في تدمر وحران وهيرابولس • كان رصد النجوم حلقة الاتصال بين الدين الشعبي الشائع وبين تدابير الفلاسفة الكونية المعقدة • وكان برديسان كما أسلفنا منجماً بارعاً وكتب مقالة في اقتران الكواكب • ويظهر « كتاب شرائع البلدان » الذي كان من تأليف مدرسته المعروفة بفكر التنجيم • وكان أحد أبواب الرها يدعى بيت شمش ، باسم هيكل الشمس الذي لا بد أنه كان قائماً هناك • ونرى الهلال مصوراً على نقود الرها في هذه الفترة ، ونراه على عمامة الملك أبحر المستقيمة مصحوباً بنجمة ، ونجمتين وثلاث نجوم (٧٢) • وتظهر الكواكب في أسماء الرهاويين الشخصية وفي النصوص السريانية في أورفا نفسها وماجاورها على جدران الأضرحة وعلى الأرضيات الفسيفسائية وفي الأدب ، ومن بينها ، وهذا قليل من كثير : « خادمة سين ( القمر ) » و « خادم بيل » و « وتحية عاتا ( عشتاروت ) » و « قرر شمش ( الشمس ) » و « خادم نابو ( مركيوري ) » •

هناك ذكر لآلهة كوكبية أخرى في الرها • فزيد اللات وأسماء الهيئة أخرى مدمجة باللات تظهر أن بعض الرهاويين عبدوا الآلهة مع وثني الجزيرة العربية ، واسم باركلبا في الرها وسوماتار هارابييسي يوحى بعبادة نجم الكلب الأكبر ويؤكد يعقوب السروجي شاعر القرن السادس الذي قضى معظم حياته في الرها وبطناي أنه كان في حران معبود يحمل لقباً غريباً هو : « مار (رب) كلاب » ولعل هذا يعني كوكبة الجوزاء التي يأتي في أعقابها كوكبة الكلب الأكبر، وكوكبة الكلب الأصغر • وهناك عبارة تشير الاهتمام في « تعليم مار ادابي » تصف مشهداً في الرها في زمن بدء المسيحية :

« رأيت هذه المدينة منجرفة في الوثنية الى درجة عظيمة والتي هي مخالفة لله • فمن هو نابو هذا ، الصنم المصنوع الذي تسجدون له ، وبيل الذي تيجلوناه ؟ هوذا بينكم من يعبدون باثنيغال كرجال حران جيرانكم ،

٧٢- قطع نقود أخرى للرها تحمل نجمة أو نجمتين أو أربع نجوم بدون هلال •

ويعبدون ترعاثا كرجال منبج ، ويعبدون النسر كالعرب ، والشمس والقمر  
كالأخرين الذين مثلكم • لا تضللنكم أشعة الكواكب والنجوم المتألثة » •

لقد ناقشنا عبادة نابو وبيل وترعاثا آلهة منبج والشمس والقمر • ان  
باث نينغال دون شك هي ابنة نينغال قرينة سين الاله القمر • ولعل بإمكاننا  
تعريفها بترعاثا • وقد يكون النسر تسمية أطلقت ، كما فعل العرب  
المتأخرون ، على المجموعة الكوكبية الشلياق أو النسر الواقع ، وهي التي  
تضم نجماً من ألمع النجوم في النصف الشمالي من الكرة الأرضية •

اننا نصادف بعض الأساطير في الأدب السرياني الرهاوي من هذه  
الفترة لها علاقة كبيرة بأساطير المدن المعاصرة وخصوصاً هيرابولس • ففي  
« تعاليم مار اداي » عند بدء المسيحية في الرها يقص مار اداي الرسول  
قصة اكتشاف الصليب في أورشليم بواسطة الملكة بروتونيس زوجة  
الامبراطور كلوديوس • فاسم الملكة هذا قد يكون لفظاً آخر من اسم  
ستراتونيس زوجة ملك آشور التي تعد احدى المؤسّسات الشهيرات لهيكل  
هيرابولس • ومن الواضح أن بروتونيس في هذه الحكاية تعكس الملكة هيلانة  
والدة قسطنطين الكبير ، التي يؤكد التاريخ بأنها وجدت الصليب ، ولكن  
أسطورة محلية خلطت هيلانة هذه بملكة أقدم اسمها هيلانة ذاعت شهرتها  
بسبب اعتناقها الدين اليهودي وهبتها السخية للهيكل في أورشليم • وهذه  
الملكة كانت ملكة أديابين ( حدياب ) التي كانت تدعى شعبياً « اشور » • وفي  
« الخطبة » السريانية أيضاً والتي تعزى خطأ لميليتو السارديسي نقراً :

« كان السريان يعبدون عاثةي الاديابينية التي أرسلت ابنة بيلات ،  
المرأة الطيبية ، وشفّت سيمي ابنة حاداد ملك سوريا • وبعد زمن ، عندما  
أصيب حاداد نفسه بالبرص توسلت عاثةي اليشع العبراني فأتى وشفاه من  
البرص » •

الأسماء هنا تذكرنا بالمذهب الديني لهيرابولس - حاداد وعاثةي ( عاثةا ،  
أتارعاتا ) هما الهتها والهها الرئيسيان وسيمي هي « السيميون » الشعار الذهبي  
الذي انتصب بينهما في المعبد الداخلي من الهيكل ( ٧٣ ) • ومهما يكن فان عاثةا  
كانت تعبد في الرها أيضاً • وشفاء البرص الذي قام به اليشع العبراني  
يردد صدى شفاء أبجر الرهاوي من مرض ، ميزه بعضهم بالبرص ، على  
يدي عبراني آخر هو اداي الرسول ( ٧٤ ) •

٧٣- راجع صفحة ٦١ •

٧٤- كان وثنيو حران يتجنبون مرضى البرص والبرص بعذر شديد •

وأخيراً هناك عبارة أخرى في هذه « الخطبة » تعلن « فيما يخص نابو الموجود في منبج ماذا أكتب عنه ؟ والقول بأنه صورة لأورفيوس العراف الشراقي فجميع كهنة منبج يعرفون هذا » ، واقترح البعض بأن الخططين نابو وأورفيوس ينشأ عن عدم تمثيل رموز هذه الصورة تمثيلاً صحيحاً . فاللوح والقلم Stylus الخاصان بهذا الإله الكوكبي ( نابو ) قد أسيء فهمهما على أنهما الأداةتان الموسيقيتان للشاعر المغني الأسطوري (أورفيوس) . ولقد لعبت الموسيقى كما ألمحنا سابقاً دوراً بارزاً في هيكل هيرابولس وكانت بنفس الأهمية في الرها . ولكن هناك اشتقاق أكثر لفتاً للنظر : لقد وجدت اللوحة الفسيفسائية الرائعة لأورفيوس في أيوب مهلاسي في أورفا . الموسيقي جالس وقيثارة في يده ، وحوله أسد وغزال وطيور في هيئة ودیعة لائقة . وقد اكتسب رسم موضوع الإله أورفيوس أتباعاً لا يستهان بهم في أقاليم أورفا الشرقية . والتنويع على نفس الموضوع لعل بالامكان تعريفه في تمثيل داود في الكنيس في دورا يوروبوس . وأكثر أهمية هو ان لوحة أورفيوس الفسيفسائية في الرها صنمت سنة ٢٢٨ م في زمن حكم الامبراطور الكسندر سيفيروس الذي كان سوري الأصل . وكان قد أعلن امبراطوراً في سنة ٢٢٢ . وفي سنة ٢٣١ ، أي بعد انهاء اللوحة الفسيفسائية بثلاث سنين مر عبر الرها في طريقه الى الشرق . وتعلمنا سيرة حياة هذا الامبراطور بأنه كانت هناك تماثيل نصفية لابراهيم ويسوع . وأبولوثيوس الطياني وأورفيوس انتصبت جنباً الى جنب في معبده الخاص . ويظهر أن مذهب أورفيوس كان مقبولاً في الرها كما في هيرابولس في جو ذلك الزمن القابل للتوفيق بين الشيع والفلسفات ، وان انتشاره نشأ عن جاذبية أسرار طقوسه الغامضة التي وعدت بالثواب في حياة أخرى ، خصوصاً شعور الطمأنينة والأمان اللذين منحتهما في عصر من القلق العاطفي والاجتماعي .

كان كهنة الرها كبقية كهنة المعابد المجاورة يلبسون قبعات عالية أو عمامات مستقيمة (تيسارا) على رؤوسهم كالأشراف غير أن الكاهن الأعظم كان يلبس ثياباً خاصة تشبه الى حد كبير تلك التي يلبسها شبيهه في هيرابولس . ويخبرنا تاريخ للشهداء الرهاويين بأن « زعيم وحاكم الكهنة كان يُبجل الى درجة عظيمة فوق جميع رفاقه ، ويتسربل في حلل بدیعة فاخرة ، ويضع على رأسه « تيسارا » حريرية مطرزة بشخص من الذهب . وسنرى فيما بعد أن الكاهن الأعظم في الرها ، كما في أماكن أخرى من اقليم الرها ، وكما في هيرابولس ، كان يعين لمنصبه ، كما يبدو ، لسنة واحدة فقط .

خارج الهيكل في هيرابولس كانت تنتصب تماثيل لأنصاف الآلهة والأبطال والملوك والكهنة . وتحت جبل القلعة في الرها كانت تنتصب تماثيل ملوك سلالة أريو ، وهكذا أيضاً انتصب مذبح وثني عظيم تحت جبل القلعة في الرها عزّاه الكتّاب المتأخرون بغموض ، الى السلوقيين ، ومن الواضح أنه كان هناك هياكل أخرى في الرها ، نقرأ عن واحد منها في « تعاليم مار أداي » : « ما هو الهيكل العظيم الذي بنيتموه في وسط هذه المدينة ؟ تاتون اليه وتذهبون وتريقون الخمر عليه للعفاريت وتضحون للشياطين » . وفي مهرجان في نيسان :

« تجمهرت المدينة بكاملها قرب المذبح العظيم الذي كان قائماً في وسط المدينة مقابل مكتب السجلات . وكانت جميع الآلهة مجتمعة ومزينة وجالسة في جلال : نابو وبييل ورفاقهما . وكان جميع الكهنة يقدمون البخور الزكي والخمور وفاحت رائحة المحرقات حيث ذبحت الخراف والثيران ودوت أصوات الموسيقى والطبل في جميع أنحاء المدينة » .

لقد سمح لهذا المذبح ، حتى بموجب « كتاب تعاليم مار أداي » المتحيّز أن يبقى قائماً في العصر المسيحي ويقال ان الكهنة الرئيسيين في الرها عندما اشتعلت فيهم نار الحماس للدين الجديد « هاجموا وهدموا المذابح التي كانوا يضحون عليها من قبل لنابو وبييل - ما عدا المذبح القائم في وسط المدينة » .

من المحتمل أيضاً أنهم كانوا يحافظون في الرها على بعض العناصر الأقل عرفاً واتباعاً في المذاهب المجاورة . ويبدو أن الهياكل في الأماكن الأخرى من اقليم الرها كانت تواجه المشرق كهيكل هيرابولس . ولكن كان هناك ، تماماً كهيرابولس ، عمودان عظيمان قائمان على المدخل الشمالي (استناداً الى قول لوقيان الشميشاطي) أحدهما يحمل تكريساً من ديونيسوس لهيرا ، وهكذا فانه قد لا يكون مجرد اتفاق أن يكون العمودان العظيمان بتاجيهما الكورنثيين على جبل القلعة في الرها يقفان أيضاً على حافة الصخرة المنحدرة الى شمالي العمارات . وأحد العمودين الرهاويين أيضاً يحمل تكريساً ، ليس لاله بل للملكة . وتمثال الملكة شلمات أنظاره متجهة نحو المدينة المنبسطة الى أسفل . ويجب أن نتذكر بأنه مرتين في السنة كان أحد العمودين في هيرابولس يتسلقه ممثل المذهب ليصلي إما كي لا يحدث طوفان على الأرض مرة أخرى أو لكي يزدهر الورعون . ولكن بعض العلماء قرن هذه الممارسة بنشاطات العموديين

لأن الرها أيضاً كانت شهيرة بنسائها العموديين (٧٥) \* ويجب ألا نتجاهل الحقيقة أيضاً بأن قصر أبجر الشتوي كان مشيداً على جبل القلعة (بجانب هيكل) ليتحاشى تكرار كارثة سنة ٢٠١ م \* عندما هدم قصره الكائن قرب برك السمك بفعل الطوفان ، لأن العمودي في هيرابولس ربما توسل إلى الآلهة كي لا ترسل طوفاناً يغرق الأرض مرة أخرى \*

ان الكثير مما قلناه هنا هو مجرد تخمين \* على كل حال فان بعض الممارسات المشتركة بين الرها والمراكز الذهبية المجاورة أكيد \* فالزهرة في يد تمثال أبولو في هيرابولس نجد مشابهة لها في اللوحة الفسيفسائية التي تدعى « الركييزة الثلاثية الأرجل » \* اننا نجد فيها رجلاً يقدم ما قد يكون قبعة رسمية وإلى يمينه شخص امرأة تحمل في يدها اليمنى شيئاً صغيراً أصفر أو ذهبياً لعله جوهرة ، ولكن الأكثر احتمالاً هو أنه زهرة \* ومما يثير الاهتمام أكثر فأكثر هو الإشارة بورقتين من أوراق النبات في يد شخص المتوفى في اللوحة الفسيفسائية « صورة العائلة » ، وهذا يجب أن يقرب بمشهد اللوحة الفسيفسائية « الركييزة الثلاثية » حيث يمد المتوفى وريقة نحو مزهرية واقفة على ركييزة ثلاثية الأرجل وتحتوي ، ربما ، ماءً مقدساً \* ونجد هنا مطابقة تامة لطقس في تدمر حيث يمسك المتوفى زهرة أو أضفحة من العساليج ، وهذا العمل مصور بتفصيل أكثر في لوحة دورا يوروبوس حيث ان القائم بالمهمة الرئيسية ، ليس بالضرورة كاهناً ، يمد غصناً نحو مزهرية فيها سائل وهي واقفة على ركييزة ثلاثية كما في اللوحة الفسيفسائية « الركييزة الثلاثية الأرجل » \* والمعبود الذي يوجه الطقس إليه يوحىه نقش نافر وتمثال لاتارغات في مدينة الحضر Hatra حيث تمسك الإلهة في النقش النافر الأول وريقة نبات في يدها اليمنى وفي التمثال تمسكها في يدها اليسرى \*

كانت الرها كهرابولس والمراكز الذهبية الأخرى في المنطقة شهيرة ببئر من المياه الشافية والذي كان ، كما سنرى ، مكاناً مقدساً في العصر المسيحي وما بعد \* وكانت طقوس الحضارة والتفريخ تنجز هناك ، وهي تجري ، في الواقع ، حتى اليوم \* وكهرابولس كان للرها سمكها المقدس \* والتمثيل الصغيرة لغيلان البحر Tritons (ذوي الذيل السمكي والحافر الحصاني) الموجودة الآن في متحف أورفا تعيد للذاكرة الشخص على

٧٥- راجع الصفحة ١٣٢ \* ان والد سمعان العمودي الأصغر كان مواطناً رهاوية \*

المنحوتات البارزة التي نصفها الأعلى نساء ونصفها السفلي سمك وجدها في منبع مسافرون في القرنين السابع عشر والثامن عشر \* وأكثر مطابقة أكيدة هي في بركتي السمك في الرها التي هي كبرك هيرابولس الشهيرة مليئة بسمك الشبوط الكبير الحجم ، وبأعداد تبعث على الدهشة ، وعلقت الراهبة اغريا التي تفحصتهم لربما في القرن الخامس قائله انها «لم تر مطلقاً سمكاً بهذا الحجم براقاً وعضاً» \* وفي القرن التاسع عشر قيل للمبشر الانكليزي باجر ان السمك لا يأكله مسلمو أورفا على الاطلاق - ويضيف قائلاً : « ومع أن المسيحيين كثيراً ما تناولوا هذا الطعام الطيب الممنوع بسبب وجوده في الجداول التي تجري من البركة عبر البساتين \* وهم يطهونه بمرق الخمر بصورة عامة ويفصحون عن رأيهم بأنه ممتاز \* ولا يزال اليوم يعامل هذا السمك على أنه مقدس ولا يصيدونه اطلاقاً \* انهم يطعمونه الخبز ، وهو أليف ، حتى انه يقفز عدة بوصات خارج المياه ليختطف لقمة من الطعام » \*

ومما يثير الاهتمام أن المزايا نفسها تنعكس في وصف ايليان للبرك على منبع الخابور \* وهناك أيضاً نطلع على صلة بمذاهب هيرا في هيرابولس والرها \* ولقد علمنا بأن البرك على الخابور كانت مقدسة لهيرا وكصدي لنهر الرها « الوثاب » ديسان يقال ان أسراب السمك فيها كان وثاباً ، فهل خلط ايليان بين منبع الخابور وبين منبع نهر البليخ الذي له اليوم سمك مقدس وينابيع مجاورة بمزايا شافية ؟ ان مصدراً من مصادر البليخ سمي على اسم الأب الكبير ابراهيم كالبركة الشمالية في الرها ، بركة ابراهيم ، وسمكها هو « سمك ابراهيم » \* وللبليخ مصدر آخر ليس بعيداً يسمى « عين سلوق » نبع سلوقس ، وبالامكان التخمين أن اسم البركة الجنوبية في أورفا « زلخا » هو شكل مشوه لنفس الاسم ، سلوق \*

كان احترام الأموات عنصراً بارزاً في المراكز المذهبية لهذه المنطقة - وعلى كل حال فليس لدينا أكثر من اشارة واحدة مكتوبة عن احتفال جنائزي في أوزروينه ( اقليم الرها ) ، وتلك هي الكتابة المنقوشة على البرج الضريحي في سرين ومؤرخة سنة ٧٣م \* انها تستنزل اللعنة على كل من يقلق رفات الرجل المتوفى ، وتتابع :

« وأبناءً يذرون التراب على عينيه لن يجد له » \* وكما ألمنا ، فان الأضرحة الكهفية والأبراج الجنائزية في تدمر لها شبيها في الرها \* وأجساد

المتوفين كانت تطرح على مصاطب التجاويف • والصورة النافرة على الحجر في دير يعقوب هي صورة ممتازة عن الأسلوب المتبع ، فالشخص هناك مضطجع ووجهه الى أعلى ورأسه مستريح على وسادة وهو يعتمر عمامة عالية رسمية لتمييز منزلته ككاهن أو نبيل • وكانت الزخرفة الشائعة في الأضرحة الكهفية هي الوليمة الطقسية لأنها تظهر في الصور النافرة ما لا يقل عن ضريحين خارج أورفا وفي ضريحين في قره كوبرو قرب أورفا ، وكذلك في صورة فسيفسائية في أورفا نفسها - وهذا دليل على أنها ربما كانت عنصراً هاماً في الحياة الرهاوية كما كانت في تدمر وأماكن أخرى • ان احدى الصور النافرة على الحجر قرب الرها مصحوبة بكتابة منقوشة تعلمنا بأن الضريح أقيم لشخص يدعى سلوقس في سنة ٢٠١ - ٢٠٢ م • تقف بجانبه زوجته وابنه وابنته •

والصورة التي تثير أشد الاهتمام لوليمة جنازية ، هي فسيفسائية مؤرخة سنة ٢٧٨ م • يتكىء الرجل المتوفى وكوعه الأيسر مستريح على وسادة ( كما في الصور النافرة في تدمر ) وفي يده وعاء من الخمر • والأريكة مرصعة ولها أرجل منقوشة مزخرفة • والى يسار الرجل المتوفى تجلس زوجته على كرسي ذي ذراعين وهي في ثياب أنيقة ولباس رأس عال ، ورجلاها على مقعد منخفض • ويقف أولاده الستة حوله وفي يد أحدهم منشفة ، وفي يد ولد آخر شيء قد يكون صندوق عطور •

ألمحنا سابقاً أن برديسان رفض نظرية البعث الجسدي ولكنه اعتقد ببقاء الروح • ومع ذلك لا بد أن بعض الوثنيين في إقليم الرها تمسكوا بالاعتقاد بالبعث الجسدي أيضاً • هناك كتابة منقوشة في ضريح في الرها تنذر بأن « ذاك الذي سيحرك عظامي عسى ألا تكون له حياة أخرى » • وتعلن الكتابة المنقوشة في سرين بأن الورع سيتبارك من جميع الالهة « وسينال سكناً وحياة » - تخميناً في العالم الآتي - • ان وجهتي النظر محكمتان احكاماً متقناً في صورتين فسيفسائيتين في الرها وجدتتا في السنين الأخيرة • وتشير صورة أورقيوس الفسيفسائية الى وجود مذهب في الرها حافظ أتباعه على أشكال من انكار الذات طقسياً وأخلاقياً • كانوا يتجنبون الملامسة بالولادة والموت ويمتنعون عن الأطلعمة الحيوانية والمسببات الأخرى المحتملة للتدنيس • لقد فعلوا كما شعروا ، لكي يحموا طهارة الروح حتى تنهض في النهاية خالية من الدنس • واعتقدوا كبرديسان بخلود الروح • ومن ناحية أخرى أن موضوع لوحه « الفونيق » الفسيفسائية

المؤرخة سنة ٢٣٥ - ٢٣٦ م ، تعكس نظرية أخرى . انها تصور ضريحاً في شكل الأركوسوليوم Arcosolium التقليدي المتبع ويقف فوقه عمود مكلل ، ويعلمو هذا كله الفونيق رمز تجدد الحياة . غير اننا نستنتج انه عند قيام الطقوس الجنائزية بصورة لاثقة فقط ستتبع القيامة ، أي قيامة الجسد .

من الواضح أن وثنية الرها أدمجت الكثير من معتقدات وممارسات المراكز المذهبية المجاورة وبخاصة تلك التي في هيرابولس . ولكن يبدو أن تغييراً مهماً طرأ على الاتجاه في زمن ملك من الملوك يدعى أبجر . فكتاب شرائع البلدان ، الذي كتب لربما في بداية القرن الثالث ، يعطينا دليلاً معاصراً تقريباً . فهو ينص بوضوح على أنه « عندما آمن الملك أبجر ( بالمسيح ) أصدر أمراً بأن كل من يخصي نفسه يجب أن تقطع يده ، فمذ ذلك اليوم وحتى الوقت الحاضر لا يخصي انسان نفسه في مملكة الرها » . لأبجر هذا اذن يعزى السبب في نبد طقس كان العنصر المركزي في عبادة الالهة الأم في هيرابولس . وكان نفس أبجر هذا هو الذي قرنه العالم المسيحي فيما بعد ببشارة الرها بالانجيل . ولو أننا لسنا بحاجة للافتراض بأنه هو نفسه كان معتنقاً الدين الجديد . وكان أيضاً الأبجر الذي لربما كان تمثال زوجته هو الذي انتصب على عمود في الرها ، في المكان الذي انتصب فيه تمثال هيرا في هيرابولس . فماذا كانت المؤثرات التي جعلت أبجر يتخذ هذه الخطوة الخطيرة الشأن ؟ وكان العصر الذي عاش فيه يرى تغييراً في محيط ديني قدر أن يكون له تأثيرات بعيدة المدى والنتائج ، ليس على الرها وحسب بل على تطور الدين الأكثر شمولا في ما بين النهرين .

لقد ألقى ضوء على هذا التطور بواسطة النصب التذكارية التي اكتشفت مؤخراً في سوماتار هارابيسي في جبال التكتك . ففي هذه الواحة المهجورة التي تبعد ستين كيلو متراً جنوب شرقي اورفا ، هناك مجموعة من سبعة أو ثمانية أبنية متهدمة ذات أشكال مختلفة قد تكون أضرحة تشكل قوساً غير محكم على مسافات متباينة حول جبل مركزي - صخرة عارية ضيقة علوها خمسون متراً وبنفس الطول تقريباً - ويطل الجبل على مشهد متواصل الى الشرق ، ومن الواضح انه كان مكاناً مقدساً ، يوجد على جناحه الشمالي نحتان ناتئان على الحجر أحدهما تمثال نصفي لرجل بدون قبعة ولكن شعره مضموم بعصابة للرأس . وأرربة ونصف أنشودة على جانبي رأسه . والثاني تمثال كامل للرجل يلبس نفس المعطف الطويل

كذلك الذي في لوحة « العائلة » الفسيفسائية الرهاوية • وكلا النحتين الناتين على جانبيه نصوص سريانية • وينص أحدهما على أن الصورة المنحوتة الكاملة أقيمت بأمر من « الالهة » • ونص آخر على جانب التمثال النصفي يسمي أشخاصاً معينين قائلاً انهم « مذكورون أمام الاله » • وكتابة منقوشة ثالثة تعرف الاله بوضوح وتعلن أن التمثال النصفي صنع «للاله سين لحياة تيردات بارادونا ولحياة اخوته » • وكتابة أخرى لسوء الحظ تصعب قراءتها يبدو انها تشير الى مكان كنز ثم تنتهي « ... أنا أشاهده ، هوذا ! أنا سين الاله » •

على قمة الجبل المقدس العارية وبين عدة كتابات تكريسية موجزة هناك واحدة تعلن : « ليكن مذكوراً بأسميا بن ادونا النوهدرا [ليكن] مذكوراً أمام ماريلاها » • هناك نصان آخران أعطي لهما مكان الافتخار على الجبل • أحدهما على الجانب الغربي يقرر :

« في شهر شباط سنة ٤٧٦ (٧٦) أنا ، تيردات بار أدونا حاكم العرب بنيت هذا المذبح وأقيمت عموداً لماريلاها لحياة مولاي الملك وأبنائه ولحياة أدونا والدي ... » •

وفي كتابة منقوشة على الجانب الشرقي من الجبل ما يأتي :  
 « في شهر شباط سنة ٤٧٦ (٧٧) أقمنا هذا العمود على هذا الجبل المقدس ونصبنا هذا المقعد لذاك الذي يقيته حاكمنا • وسيكون بوداربعد تيرداد الحاكم وسيعطي المقعد لذاك الذي يطعمه هو • وسيكون جزاؤه من ماريلاها • واذا رفض منح المقعد سيهدم العمود بعدئذ ، هو ، الاله ، يعيش (٧٨) » •

٧٦- ١٦٥ ميلادية تقريبا •  
 ٧٧- تذكر هنا قائمة بغمسة أسماء •  
 ٧٨- بعد فحص جديد وتسجيل هذه الكتابة المنقوشة في سنة ١٩٦٦ ، فاني أقرأ الآن ( الكلمة

السريانية ) شكا hy بدلا من ما و YDN .

ويفسر شيكيد S. Shaked in A.D.H. Bivar & Shaked  
 النص بشكل مختلف : BSOAS xxvii 1964, 28 ff.

« ... ونحن أقمنا المقعد Stand لكل من يطعمه ( أي الله ) • وسيكون حاكمي بودر بعد تيردات الحاكم • وهو سيعطي المقعد لكل من يطعمه • وجزاؤه سيكون من ماريلاها • واذا سقط المقعد وتدمر العمود ( مع ذلك ) هو ، الله يعرفنا » • متبعا قراءتي السابقة للكلمة الأخيرة • ويقترح شيكيد أن العمود هو الذي يطعم ( بضم الياء ) وأن بودر يدعى « حاكما » كلقب كهنوتي ولكن برتبة أصغر من تيردات أي حاكم ( العرب ) •

من الواضح أن النص كتبه جماعة من العرب الذين كان تيردات حاكماً عليهم أو أرابرخوس . والسنة التي كتبت فيها هذه النصوص - هناك نص آخر في سوماتار مؤرخ في آذار سنة ٤٧٦ ( ١٦٥م تقريباً ) - كانت نقطة تحول في تاريخ أوزروين ( أقليم الرها ) ، إذ أن الجيوش الرومانية احتلت الرها وطردت الملك وائل بار سهرو الموالي للبارثيين في شهر تشرين الثاني التالي . ان الملك الذي يأتي ذكره في نص سوماتار لربما هو ملك الرها المدينة الرئيسية للاقليم . لقد كانت هناك علاقة سياسية مباشرة بين سوماتار والرها في هذا الوقت .

كان هناك رباط ديني أيضاً بين المكانين . والمعبود الرئيسي في سوماتار يشار إليه بوضوح ماريلها ، أي الرب الاله (٧٩) ، أقام عرب المكان مقعداً وعموداً على الجانب الشرقي ( طقسياً أكثر أهمية ) من الجبل المقدس للبودار الذي خلف تيردات الذي كان يطعمه في وجبة احتفالية . وسيجازي ماريلها تيردات على عمله هذا . ومن ناحية أخرى إذا لم يعط لخلفه حرية الوصول الى المقعد سيسقط العمود المقدس . ونستنتج نحن . سيغضب ماريلها . وكعلامة على قبوله اقام تيردات في نفس اليوم مذبحاً وعموداً على الجانب الغربي من الجبل .

ان موتيف Motif العمود المتوج بقرون أو هلال رمز قمري شائع في هذه المنطقة ، نجده بجانب شكل أفعى منحوتاً على جدار كهف خارج أورفا (٨٠) . ونراه أيضاً في نقوش بارزة في كهف قدس في الصخر في سوماتار هارابيسي مع أشخاص ذكور وكتابات تكريسية بالسريانية بضمنها كتابة مكرسة لارابرخوس وابنه النوهدرا ، واثنين آخرين يمتصب أرابرخوس . ونفس هذا الموتيف نجده على نقود حران في زمن حكم سبتييموس سيفيروس وعلى بلاطات تدشينية من حران من زمن الملك البابلي نابونيدس قروناً قبل هذا . ونلاحظ أن الاله القمر سين ، معبود ، حران الثريد الغريب ، كان يعبد في سوماتار أيضاً .

من الأشياء ذات الأهمية المغايرة هي المقعد والعمود كشعارين لمذهب ماريلها . انهما يظهران على صورة مصغرة على قطعة نقود رهاوية من

٧٩- ان أهمية المعبد في سوماتار هارابيسي تشهد له بقايا معبد آخر في جبال التكتك يدعى الآن سانيمغاره . فهناك يوجد مذبح موضوع على قمة الجبل يواجه المشرق كالجبل في سوماتار . غير انه حجر ضخم يقف متجهاً نحو سوماتار هارابيسي - ولربما نحو حران . الصورة ٤٢ .  
٨٠- راجع الصفحة ١٣٠ .

زمن حكم الاغبالوس ( ٢١٨-٢٢٢ ) . وهما منقوشان أيضاً على نقود وائل بار سهرو الرهاوي الذي كرست كتابات سوماتار في زمن حكمه . ويظهر على هذه النقود هيكل قمته على شكل مثلث وأمامه درجات تقود اليه وفي داخله شيء مكعب يخص نظام العبادة الدينية وموضوع على قاعدة تدعمها قائمتان منقوشتان . وهذا من الواضح أثاث ديني . هناك نجم ظاهر في وسط الشكل المثلث على الهيكل اشارة ولا ريب الى عبادة الكواكب (٨١) .

الأشياء الموجودة في الهيكل على نقود وائل بار سهرو هي عمود وكرسي . وليس هناك على العمود قرون أو هلال . ومن الجلي أن المقعد هو رمز منصب البودار . وهذه الكلمة بودار سبق أن وجدت في الكتابات السريانية المنقوشة ومؤرخة سنة ٧٣م على البرج الضريحي في سرين على جانب اقليم الرها من الفرات . وكان هذا البرج قد أقيم لبودار المعبود نحاي وكان أيضاً للبودار اللقب الديني قاشيشا ، أي الشيخ . ويبدو أن شكلا من اللقب بودار كان مستعملا بين وثنيي حران ( الذين كانوا يستعملون اللغة السريانية في صلواتهم ) . وفي أثناء استطرادهم في طقوسهم الغامضة - الرواية لسوء الحظ منقولة بشكل مشوه فقط في العصر الاسلامي من قبل شخص يعرف السريانية ولكن قليلا من العربية - كان الطالب للخدمة يدعى « ابن البغداريون » (٨٢) وفي تلاوتهم العزائم التي كانوا يقومون بها في هذه الطقوس الغامضة كان هناك اشارات عن « البيت » ولعله هيكل ، البغداريون . ومن المعقول الافتراض انه كان هناك في الرها الوثنية وفي زمن حكم وائل بار سهرو أيضاً شخصية كهنوتية تدعى « بودار » ، وكما في سوماتار كان هناك مقعد مقدس يسلم من « بودار لبودار » واذا ما انقطعت سلسلة هذا التسليم فان العمود الذي وقف عليها سيسقط . ونعلم بأنه في القرن السابع كان زعيم وثنيي حران يملأ كرسي المنصب والسلطة ، وكان ينتخب سنوياً .

من بين الاحتفالات التي كانت تقام لتعيين « بودار » في سوماتار كان هناك من الواضح وجبة طعام طقسية . هنا أيضاً بالإمكان أن نجد اثباتاً في وصف طقوس وثنيي حران الغامضة . فكان طلاب الخدمة الكهنوتية

٨١- الكتابة على النقود المعدنية ( العملة ) يمكن أن تقرأ « الاله نحاي » .

٨٢- من الممكن قراءتها بدر في كتابة وجدت في السعدية قرب الحضر ومؤرخة في نيسان سنة ١٢٥ . راجع فؤاد سفر في « سومر » xvii ١٩٦١ .

هناك يشاركون في طعام خاص ثم يكرس بعضهم على الأقل • ويبدو أن طقساً للطعام يذكر أيضاً في الكتابات الأليماية Elymaean وتلمح لكرسي احتفالي ، فمن المعقول أن نستنتج أن في الرها الوثنية أيضاً كانت وجبات الطعام الاحتفالية جزءاً من الاحتفال الرسامي « للبودار » •

لنرجع الى ماريلاها ، المعبود الذي يأتي ذكره في سوماتار هارابيسي • هناك كتابة سريانية منقوشة في « قرخ مغارة » خارج الرها غير مؤرخة ولكنها ربما ترجع الى القرن الثاني أو الثالث هذا نصها :

« أنا ج ع و ابنة بارشوما أقمت لنفسي هذا المدفن • فأنا أطلب منكم يا من ستأتون بعدي [ و ] قد تدخلون هنا ألا تحركوا عظامي من التابوت الحجري • والذي يحرك عظامي - ليكن محروماً من الآخرة • وملعوناً من ماريلاها » (٨٢) •

فمن هو ماريلاها هذا ؟ ففي اللغة النبطية ، وقد ألمحنا أن حكام الرها كانوا على الأغلب نبطيين ، وما را هو أحد النعوت التي استعملت للمعبود بعلشامين ، أي « رب السموات » • فهذا الاله كان يهيمن على منطقة كبيرة من الشرق الأدنى وبالأخص على الآراميين • ومن عهد سحيق في القدم • وفي تدمر كان بعلشامين حائزاً على مكان هام في البشتيون في القرون الأولى من التاريخ المسيحي • ولكنه لم يكن كبيل الهاً وطنياً • ويبدو أنه كانت له اقتراعات أوسع ، ويسمى بتسميات متعددة ، منها « الرب العظيم » و « مارا ( رب ) الكل » و « مارا دا علما » أي « رب الكون » وهناك أسس قوية للافتراض بأن بعلشامين هو الذي كان يعبد بوصفه « الاله المجهول » • وهو موضوع تكريسات عديدة في تدمر ما بين سنة ١١١ وسنة ٢٦٨ م • ويتعت بصيغة الغائب المجهول « ذاك الذي اسمه مبارك الى الأبد ( لعلمنا ) » • وكلا الالهين يدعى « الصالح الرحوم » • وكلاهما يشكل ثلوثاً مع مكلييل وعقليبول ، وكلاهما يعرفان أيضاً بالاله زيوس • وفي الحضرة ، وهي مملكة صغيرة تبعد حوالي ثمانين كيلومتراً جنوبي الموصل ، هناك كتابات منقوشة مشتقة من خط آرامي ومعاصر لمملكة الرها تشير الى أن هناك أيضاً كان المعبود الذي يسترحم كثيراً جداً هو بعل شامين • كان « الاله العظيم » و « الملك » ولكننا نجد قرب الحضرة أيضاً كتابة لمعبود محلي يدعى ماريلاها • وهناك نقود من الحضرة تحمل الشعار « سين ماريلاها » ، فهل رفع الاله سين هنا الى دور سام أم انه عرّف بمعبود مركزي يدعى بعلشامين ؟

٨٢- هناك نص موجز على الجانب بالسريانية أيضاً وربما لذكرى والد ج ع و ويقراً : ليكن مذكورا بار شوما بار واقل •

لقد عرف وثنيو الرها المعبود بعشامين لأن اسمه يتواجد بين الأسماء العادية في اللوحات الفسيفسائية . وكذلك لعب سين ، الاله القمر دوراً هاماً في عبادة المدينة للكواكب . ولكنه ليس من المفيد أن نكون رأياً تخمينياً حول الهوية المضبوطة للاله ماريلاها . لقد ظهرت المذاهب في هذه الفترة واندمجت في غيرها ثم اختفت في هذه المنطقة من الشرق . ونحن ليس في وسعنا أن نحلل التشويش ونحوه الى بانتيون منظم كل اله فيه له نطقه المعين مع مزايا ومهام فريدة . حسبنا أن نقدم ملاحظة مفادها ان الجو العام فوق منطقة واسعة من شمالي ما بين النهرين وسوريا أثناء القرون الأولى من العصر المسيحي كان ميالاً الى فكرة الاله الواحد بصرف النظر عما اذا كان يقف وحيداً فوق جميع الآلهة الأخرى أو ما اذا كانت آلهة صغرى تجلس بين يديه . أما في حران فقد كان بعشامين يُعبد ك « زعيم الآلهة » حتى القرن الخامس وربما لفترة أطول بكثير . فالوثنيون الذين يدعون بالصابئة هناك ، عبدوا الكواكب السبعة كوثيني الرها . ولكن ، وكما ألمحنا سابقاً ، اعتقدوا بأن الكواكب ، وهي مسكن الآلهة ، وهي الآلهة نفسها ، لم تكن سوى وكلاء كائن سام أوكل اليها ادارة الكون . فكانت مزايا هذا الاله الفرد تعجز القوى البشرية عن وصفها . لقد كان من العظمة والبعده بحيث لم يكن بحاجة لعبادة الانسان(٨٤) . وفي الحق اننا نجد اتجاهنا نحو النظام الذي يقف فيه اله واحد على قمة البانتيون أقدم بكثير في حران ففي كتابات نابونيدس ملك بابل التي نقشها في القرن السادس ق.م . في حران نرى الاله الرئيسي مرفوعاً فيها الى منزلة اله كوني فوق جميع الآلهة ويخاطب ك «ملك الآلهة» و « أعظم الآلهة والآلهات » .

كان موتيف الثالث الالهي معروفاً في هذه المنطقة من الشرق ، وكان الأمل في حياة بعد الموت ، كما رأينا ، منتشرأً وانتشاراً واسعاً في الرها . وان فكرة وسيط « بشري » الالهي كسبت استجابة سريعة . ففي محيط كهذا لم يكن باستطاعة المسيحية أن تخفق في جذب الأنظار .

٨٤ - بإمكاننا أن نستذكر بهذا الخصوص أن القرآن الكريم يطلق كلمة « الحنيف » على الشخص الذي اعترف بالاله الواحد قبل ظهور اليهودية والمسيحية . أي قبل موسى ويسوع . ففي رأي النبي محمد أن « الحنيف » الصحيح كان ابراهيم . وكانت حران في زمن محمد المركز لسريان « الحنفي » The Syriac hanpe ( أي الحنفاء ) منذ أمد طويل . ( حنفي وحنيف كلمتان من أصل واحد ، ولو أنه تجب الملاحظة بأن بعض العلماء الحنفيين يشكون في أي اتصال مباشر بين معنى الكلمتين) وحران كانت موطن ابراهيم . وحنيف كلمة مرادفة ، الى حد ما ، لكلمة « صابئي » . وكان كتاب الصابئة المقدس يسمى « كتاب الحنفاء » . وكانوا يقدمون للشمس والقمر « الأكبر والأصغر من بغور الحنفاء » .

## الفصل الثالث

# بَرَكَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ

## وَإِنْتِصَارِ الْمَسِيحِيَّةِ

### أَسْطُورَةُ ابْجَرِ وَاْدَايِ

في بداية القرن الثالث كانت هناك كنيسة مسيحية في حي بارز في الرها ، ولكن لربما كانت أكثرية الشعب لا تزال وثنية . وبعد قرن من الزمان لم تكن المسيحية هي العقيدة السائدة وحسب بل ان قصة تبشيرها بالانجيل غدت شهيرة في جميع أنحاء العالم المسيحي ، ونودي بالرها كأول مملكة تعتنق المسيحية كدين رسمي .

يقص علينا يوسيبوس في تاريخه الكنسي الذي أنهى في سنة ٣٢٤ أو ٣٢٥ أن أبجر ملك الرها « أشهر حاكم بين الأمم القاطنة في ما وراء الفرات » قد أصيب بمرض « شفاؤه فوق طاقة البشر » . وكتب أبجر ليسوع يرجوه أن يشفيه من دائه . ثم يقدم يوسيبوس نص المراسلة بين أبجر ويسوع مدعياً بأنها استقيت من « أرشيف » الرها التي كان يحكمها في ذلك الوقت ملوك من شعبها (١) وترجمت من السريانية الى اليونانية : « نسخة من رسالة كتبها أبجر الملك الى يسوع وأرسلها له الى اورشليم بواسطة رسوله حنان :

« من أبجر أوكاما ، الملك Toparch ، الى يسوع المخلص الصالح (٢) الذي ظهر في مقاطعة اورشليم ، تحية . لقد تناهى الى

١ - في أعمال تداوس المكتوبة بالسريانية والتي ربما كانت مصدر قصة ابجر التي رواها يوسيبوس والتي ألفت في حوالي القرن الثالث ، نجد ما يأتي : « ان البرهان على هذه الأشياء هو في الوثائق المكتوبة المأخوذة من كتاب السجلات الموجودة في الرها ، لأن المملكة في ذلك الوقت كانت لا تزال قائمة . ان السجلات العامة الموجودة هناك والتي تحتوي على جميع ما كتبه الاقدمون حتى زمن ابجر ، هذه الأشياء أيضا محفوظة هناك حتى هذه الساعة . ولكن ليس هناك ما يمنعنا من سماع نفس الرسائل التي أخذناها من الأرشيف التي لها الشكل التالي من الكلمات مترجمة من السريانية الى اليونانية » .

٢ - في كتاب تعاليم مار اداي الكلمة هي : الطيب .

سمعي ما يقال عنك وعن شفاءاتك وكيف تنجزها بدون عقاقير  
وأعشاب (٣) • وانك ، كما تقول الحكاية (٤) تجعل العميان يسترجعون  
أبصارهم (٥) ، والمرج يمشون ، وتطهر البرص (٦) ، وتطرد الأرواح  
النجسة والشياطين ، وتشفي الذين يتعذبون بمرض طويل ، وتقيم  
الأموات • وعندما سمعت عنك (٧) كل هذه الأشياء (٨) أيقنت أنك  
واحد من اثنين (٩) ، أما أنك أنت الله ونزلت من السماء لتفعل هذه الأشياء •  
أو أنك ابن الله حتى تستطيع أن تفعل (١٠) هذه الأشياء • لهذا السبب  
أكتب متوسلاً إليك أن تسرع (١١) بالمجيء الي (١٢) وتشفي العذاب  
الذي أنا فيه (١٣) • وعلاوة على هذا سمعت أن اليهود يهزأون بك (١٤)  
ويرغبون في (١٥) الإساءة اليك • ان مدينتي صغيرة (١٦) جداً ومحترمة (١٧)  
ولكنها تكفيننا نحن الاثنين (١٨) » •

جواب يسوع الى الملك أبجر بواسطة الرسول حنان (١٩) :

« مبارك أنت يا من آمنت بي ولم ترني ، لأنه مكتوب عني ان  
الذين رأوني لن يؤمنوا بي ، والذين لم يروني سيؤمنون ويحيون (٢٠) •  
أما بخصوص ما كتبتة اليّ بأن آتي اليك فإنه عليّ أن أكمل كل  
ما أرسلت لانجازه ، وبعد ذلك سأصعد اليه ذاك الذي أرسلني (٢١) •

٣ - جذور •

٤ - بكلمتك •

٥ - تفتح عيون العميان •

٦ - يضيف والصم يسمعون •

٧ - العظيم العجيب •

٨ - التي تصنعها •

٩ - يسقط العبارة •

١٠ - جميع •

١١ - تأتي •

١٢ - يضيف عندما أتعبد اليك •

١٣ - يضيف لأنني أومن بك •

١٤ - يتهامون ضدك ويضطهدونك •

١٥ - يضيف يصلبونك ويحاولون •

١٦ - يسقط العبارة •

١٧ - جميلة •

١٨ - لاثنين أن يعيشا فيها في اطمئنان •

١٩ - يدخل عبارة : اذهب وقل لسيدك الذي أرسلك الي •

٢٠ - يسقط الكلمة ويدخل بدلا منها : بي •

٢١ - ان الذي أرسلت من أجله هنا قد أكمل الآن ، واني صاعد الي أبي الذي أرسلني •

وبعد صعودي (٢٢) سأرسل اليك أحد تلاميذي ليشفي عذابك (٢٣) ويعطي الحياة (٢٤) لك وللذين معك (٢٥) » .

ثم يقص يوسيبوس نتيجة تبادل الرسائل بين أبجر ويسوع ، ويؤكد أن هذه الرواية أيضاً ترجمت من السريانية ولكنه لا يدعي هنا بأن النص مأخوذ من ارشيف المدينة :

« بعد صعود يسوع الى السماء ، يهوذا الذي كان توما أيضاً أرسل تداوس الى [أبجر] كأحد الرسل لكونه واحداً من الآباء السبعين ، فأتى ومكث مع طوبيا بن طوبيا ، وعندما شاع خبره أبلغوا أبجر بأن « رسولاً من يسوع قد وصل كما كتب لك » . هكذا بدأ تداوس بقوة الله يشفي كل داء وضعف حتى امتلأ الجميع عجباً .

« وعندما سمع أبجر بالأعمال العظيمة المعجبية التي كان يقوم بها وكيف يقوم بالشفاء ساوره الظن بأن هذا هو الذي كتب يسوع عنه قائلاً : عندما أصعد سأرسل اليك أحد تلاميذي ليشفي أوجاعك ، وهكذا استدعى طوبيا الذي كان تداوس ساكناً عنده ، وقال له : سمعت أن شخصاً ذا قوة قد أتى وهو يسكن عندك في البيت ، جئ به اليّ ، فأتى طوبيا الى تداوس وقال له : استدعاني الملك أبجر وأمرني بأن آتي بك اليه لكي تشفيه . فأجابه تداوس ، سأذهب ، لأنني بأعجوبة أرسلت اليه » .

وهكذا نهض طوبيا في صباح اليوم التالي باكراً وذهب الى أبجر بصحبة تداوس . وبينما كان ذاهباً كان عظماء الملك واقفين حاضرين . وعندما دخل ظهرت رؤيا عظيمة لأبجر على وجه الرسول تداوس ، وحالما رأى أبجر هذا قام بالاحترام لتداوس . وامتلك العجب جميع الحاضرين لأنهم لم يشاهدوا الرؤيا التي ظهرت لأبجر قط . وسأل [أبجر] تداوس : أحقاً أنت تلميذ يسوع ابن الله الذي قال لي « سأرسل لك أحد تلاميذي ليشفيك ويعطيك الحياة . . . ؟ فقال تداوس : طالما أن لك ايماناً عظيماً بالذي أرسلني فاني أرسلت لهذا السبب ، وأكرر أنك اذا كنت تؤمن به فان أمنية قلبك ستتحقق كايمانك . فأجابه أبجر : كان لي ايمان به حتى أنني رغبت في أن استعمل القوة وأهلك اليهود

٢٢- ذهابي .

٢٣- ليشفي ويزيل عذابك .

٢٤- ويجولها الى حياة أبدية .

٢٥- جميع الذين معك ويضيف : ومدينتك ستكون مباركة ولن يسيطر عليها عدو مرة أخرى اطلاقاً .

الذين صلبوه لو لم تمنعني الامبراطورية عن القيام بهذا • فقال تداوس : ان ربنا أكمل مشيئة أبيه ، وبعد اتمامها صعد الى الآب • وقال له أبجر : أنا أيضاً أمنت به وبأبيه • فقال تداوس : لهذا السبب فاني أضع يدي عليك باسمه • وعندما فعل هذا شفي حالاً من دائه والعذاب الذي كان فيه ، وامتلاً أبجر بالعجب لأنه تماماً كما سمع عن يسوع هكذا حصل له بالفعل بواسطة تلميذه تداوس الذي شفاه بدون عقاقير وأعشاب ، ناهيك عن أنه شفى عبدهو بار عبدهو الذي كان مصاباً بالنقرس • وكان قد أتى هو أيضاً وألقى بنفسه عند قدميه وتقبل صلاته على يده فشفي • ونفس تداوس هذا شفى العديد من اخوانهم المواطنين منجزاً أعمالاً باهرة عديدة ومبشراً بكلمة الله •

» وبعد هذا قال أبجر : يا تداوس ، انك بقوة الله تنجز هذه الأشياء ولقد امتلأنا عجباً • ولكن بالاضافة الى هذا أرجوك أن توضح لي مجيء يسوع وكيف جرى • ثم وضّح لي بأية قوة فعل هذه الأشياء التي سمعت عنها • فقال تداوس : لن أتكلم الآن ، ولكن بما أنني أرسلت كي أبشر بالكلمة اعقد لي غداً اجتماعاً لكل مواطنيك لكي ألقى عظمتي أمامهم • وهكذا أمر أبجر مواطنيه بأن يجتمعوا في الصباح لسماع موعظة تداوس ، وبعد هذا أمر بأن يعطى ذهباً وأتية ، ولكنه لم يتقبلها قائلاً : اذا نحن تركنا أمتعتنا فكيف نأخذ أمتعة الآخرين ؟ هذه الأشياء جرت في السنة ٣٤٠ » •

قدمنا هذه الخلاصة من يوسيبوس مطولة لأنها تقبلت انتشاراً واسعاً في العالم المتمدن القديم • وعلى حكاية تبشير الرها بالانجيل يركز ادعاء المدينة بصورة واسعة بتفوقها وصدارتها في العالم المسيحي • ومع ذلك فان أصالة القصة مشكوك فيها ، ويمكن اعتبارها ، في الحق ، قصة من أعظم قصص الخداع الورع في العصور القديمة •

ان المحور البارز في القصة هو ، ولا شك ، المراسلة مع يسوع وعلى الأخص رسالة يسوع نفسه لأن رسالة أبجر يمكن تأليفها بعد هذا لكي تجهز الخلفية لرسالة يسوع • والفترة القصيرة التي ظهرت فيها الوثائق الجازمة بعد موتها وعزيت الى أشخاص قديسين هي ظاهرة معروفة في الشرق الأدنى وأمكنته أخرى • بهذه الطريقة ، مثلاً ، عزيت كتابات الى النبي محمد بعد موته • ومهما يكن فان رسالة يسوع هذه لا يمكن أن يكون قد كتبها هو ، ولا أن تنسب الى السنين التالية مباشرة لموته • أولاً ، ان أول ذكر للحادث جرى في زمن يوسيبوس ، ولكن تحول ملك هام الى الدين المسيحي في هذه الفترة الباكورة لا يمكن

أن يتجاهله الكتّاب المسيحيون لمدة ثلاثمئة سنة • ثانياً ، كانت الرها ، على كل حال ، منذ القرن الثالث تحت السلطة الاكليريكية الشرعية لأنطاكيا • فمن غير المحتمل أن تقبل طائفها المسيحية هذا الدور الثانوي الخاضع لو كان حاكمها وغالبية مواطنيها اعتنقوا المسيحية بعد الصلب بفترة وجيزة (٢٦) •

ان رواية المراسلة بين أبجر ويسوع وبقية حكاية أبجر ، كما هو واضح من يوسيبوس ، نشأت في العالم الناطق بالسريانية في منطقة شرقي الفرات • فما هو مقدار تمثيلها لسير الأحداث المحتمل؟ وعلى الأخص هل تقبلت الرها المسيحية من فلسطين في الجنوب الغربي أم من الشرق؟

في بداية العهد المسيحي كانت الرها واقعة في نطاق مصالح بارثيا وليس في نطاق روما • وكان شعبها يتكلم السريانية وليس اليونانية • ويمكن الافتراض بأن القديس توما قُدم في قصص أبجر لأنه هو الذي أعلن له يسوع قائلاً: « مباركون هم الذين لم يروا ومع ذلك آمنوا » • وهذا القول هو المركز في قصة أبجر • ولكن توما الرسول كان المبشر لبارثيا والمنطقة الواقعة شرقي بارثيا • وليس هناك في أي من النسخ القديمة الباكرة عن هداية الرها ادعاء بأن القديس توما أتى الى المدينة •

الآن يبدو من المحتمل أن هناك ثلاث مراحل في تطور هوية المبشر الذي يعزى اليه تحويل الرها الى المسيحية • فأدائي الذي يعتبره الرهاويون الناطقون بالسريانية رسولهم من الممكن أنه كان شخصية تاريخية • ويُعتقد بأن مبشراً بهذا الاسم – وليس هناك سبب لدخض النظرية القائلة بأن هذه الرواية لها أساس من الحقيقة – قد أتى بالمسيحية الى أديابين (حدياب) في نهاية القرن الأول أو في بداية القرن الثاني (٢٧) وقد يكون أتى بها الى الرها أيضاً • وكانت العلاقات بين

---

٢٦- في الترجمة السريانية التي نقلت من اليونانية لـ « أعمال الرسل الأبوكريفا » يقال ان القديس يوحنا أعلن : لتسمع أمم الأرض أن افسس كانت الأولى لتقبل انجيلك قبل جميع المدن وأصبحت الأخت الثانية لأديسا ( الرها ) البارثيين • ( قارن صفحة ٤٧ ) ان هذا الادعاء باولوية الرها لا يمكن ، على كل حال ، أن يكون أقدم من القرن الرابع •

٢٧- يعزو سوزومين تبشير المسيحية في بلاد الفرس الى الرهاويين والأرمن • وتفيد الحكايات المتأخرة بأن تحول نصيبين والمقاطعات الشرقية الى المسيحية قام بها القديس ماري ورسل اداي ( مثالا على ذلك أعمال القديس ماري ) ولكن هذه خليط من الأساطير • ويعتبر الكتاب السريان الشرقيون عموماً ان اداي هو مؤسس كنيسة ما بين النهرين الشرقية ، ويقولون انه كان رسول قديس اسمه ماري •

الرها واديابين على أوثق ما يكون - ولا يجوز لنا أن نتفاوضى عن وثائق اللغة الهام لأن السريانية كانت لغة كلا البلدين ، أديابين والرها .

ومهما يكن من أمر فان أداي كان مجهولاً لدى الكنيسة اليونانية ، وتعريفه بتداوس أحد الاثني عشر رسولاً - ولو أن يوسيبوس ، ولعله بطريق التسوية ، يدعو أحد [الآباء] السبعين كان كافياً . ان تداوس الوارد ذكره في انجيل متى ٣:١٠ وانجيل مرقس ٣:١٨ يدعى يهوذا أخوا يعقوب . وفي انجيل لوقا ١٦:٦ وأعمال ١٣:١ (قارن يوحنا ١٤:٢٢) ولعله أخو يعقوب مؤلف رسالة يهوذا وأخو يسوع . اقترن اسم يهوذا بسهولة مع اسم أداي الذي ، في الحق ، قد يكون مشتقاً من نفس الأصل .

ان استعمال اسم يهوذا ساعد أيضاً في تقديم شخصية القديس توما الأكثر شهرة في هذا المزيج المعقد من الأساطير . ان الاسم السامي توما يعني توأم ، وله أهمية خاصة في علاقة الأخوة التي سبق وأوصلت بين تداوس - يهوذا . ولقد كان توما ، كما ألمحنا ، هو الذي بشر بين البارثيين والميديين والشعوب الأخرى في الشرق - كما بشر أداي شعب اديابين . وتصف « أعمال توما » رسالة واستشهاد الرسول . وربما ألفت هذه الأعمال في اللغة السريانية في الرها نفسها في نهاية القرن الثالث . وهنا يدعى الرسول بانتظام يهوذا توما ، تماماً كما يكتب يوسيبوس عن « يهوذا الذي كان توما أيضاً » بأنه نفذ رسالة تداوس . ان اقران توما بتداوس - أداي أكمل بشارة الرها بأن أدخلها في التقليد الرسولي المباشر .

بامكاننا السعي وراء تعيين تواريخ تقريبية لسير هذا التطور . ففي زمن زيارة ( الراهبة ) ايغريا للرها كان القديس توما نفسه يعتبر المبشر الانجيلي للمدينة . ولا تأتي الراهبة على ذكر أداي أو تداوس . ربما كان هذا في منتصف القرن الخامس . ونسخة الرسالة الى يسوع التي وجدت في قرخ مغارة ، قرب أورفا ، تخص مرحلة أقدم لأنها تشير الى « تداوس الذي هو توما » وبموجب ما توحيه طريقة الكتابة المنقوشة فان الكتابة يجب أن تعود الى القرن الخامس ، وقد تكون أقدم . ان صلة أداي - تداوس - توما بالامكان ارجاعها الى فترة أقدم الى النصف الأول من القرن الرابع على الأكثر . ويبعد أن يكون الأمر مصادفة في أن اثنين من مساعدي ماني في رواية انتشار المانوية في ذلك الوقت أسماهما أداي وتوما . وكان أداي المانوي يستميل الناس الى عقيدته في منطقة شرقي دجلة حيث

ناضل ادهاي المسيحي في سبيل عقيدته (٢٨) • ومن المحتمل أن توما المانوي كان رفيقاً لسيدة ماني عندما قام بحملة تبشير في الهند كما فعل توما الرسول لكنيستته • هذا ولا ريب هو انعكاس نشاطات المبشرين المسيحيين •

ان دور الملك ابجر مركزي بنفس المستوى في قصة ادخال المسيحية في الرها • والتقليد القائل باعتراف ملوك شرقيين بيسوع كان قديماً • ومع أن أبجر لم يكن أحد المجوس الثلاثة الذين قدموا الخضوع للمسيح (٢٩) المولود الجديد ، فانه على الأقل اعترف ، كما يُزعم ، بألوهية يسوع قبل الصلب وقدم له الخضوع • ولكننا عندما نتفحص هوية ابجر في رواية يوسبيوس نجد هنا أيضاً خلطاً بين الأسماء • ان يوسبيوس يقبل النظرية التقليدية بأن بطل المسيحية الملكي الأول في الرها كان ابجر أو كما أي الأسود الذي حكم في زمن حياة يسوع • ولكن الحقائق توحي بغير هذا • ومرة أخرى علينا أن نلتفت نحو الشرق كل المعضلة •

ان الحكاية الرومانسية عن البيت المالك لاديايين اشتهرت في اورشليم وتركت طابعاً عميقاً في معاصري يسوع • يقص علينا يوسبيوس أن ملك اديابين الذي تزوج أخته أرسل ابنه المحبوب ايزاد ليمكث عند ابينيريفوس ملك سبازينو كراكس Spasinou Charax على رأس الخليج العربي (٣٠) • وكسب الأمير الصغير ود مضيفه الذي زوجه ابنته ساماخوس ، وعينه أيضاً حاكماً على أحد أقاليمه • وعند وفاة والده رجع ايزاد الى وطنه ليعتلي عرش اديابينه • ونُخبِر بأنه بعث بعض أقاربه كرهائن عند الامبراطور كلوديوس (٣١) •

ويتابع يوسبيوس • بينما كان ايزاد في سبازينو كراكس حوّل تاجر يهودي يدعى أنانياس (حنان) بعض النساء في حريم الملك الى العقيدة اليهودية ثم تحول ايزاد أيضاً الى اليهودية • وعندما رجع ايزاد ليتسلم حكم اديابينه رافقه (التاجر) الى هناك • فوجدنا أن الملكة الأم هيلانة

---

٢٨- انه لما يثير الاهتمام ان ثيودور يار فوني يقرر أن شيعة المتدناوين أسسها متسول يدعى آدو ولد في اديابينه ولكنه استقر في مسين ( كرخا داميشان ) ، ويقال ان مؤسس المانوية أيضا قد ترعرع في مسين •

٢٩- تقص أسطورة سريانية متأخرة ان المجوس اتوا من الشرق الى الرها •

٣٠- هذا الملك قد يكون آبيترغاوس Abinergaos على قطعة نقود من سبازينو كراكس مؤرخة سنة ١٠ م • وأديتر غاوس على قطعة نقود من سنة ٢٢ م • من الواضح ان اسمه السامي كان عيبنرغال •

٣١- هذا يجب أن يكون طيبيريوس • انظر ما يأتي بعد قليل صفحة ٨٧ •

كانت هي أيضاً قد اعتنقت اليهودية ، بصورة مستقلة على ما يظهر ، وسمح ايزاد لنفسه بأن يُختن رغماً عن محاولة هيلانة وآنانياس ثنيه عن عزمه . وازدهرت أحواله ومنحه ملك بارثيا الحكم على نصيبين مع امتيازات معينة أخرى يُحفظ بها للحكام البارثيين . غير أن النبلاء في اديابينه كانوا عدائين لتهوّد ايزاد ولكن عبثاً . وكذلك هزم ملك عربي يدعى ايباس عندما شجعوه على معارضة ايزاد . واقترح ملك بارثيا ولاغاش بمهاجمة ايزاد ولكن تحول اتجاهه بسبب غزوة من الشرق وبعد حين قصير توفي ايزاد ودفن هو ووالدته التي عاشت فترة قصيرة بعده في اورشليم . وذاعت شهرتهما بالورع والسخاء .

ان صحة تاريخ الأحداث التي يقصها يوسيبوس لا يشوبها أدنى شك . ارتقى ايزاد عرش اديابينه سنة ٣٦ م . لذلك فقد كان معاصراً لاجبر أوكاما الرهاوي .

هناك أحداث متوازية بارزة بين تاريخ سبازينو كراكس وتاريخ الرها . كان اسكندر الكبير قد بنى سبازينو كراكس ولكنها كالرها أعيد انشاؤها من قبل انطيوخس الرابع تحت اسم أنطاكيا . وبفترة قصيرة قبل سنة ١٢٩ ق م . أصبحت كرسياً لسلالة عربية وكان اسم أول حاكم لها هيسبوسينوس أو سباسينس تماماً في نفس وقت ظهور سلالة اريو واستلامها السلطة في الرها . وكانت اللغة الآرامية تستعمل بطلاقة في سبازينو كراكس كما في الرها . كان لكلتيهما شعارات آرامية منقوشة على نقودهما بعد زوال السلوقيين في سنة ١٦٤ م (٣٢) . ان أسماء بعض ملوك سبازينو كراكس تشير الى أنهم عبدوا الكوكبين ( نرغال وبييل ) كما فعل ملوك الرها . واسم ابنة ملك سبازينو كراكس أيضاً لربما كان آرامياً وليس يونانياً . « سوماقا » يعني أحمر ، وقد يكون استمد من اللون الطبيعي للمنطقة (٣٣) . وفي الواقع ان ملكاً من ملوك الرها باسم اجبر حكم من سنة ٢٦ - ٢٣ ق م . يحمل لقب « سوماقا » . ولعله يجدر بنا الإشارة الى أن اجبر بطل أسطورة ادائي - اجبر السريانية كان له لقب لون « أوكاما » أي أسود . وله بعض الشبه بسوماقا .

٣٢- تظهر الأحرف الآرامية على نقود سبازينو كراكس لأول مرة يعد سنة ٢٨ - ٢٧ ق م . ولكن الفترة الواقعة بين ذلك التاريخ وسقوط السلوقيين فان غالبية النقود تحمل شعارات يونانية .

٣٣- على بعد ستين أو سبعين كيلو متراً من موقع سبازينو كراكس هناك مكان يدعى محمرة .

فسبازينو كراكس هذه ، وتدعى بالساميّة كرخاداميشان ، كانت عاصمة مملكة ميسين . وفي الفترة التي نعالجها الآن كانت احدى الموانئ الرئيسية حيث كانت المراكب تأتي اليها بمنتجات الهند والشرق الأقصى . وكانت البضائع تشحن من ميسين صُعداً على الفرات الى بابل ، على الطريق الذي سلكه أبولونيوس الطياني عند رجوعه من الهند سنة ٤٧ م . وعلى التعاقب كانت تحمل الى دجلة ومن هناك الى اديابينه في الشرق والى نصيبين والرها في الغرب . وفي « نشيد الروح » الذي في « أعمال توما » يعلن الأمير : تركت الشرق وتوجهت نزولاً . . . ومررت عبر حدود ميشان ( ميسين ) المكان الملتقى لتجار الشرق ، ووصلت أرض بابل » . وسلك الأمير نفس الطريق عند رجوعه . ومر ببايل على الشمال وأتى « الى ميشان العظيمة ، الى مرفأ التجار الذي يقع على شاطئ البحر » . ان « نشيد الروح » ربما أُلّف في الأصل في اللغة السريانية . وبالطبع تاريخه يسبق تاريخ النص الرئيسي لأعمال توما وقد يرجع الى القرن الأول للميلاد .

يبدو ان حكاية التطور الديني في اديابينه وفي الرها محبوبك حِكْماً محكماً . فالتاجر اليهودي من كرخاداميشان أنانياس الذي حول ايزاد الى اليهودية يحمل نفس اسم مبعوث ابجر الى يسوع أنانياس - وبالسريانية حنان . ولعب التجار أيضاً دوراً في تحويل عقيدة الرها . ومكث اداي في بيت التاجر طوبيا المفترض أنه يهودي ، وأتى الذين يتعاطفون مع المسيحية الى الرها ، كما نخبر ، في لباس التجار ليشاهدوا أعمال اداي ويرجعوا الى موطنهم لينشروا العقيدة في « بلدهم بلاد الآشوريين » أي اديابينه (٣٤) ، وكذلك ينعكس ورع الملكة هيلانه ملكة اديابينه في الحكاية الرهاوية . ثم اختلط اسمها باسم هيلانه والدة قسطنطين الكبير التي وجدت الصليب في اورشليم . ويروي اداي هذا الحادث في الرواية السريانية عن هداية الرها . ولو أن هناك تحمل الملكة اسم بروتونيس ( المفترض انها ) زوجة الامبراطور كلوديوس (٣٥) . ولكن الامبراطور يجب أن يكون بالأحرى طييريوس الذي كان حياً في هذا الوقت .

فالرواية عن النشاط اليهودي في سبازينو كراكس اذن حول الى حكاية النشاط المسيحي في الرها . وقد انتشرت المسيحية في اديابين ( حدياب ) بسرعة في تاريخ باكر ، اذا كنا نثق في مصادرنا ، وطيطيان الذي كان قد

٣٤- انظر صفحة ٩٩ .

٣٥- انظر الصفحة ٩٦ .

ألف النسخة السريانية المتناسقة من الديايطسرون في الغرب رجوع الى « آشور » ( أي ، دون ريب ، الى اديابين ) كمسيحي معترف في سنة ١٧٢ م .  
ثم ان الانجيلي المبشر لكل من الرها واديابين يدعى آدائي .

يبدو محتملا أن المسيحية نشأت في الشرق كما نشأ اللاهوتيان الرهاويان الشهيران في القرون الأولى ، برديسان ومار أفرام . ثم نقلت ، كما نتوقع ، على الطريق الرئيسي عبر نصيبين .

ان أكبردليل على المسيحية في نصيبين تعطينا اياه كتابه قبرية يونانية من ابرسيوس . ويكاد يعتبر صاحبها بصورة أكيدة مسيحياً من هيرابولس في آسيا الصغرى زار في النصف الثاني من القرن الثاني طوائف أبناء عقيدته .  
نقرأ في الكتابة : « رأيت السهل السوري ، وجميع المدن - ( وحتى ) نصيبين بعد أن قطعت الفرات ، ورأيت أناساً أتكلم معهم في كل مكان »  
ريشير يوسبيوس الى مجمع أوزروينة ( وفي وثيقة أخرى يتوسع هذا الى « الرها و اقليم اديابين » ) « والمدن الأخرى هناك » الذي عقد في وقت باكر حوالي سنة ١٩٧ ليعبر عن نظرتيه بخصوص موعد عيد الفصح . هذه الرواية يمكن رفضها بأنها زائفة ، ولكنها ليست بعيدة عن التصديق . وكان برديسان مسيحياً معترفاً به في الرها في القرن الثاني ، وكانت هناك كنيسة في سنة ٢٠١ .

مهما يكن من أمر فان علينا ألا نرفض رواية قبول الملك ابجر المسيحية بأنها رواية مشكوك فيها كلياً ، اذ لربما كانت الأسطورة أساساً لحقيقة . ولا ريب في أنها نشأت بينما كانت الملكية لا تزال محبوبة في الرها . ويضر الضليعون في الآداب الاغريقية والرومانية ، ولسبب وجيه ، على ان الملك الذي في زمن حكمه تقدمت المسيحية تقدماً ملموساً لم يكن ابجر أو كاما بل سميّه ابجر الكبير ، الذي امتد حكمه الطويل من النصف الأخير من القرن الثاني حتى بداية القرن الثالث . وكان والد كل منهما يدعى معنو . ويقال ان زوجة ابجر أو كاما كان اسمها شلمات ابنة ميردات . وقد تكون زوجة ابجر الكبير أيضاً اسمها شلمات ابنة معنو التي انتصب تمثالها على عمود جبل القلعة . وفي الأسطورة نجد ان ملك « الآشوريين » ( أي ملك اديابينه ) في زمن ابجر أو كاما لا يدعى ايزاد ( كما في قصة يوسبيوس ) بل نرساي . وفي الحقيقة ان ملك اديابينه في زمن ابجر الكبير كان اسمه نرساي ، أغرقه البارثيون في الزاب الكبير بسبب تعاطفه مع الرومان .

لربما كان ابجر الكبير ذا ميول حسنة تجاه المسيحيين . ولو أنه قد لا يكون في الواقع قد اعتنق الدين الجديد . ويدعوه معاصره جوليوس

افريكانس « رجلا باراً » ويدعى في أماكن أخرى « الورع جداً والمتعلم » ولكنه لم تطلق عليه صفة المسيحي . ونقود الرها تحمل صورة أبجر هذا رأس ذو لحية لابساً عمامة عظيمة منتصبة Tiara وعليها تاج منتصبة بكل ثقة وأنفة . ونُخبر بأنه كان صديقاً لبرديسان شاعر الرها وفيلسوفها . فلا بد أنه كان رجل علم وثقافة . كان ادارياً حكيماً مهتماً بتحسين شؤون رعاياه . وكان هو الذي حرّم ممارسة الغصي في الرها . ولكن هذا لا يعني بالضرورة كما يوحيه مصدرنا ، بأنه كان تحت تأثير المسيحية ، لأن أبجر كان رجلاً من رجال الدنيا أيضاً . وكان ولا ريب كبرديسان قد قابل السفراء من الهند وزار روما قرب أواخر أيامه ، وعلينا ألا ننسى بأنه حتى أبجر المثالي في القصة لم يخضع كلياً لمبادئ المسيحية لأن التقليد ينص على أن الهيكل العظيم في قصره بقي قائماً . واستمر هناك ، كملوك بني اسرائيل ، يعبد الكواكب في خلوة في فناء قصره ، ويحتمل أن أبجر الكبير ساند المسيحية لأسباب تتعلق بالدولة . رجل دولة سياسي على حظ من الدهاء ما كانت لتفوته ملاحظة الخطر النامي على استقلال الرها ولم يعد في وسع روما السيطرة على هذه المنطقة من بعيد بواسطة أمراء دمي . وهدد البارثيون خطوط مواصلاتها مع الشرق ، فلم تستطع الاحتفاظ بالطرق مفتوحة الا باقامة الحاميات الى شرقي الفرات . وفي هذه الظروف كانت صداقة أبجر للمسيحيين سياسة سليمة . اذ أنها أمنت له عطف جماعة هامة من رعاياه ، وبنفس الوقت عززت مركزه بواسطة الاحترام للسلطة والنظام ، الاحترام الذي كان مزية أصيلة في طائفته المسيحية .

## الشفاء في الرها

بعد أن قلنا هذا كله ، ما زال علينا أن نقدم ايضاً عن سبب اختيار الرها لتكون المشهد لأعمال الشفاء المسيحي التي هي العنصر المركزي في قصة ابجر وآدای (٣٦) . كان المرض المصدر الدائم للقلق في الشرق الأدنى القديم . ومقدرة شفاء الداء كانت موهبة سماوية ، ومنذ بدء الكنيسة كان المسيحيون يعلمون اعتبار العناية بالمرضى عملاً رئيسياً هاماً . ولذلك كرس المسيحيون السريان الكثير من جهودهم للطب . ففي سنة ٤١٠ م . ان لم يكن قبل ذلك ، كان للكنائس والأديرة شرقي ما بين النهرين ملاجئ للعجزة

٣٦- في تعاليم مارآدای المكتوبة بالسريانية يوجد تشديد على قوى يسوع كشافي ، اذ انه يوصف فيها ب « الطبيب الصالح » بينما في النسخة اليونانية لقصة مار آدای ليوسبيوس يتنعت ب « المخلص الصالح » .

ملحقة بها تماماً كما كان للأديرة والكنائس غربيّ ما بين النهرين . وكان مشفى نصيبين مجهزاً بوسائل لتسهيل تمرين الطلبة كالكلية الطبية المسيحية الشهيرة في بيت لاباط (٣٧) . وكان الأطباء في البلاط الفارسي مسيحيين . واستمر المسيحيون في ملء هذا المركز في بلاط الخلفاء ، ولا ريب في أن تفوق مسيحيي وادي الرافدين في الطب مستمد بدرجة كبيرة من دورهم كناقلي الحضارة الاغريقية وخصوصاً العلوم الاغريقية الى الشرق . ولم يكن المسيحيون الناطقون بالسريانية فقط بل وثنيو حران ومن جاورهم أيضاً شهرين في معرفتهم العلوم الطبيعية . وفي القرن الثاني في الرها اهتم برديسان بالأمر العلمية اهتماماً خاصاً . وهكذا فعل القديس أفرام أيضاً ، والطب بنوع خاص موضوع محبب يتكرر في شعره (٢٨) ويحكى أن في أواخر أيام حياته أشرف على الأعمال التي أقامها الرهاويون لاغاثة الفقراء والمرضى (٣٩) ، وأسس المطران نونا مشفى للبرص قرب باب بيت شمش في منتصف القرن الخامس . حقاً ان العناية التي أهدتها الشعب الرهاوي على اخوانهم المواطنين التعساء جذبت القرويين الى المدينة ، وفي أثناء الطاعون حتى الجنود البيزنطيون احتفظوا بملجأ للمرضى والمحتضرين . كانت مكانة الأطباء عالية لدرجة أن عهدت بيزنطية لأحدهم ارسالية لاقتاع الملك خسرو بعدم المساس بالرها في سنة ٥٤٤ .

كان هناك سبب وجيه لانهماك الرهاويين بالشفاء . وكنا قد ألمحنا الى أهمية دور المياه الجارية في المعابد الوثنية التي كان للرها القديمة علاقة بها : البئر قرب حران ، ونبع افقا في تدمر والنوافير وبرك السمك وكذلك بئر شهيرة في هيرابولس ( منبج ) ، وهكذا أيضاً كان في الرها بركتان للسمك تمد كل منهما نافورة . ولكن الأكثر أهمية كانت البئر الواقعة خارج

٣٧- ويهاندبوك شاهبور ، وغنديشاهبور فيما بعد .

٣٨- علي الاخص في « نصيبين القرمزية » « Carmina Nisibena » .

٣٩- لعله من الأمور الهامة أن تقص الاسطورة قصة زيارة قام بها القديس افرام للقديس باسيل القيصري ، لأن هذا الأخير اقام التكايا للفقراء . ويصف غريغوري النازياني احدى هذه التكايا بانها عمارة فسيحة بغرف للمرضى ومشفى ومصح . وكان الغرض منها ، كتكايا الرها ، ايواء البرص والمسافرين الذين يسعون اللاتجاء اليها . ومن الأماكن الأخرى ، وبالاخص أفسس ودافني قرب أنطاكية ومدن في مصر كان لها مؤسسات مشابهة معظمها كان فيها أطباء مقيمون وطباخون .

السور الجنوبي للمدينة تدعى الآن بئر أيوب (٤٠) ومزاياها الشافية مجربة .  
 وبقرب ذلك المكان كان قد بني هيكل القديسين الطبييين الشهيدان قوزما  
 ودميان وملجأ للعجزة وتكية . ومشفى البرص الذي بناه المطران نونا  
 والذي أشرنا إليه سابقاً لم يكن بعيداً عن ذلك المكان . ولعل بناء كنيسة  
 ميخائيل رئيس الملائكة في جنوب المدينة له مغزى، ومن المحتمل كنيسة أخرى  
 أيضاً مكرسة للقديس دوميتيوس . كلتاها يقترن اسمهما بالشفاء .  
 ولقد استحم زنكي الذي احتل الرها في سنة ١١٤٦ في مياه بئر أيوب ليشفي  
 نفسه من داء النقرس . وفي القرن الثاني عشر كانت البئر تدعى « بئر  
 الذين يقاسون من داء الأريانا » (٤١) . ان مزايا مياهها الفائقة للعقل كانت  
 شائعة ومحبوبة لدرجة أن المسيحيين من جميع النحل اجتمعوا في العراق في  
 الريف خلف البئر في القرن الثالث عشر عندما أصيبت المدينة بالقحط ،  
 وأقاموا التضمرات لأربعة أيام من أجل الاستسقاء . وحتى هذا اليوم يقضي  
 المرضى ليلتهم قرب البئر وعلى الأخص أولئك الذين يعانون من أمراض  
 جلدية . وهذا الحي في أورفا يدعى اليوم « أيوب مهلاسي » أي محلة  
 أيوب -

فليس من قبيل الصدفة اذن أن يكون عبدو بار عبدو مبعوث الملك  
 أبجر في أعمال مار آدائي قد شفي من النقرس بواسطة الرسول . فماذا  
 كان « الداء الذي لا يشفى » الذي ابتلي به أبجر فهذا ما لا تقصه علينا  
 النسخ الباكورة من الأسطورة . ويتمسك بروكوبيوس في القرن السادس  
 بأن الملك كان كمبعوثه يقاسي من النقرس . وفي القرن التاسع قيل  
 انه كان مصاباً بالبرص . وسمي بالأسود (أو كاما) عن طريق التلطيف .  
 وربما ، من جهة أخرى ، كان مصاباً بالعمى ، ولقب بالأسود لهذا  
 السبب (٤٢) . ويجب أن نستذكر أن أبجر رأى رؤيا على وجه آدائي  
 وسط دهشة أفراد حاشيته الذين حرّموا رؤية الأعجوبة (٤٣) . وهناك

- ٤٠- هل كانت هذه البئر في الأصل تحمل اسم يعقوب ؟ قال جوليوس أفريكانس : « ان خيمة الراعي  
 يعقوب في الرها التي دامت حتى أوقات الإمبراطور الروماني أنطونيوس هكتت بالنار » وكان  
 أيوب يقترن بالشفاء بمياه الينابيع . قارن ببئر مسجد أيوب في القسطنطينية ، وخصوصاً  
 راجع الآيتين ٢١ : ٨٢ و ٣٨ : ٤٠ في القرآن الكريم . شاهد أيضاً الصورة ٢٨ في هذا الكتاب .  
 ٤١- أريانا كلمة سريانية من أريو - أسد تطلق على نوع من الجذام يدعى داء الأسد . وباللاتينية  
 داء الفيل ، — Elephantiasis — .  
 ٤٢- أو كاما بالسريانية كلمة تستعمل للعمى والسواد . وهي متعاضدة مع كلمة سا ٥ و ؛ hwr  
 ( ح و ر ) التي تستعمل للرؤيا واليباض .  
 ٤٣- الكلمة السريانية سا ٥ ( ب ج ر ) تعطي معنى « قريب » كالكلمة اللاتينية Claudio .

قصة عن شماس شفي من وجع العين باستعماله ماء من معبد القديس يوحنا في الرها . ومهما يكن فلربما كانت غلة أبجر العرج ، وهي غلة مرافقة للنقرس . وقد يكون معنى كلمة أبجر أعرج ، وهنا أيضا قد يكون الايضاح ، بواسطة الاشتقاق الشعبي ، لظهور الامبراطور كلوديوس المتكرر في تقليد الملك أبجر(٤٤) . وهناك قصة غريبة عن شفاء شخص أعرج بملامسته المنديل المقدس الذي كانت تقاطيع وجه يسوع منطبعة عليه وذلك على بعد ميل واحد من الرها - وهي المسافة الى مكان بئر أيوب خارج الاسوار(٤٥) . وفي مكان آخر نقرأ أن أبجر استحم في بئر تدعى كيراسا في النص اليوناني ، ولعل هذه هي كلمة مشوهة للكلمة السريانية « كارازا » أي خطيب ، وقد يكون المعنى آذاني . ولا ريب في أن التشديد على المعمودية في المسيحية كان قد جعل الاستحمام في المياه نشاطاً محبباً شائعاً .

## رسالة يسوع

لقد اقترحنا بأن « رسالة يسوع » ليست أصيلة ، وأعلن عنها في منشور للبابا جيلاسيوس في سنة ٤٩٤ بأنها « أبوكريفا » . ويبدو أن القديس افرام الرهاوي يلمح اليها باصطلاحات غامضة وفي مقالته «العهد» فقط :

« مباركة هي المدينة التي تقطنين فيها أيتها الرها ، أم الحكماء . بفم الابن الحي بوركتم بواسطة تلميذه ، تلك البركة فستسكن فيك الى أن يكشف القدوس نفسه » .

ومع ذلك غدت أسطورة المراسلة بين يسوع وأبجر شهيرة في العالم المسيحي بأكمله . وعلى مر الزمن نمت باضافات متعددة . وربما كانت أقدم هذه الاضافات جملة فحواها « ان مدينتك ستبقى مباركة ولن يسود عليها عدو اطلاقاً » وهذه الجملة لا تظهر في نص يوسبيوس الذي ،

٤٤- تروي الأسطورة أيضا ان الملك الفارسي خسرو أرسل يطلب صورة يسوع من الرها لكي يشفي ابنته من الشيطان . فأرسل الرهاويون نسخة من الصورة الى بلاد القرس ، وما ان رآها الشيطان حتى فر هاربا . ويعد ذلك أرجحها الملك الى الرها مصحوبة يا نهديا .  
٤٥- يتردد هذا الحادث بصورة غريبة في القرن العاشر . عندما وصلت صورة يسوع الى القسطنطينية من الرها سنة ٩٤٤ لم يستطع أبناء المقتصب رومانوس ليكابينوس أن يميزوا قسماوات وجه يسوع على المنديل ، ولكننا علمنا أن المدعي الشرعي للعرش ، قسطنطين يورفرو جينيتوس ، شاهدها بوضوح .

كما نتذكر ، قال بأنه استمدها من أرشيف الرها في زمن الملكية . ولا يذكرها مار افرام مباشرة . ومن ناحية أخرى هناك تلميح عنها في رسالة للقديس أوغسطين مؤرخة في سنة ٤٢٩ . وكانت معروفة ليعقوب أسقف سروج قرب الرها ( ٤٥١ - ٥٢١ ) وفي تاريخ معاصره يشوع العامودي ، ويعتبر هذا الأخير أن فعاليتها قد تبرهنت بالانسحاب المخزي للملك الفرس كاواد من حصار الرها في سنة ٥٠٣ .

بقيت الجملة الاضافية لفترة من الزمن غير معروفة في الغرب . ونعلم هذا من دفتر اليوميات اللاتيني للراهبة ايفيريا الأكويتانية . ان تاريخ زيارتها للرها لسوء الحظ غير أكيد ، ولكن بالمستطاع عزوها الى منتصف القرن الخامس . وهي تخبرنا أن مطران الرها قص عليها أن المدينة كانت محاصرة من قبل الفرس بعد أن تسلم أبجر ( وتعني أبجر أو كما في الأسطورة ) رسالة يسوع بوقت قصير . أخذ الملك الرسالة و « صلى مع كامل جيشه علانية ، ثم قال : يا ربنا يسوع انك وعدتنا أن عدواً لن يدخل المدينة ، ولكن شاهد الفرس ! انهم يهاجموننا . . . وعندما قال هذا وهو ممسك بالرسالة بيده المرفوعة ظهرت بفتة ظلمة دامسة خارج المدينة » - لكي لا يستطيع الفرس الوصول الى الاسوار . ولما سعوا لتحويل خط سير المياه الذي كان في ذلك الوقت - كما ادعى المطران ادعاء لا يقبله العقل - مستمداً من جبل القلعة ، انبجست عيون وينابيع من الماء للتو في داخل المدينة . وانسحب الفرس يلبسون العار . وتابع المطران قائلاً بأنه كلما ظهرت قوات فارسية أمام الرها كانت رسالة يسوع تستخرج وتقرأ فيندحر العدو .

وأخذ المطران الراهبة ايفيريا الى الباب الذي ، كما يعتقد ، منه مرت رسالة يسوع الى داخل الرها . وصلى هناك ، وتلا الرسالة وصلى مرة أخرى . ثم أخبرها بأنه منذ اليوم الذي أتت فيه الرسالة الى الرها « وحتى اليوم الحاضر لا يمر انسان نجس أو رجل حزين من الباب . وكذلك لا يخرجون ميتاً من خلاله » . وفي آخر الأمر أخذت ايفيريا من المطران نسخة من المراسلة بين أبجر ويسوع . وعلقت على هذا قائلة : « بدا لي ملائماً أن أخذها منه اذ يظهر ان ما وصلنا منها في الوطن ضئيل ، وأن ما حصلت عليه هنا مطول أكثر بكثير » اذن يبدو أنه في أوروبا الغربية في ذلك الوقت لم تكن رسالة يسوع تتضمن العبارة التي وعد فيها الرها بأنها ستبقى منيعة على الأعداء لن تسقط في أيديهم .

ومن الجلي أن العبارة كانت غائبة من الرسالة التي كان قراء بروكوبيوس في منتصف القرن السادس عارفين بها . وفي روايته عن مراسلة أبجر ويسوع يكتب :

« أضاف [ يسوع ] أيضاً ان المدينة لن تسقط بين أيدي البرابرة أبداً . ان القسم الأخير من الرسالة كان مجهولاً تماماً عند أولئك الذين كتبوا تاريخ ذلك الزمن لأنهم لم يأتوا على ذكره في أي مكان . ولكن أناساً في الرها يقولون انهم وجدوه مع الرسالة ، حتى أنهم نقشوا الرسالة على أبواب المدينة على هذا الشكل بدلا عن أية وسيلة دفاع أخرى » .

ان بروكوبيوس يشك في فعالية هذا الوعد ويضيف بتهكم قارص « لقد خطر لي أنه اذا كان المسيح لم يكتب هذا الشيء كما قيل ، فانه ما دام الناس قد شأوا الاعتقاد به ، فانه يرغب في أن يحفظ المدينة سليمة سالمة لكي لا يعطيهم سبباً للشك اطلاقاً » .

ان الاعتقاد في حصانة الرها من السقوط نشأ ، كما ألمحنا ، بعد زمن القديس افرام ، ولكن ربما ليس بزمان طويل بعد ذلك . ان الكارثة التي حلت باندحار جوليان في سنة ٣٦٣ جعلت بلاد ما بين النهرين مفتوحة أمام الفرس . وبالتخلي عن نصيبين للعدو تركت الرها في الخط الأمامي كحصن من الحصون الرئيسية في الأقاليم الشرقية من بيزنطة . ولا بد انه ظهرت للرهاويين وكأنها أعجوبة أن تبقى مدينتهم آمنة من الهجوم . ومن المحتمل أن نصيبين كانت ماثلة في أذهانهم اذا استطعنا أن نحكم من رواية المطران لايفيريا بخلاص الرها العجائبي من الفرس ، غير ان روايته لا تلائم الرها كلياً ، كما أن تزويدها بالمياه ما كان بالمستطاع أن يستمد من جبل القلعة اطلاقاً . أما ينابيع المياه في داخل المدينة وبرك السمك بالكاد كانت نتيجة حدوث معجزة . ولكن تشعب المياه لعب دوراً هاماً في هجوم شابور الثاني على نصيبين سنة ٣٥٠ ، وقد وصفه القديس افرام وصفاً حياً اذ كان شاهد عيان لهذه الأحداث . وكذلك وصفه الامبراطور جوليان في مقالة المديح التي كتبها على شرف قونستنتيوس .

بإمكاننا أن نعزو ادخال العبارة الأخيرة في الرسالة الى نهاية القرن الرابع . وما أن هلَّ القرن الخامس حتى كانت أسطورة المراسلة بين أبجر ويسوع شائعة والاعتقاد فيها واسع الانتشار ، بالرغم من الرفض الرسمي الذي أعلنه البابا جيلاسيوس سنة ٤٩٤ . ان تاريخ تضمين وعد يسوع لأبجر في الرسالة معزز على أسس اركيولوجية ، اذ أنه وجدت

نسخ من الرسالة مكتوبة باليونانية على حجرين في يوقيطة في شمال الأناضول ، وعلى حجر في فيليببي في مقدونيا ، وأخيراً على حجر في قرخ مغارة قرب الرها نفسها ، ويبدو أن أية نسخة فيها لم يكتشف باللغة السريانية . ان القصد من كتابات يوقيطة غير أكيد ولكن كتابة قرخ مغارة كانت بجانب قبر ، بينما كانت كتابة فيليببي على باب المدينة . وما يثير الاهتمام أن جميعها تتضمن العبارة عن مناعة الرها ، وجميعها تخص القرن الخامس ان لم يكن أقدم . ولقد اكتشفت نسخة من المراسلة أيضاً في افسس على حجر فوق باب بيت ، ولكن هذه من تاريخ لاحق . والنص اليوناني لرسالة يسوع وجد أيضاً مكتوباً على البردي ربما كرقية . وهنا تأخذ العبارة الأخيرة شكلاً آخر ، مذكرة بيسوع بأنه نور العالم . ونصوص مراسلة أبجر ويسوع متكررة في القبطية وبأشكال عديدة على الحجر وعلى الرق وعلى الصدف الاوستراكا (Ostraca) وكرقي على ورق البردي . وهناك نص كتبه راهب في مصر العليا يُعتقد بأنه يرتقي الى منتصف القرن الرابع . وجميع هذه النسخ تعطي نص الرسالتين المتبادلتين وتتضمن عادة العبارة الأخيرة من « رسالة يسوع » في اللغة اليونانية . هناك أشكال متعددة من الأسطورة موسعة جداً موجودة في اللغتين الأثيوبية والعربية . وكذلك ترجمت قصة أبجر من اللاتينية الى الانكلوسكسونية في بريطانيا قبل زمن النورمانديين في نحو سنة 1000م . وتظهر في الليتراجية المحلية لذلك الزمن .

فمنذ أي عهد قبل زمن بروكوبيوس نقشت رسالة يسوع على باب الرها ؟ انها لم تكن موجودة هناك ، كما رأينا ، في زمن القديس افرام ، وليس من الممكن أن تكون قد نقشت قبل سنة 378 . ان مؤلف الرواية التي تدعى « رواية جوليان Romance of Julian » كان عارفاً بطوبوغرافية الرها (٤٦) . وفيها حكاية غريبة عن بركة أرسلت الى المدينة من قبل قسطنطين الكبير ولكنها أزيلت من قبل الامبراطور الاريوسي فالنس الذي توفي في تلك السنة . وهي لم تذكر الرسالة على الباب . والكتابة لم تكن على السور أثناء زيارة ايغيريا ربما في منتصف القرن الخامس . ولذلك فانه بإمكاننا أن نعين ظهورها مكتوبة على باب المدينة في النصف الثاني من القرن الخامس .

٤٦- ويزعم مؤلف الرواية أن يهود الرها عرضوا على جوليان أن يفتحوا له البوابة الجنوبية للمدينة - وهي البوابة المناسبة - بينما كان في طريقه الى حران . ويزعم أن جوفيان عند رجوعه من فارس دخل الرها من البوابة الشرقية .

## صورة يسوع

كانت رسالة يسوع قد اكتسبت قوة الحرز وتقوم بدور حامي المدينة من أعدائها . ولكن على مر الزمن ظهرت صورة يسوع منافسة لها . ففي كتاب « تعاليم مار آدائي » المكتوب بالسريانية والذي لا يمكن أن يكون قد ألف ، في شكله الحالي على الأقل ، قبل سنة ٤٠٠ ( ولو أن محتوياته قد تكون ، في الواقع ، أقدم ) يخبرنا أن « زعيمين مبجلين » من البلاط يصحبهما حنان كاتم سرّ الملك أبجر زارا الحاكم الروماني في سوريا ومن هناك توجهوا الى اورشليم . ورأى حنان يسوع وكتب أعماله . وعند رجوعه الى الرها قص على أبجر كل ما شاهده . فأمره أبجر بالرجوع الى اورشليم ليحمل رسالة الى يسوع مكتوبة بلغة تشبه شيئاً كبيراً رسالة يوسبيوس . ان قصة هذه الرحلة الثانية لحنان الى اورشليم لها رنة مصطنعة . ترك حنان الرها في ١٤ آذار ( يوم مهرجان البوريم اليهودي ، قبل الفصح بشهر واحد ) ووجد يسوع في اورشليم يوم الأربعاء ١٢ نيسان ( قبل الفصح بثلاثة أيام ) في بيت الكاهن الأكبر عملائيل ، وأجاب يسوع على رسالة أبجر - شفويّاً وليس كتابياً . ومهما يكن من أمر فان حنان كان الرسام الملكي أيضاً و « قام ورسم يسوع من نخبة من الأصباغ وأتى [ بالصورة ] معه الى مولاه الملك أبجر ، وعندما رأى الملك أبجر الصورة تقبلها بفرح عظيم ووضعها بتبجيل عظيم في احدى غرف قصره . وقص عليه كاتم سره (٤٧) حنان كل ما سمعه من يسوع لأن كلماته كانت قد وضعت كتاباً » .

ويتابع النص ليقص وصول آدائي التالي الى الرها ، وقيامه بأعمال الشفاء وهداية المدينة بالانجيل بموافقة الملك أبجر .

ففي كتاب تعاليم مار آدائي ، أي في بداية القرن الخامس كان للصورة دور ثانوي نسبياً . ولكن ، تحليلاً للتلميحات المتأخرة عن الصورة ، ظهر انها ازدادت قدسية بالتدرّج . فأقدم نسخة منها كانت من عمل الرسام حنان وفي الروايات المتأخرة لم يكن بالمستطاع رسمها الا بمعاونة يسوع ، وفي آخر الأمر غدت كلياً من عمل يسوع نفسه . ثم أصبحت الآن بأنها انطباع تقاطيع وجه يسوع تركها هو نفسه على منديل ، وهي عمل سماوي

« وليس من عمل أيد [ فانية ] » وهذه عبارة نراها لأول مرة في سنة ٥٦٩ . وحصار الرها الفاشل الذي قام به كسرى الأول أنوشروان في سنة ٥٤٤ يصفه بروكوبيوس بصورة واقعية اذ انه كتبه بعد سنتين من الحادث . انه يعزو نجاح المدافعين الى شجاعتهم وسعة حيلتهم ، ولكن المؤرخ ايفاغوريوس الذي كتب بعد بروكوبيوس بخمسين سنة يزعم أن اخفاق الفرس كان بسبب صورة يسوع المقدسة ، اذ أنه عندما بدأ أن كل شيء قد ضاع ، أرشد المطران بواسطة رؤيا رآها . ويكتشف الصورة التي كانت مخبأة وراء بعض البلاطات في سور المدينة . ونضح الرهاويون الصورة بالماء ثم رشوه تجاه الأعداء ، فتلاشت جميع أعمال الحصار بأن أكلتها النيران . وفي بعض الأوساط كانت الصورة قد حلت مكان الرسالة كحز يحمي الرها .

كانت الصورة والرسالة محفوظتين جنباً الى جنب وسنرى أنه منذ حكم جستنيان كانت هناك طائفة ملكية ( خلقيدونية ) في الرها حافظت على كيانها بدعم بيزنطة ، كما كانت هناك طائفة يعقوبية ( مونوفيسية ) وكان لكل من الطائفتين مطرانها . ولا بد أن الصورة كانت ملكاً خاصاً للطائفة الملكية بينما كانت رسالة يسوع تبجل من قبل الطائفة اليعقوبية التي كانت تعارض وجود صور يسوع ، على الأقل في القرنين الخامس والسادس . وكنا قد ألمحنا الى أن الكتابة المقدسة كانت مفهوماً سامياً ، وكان للكتابة اعتبار سام عند الرهاويين الذين كان معظمهم ينتمون الى الطائفة اليعقوبية ، ولكن في سوريا الغربية وبيزنطة كانت الصورة ، رسماً أو نحتاً ، واسطة محببة أكثر . وكانت صورة يسوع موجودة في كاسوليانا في نهاية القرن الرابع ثم جيء بها الى القسطنطينية في سنة ٥٧٤ . وقد تكون التأثيرات الغربية كامنة وراء الخشوع الذي قدمه الرهاويون لصورة يسوع . ومن الأهمية أن نذكر أن هناك تشويشاً بين المنديل المقدس في الرها في الشرق وبين قناع فيرونيكا أو بيرينيس من بانياس في فلسطين في الغرب . لقد حكيت أسطورتا بانياس والرها بشكل غريب . ويقال ان آدائي الانجيلي ولد في بانياس - أو في الرها . ويروي كتاب تعاليم آدائي قصة العثور على الصليب في اورشليم من قبل زوجة الإمبراطور كلوديوس التي تدعى بروتونيس ، ولعل هذا الاسم هو شكل آخر لاسم بيرينيس . وكانت بيرينيس البانيسية قد كرسيت تمثالا لیسوع كتقدمة شكر على شفائها من مرضها . ويزعم مؤلف يوناني في مستهل القرن الخامس بأنها كانت أميرة من الرها . وأخيراً عندما نقلت كل من

صورة ورسالة يسوع ، أو على الأقل نسخة من كليتهما من الرها الى القسطنطينية في سنة ٩٤٤ استقبلت الطائفة اليونانية هناك الصورة بفرح وتبجيل وخشوع بينما أهملت الرسالة بشكل صارخ (٤٨) .

على مر الزمن تضاعفت نسخ « حقيقية » للصورة والرسالة في الرها مع تكاثر الشيع ، وادعى كل من اليعاقبة والملكيين بأنهم يمتلكون الصورة الأصلية ، ويؤكد تقرير متأخر أنه كان هناك ثلاث صور في المدينة ويبدو أن الثالثة خصت النساطرة . ومن الأهمية أيضاً أنه وجدت صورة ليسوع في منبج (هيرابولس) فأسبغ عليها قداسة سماوية ، وكانت هناك أسطورة تردد معلنة أن الصورة الحقيقية كانت قد وضعت هناك من قبل الرسل الذين نقلوها من أورشليم الى الرها . ثم تركت طابعها على البلاط كما تركت طابعها على بلاط سور المدينة في الرها في رواية ايفاغريوس . وهذا كان شأن الرسالة أيضاً . لقد أخذت ، كما نوهنا ، الى القسطنطينية في سنة ٩٤٤ ، ولكن في سنة ١٠٣٢ أرسلت رسالة « أصيلة » أخرى ليسوع الى العاصمة من قبل الجنرال جورج مانياسيس . لكن ، حتى عندئذ ، تمسك الشعب الرهاوي بادعائه بأن الرسالة الأصيلة بقيت سالمة بين أيديهم .

### التقاليد المحلية عن بشارة الرها

تقص وثيقة « تعاليم آداي » السريانية ، كما أظهرنا ، كيف أن كاتم سر الملك حنان أتى بصورة يسوع الى الرها . ثم تروي هذه الوثيقة ، ربما بعد أن نضحت تنقيحاً كبيراً ، ولكنها مع ذلك ، لا تخلو من أساس لحقيقة قصة بشارة الرها . أنها نسخة أطول نوعاً ما من نسخة يوسيبوس . وبما أنها تعكس لوناً محلياً فإنها تستحق التلخيص هنا بإيجاز .

بعد أن قدم طويبا ضيفه آداي الى البلاط ، وعظ آداي أمام الملك وأمه أوغسطينا وزوجته شلمات ابنة ميرداد والنبلاء . وسرد ثانية قصة أعمال يسوع وشرح العقائد المسيحية ، وقص أيضاً قصة العثور على الصليب في أورشليم من قبل بروتونيس زوجة الامبراطور كلوديوس ، وكيف أن بواسطة الصليب رجعت ابنة بروتونيس الى الحياة ثانية . فمجّد أبجر وجميع أفراد البلاط الله واعترفوا بالمسيح .

٤٨- من الأهمية أن نذكر أن المؤرخ الملكي اغايوس محبوب المنبجي الذي كتب في القرن العاشر ربما قبل ٩٤٤ - يذكر أن الصورة كانت محفوظة في الرها ، ولكنه يغفل ذكر الرسالة ؟

وأعطى أيجر أوامره التي عبدو بأن يعلن بواسطة منادٍ في جميع أنحاء المدينة أنه على كل فرد أن يحضر الى « المكان المدعو بيت طابارا ، الفسحة الواسعة لبيت عويضة بن عبد ناخذ » ليستمعوا الى تعليم آدائي الرسول :

« اجتمعت [ المدينة كلها ] رجالاتٌ ونساءٌ كما أمر الملك . . . الزعماء ورجال الملك الأحرار والقواد والمزارعون كلهم ، مع الصناع الذين [ يشتغلون ] بأيديهم ، واليهود والوثنيون الذين كانوا في هذه المدينة ، وغرباء من منطقة صوبيا (٤٩) ومن حران ، وباقي السكان في جميع هذه المنطقة. من ما بين النهرين » . وكرز آدائي ثانية معلناً عن نفسه أنه ليس « طبيب عقاير وجذور . . . بل تلميذاً من تلاميذ يسوع المسيح » . ودحض عبادة الكواكب والأصنام . ومجد يسوع وحث مستمعيه على أن يعترفوا به أيضاً . وقبلت المدينة العقيدة الجديدة بقيادة أيجر وابنه معنو ووالدته وزوجته . وشجع الملك آدائي على أن يبني كنيسة وأغدق عليه الهدايا لكي تكون كلمة آدائي « ذات سلطة وتسود في كل هذه المدينة » . وفي مشهد من الحماس :

« هرع زعماء الكهنة في المدينة . . . وهدموا الهياكل التي كانوا يضحون عليها من قبل لنابو وبييل إلهيهم ما خلا الهيكل الكبير في وسط المدينة . . . وعمدهم . . . آدائي . . . وأولئك الذين كانوا يعبدون الحجارة والمواشي جلسوا عند قدميه . . . وحتى اليهود المتضلعون في الشريعة والأنبياء . . . الذين كانوا يبيعون [السلح] اللينة - أقنعوا هم أيضاً واعتنقوا المذهب المسيحي » . وأغاي « الذي كان يعمل [الحلل] الحريرية والعمائم للملك ، وقالوط وبارشلاما (الذي يدعى أبشلاما أيضاً) وبار سميا » اشتركوا [في الواجبات الكهنوتية] مع [آدائي] في الكنيسة التي بناها . . . واجتمع جمع غفير يوماً إثر يوم وأتوا لصلاة الخدمة [والقراءة] العهد القديم [والعهد] الجديد في الدياطسرون ، وآمنوا أيضاً بقيامة الأموات . . . وحافظوا على مهرجانات الكنيسة في فصولها الملائمة . . . وعلاوة على ذلك بنيت الكنائس في أماكن حول المدينة وتقبل العديد من [آدائي] وضع اليد الكهنوتي . وهكذا مرّ الناس الآتون من الشرق وهم في لباس التجار واجتازوا الى منطقة الرومان لكي يروا هذه العلامات التي قام بها آدائي ، والذين أصبحوا تلاميذ تقبلوا منه وضع اليد الكهنوتي ، وفي بلدهم بلد الآشوريين

أوجدوا تلامذة وأقاموا بيوتاً للصلاة هناك في السر خوفاً من الذين  
يعبدون النار ويتخشعون للماء » . وتحرى نارسى « ملك الآشوريين »  
من الملك أبجر عن أعمال آدای « وامتلاً دهشة وعجباً (٥٠) » .  
وأخيراً :

« يصاب [ آدای ] بمرض يفارق على أثره الحياة ، وكان قد طلب  
أغاي . . . وجعله المدير والحاكم محله ، وجعل فالوط الذي كان  
شماساً شيخاً ، وأبشلاما الذي كان كاتباً جعله شماساً » .  
ووعظ فيهم بخصوص سلوكهم وبعد ثلاثة أيام في الرابع عشر  
من أيار توفي آدای .

« وغدت المدينة بأكملها في حداد وضيق عظيمين بسببه . ولم يكن  
المسيحيون وحدهم في حزن عليه ولكن اليهود والوثنيين أيضاً الذين  
كانوا في نفس المدينة . ولكن الملك أبجر فاق حزنه الجميع - هو  
وعظماء مملكته . . . وشيئاً بشرف عظيم وقام بدفنه كما يدفن أحد  
عظمائه عند وفاته ووضع في ضريح عظيم مزخرف بالنحت (٥١) حيث  
سجى أفراد عائلة الملك أريو أسلافه الملوك الأباجرة . . . واحتفل جميع  
رجال الكنيسة . . . بذكرى موته من سنة إلى أخرى » .

يصف الراوي سلوك أغاي ورفاقه بأنه يستحق التقدير ( حتى أن  
كهنة نابو وبيل قاسموهم الشرف في جميع الأوقات » . ومهما يكن  
من أمر فانه بعد سنين :

« بعد وفاة الملك أبجر نهض أحد أبنائه الثائرين ، ولم يكن يحب  
الدعة والهدوء ، وأرسل كلمة لأغاي وهو جالس في الكنيسة يقول له :  
اعمل لي عمامة TIARA من ذهب كما كنت تفعل لأبائي قديماً ، فأرسل  
له أغاي كلمة يقول : اني لن أترك خدمة المسيح . . . لأعمل عمامة

٥٠- عند هذه النقطة تقتحم قصة مراسلة بين ابجر والامبراطور طيباريوس يطلب فيها ابجر من  
الامبراطور أن ينتقم من اليهود بسبب موت يسوع فينفذ الطلب على حسب ما يشتهي ابجر . من  
الجلي أن العبارة مشكوك فيها ( أبو كريفا ) اتنا نسمع هنا صدى الأسطورة ضُمت الى دورة  
صورة فيرونيكا : فيها يقع الامبراطور طيباريوس مريضاً ويرغب في رؤية صورة يسوع فيتخشع  
اليها ويشفى .

٥١- لربما كان الضريح الملكي قائماً بجوار قصر الملك ابجر . ويقترح هارناك Harnack  
أن الكلمة السريانية بيرثا : قصر ، قد تشوهت وأصبحت بريطانيا Britannia .  
هكذا وردت في نص جوالي سنة ٥٠٠ .

الشر • وعندما رأى أنه لم يطعمه أرسل له من كسر ساقيه بينما كان جالساً في الكنيسة يفسر الكتاب • وبينما كان يحضر ناشد فالوط وعيشلاًماً قائلاً : «ضجعوني وادفنوني في هذا البيت الذي من أجل صدقه ها اني أموت ...» وحدث هناك لإثر وفاته] حزن عظيم مرير في الكنيسة وكل أنحاء المدينة فاق الحزن والحداد الذي كانت به الطائفة عندما توفي آدای الرسول » •

يقيناً ان هذه الحكاية كانت قد ألفت بعد وقت طويل من الحوادث التي تحاول اعطاء وصفها بالملك أبجر الكبير • والتصريح بأنه كان من الضروري على المسيحيين « في بلد الآشوريين » أي أديابين على حد التخمين أن يمارسوا عقيدتهم في السر يبدو أنه يتضمن تاريخاً بعد سنة ٢٢٦ • ويظهر العمالة الساسانية حوالي ذلك الوقت ، وينمو وتأثير الكهنوت الزرادشتي ، غداً مستحيلاً على المبشرين المسيحيين العمل في الامبراطورية الفارسية ، ومجيء فارسيين من الشرق الى المقاطعة الرومانية متتكرين في زي التجار يوحى حتى بتاريخ متأخر أكثر ، بماهدة جوفيان في سنة ٣٦٣ فقط أصبحت الحدود بين فارس وبين ما بين النهرين البيزنطية محددة بوضوح ، وكانت من قبل تتخطى بدون عقاب ، ولكن النص في شكله الحالي لا يمكن أن يكون متأخراً أكثر من نهاية القرن الرابع أو بداية القرن الخامس • ويدعي الكاتب بأن الدياطسرون (٥٢) ، وهو النسخة المركبة المتناسقة من الأناجيل الأربعة ، كان مستعملاً في الرها في هذا الوقت • قد تكون الاشارة مقحمة - ومع ذلك فان وجودها دونما كلمة من الانتقاد أو اللوم أمر ذو أهمية • فهذه النسخة من العهد الجديد كان قد استعيرت عنها كاستعمال رسمي في الرها بالأناجيل المتفصلة قبل ، أو على الأكثر ، في أثناء حياة المطران رابولا ( توفي ٤٣٥ أو ٤٣٦ ) •

ان قصة بشارة الرها في وثيقة « تعاليم آدای » تكثف في حيز واحد جيلاً أو جيلين من الأحداث امتدت ، بوسعنا الافتراض ، عدة أجيال ، ويقيناً ان الكاتب نفسه لا يدعي أن الوثنية كانت قد اجتثت في الرها ، وكان قد سمح للهيكل الكبير في وسط المدينة بالبقاء • وكان الكهنة الوثنيون يحترمون ولو أنهم كان عليهم أن يشاركوا امتيازاتهم مع الكهنة المسيحيين • ولكن الأعظم أهمية هو التلخيص في « تعاليم آدای »

٥٢- بالسرانية انجيليون بمعلطه •

للتطور الداخلي في كنيسة الرها ، وفي سرد موجز لما حدث بعد موت  
أغاي نقرأ :

« لأنه مات بغتة وبسرعة بعد كسر ساقيه لم يستطع أن يضع يديه  
على فالوط ، وذهب فالوط نفسه الى أنطاكيا وتقبل وضع يد الكهنوت  
من سيرابيون مطران أنطاكيا ، وهو نفس سيرابيون الذي تقبل وضع  
اليد من زفرينوس مطران مدينة روما (٥٣) (الذي كان هو نفسه) من  
خلفاء (الذين تقبلوا) يد الكهنوت من سمعان بطرس الذي تقبلها  
من ربنا ... » .

من المحتمل أننا نرى هنا صدى لتغيير في الاتجاه في ادارة كنيسة  
الرها . فأدبي الأسطوري وخلفه أغاي قد يمثلان الفترة الباكرة التي  
كانت فيها حرة تحكم نفسها بنفسها ولكنها ما تزال تتطلع شرقاً لتستمد  
قوتها . لقد أتى برديضان الى الرها من بارثيا كما أتى القديس  
أفرام بعده بمئة وخمسين سنة ، ولكن فالوط (ومن المحتمل أن الاسم  
يوناني) من الواضح أنه يمثل نعمة أكثر قبولاً عند الكنيسة الناطقة  
باليونانية السائدة . انه قبل بالسلطة الكليريكية في أنطاكيا ، وكان  
زفرينوس بابا من حوالي سنة ١٩٨ . ولذلك فان خضوع الرها لأنطاكيا  
قد يرجع الى القرن الثالث الباكر . وكان هناك ميل لاسقاط أغاي من  
قائمة قادة الكنيسة الرهاوية ، ولاعتبار فالوط الخلف المباشر لأدبي  
الرسول ، حتى ان مسيحيي الرها غدوا يدعون « الفالوطيين » ، ربما  
ليؤكدوا معارضتهم للجماعات الأخرى كالأريوسيين . ولكن مار أفرام  
ينحو باللائمة على هذه الممارسة باحتقار مميز :

«لقد ارتخت أيديهم عن كل شيء . وليس هناك أيدي لتمسك ، بل  
انهم يدعوننا فالوطيين ، ولكننا تقياناًهم ونبذنا [الاسم] . ألا فلتحل  
اللعة على أولئك الذين يدعون باسم فالوط وليس باسم المسيح ...  
ان فالوط نفسه لم يشأ للناس أن يسموا باسمه ، وألو كان حياً لكان  
سيلعن بجميع اللعنات لأنه كان تلميذ [بولس] الرسول الذي قاسى  
الألم والمرارة من أجل الكورنثيين عندما هجروا اسم المسيح وسموا  
بأسماء البشر » . ولم يكن هناك في زمن مار أفرام من يدعو الى «استقلال  
كنيسة الرها عن كيان العالم المسيحي» (٥٤) .

٥٣- هناك نسخة غير صحيحة تقرأ هنا « أنطاكيا » .

٥٤- مهما يكن فانه يجب الا يفترض بان الفالوطيين كانوا هراطقة ، وهذا يبرزه يعقوب الرهاوي في  
رسائله الثانية عشرة الى يوحنا العامودي يتلو فيها العبارة من القديس أفرام . ويعلم يعقوب  
الرهاوي قائلاً : بالعكس لقد كان فالوط أرثوذكسيا ورجلاً باراً .

## شهداء الرها

ان التقدم السريع في انتشار المسيحية الذي كان في الذهن الشعبي يجب أن يعزى الى عذاب الشهداء المسيحيين ومنافسة اخوانهم في العقيدة لهم في هذه الشهادة . ومن بين تواريخ الشهداء التي تعزى الى الرها تاريخ الشهداء شربل وشقيقته باباي وبار سميا .

نعلم أن شربل كان « زعيم وقائد الكهنة الوثنيين » في الرها ، وأنه تحول الى المسيحية في مهرجان وثني كبير في الثامن من نيسان سنة ٤١٦ سلوقية ( ١٠٤ م ) . في تلك السنة وصل المدينة منشور من الامبراطور طراجان يصر فيه على زيادة تقدمات الضحايا والخمر للآلهة في جميع أنحاء الامبراطورية ، وان الذين يرفضون الاشتراك في تنفيذ هذا الأمر سيعذبون ويقتلون . ولاقى شربل حتفه على يد الحاكم بعد توعدات مخيفة ومهاترات طويلة . وبعد أن مات شربل تلقفت أخته باباي دمه ، ولهذا السبب قتلت هي أيضاً . ثم ألقى القبض في اليوم التالي على بارسميا مطران المسيحيين الذي حول شربل الى المسيحية . وبالرغم عن احتجاجات الشعب لصالحه سجنوه وعذبوه . ولكن مبعوثين وصلوا على غير انتظار حاملين منشوراً بالتسامح تجاه المسيحيين ، فأطلق سراح بارسميا وسط استحسان رعيته .

ان التاريخ الذي يعزى الى هذه الأحداث خطأ . والأحداث يجب أن ترجع الى اضطهاد سنة ٢٥٠ - ٢٥١ في زمن حكم الامبراطور ديسيوس وليس في زمن طراجان . ومع ذلك فان رواية استشهاد شربل وباباي والوعيد باعدام بارسيما لا يمكن اعتبارها أن لها صحة تاريخية . صحيح أن الكاتب يظهر بعض المعرفة بموقع الرها ولكن روايته مستقاة بشكل كثيف من « تعاليم آدائي » (٥٥) . وعلاوة على ذلك فان التدخل العجائبي الذي يظهر به منشور التسامح ليخلص بارسميا في اللحظة الأخيرة يبرز استحالة القصة .

٥٥- ان أسماء المواطنين القيايين في الرها وأسماء الآلهة الوثنية ووصف أثواب الكهنة تكرر فقرات من ( تعاليم آدائي ) ، بينما كانت « الشايريه » وارشيف الرها مسألة معرفة عامة . هناك مرجعان فقط لطيوغرافية الرها في قصة شربل ، كلاهما موجود في مكان آخر ، ان مذبج الكنيسة الكبير في وسط المدينة مذكور في ( تعاليم آدائي ) « ومقبرة والد عبشلاما أطران » هي اشارة خرقاء للمقبرة التي بناها « عبشلاما بن ابجر » في سجل استشهاد حبيب . ويمكن أن يكون النص الأصلي لاستشهاد شربل قد كتب باليونانية ، والدليل على ذلك الترجمات المتكررة للاصطلاحات اليونانية بأحرف سريانية . ومن أبرزها استعمال اسم « اديسا » في النسخة السريانية بدلا من أورهي الاعتيادية بما في ذلك عبارة « اديسا البارثيين » .

وبارسميا ليس معروفاً لدينا كمطران للرها . وهو أحد أتباع آغاي خليفة آداي السذي تروي حكايته في « تعاليم آداي » . ومن المحتمل أن « أعمال شربل وباباي وبارسميا » قد ألفت بعد زمن القديس أفرام الرهاوي ( توفي سنة ٣٧٣ ) وبعد تقويم سرياني لسنة ٤١١ الذي لم يذكر فيه شربل وبارسميا ، بل من المحتمل أنه أُلّف قبل زمن رابولا ( توفي ٤٣٥ أو ٤٣٦ ) وبالتأكيد قبل يعقوب السروجي ( توفي ٥٢١ ) (٥٦) .

إن تاريخ الشهداء شربل وباباي وبارسميا المزيف قد يكون القصد منه اظهار نبلاء الرها ومطرانها بأنهم كانوا على استعداد لتقديم التضحية العظمى للمسيحية ، ففي زمن حكم ديوقلتيان كان هناك شهداء حقيقيون في الرها ، ولكنهم كانوا قرويين عاديين وليسوا من سكان المدن المتحضرين ، أما قصص استشهاد شمونا وكوريه وحبیب ( على خلاف قصص شربل وباباي وبارسميا ) فتستحق بأن تقبل كوثائق تاريخية . ولعلها لم تكن قد اكتسبت شكلها الحالي قبل نحو سنة ٣٦٠ م . غير أن القصص « طبيعية وفيها نغمة الشعور الصادق » حتى أنها توحي بأنها بنيت على حكاية معاصرة ، ولا بد أنها حفظت بصورة واسعة في الشكل الذي كتبها به ثيوفيلوس الذي ادعى ( بموجب نصنا الحالي ) بأنه شاهد تنفيذ الاعدام ، ربما في سنة ٣٠٩ أو ٣١٠ (٥٧) . كائناً من كان ، فإن كاتب أعمال هؤلاء الشهداء الثلاثة كان عارفاً بطوبوغرافية الرها معرفة جيدة ، وهو يعكس بأسلوب مخلص مباشر جو المدينة في ذلك الوقت .

صدر بيان في سنة ٣٠٣ بأنه يجب أن تسلّم وأن تحرق نسخ الكتاب المقدس في جميع أنحاء الإمبراطورية ، وأن تهدم الكنائس وتمنع العبادة المسيحية . وجُرد المسيحيون من مراكزهم المشرفة ، وصدرت التعليمات للكهنة المسيحيين ، وللعلمانيين أيضاً فيما بعد أن يعبدوا زيوس والامبراطور ( وليس كما ورد في أعمال شربل وبارسميا أن يعبدوا الآلهة المحلية بيل ونابو ) ، وفسرت هذه التعليمات بدرجات مختلفة من

٥٦- هناك سجل شهداء آخر قرن بالرها هو لاسحق أسقف كرخا وشاهور أسقف بيت نيكاتور وثلاثة علمانيين . إن هذا السجل هو أيضاً سجل مشكوك في صحته ( أبو كريفا ) قليل الأهمية . ويعتدل أنه أُلّف في الرها في بداية القرن السادس .

٥٧- ينص أحد التواريخ بأن حبيب استشهد أثناء الاضطهاد الذي قام به ليسينيوس « بعد الاضطهاد في أيام ديوقلتيان » . تاريخ آخر يبدو أنه يتمسك بأن استشهاد شمونا وكورية كان في سنة ٣٠٦ - ٣٠٧ ويضيف ان « ( ليسينيوس ) ألقى القبض على قونا مطران الرها وشهدت الشيخ وعيظالها الشماس وبينما كان ليسينيوس يعذبهم قتل . وأمر قسطنطين الظافر بأن يتوقف الاضطهاد ، ثم أفرج عنهم » . ولا شك في أن هذه القصة صدى في استشهاد المطران يارسميا المشكوك فيه .

الصرامة في الشرق • واستدعى الحاكم في الرها قرويين أمام حضرته ، هما كورية وشمونا اللذان كانا يشجعان المسيحيين في القرى بأن يبقوا ثابتين في ايمانهم ، وألقى بهما في السجن • في البداية كان الحاكم متردداً في الاجراء الذي سيتخذه ، وبعد استشارات مع السلطات في أنطاكيا راح يتوعد شمونا وكورية بعقاب مخيف ، وقاسى الاثنان عذاب الشد والسحل والجلد بالسياط ولكنهما رفضا الازعان • ثم أودعا في غياهب سجن يُعرف بـ « الهوة المظلمة » من شهر آب وحتى منتصف تشرين الثاني سنة ٣٠٩ وشمونا يتحمل عذابات أكثر من كورية لأن هذا كان ضعيفاً ومسنناً • ولم يكن يوم الحساب بعيداً :

« في اليوم الخامس عشر من تشرين الثاني وفي الليلة التي يبزغ فجرها في اليوم الثالث من الأسبوع عندما صاح الديك مرتين نهض الحاكم وذهب الى محكمته العدلية وكان معه جميع بطانته من الرسميين • وكانت هناك أنوار ومشاعل تنير له المكان • وعندما جلس على منصة الحكم في الباسيليكا قرب الحمامات الشتوية أرسل ثمانية جنود مع السجنان لكي يأتي بكورية وشمونا وسحبوهما من الهوة • وحملوا شمونا لأنه لم يكن قادراً على السير على رجله اليمنى التي كان الطوق الحديدي مثبتاً بها والذى مفصل ركبته • ولكن كورية مع أنه كان ماشياً على قدميه ، كان ثمة جنديان يمسكان به ، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله • وذلك أولاً بسبب العذاب الذي قاساه في سجنه وثانياً بسبب سنه » •

وعرض عليهما الحاكم السماح لهما بالرجوع الى البيت ليجتمعا بعائليتهما وأقربائهما وأن يسترجعا ممتلكاتهما اذا هما قدما الخشوع للشمس • فأجاب شمونا بأنهما يعبدان خالق الشمس ، وقال لهما الحاكم بأنه لا يشاء أن يلاقيا حتفيهما على يديه ، فقال شمونا بأنهما يموتان من أجل اسم يسوع لكي يخلصا من الموت الثاني الذي سيدوم الى الأبد • ورجاهما الحاكم رجاءً حاراً مرة ثانية أن يخلصا نفسيهما ولكنهما استبشرا فرجاً بقرب الموت •

« وأمر الحاكم الجلاد بأن يأخذ معه عشرة جنود وأن يذهب ويأخذهما خارج المدينة بعيداً عن السكان لكي لا يحزن عليهما أحد • وعندما تلقى الجلاد أمر الحاكم ••• ذهب مسرعاً في الليل من الباب الغربي للمدينة • وصادف أن كانت عربية مارة فأركبهما فيها قبل أن يستيقظ أهل المدينة • وأخذهما الى تلة في شمال الرها الى مرتفع يدعى « بيت عمالا قيئلة » ويقع على الجنوب الغربي (٥٨) من النبع الذي يجري الى داخل المدينة » •

٥٨- ربما كان هذا خطأ ، والصواب شمال غرب •

كانا فرحين بأن لحظة «التتويج» قد قربت وطلبنا من الجلاد أن يدعنا  
يصليان ، فتوسل اليهما مع الجنود الرومان أن يصليا من أجلهم أيضاً .  
وطلب الشهيدان أن يقبل الله روحيهما بسلام وأن يجمع جسديهما في يوم  
القيامة . ووجه كل من شمونا وكورية وجهيهما نحو الشرق ، وركعا  
ثم طلبا من الجلاد أن يقوم بمهمته . فذبح كلا منهما بضربة واحدة من  
سيفه وترك الجنود جسديهما هناك جنباً إلى جنب وذهبوا الى المدينة .

« وبينما كان الجنود داخلين ، وكان النهار قد أشرق ، قابلوا جمهوراً  
غفيراً من الناس خرجوا يبحثون عن الرجلين البارين ، وراحوا يسألون  
الجنود : الى أين حملتم المعترفين ؟ فقالوا لهم : الى « بيت عالا قيقلة » .  
وذهب جمهور لا يحصى للبحث عن جسدي الشهيدين . وكان بين الفوج  
الأول من الناهيين ابنة شمونا المعترف . وذهب الناس من كل أنحاء المدينة  
رجالاً ونساءً وسحبوا جسديهما وجمعوا التراب الذي كانت دماؤهما قد  
تبمشرت عليه . وأتى العديد منهم بحلل بديعة وثياب كثيرة وعطور وتوابل ،  
وكثير من البلسم والريحان . . . . . ولفوهما بأقمشة نظيفة وبتلك الحلل  
والبلسم والتوابل وأطواق الكفن وسجّوهما في تابوت واحد وقبر واحد  
كان هناك وهم يقرأون عليهما المزامير والتسابيح والترانيم والأدعية » .

وتكرر هذا المشهد المحزن بعد أقل من ستة . ومرة أخرى يقال ان  
الراوي هو ثيوفيلوس نفسه الذي شاهد موت شمونا وكورية . وكان  
ليسينيوس قد أمر بأن تكون هناك تضحيات وتقديمات خمر لزيوس ، ولكن  
المضطهدين :

« صاحوا بكامل حريتهم : نحن مسيحيون . ولم يكونوا خائفين من  
الاضطهاد لأن المضطهدين كانوا أكثر من المضطهدين . وكان حبيب شماساً  
من قرية تل صحي Tell - She يجوب الكنائس في القرى سراً يعظ فيهم  
ويقرأ الكتاب المقدس ، ويشجع ويقوي العديد منهم بكلمته ويحثهم على  
البقاء ثابتين في صدق عقيدتهم وألا يرهبوا المضطهدين . . . . . وعندما سمع  
منخبرو (٥٩) المدينة . . . . . ذهبوا وأعلموا . . . . . الحاكم الذي في قلعة الرها . . .  
فأرسل الحاكم تقريراً الى الامبراطور يطلب منه التعليمات لأنهم سمعوا  
بأن قسطنطين . . . . . في الغال واسبانيا كان مسيحياً ولا يقدم القرابين » .

وأجاب ليسيونيوس بأن المسيحيين يجب أن يُقتلوا بالنار أو السيف ،  
وفي هذا الوقت كان حبيب موجوداً في زوغما . وأمر الحاكم بأن يلتقى القبض

على أسرته وبني قريته وأن يلقي بهم في السجن • وعندما سمع حبيب هذا ذهب إلى الرها وسلم نفسه إلى زعيم ضباط الحرس • ومع أن الضابط أخبره أنه إذا لم يره أحد فإنه يستطيع الذهاب ولن يصيب عائلته أي مكروه ، ولكن حبيب أصرّ على أن يؤخذ إلى الحاكم •

وقام الحاكم باستجوابه • ورفض أن يقدم العبادة لتمثال زيوس معلناً بأنه لا يخاف الموت ، فجلدوه ، وجيء به من السجن في اليوم التالي وهددوه بالتعذيب إذا رفض عبادة التمثال • وكرر بأنه ليس بخائف لأن الله حرّم عبادة الأشياء المخلوقة • فعلّق وأهين ، ولكنه استمر يرفض التضحية للأصنام • وبعد جدال طويل أعلن الحاكم يقول :

« اني أعلم أن كل ما تقوله انما هو لكي تستثير غضبي ، ولكي أصدر عليك حكم الموت مسرعاً ، ولذلك فاني لن أتعجل فيما تشتبهه بل سأكون صبوراً ••• لكي تزداد ضربات عذابك » •

ورفض حبيب مرة أخرى طاعة الأمبراطور ، وأخيراً ، « بدأ الحاكم بإصدار حكم الموت عليه • ونادى عالياً على هيئة موظفيه وقال وأحرار المدينة يسمعونه : اني أمر أن توضع نسعة من الجلد في فمه كما توضع في فم القاتل وأن يُحرق بنار بطيئة مثلكة لكي يزداد عذاب موته •

« وذهب ( حبيب ) من أمام الحاكم والنسعة مفروسة في فمه ، وكان جحفل من شعب المدينة يعدو وراءه (٦٠) وابتهج المسيحيون لأنه لم ينثن ولم يهجر خط حياته وكان الوثنيون يتوعدونه لأنه لم يقدم ضحية ، وأخرجوه من المدينة من الباب الغربي ( باب ) الأقواس (٦١) تجاه المقبرة التي بناها عبشلاما بن ابجر ، وكانت أمه مسريلة بالبياض ذاهبة معه • « وعندما وصل إلى المكان الذي سيقومون بحرقه فيه وقف وصلى مع جميع الذين كانوا ذاهبين معه ••• وبينما كان حبيب واقفاً حفروا مكاناً وأخذوه ووضعوه في وسط الحفرة وثبتوا عموداً بجانبه ••• وعندما اشتعلت النيران وصعد لهيبها ازداد اضطرامها صاحوا به ، افتح فمك • وعندما فتح فاه صعدت روحه • وهتفوا رجالاتاً ونساءً بأصوات النواح ، وسحبوه من النار وألقوا عليه كتاناً بديماً ووضعوا عليه أحسن المروخ والتوابل ، وأمسكوا ببعض الأعواد التي أحرقتها • ثم حمله الأخوة والعلمانيون وكفنوه ودفنوه بجانب كورية وشمونا الشهيدين في القبر الذي

٦٠- بالسريانية ، قياما • ولها مدلول اكليزيكي •

٦١- أو العقود • Vaults •

كانا فيه على المرتفع الذي يدعى «بيتا عالا قيقله» • وقرأوا عليه المزامير  
والترانيم حاملين جسده المحروق باحتفال ملؤه الحنان والتبجيل ، حتى أن  
بعض اليهود والوثنيين ساهموا في تكفينه ودفن جسده مع الأخوة المسيحيين ...  
كان هناك مشهد من الحزن عم جميع الذين في ( الطائفة ) والذين في خارجها ،  
والدموع تنهمر من جميع العيون ، والكل يمجّد الله ••• »

ان الانطباع الذي نحصل عليه من هذه القصص الحية السرد واضح  
جداً • ان هذا لم يكن صراعاً بين مسيحيين ووثنيين ، بل كان صراعاً بين  
رهاويين وحكام أجانب • وحكايات أيجر وآداي تخبرنا عن ملك ورسول ،  
وتواريخ الشهداء شربل وباباي وبارسميا هي عن كاهن أعظم ومطارين •  
ولكن قصص كورية وشمونا وحبیب هي عن أناس قرويين بسطاء متضلعين  
في نص التوراة السريانية ، ولكنهم رجال ذوو نفوذ قليل ما خلا موهبتهم  
وأعمالهم الخاصة • ولقد جرى اعدام كورية وشمونا خفية لكي لا يثير غضب  
شعب المدينة • ولقد عطف الجلاد والجنود الرومان على حد سواء على  
الشهيدین « ودعوها سعیدین ، وحيّوا ذكراهما وبتجلّوهما في السر وهم  
يتوجسون من السلطات الامبراطورية • » وحتى الحاكم كان عزوفاً عن  
تنفيذ مناشير الأمبراطور • ويبدو أن الرهاويين لم يكونوا خائفين من ابداء  
الاحترام لرفات الشهداء • وهكذا حبیب أيضاً رافقه جمهور من المسيحيين  
في مسيرة موته • وبعد موته دفن بتبجيل ، بل وبمشاركة من اليهود  
والوثنيين • ولم يظهر المسيحيون تردداً في الاعلان عن عقيدتهم « لأن  
المضطهدين كانوا أكثر من المضطهدين » • كانت الرها الآن مدينة  
مسيحية •

ان الأشخاص الباهتين في « تعاليم آداي » وفي « أعمال شربل وباباي  
وبارسميا » ينتمون للأسطورة - كالأشخاص في العهد الباكر  
من سلالة أريو في الرها ، المطرانين هيستاسب وأقي في سيرة حياة برديسان .  
ولكن مع شمونا وكورية وحبیب كانت الكنيسة الرهاوية قد وصلت أزمة  
تاريخية • ولقد بدأ المطران قونا - الذي شرع في بناء كاتدرائية الرهاربما ، في  
سنة ٣١٣ سلسلة مطارنة الرها ، كانت تضطرب في بعض الأحيان ، ولكنها لم  
تنقطع لألف سنة (٦٢) • وكانت الرها قد تمثلت في مجمع نيقية في سنة ٣٢٥

٦٢- قال أحد المتضلعين في الآداب الاغريقية والرومانية ، ان المطران قونا هو الذي أعلى من شان  
الأنجيل المنفضلة ، وانها هي النص النموذجي الاصيل ، ولكن ليست هناك بيئة ملموسة على  
هذه الفرضية •

وفي جميع الاجتماعات الاكليريكية الهامة فيما بعد . وازدادت الكنائس  
والمؤسسات الدينية عدداً في المدينة ، وتصرفت السلطات الكنسية بدخول  
لا يستهان به ، وسيطرت نشاطاتها على الحياة الاجتماعية في الرها بصورة  
واسعة كما سنرى في فصل تالٍ .

## القدّيس أفرام

ان شخصية القرن الرابع البارزة في الرها ، وأشهر الآباء في الكنيسة  
السريانية هو القدّيس أفرام . ان سير عمله في الحياة يجب أن يرى مرسوماً  
على خلفية أحداث عصره المضطربة ، كان العداء في ما بين النهرين بين الغرب  
والشرق قد اشتد حدة . وغدا الآن صراع عقيدة وصراع سياسة في نفس  
الوقت لأن المسيحية أضحت بعد سنة ٣١٣ الدين الرسمي في الامبراطورية  
الرومانية التي كانت عاصمتها الآن بيزنطة . وكان مار أفرام واعياً المعركة  
منذ نعومة أظفاره . ولد حوالي سنة ٣٠٦ في نصيبين أو في ما جاورها، أي  
على أطراف الامبراطورية . وربما كان والداه وثنيين ولكنه ترعرع في جو  
مسيحي . وفي أيام شبابه كان تحت تأثير ثلاثة مطارين شهيرين في نصيبين ،  
هم يعقوب وبابو وولاغاش ، وعلى الأخص المطران يعقوب وهو يسمى  
نصيبين « ابنة يعقوب » . ويعزو التقليد اليه دوراً فعالاً في الدفاع المستميت  
الناجح عن نصيبين ضد هجوم الجيش الفارسي في سنة ٣٥٠ (١٣) . وفي  
قطعته الشعرية الباكورة « نصيبين القرمزية » يصف لنا الحادث وصفاً دقيقاً  
حياً . وربما ألف مار أفرام ترانيمه « فيما يخص الفردوس » و « ضد  
الهرطقات » في هذه الفترة من حياته . وعندما ترك جوفيان نصيبين للفرس في  
سنة ٣٦٣ كان مار أفرام قد غدا كاتباً مرموقاً .

من ضمن شروط المعاهدة بين بيزنطية والفرس كان يحق للسكان  
نصيبين المسيحيين الانسحاب بحرية الى الغرب . وعاش مار أفرام زمناً  
قصيراً في آمد ثم استقر في الرها حيث أمضى السنوات العشر الأخيرة من  
حياته . ورفض أن يرتقي الى مرتبة اكليريكية عالية . وبموجب الأسطورة  
عمل خادماً في حمام عند أول مجيئه الى المدينة . غير أنه كان واعظاً نشيطاً  
كما كان مرشداً ناصحاً لقادة الكنيسة الرهاوية . وليس هناك دليل مباشر  
على أنه أسس أو علّم في « مدرسة الفارسيين » التي كانت أكاديمية لاهوتية

٦٣- يجب تناول سيرة حياة القدّيس أفرام بشيء من الحذر ، وبخاصة تلك المقاطع التي تروي قصة  
حياته ، لأنها تتضمن تفاصيل موجودة في سيرة حياة يعقوب النصيبيني ايضاً .

في الرها شهيرة في الكنيسة الشرقية بالمعارف الفريضة التي يتحلى بها أساتذتها وطلابها . ومع ذلك ، سيبدو غريباً أن هو لم يقرن بها . ويقول أحد كتاب سيرة حياته بأنه كانت ثقة اخوانه الرهاويين به عظيمة ، حتى انهم طلبوا اليه أن يشرف على أعمال اغاثة الفقراء أثناء المجاعة التي حصلت في أواخر أيام حياته . وقبل أن يوافيه الأجل في سنة ٣٧٣م طلب أن يدفن بين قبور الفقراء المعدمين والمجرمين ، ولكن بعد فترة من الزمن نقلت رفاتة الى مكان دفن أساقفة الرها . وظل هذا الرجل القديس يبجل تحت اسم خضر الياس (٦٤) في أورفا حتى الأزمنة الأخيرة من المسلمين أيضاً . وكان يقام كل عام مهرجان ربيعي قرب ضريحه في كنيسة مار سركيس الأرمنية في غربي المدينة (٦٥) .

يقص علينا كاتب سيرة حياته قائلاً: « انه لم يأكل من الطعام سوى خبز الشعير والقطاني وبين الحين والحين بعض الخضار . وكان الماء شرابه الوحيد . وكان جسده قد جف على عظامه كآنية الفخار . أما ثيابه فقد كانت أسملاً متعددة الألوان ، كان الحزن لا يفارق وجهه ، ولم يكن ليرفه عن نفسه بالضحك مطلقاً » .

كان مار أفرام يتجنب الحياة الاجتماعية في المدينة . ويقال انه عاش في أحد الكهوف التي لا حصر لها في التلال خارج مدينة الرها . وربما كان هذا هو السبب الذي أكسبه الشهرة كناسك . ولا ريب في أنه كان يعطف على حياة التقشف والرهبنة ، وفي رسالته للنساء الذين كانوا يملأون التلال المجاورة ، يحثهم على حياة العزلة والايمان والصلاة كما فعل يسوع في البرية دون خوف من الحيوانات المفترسة أو الجوع ، وعليهم ألا « يتلطنخوا بوحل الخطيئة في المدينة » لأنهم « ألقوا عن كواهلهم نير العالم وطغيان الممتلكات » و « ألا يرهبوا صوت أولئك الذين بيدهم السلطة . . . كما يفعل مالكو العقارات والثروات » .

٦٤- ظهور الخضر في أورفا لا بد أنه حصل بعد منتصف القرن السابع عشر ، لأن افليا شلبي لا يأتي على ذكره ، ويصف بادجر Badger معبد مار سركيس بأنه « شعبيياً يدعى خضر الياس » وفي الفناء يوجد مكان ينزل اليه باريق درجات تقود الى مغارة فيها أربع فجوات وكهف بثمانية أضرحة من ضمنها رفات القديس أفرام والقديس ثيودور . وكان القديس ثيودور قديساً محبوباً بين الرهاويين .

٦٥- يبدو أن الثامن والعشرين من نيسان كان يوم حج بين وثنيي حران .

ولكن من ناحية أخرى ليس من المعقول أن مار افرام كان يحتمل الافراط في التزهّد واماتة النفس كما كان يفعل النساك المسيحيون في ما بين النهرين . لقد قبل تعهداته بالفقر والعفة باخلاص ولكنه كان رجل فعل أيضاً ، كما كان عالماً ولاهوتياً ، ولديه اعتبار عظيم لعلم الآخرين حتى ولو كانوا أعداءه . ولقد اعترف بأهمية الواجبات الرعوية ووبخ الرهاويين الذين عارضوا مطراتهم برساي :

« أنت [ يا الله ] عزيز صموئيل عندما رفضه الحمقى وقلت انك أنت الذي رفضه الشعب . ان كنيستك . . . قد رفضت كاهنك ، وبواسطته أظهر أولادك كراهيتهم لي . . . [ برساي ] مسكين فقير ، وهم أثرياء . هو متسامح وهم مشاغبون . هو وديع وهم أفظاظ . هو متواضع وهم مضطهدون . . . »

« أتى الراعي الجديد - ومنذ البداية قوبل بأمطار عنيفة وغيوم [ متليدة ] فشوشوا مساعديه ، واستمتعوا مع الذئب وظنوا أن الراعي ذئب . وعندما غشيت على أعين المساعدين غشاوة من الظلمة سترجع أنت أبصارهم ومعرفتهم بنورك وسيرجعون الى الراعي ويعتنون بخرافه » .

كان مار افرام كاتباً غزير الانتاج بصورة غير عادية . لقد تدفق بسيل من المواعظ الشعرية الموزونة والترانيم والتعليقات على الكتاب المقدس وخطب تفسيرية ونبذ دينية جدلية . وكانت تترجم بسرعة الى اليونانية والأرمنية والقبطية والعربية والحبشية واللاتينية ، وامتد أثرها ليس في جميع أنحاء ما بين النهرين وسوريا فقط بل في جميع أنحاء العالم المسيحي . كان مار افرام مطلعاً على أعمال الفلاسفة الاغريق ، ولكن من المحتمل ان اطلاعه كان ضئيلاً على كتابات اللاهوتيين منهم . ومن المشكوك فيه ما اذا كان ضليعاً في اللغة اليونانية بالرغم مما تقوله الأساطير عكس هذا . ومن المؤكد أنه لم يكن يفهم الفارسية . ولكن مهما يكن الأمر ، فانه كان سيداً في الأسلوب السرياني ، مما أكسبه الثناء الذي أسبغ عليه ابان حياته وفي ما بعد ذلك . وسمي : نبي السريان وأسد سوريا وكنتارة الروح القدس وعمود الكنيسة .

قال يمتدح الرها :

« أيتها الرها المليئة بالعفة والحكمة والذكاء المسربة بالفتنة والحكم

السليم المحلاة ينطاق الايمان والمسلحة بخوذة الحق الذي لا يتبدل ودرع  
الاحسان الحلية العالمية » • ولكن كتابات مار افرام تعكس شجاعته  
واخلاصه وحماسه اللامتزعزع للعقيدة وعطفه على الفقراء • لقد عرف  
معرفة جيدة حياة وأفكار الانسان العادي •

من خلال كتاباته النثرية التي سماها « دحض المفترين » نلاحظ  
بجلاء موقفه من أعداء الكنيسة الرئيسيين في أيامه وهم أتباع مرقيون  
وبرديسان وماني • وكان القول حسناً عندما قيل ان [ مار ] افرام يمكن  
وصفه ك « احدي » ومادي ، أي انه لا يعترف الا بوحدة أو كينونة أصيلة  
موجودة وجوداً ذاتياً هي الله • « ولقد تار غضبه على البنيان المحكم للكون  
الذي استتبطه زعماء الهرطقة والذي بدا له انه ينكر وحدة الله • وهو  
يسوق مناقشاته ببراعة منطقية ملؤها الحرارة والحماس ، وكثيراً ما تكون  
كلماته حاقدة مريرة كقوله « اننا لم نأت لنحرك أوحال برديسان لأن  
نجاسة ماني فيها الكفاية • وكما ترون فان لساننا يسعى لبلوغ نتيجة  
سريعة ، بينما يفر منه » ويلجأ في بعض الأحيان الى الازدراء كقوله : « لقد  
فعل حسناً أولئك الذين سلخوا ماني الكاذب الذي قال ان الظلمة كانت  
مسلوخة ، ولو انها لا جلد لها ولا غلاف جلد » • وكان لتهكمه ما يبرره  
أحياناً •

لقد كانت الكنيسة الرهاوية سعيدة الحظ في أن يكون مار افرام  
بطلها الشجاع في وقت تعرضت فيه عقائدها الأساسية للتحدي الشديد •

## الأريوسية

يبدو أن الطائفة الأريوسية ازدهرت في الرها في زمن حكم الامبراطور  
كونستنتيوس الذي يكتب عنه اميان : « طمس الدين المسيحي العادي  
البيسط بخزعبلات انسان خرف • وأثار مشاحنات عديدة بنقاش دقيق  
ملتبس حول الدوغما عوضاً عن أن يحاول جدياً لتتوافق » • وبعد حين أثار  
الأريوسيون الرهاويون حفيظة الامبراطور جوليان الذي يؤكد أنهم  
« بوقاحتهم المتولدة من شرائهم » هاجموا اتباع فالنتينوس الزعيم الأديري ،  
واقترفوا « أعمالاً متهورة لا يمكن أن تقع في مدينة منظمة تنظيماً صالحاً » -  
وأمر جوليان بأن توزع نقودهم على الجند وأن تصادر أراضيهم للخزينة  
الامبراطورية • ولم يستطع أن يكبح نفسه عن الاضافة بتهكم انهم  
سيقدرون له فعله « لأن شريعتهم المثيرة للاعجاب تأمرهم بأن يبيعوا جميع

أموالهم ويعطوها للفقراء ، حتى يحصلوا بسهولة أكثر على ملكوت السموات » . ويتابع جوليان الذي كان يكره المسيحيين الرهاويين :

« اني أمركم علانية أيها المواطنون الرهاويون بأن تكفوا عن الضغائن والمنافسات والا ستثيرون شهامتي ضدكم ، وبما أنكم محكوم عليكم بالسيف والنفي والنار ستعاقبون على اخلاككم بالأمن المستتب في الامبراطورية » .

وبعد هذا ، وبتشجيع من الامبراطور فالنس غدا الارويسيون الرهاويون أكثر ثقة بأنفسهم ، وزار فالنس نفسه الرها في نحو سنة ٣٧٢ . ويقال انه هدّد المسيحيين الأرثوذكس هناك بأن يختاروا بين الموت أو المزوق الى الأريوسية . لكنه عندما رأى الشعب يخرج حشوداً لينتظر الاستشهاد في « المبدع البديع الشهر » للقديس توما خارج المدينة ارعوى وعدل عن فكرته بالفناء ائذاره النهائي ، ومع ذلك فقد طرد المطران برساي مع بعض الرهبان القادة من الرها في ايلول من سنة ٣٧٣ بعد وفاة القديس أفرام بثلاثة أشهر . وتبعهم في النفي جموع من الأتباع المخلصين . ولكن يموت فالنس سنة ٣٧٨ انتهى نصر الارويسيين . ورجع الاكليروس الأرثوذكسي واستعاد امتلاك كنائسه .

### المطران رابولا

أجاد مار أفرام انجاز عمله . ويبدو أن هرطقات ماني ومريقيون وجدت دعماً شعبياً قليلاً في الرها كما ادعى . غير أن البرديصانيين كانوا لا يزالون يشكلون معارضة يجب أن يحسب لها حساب في زمن قائد الكنيسة التالي في الرها ، المطران ربولا الشهر الذي لدينا عنه معلومات ضافية . ولد ربولا في قنشرين قرب حلب ابناً ثرياً لوالد وثني ووالدة مسيحية . وترك رابولا ممتلكاته ونبتد عائلته ليصبح ناسكاً معزلاً ، واجتاز فترة من التقشف الصارم ثم عين مطراناً للرها حوالي سنة ٤١١ أو ٤١٢ . واذا كان يمي مقدرته الشخصية لم يبد عزوفاً عن قبول منصب عال في الكنيسة . كانت شخصيته قاسية صارمة ، وكان ثابتاً في الصوم والصلاة ، بسيطاً في لباسه وطعامه وآنية مائدته . وكان أكليروسه مرغماً على الامتناع عن الرفاهية والترف . لم يبن ربولا كنائس جديدة كأسلافه ، بل بنى عوضاً عن ذلك ملاجئ للعجزة والمرضى المحتاجين رجالاً ونساء .

ولا زلنا. نحتفظ بالقوانين المعزوة الى رابولا التي سُنت لارشاد الرهبان والاكليروس ، وهي تحمل طابع صرامته .

تصرف رابولا تجاه الهرطقة والمنشقين بحيوية مميزة . وأقنع نبلاء الرها الذين كانوا ما يزالون يتهافتون على أغانسي برديسان وبقايا الأريوسيين والمرقيونيين بقبول المعمودية وأن يدخلوا في حظيرة الأرثوذكسية ، وهناك ما يؤكد لنا ، ولو بمبالغة ظاهرة ، أن اليهود قبلوا في الكنيسة بالآلاف والوثنيين بعشرات الآلاف . وحول كنيس يهودي في وسط الرها الى كنيسة باسم مار اسطفان ، وهدمت أربعة هياكل وثنية .

وتكاثرت الشيع المسيحية المنشقة . هناك البوربوريون Borborions الذين كانت الشكوك تدور حولهم بقيامهم بأعمال مخزية . والصدوقيون الذين يدعون بأنهم يرون رؤى . وبعض هذه الشيع نشأت في الرها ومنها شيعة العودية وكان مؤسسها رئيس شمامسة في منطقة الرها في زمن مجمع نيقيا . اقتبس بعض تعاليم برديسان وأسس كنيسته الخاصة التي تقبلت أتباعاً لها في ما بين النهرين وفلسطين والجزيرة العربية وحتى بين السكيتيين والقوط . وكان هناك اليساليون ( باليونانية يوقيطيين Euchites ) أيضاً الذين ظهروا في نفس الوقت وهم أتباع لشخص يدعى أدلفوس الرهاوي ، مارس التقشف في سيناء ومصر ثم رجع الى الرها بينما كان لا يزال شاباً ليعيش في صلاة متواصلة وعزلة واعتكاف . ويقص علينا فيلوكسينوس المنبجي أن أدلفوس « اعتمد على قواعد الحياة . . . ولكن لم يكن متواضعاً » [ كان يصاب ] بهلوسات الشياطين بدلا من التأملات السماوية . . . وكانه لم يكن في حاجة للمثقة والاماتة الجسدية « وعلم بأن قوة الصلاة الغامضة بإمكانها أن تخضع الخطيئة وتوصل الانسان الى الكمال . ان هذه المبادئ شكلت تهديداً للكنيسة القائمة لأن أدلفوس وتلاميذه كانوا يفترسون السذج والجهلة ، فحرب هو وشيعته وبعثروا في النفي ، وحرّموا المرة تلو المرة من قبل مجامع كنسية . ولكن الراهب الشاعر البسيط اسونا الرهاوي كان أقل خطراً ، أُلّف في النصف الأول من القرن الرابع ترانيم كانت لا تزال ترنم بعد قرنين ونيف من الزمن ، ويكتب عنه فيلوكسينوس المنبجي :

« خدعه الشيطان أيضاً وأخرجه من قلايته ووضع على رابية تدعى « ستاديوم » وأراه شكل مركبة وخيول وقال له : أرسلها الله لك لتفارق هذا العالم في مركبة كايليا . فخدع بعقله الصبياني وسار ليصعد

المركبة • وتلاشى الخيال بأكمله من تحته وتهور من علو سامق ومات  
ميتة تبعث على السخرية » •

على جميع هذه الضلالات صدر على يدي المطران رابولا الحكم  
السريع • وأرغم الرهبان الزائفون على الخيار بين الانعزال بين جدران  
الدير أو النفي من اقليم الرها بأكمله اذا لم يخضعوا لنظام الكنيسة •

ولكن الوضع في داخل الكنيسة كان قد تغير منذ أيام مار افرام •  
ولم يعد بإمكان الأرثوذكس أن يمثلوا جبهة متماسكة • كانت هيئة العالم  
المسيحي بأكمله قد انشقت بالجدل حول طبائع يسوع • فحزب  
الديوفيسييين (٦٦) بقيادة ديودورس الطرسوسي وثيودوريط القورشسي  
وأشباعهما نال الموافقة في الأوساط العليا بتفضيل نسطور لمنصب  
بطريركية القسطنطينية سنة ٤٢٨ • وتصرف نسطور بثقة • وقال  
للإمبراطور ثيودوسيوس الثاني : « أعطني الأرض مطهرة من الهرطقة ،  
أعطك السماء بدلا منها ، ساعدني على قتال الهرطقة ، أساعدك على  
قتال الفرس » • وبدأ رابولا في البداية متردداً ثم كشف عن نفسه خصماً  
عنيداً لنسطور وألقى بكامل سلطته في جانب قائد المونوفيسييين (٦٧)  
كيريلوس الاسكندري ودعا لعقد مجمع في الرها في سنة ٤٣١ وأحرق  
كتابات ثيودور الموبسوستاتي وسافر دون كلل الى مجامع خارج أبرشيته  
ليحث على التزام القضية الأرثوذكسية -

توفي رابولا في سنة ٤٣٥ أو ٤٣٦ • كان نفوذه في مقاطعته أمراً  
لا يناقش • ولكن روحه الحزبية خلفت وراءها تركة تعيسة من المرارة •  
وقال عنه الديوفيسييون « طاغية مدينتنا الذي اضطهد حتى الأموات تحت  
ستار الدين » • يشيرون بذلك الى هجومه على ثيودور الموبسوستاتي  
وأعماله •

وأعلن المونوفيسييون بأنه لم يلبس مسيحيو الرها فقط الحداد عند  
جنازة المطران رابولا بل شاركهم اليهود والوثنيون أيضاً في الحداد • كان  
رابولا كالقديس أفرام نشيطاً ليس كراعي أبرشية وحسب بل ككاتب  
أيضاً • وترجم الى السريانية كتاباً واحداً على الأقل لكيريلوس الاسكندري  
بطلب من كيريلوس نفسه • لم يبق الا القليل من كتاباته الأدبية ولكنه

٦٦- أي أصحاب الطبيعتين •

٦٧- أي أصحاب الطبيعة الواحدة •

من الجلي انه كان لاهوتياً ومناقشاً بارعاً - وليس معلوماً ما اذا كان يجب أن يعزى الى المطران رابولا حظر استعمال نسخة الأناجيل الموحدة الديايطرون لطيطيان في الرها ، والاصرار على استعمال الأناجيل المنفردة في الليتورجية . وهذا أمر مفتوح للنقاش . وقد يكون الديايطرون استبدل للاستعمال الرسمي قبل زمنه . وربما استبدل به النسخة السريانية البسيطة ( بشيطا ) الأقدم منها .

## المطران هيبا والصراع الطائفي

لم يكن المطران هيبا خليفة رابولا على كرسي أبرشية الرها مكروها لدى الحزب النسطوري . وهذا دليل على التوازن بين الحزبين المتعارضين ، الديوفيسييين والمونوفيسييين ، في هذا الوقت . وكان هيبا قبل تعيينه لمنصب المطران في هيئة ادارة مدرسة الفارسيين ، ونعت « بالمترجم » لأنه كان عضواً في حلقة من العلماء الذين ترجموا الى السريانية كتابات ديودورس وثيودور الموسويستاتي . وكان مولعاً بثيودور ولعاً شديداً ، ولهذا السبب بالذات اكتسب عداوة المونوفيسييين المتطرفين . ويقال ان المطران رابولا كان قد طرده من الرها في سنة ٤٣١ ، ورسالته الشهيرة الى ماري في بيت أردشير ، التي وصف فيها الصراع العقائدي في الرها ، ساعدت المبادئ النسطورية لتنمي لها جذوراً بين المسيحيين الشرقيين . وبلغ الحماس الشعبي للمسائل الدينية الدوغمائية ذروته في الرها تغذيه العداوات الشخصية . ولم يكن هيبا أقل باعاً من سلفه ولكنه على النقيض منه كان مغرماً بالمسرات الدنيوية أيضاً ، وسماه أعداؤه « الاسقف الحيال » .

واتهموه أيضاً برذائل المتاجرة بالرتب الكهنوتية ومحاباة الأقربين وسوء استعمال ممتلكات الكنيسة . وشكاه خصومه في اقليم الرها بقيادة يورانيوس اسقف هيميريا الى بطريك أنطاكيا فحرم هيبا أولئك الكهنة في الحال وضمنهم من كانوا أعضاء في أبرشيته . ودعي الطرفان الى أنطاكيا ، وقضى البطريك في سنة ٤٤٨ بأن هيبا لم يتجاوز حقوقه . وبعدئذ استعمل المونوفيسييون نفوذهم في البلاط ليؤثروا بأرائهم على الامبراطور . فشكلت لجنة في صور وبيروت ووجدوا هيبا للمرة الثانية بريئاً من تهمة الهرطقة فقدم تقرير بسوء التصرف ضده . ومهما يكن من أمر فان اللجنة فرضت الكبح على معاملة المطران الأوتوقراطية

لمرؤوسيه وعلى استعمال أموال الكنيسة ، وطلبت منه أن يلفظ استنكاره  
لنسطور علانية أمام الشعب .

ومع ذلك ، عندما رجع هيبا الى الرها قبل عيد الفصح سنة ٤٤٩ ،  
وبالرغم من تبرئة اللجنة له ، وجد هياج الشعب ملتهباً ضده ، وتدمر  
هيبا فيما بعد من أن العداء بين المونوفيسيين والديوفيسيين قد شطر  
العالم المسيحي « ولم يعد يستطيع المسيحيون السفر [بحرية] من بلد الى  
بلد ومن مدينة الى أخرى بل أصبحوا مصدر سخرية للوثنيين والمهرطقة » .  
وترك هيبا المدينة ينشد المساعدة كما كان يحق له أن يفعل ، من القائد  
العسكري . وفي هذه الأثناء تظاهر المونوفيسيون أمام الحاكم في الرها ،  
وكان قد وصل حديثاً من القسطنطينية ، وهتفوا يصيحون :

« لا أحد يريد عدو المسيح ! لا أحد يريد مفسد الأرثوذكسية !  
الى النفي بأمين سر نسطور ونجيّه ! » الى النفي بمخرب الهياكل !  
الى النفي برفيق نسطور ! » لا أحد يريد عدو المخلصين ! لا أحد يريد  
يهودا الاسخريوطي ! الى المشنقة بالاسخريوطي ! أيها القديس ربولا  
صل من أجلنا ! لقد انتهك هيبا عقيدتك ! » اذهب وانضم الى رفيقك  
نسطوريوس ! نريد مطراناً أرثوذكسياً للكنيسة ! لا أحد يريد متهم  
الايمان القويم ! لا أحد يريد صديق اليهود ! لا أحد يريد عدو الله !  
خلصنا من هيبا وخلص العالم ! الى الشرك بكاره المسيح ! الى الستاديوم  
بنسل الأنجاس ! » لا أحد يريد هيبا ! امح اسمه من اللائحة المقدسة !  
يا أيها القديس ربولا ألق بهيبا في النفي ! الى الخنادق بهيبا !  
نحن نتوسل ولا نلقي أمراً . انسا نفعل كل هذا من أجل المسيح » .

واستجاب الحاكم لهذه النداءات والى العرائض من وجهاء المدينة،  
وزج بهيبا في السجن . ويمكن الشك ، والحق يقال ، بأن التعليمات كانت  
قد صدرت للحاكم ليتخذ هذه الخطوة قبل تركه البلاط في القسطنطينية .  
وانعقد مجمع في افسس في آب من سنة ٤٤٩ والذي أطلق عليه اسم  
مجمع اللصوص ، وأدان هيبا في غيابه وأمر بخلعه (٦٨) ولكن بعد  
سنتين أنجز المجمع الخلقيدوني مصالحة بين العناصر المتساهلة من  
الطرفين المونوفيسيين والديوفيسيين . فقدم هيبا بعدئذ التماساً لاعادة  
النظر في قضيته فأرجع اليه اعتباره ومنصبه في الرها وبقي فيه حتى  
يوم وفاته سنة ٤٥٧ .

٦٨- وحكم مع هيبا على فلافيوس القسطنطيني ودمتوس الأنطاكي وثيودوريط القورشي وابرينيوس  
الصوري ويوسبيوس الدوريليمي ودانيال الحارثي وصفرونيوس التلي .

وخلف هيبا نونا الذي ترأس أبرشية الرها خلال السنتين اللتين  
 نفي هيبا في أثنائهما . وقبل نونا بقوانين المجمع الخلقيدوني ولم يكن  
 معارضاً فعالاً للديوفيسييين . ويبدو أنه في أثناء رئاسته تفجر نشاط  
 من عدم الرضا والسخط بين مساندي نسطور . وخلف المطران  
 قورش نونا في سنة ٤٧١ وصمم على أن يتخذ عملاً حاسماً . وأقنع  
 الامبراطور زينون باغلاق مدرسة الفارسيين في الرها وأن يطرد هيئة  
 موظفيها . ثم شيدت كنيسة على موقع المدرسة . وهكذا كانت النهاية  
 في سنة ٤٨٩ لمركز العلم والنقاش اللاهوتي الذي ساهم بدرجة عظيمة  
 في شهرة الرها في العالم المسيحي الشرقي طيلة قرن ونيف . صحيح  
 كانت المدرسة المعقل الأخير للنسطورية في الامبراطورية البيزنطية ،  
 وعندما فتح الفرس الرها في سنة ٦٠٩ فقط استطاع النساطرة الرجوع  
 الى غربي ما بين النهرين . ولكن المدرسة كانت أيضاً مصدراً هاماً  
 استمد منه المسيحيون الفرس معرفتهم بالثقافة اليونانية ودرسوا آداب  
 الغرب الرائعة الدنيوية منها والكنسية . وسُميت عن حق « الباب الموصل  
 بين الشرق والغرب » . مهما يكن فان النفور بين الفارسيين والسريان  
 لم يكف مطلقاً عن التشويش على المدرسة . وعزا النساطرة اغلاقها الى  
 « صانع المكر ، الكلب المجنون ومعلم الخداع » ، بسبب الحسد من العالم  
 النسطوري نرسي . وزعموا أن اللاهوتيين الغربيين في الرها استأؤوا  
 من تفوق الفارسيين الذين لم ينالوا التدريب التقليدي في المنطق  
 اليوناني . ولمح أيضاً الى أنه كانت هناك مزاعم عن خيانة ضد نرسي  
 دفعت به الى ترك المقاطعة البيزنطية متسرعاً . ومن ناحية أخرى ادعى  
 المونوفيسييون ، وهم يقرون بأن « الفارسيين بوجه عام هم باحثون  
 حاذقون » ان « قورش البار . . . اجتث نبتة [الهرطقة] المرة من  
 جذورها » . وكان العلماء المنفيون قد أخذوا يفتحون لهم طريقاً عبر  
 الحدود الى نصيبين قبل عام ٤٨٩ ، ونال بعضهم منصباً عالياً في  
 اكليروس الكنيسة الفارسية ، وآخرون (منهم نرسي نفسه) علموا في  
 أكاديمية نصيبين وأسبغوا عليها شهرة انتشرت الى ما وراء الحدود  
 الفارسية بكثير .

\* \* \*

## الرها مركز المونوفيسية

ان الصراع المنهك الآن في الرها عدا بين المونوفيسيين والخلقيديونيين وطابت خواطر الجماعات الأقل تطرفاً بين المونوفيسيين بوثيقة الاتحاد (الهيئوتيكون) التي أصدرها الأمبراطور زينون ، والتي أكدت قرارات جميع المجامع ما عدا قرارات المجمع الخلقيديوني ، وكان المدافعان المرموقان عن العقيدة المونوفيسية في منطقة الرها هما يوحنا اسقف تلا وفيلوكسينوس مطران منبج . وكان هذا الأخير قد درس اللاهوت في الرها ، وحفز على ترجمة جديدة للتوراة من اليونانية الى السريانية . وتمت الترجمة في حوالي سنة ٥٠٨ ، وكان مدافعاً نشيطاً عن آرائه . ولكن كاتب ما يسمى بـ « تاريخ يشوع العامودي » ، اذ يصف الاحتفال بمهرجان ربيعي وثني في الرها في سنة ٤٩٨ ، يوبخ فيلوكسينوس ويقول بأن مطران منبج « كان في ذلك الوقت في الرها - خلافاً عن كل الآخرين كان يُظن بأنه قد أخذ على نفسه أن يشتغل في حقل التعليم - ومع ذلك فانه لم يتكلم عن هذا الموضوع أكثر من يوم واحد » . وأعلن بولس الذي حصل على كرسي أبرشية الرها سنة ٥٠١ عن مساندته للمبادئ المونوفيسية . ولكن في سنة ٥١٩ حدث انعكاس آخر من انعكاسات الحظ المفاجئة جعل التاريخ الاكليريكي لهذا الزمن محيراً جداً . كان أنستاسيوس خليفة زينون ميالا لصالح المونوفيسيين ، ولكن الامبراطور جوستين الأول التالي كان توافقاً لمصالحه الكتيستين الغربية والشرقية ، ولكنه أصر على الاعتراف بقرارات المجمع الخلقيديوني . وبدا نشأت الطائفة الملكية أو الجماعة التابعة للامبراطور التي تمسكت بهذه القرارات .

ثم افتتحت فترة طويلة من الاضطهاد الشرس للمونوفيسيين . ولهذا الاضطهاد وثائق دامغة ولو أننا يجب أن نستطيع العذر لتحيز المصادر المونوفيسية . ومن أكثر القادة حقداً في هذه الحملة في شمال ما بين النهرين كان بطريرك أنطاكية يوفراسيوس وخليفته أفرام الأمدي أمير المشرق (الذي حتى أعداؤه كتبوا عنه بأنه « عادل في أفعاله ولا يتهالك على الرشوات ، قدير وناجح » . واسكلابيوس مطران الرها وابراهيم بارقلاي اسقف آمد . ولدينا قائمة لأربعة وخمسين مطراناً مونوفيسياً وضمنهم سويريوس الأنطاكي العظيم ، خلعوا جميعهم من كراسيهم ، ولم يكن الرهبان والراهبات هم الوحيدون الذين طردوا من أماكن عبادتهم ، بل العلمانيون أيضاً طردوا من بيوتهم ، ضربوا بالسيف

والعصي وقاسوا الجوع والعطش والفضيحة ، ونص الجند عليهم العيش ولم يتيحوا لهم الفرصة لأكل أو راحة ، وحتى الأشخاص الذين وجد المونوفيسيون عندهم ملجأ أنزل بهم العقاب . وهلك العديد من الكهنة وماتوا بالبؤس في المنفى ، ولاقى فيلوكسينوس المنبجي حتفه مختنقاً بالدخان الصادر من مطبخ التكية الذي كان مسجوناً فوقه في غنغرا . وقام يوحنا التلي برحلات واسعة في السر يرسم الكهنة والشمامسة ويشجع اخوانه المونوفيسيين على أن يتمسكوا بقوة بعقيدتهم . ولكنه ألقى القبض عليه في شباط من سنة ٥٣٧ بين جبال الفرس وما بين النهرين ، وسُلّم إلى السلطات المحلية ، ومات تحت التعذيب بعد سنة في أنطاكيا .

كانت للرها علاقة وثيقة بهذه الأحداث ، وكان أغلب السكان مونوفيسيين . ففي سنة ٥١٩ أخرج المطران بولس بالقوة من هيكل المعمودية حيث احتفى ونفى الى سوريا . وبعد أربعين يوماً سمح له بالرجوع وهو لا يزال يرفض القبول بالمجمع الخلقيدوني . ونفى مرة أخرى الى يوقيطه في سنة ٥٢٢ . أما خلفه اسكلابيوس فأصبح مكروهاً جداً لهجمات العنيفة على المونوفيسيين فقد كانت تساعد فرق من الجيش المحلي . وطرده رهبان « دير الشرقيين » الذي يبعد بضعة أميال جنوبي المدينة . وفي نيسان من سنة ٥٢٥ ألقى أسكلابيوس القبض على عشرة رهبان وتوعدهم بالعذاب في اليوم التالي اذا هم لم يقبلوا بمبادئ الملكيين . وفي تلك الليلة فاض النهر ديسان وأغرق المدينة وحل هلاك عظيم في الأرواح والممتلكات وشعر المونوفيسيون بأن السماء أظهرت عطفها على قضيتهم وركضوا الى حيث كان المطران ليرجموه بالحجارة ولكنه انسحب ببطء كما فعل مدير ادارة المدينة وفر الى أنطاكيا ، حيث لقي عطفاً قليلاً عليه ، غير أن اليطيريك يوفراسيوس أصعبه الى منصة الخطابة وأشار الى المطران التمس مخاطباً الجمع : « تعالوا وشاهدوا نوح الثاني في فلغه الذي نجا من الطوفان الثاني » . ومات المطران بعد حين قصير (٦٩) . وفي سنة ٥٢٦ كتب المطران بولس الى الامبراطور رسالة يقبل فيها بالمجمع الخلقيدوني ، فسمح له بالرجوع الى أبرشيته .

٦٨- وكذلك هلك البطريرك يوفراسيوس في تشرين الثاني من سنة ٥٢٧ في زلزال أنطاكيا الرهيب حيث سقط في - أو دُفع الى - دست من الشمع المغلي . وبموجب حكاية أخرى ، فإنه دُفن تحت بيت منهدم وبقي طيلة النهار وهو يش ويندب تحت الانقاض .

وأظهر المونوفيسيون جلدأ فريداً في ترتيب أمورهم بموجب الموقف المتبدل . ولا تزال هناك وثيقة باقية تعرض القوانين الاكليريكية « للآباء القديسين في وقت الاضطهاد » تنظم العلاقة بين المونوفيسيين والخلقيدونيين « الهرطقة » ، كان الكهنة المونوفيسيون مسموحاً لهم بأن يلتجئوا الى معابد شهداء أعدائهم ، ولكنهم ممنوعون من أن يناولوهم القربان . وكذلك منعوا من مشاركة الطعام مع غير المونوفيسيين . وسمح للعلمانيين منهم أن يفعلوا ذلك عندما يكونون مكرهين . ومع أن المونوفيسية كانت قد تقلصت بالاضطهاد الى أقصى حد من الجزر فقد استطاعت مع ذلك البقاء بمساعدة الامبراطورة ثيودورا في القسطنطينية رغم أن زوجها جستنيان حابي للملكيين وهيات لاثنين من المونوفيسيين أن يرسماً مطرانين ، هما ثيودور ويعقوب البرادعي . وتسلم يعقوب البرادعي كرسي أبرشية الرها في سنة ٥٤٣ وقيل ٥٤٤ وسمي بالبرادعي لأنه كان يستعمل لباد الخيل معطفاً له . ويوصف بأنه « أنجز أعمال الكهنوت لجميع المؤمنين الأرثوذكس ليس بتنظيم الأكليروس ورسامة الكهنة وحسب بل بتغذية ومؤاساة وتنوير وتشجيع وتعليم جميع المؤمنين في كل مكان أيضاً . . . . . وحيثما ذهب كان ينهي أعماله الارسالية في ليلة ويوم واحد ، ثم يمضي ليلته التالية في مكان آخر على بعد ثلاثين أو أربعين ميلاً . وعندما كانت أخباره تصل مقاطعة ما كان الذين يلاحقونه يسرعون للقبض عليه ، ولكنهم ما يلبثون أن يدركوا أن الرجل الشجاع أصبح في مقاطعة أخرى ينجز أعماله البطولية هناك ، فيفتاظون أشد الغيظ ويعضون على أصابعهم حنقاً . . . . . ورفض باصرار السماح حتى لرفيق السفر معه أن يحمل ذهباً أو فضة أو برونزاً ، بل أي طعام في ترحاله . . . . . كذلك ما كان يسمح لنفسه بالاستفادة من حيوان للركوب أو لحمل الأثقال ، بل كان يتنقل من مكان الى آخر مشياً على قدميه ، لأنه علاوة على النعمة الالهية التي كانت تحصنه كان يتمتع بجسم سليم » . أسس يعقوب البرادعي كنائس في سوريا وما بين النهرين وآسيا الصغرى . ورسم سبعة وعشرين أسقفاً ، أما الكهنة فقد رسم منهم عدداً غفيراً - يقال بلغ المائة ألف - حتى أن بطريك القسطنطينية أرسل له كتاباً يعاقبه على ذلك ودياً . كان وقع شخصيته عظيماً حتى غدا المونوفيسيون يعرفون بالدارج باسمه : « يعاقبة » . ( توفي سنة ٥٧٨ ) صرف القليل من وقته في الرها ، ولكن الرها بواسطته غدت شهيرة كمركز للعقيدة المونوفيسية (٧٠) . أما

٧٠- كان دير يعقوب البرادعي بسيلثا قرب تلا . وتوفي في طريقه الى مصر ليبت في أمر نزاع نشب في الاسكندرية ودفن على الحدود المصرية . ويقال ان جثمانه نقل سرا في سنة ٦٢٢ ودفن ثانية في ديريه بسيلثا .

حزب الملكيين فقد تابع الحياة في الرها وكان لهم مطارنتهم وكنائسهم وأديرتهم الخاصة في المدينة . وفي زمن يعقوب البرادعي كان مطران الملكيين يدعى أمازونينوس ، وشيد كاتدرائية الملكيين الشهيرة الجميلة . أما المطارنة الذين خلفوه في الرها فهم أبيفانيوس وسيفيروس ( قتلته القائد نارسي ) وثيودوسيوس .

كان الاضطهاد المونوفيسي قد خف في السنوات الأخيرة من حكم الامبراطور جستنيان . وفي بداية حكم جستين الثاني ( ٥٦٥ - ٥٧١ ) جرت محاولة لتوحيد الكنيستين ولكنها فشلت وبدأ الهجوم على المونوفيسيين مرة أخرى . وعمت موجة أخرى من الاضطهاد أثناء حكم الامبراطور موريس ( ٥٨٢ - ٦٠٢ ) . وأتى أسقف ميليتين وهو ابن أخي الامبراطور ، الى الرها وأمر رهبان دير الشرقيين بأن يقبلوا بالمجمع الخلقيدوني . لكنهم رفضوا ذلك فذبح حوالي أربعمئة منهم في الخندق ، خارج الباب الجنوبي للرها ( الذي كان لا يزال يسمى باب بيت شمش ) . وبعد حين أقيم هناك معبد لاهياء ذكرى الشهداء . وقتل آخرون كثيرون من المونوفيسيين وجر العديد منهم من الكنائس أثناء اشتراكهم في القداس ، واستولى الملكيون على كنائس المونوفيسيين وأديرتهم . ثم خف الاضطهاد مع الزمن وأتى الى نهايته وذلك تم ، كما يدعي المونوفيسيون ، بواسطة تدخل قوى خارقة من خسوف أو زلزال أو طاعون أو قحط رد شر المضطهدين على رؤوسهم لما اقترفوه من أعمال .

وفي سنة ٦٠٩ فتح الملك الفارسي خسرو الثاني أبرويز الرها وفرض على سكانها مطرانا نسطورياً . وأسيء معاملة المونوفيسيين في البداية وفر مطرانهم بولس الى قبرص . ولكنهم فضلوا فيما بعد على الملكيين الذين كانت السلطات الفارسية تقرنهم مباشرة مع بيزنطية الامبريالية . ويبدو أن الأساقفة الملكيين طردوا من جميع أنحاء ما بين النهرين وسمح للمونوفيسيين من جهة أخرى بأن يقوموا بشعائرهم الدينية بحرية وأن يستعيدوا كنائسهم ، وأرسل أسقف يدعى يونان من بلاد الفرس لكي يقوم بالمهام الكهنوتية لطائفة اليعاقبة في الرها . وبعد حين بَدل المطران يونان بأخر يدعى أشعيا بعد أن مكث في الرها مدة قصيرة ، ويجدر بالملاحظة أن أشعيا كان ينتمي كيونان الى الفرع الشرقي للكنيسة اليعقوبية . ومن الواضح أن الفرس اعتبروا تعيين مطران قد يقبل بسلطة أنطاكية الكهنوتية أمراً غير ملائم .

ورحب المونوفيسيون باعتلاء الإمبراطور فوقس على العرش بعد أن خلع مضطهدهم موريس عن العرش ، مع أن فوقس كان خلقيدونيا مخلصاً يرفض المبادئ المونوفيسية . ومهما يكن من أمر فقد خلع فوقس بدوره من قبل الإمبراطور هرقل . وزار الإمبراطور الجديد الرها أثناء حملته في الشرق حوالي سنة ٦٢٨ . وتأثر تأثراً شديداً بالاستقبال الذي قوبل به وبعده الرهبان وطلاب العلم في المدينة . وعندما علم بأنهم مونوفيسيون صمم على أن يرجعهم إلى الكنيسة الرسمية ، معلناً « كيف لنا أن نهجر شعباً يثير الإعجاب كهذا ( ويسمح لهم بالبقاء ) خارج ( طائفتنا ) ؟ » ، ولكن نواياه السياسية أحبطت بما سماه أحد المؤرخين المونوفيسيين أنفسهم « بحرارة الحماس أو ، لنقل الحق ، لبساطة أو لنقص في التربية » اتصف بها المطران أشعيا اليعقوبي . فقد رفض هذا أن يسمح للإمبراطور هرقل بتناول القربان في الكاتدرائية ، وهو من امتيازات الإمبراطور ، إلا إذا لعن أولاً المجمع الخلقيدوني وطومس لاون الذي بنيت عليه قوانين المجمع . وثار غضب الإمبراطور ، فطرد المطران من الكاتدرائية وسلم كنائس المونوفيسيين إلى الملكيين . وانقلب العديد من الرهبان المونوفيسيين وانضموا إلى خصومهم ، ورافق أشعيا إلى المنفى أعضاء العائلات الأرستقراطية في الرها الذين منحوا الكنائس المحلية المونوفيسية « كنوزاً من الذهب والفضة ( وريع ) الجنائين والطواحين والدكاكين والحمامات » أملى في أنهم سيسترجعون أملاكهم بعد رجوع هرقل إلى عاصمته . ولكنهم لم يستطيعوا التنبؤ بالطوفان الذي سيفرق الشرق الأدنى برامته عما قريب . كانت بلاد ما بين النهرين قد فقرت ووهنت بسبب الحروب المستمرة ، فغدت فريسة هينة للعرب ، وسقطت الرها في سنة ٦٣٩ على يد القائد العربي عياض بن غنم (٧١) .

وذقة في الرسميات أمر العرب المسلمون مسيحيي الرها بأن يحافظوا على الوضع الذي كان قائماً عند سقوط المدينة . ولذلك احتفظ الملكيون بأملاك وكنائس خصومهم . ويعلق المؤرخ المونوفيسي ميخائيل السرياني على هذا ، بروح فلسفية .

« اله الانتقام . . . . عندما رأى قسوة البيزنطيين الذين أينما حكموا نهبوا كنائسنا وأديرتنا بقسوة وحكموا علينا دون رحمة ، أتى من البلاد العربية بأبناء اسماعيل لتخلص بواسطتهم من أيدي البيزنطيين . وفي الحق

٧١- كان عياض بن غنم الفهري من الذين حاربوا مع خالد بن الوليد في فتوح العراق والشام ، وكان الذي أرسله لفتح الرها عبيدة بن الجراح . ( المترجم )

لقد عانينا بعض الأضرار لأن الكنائس الجامعة التي انتزعت منا وأعطيت للخلقيدونيين بقيت في أيديهم - إذ عندما خضعت المدن للمسلمين أعطوا كل طائفة ما وجدوه من المعابد في حوزتها . وفي هذا الوقت راحت كنيسة الرها العظيمة . . . من بين أيدينا . ومع ذلك لم تكن الفائدة لنا قليلة ، لأننا بهذا خلصنا من قسوة البيزنطيين وشرهم وحقدهم وحماسهم المرير ضدنا ، واسترحنا » . ان كراهية المونوفيسييين الرهاويين للملكيين فاق حتى خوفهم من المسلمين .

## الطائفة اليهودية

ان تأثير العلم والتقاليد اليهودية على المسيحيين الأوائل في شمال ما بين النهرين ظاهر في كتابات أفرهاط الذي عاش في الموصل في النصف الأول من القرن الرابع ، ومقالاته من أقدم مقالات آباء الكنيسة السريان وأثرت تأثيراً عميقاً على معاصريه . وكان لأفرهاط معرفة بالترغوم والتلمود ولو أن معرفته بهما لم تكن بالضرورة معرفة مباشرة . وكان يستعمل الترتيب الزمني اليهودي وحتى بعض استعاراته في بعض المقاطع اليهودية . ومن المحتمل أنه كان على علم بالعبرية . وهناك شك ضئيل في أن اخوانه المسيحيين في هذه المنطقة ، كبقية المسيحيين في الأماكن الأخرى ، كانوا متمسكين ببعض الممارسات اليهودية . فكانوا يتجنبون مثلاً أكل اللحم قبل ازالة الدم ، ويأكلون في الفصح الخبز الفطير . صحيح أن بعض خطب ومواعظ أفرهاط موجهة ضد اليهود ، ومجادلاته اللاهوتية تتبع خطوطاً معروفة ولا يكبح هجماته على اليهود - ولكنها هجمات على العقيدة اليهودية وعلى اليهود الذين كانوا معاصرين ليسوع ، وليس على اليهود المعاصرين له . وهو يكتب بدون ضغينة ، ويخاطب عدة مرات مناقشاً يهودياً منادياً اياه « أيها الطبيب » أو « أيها الرجل الحكيم » .

اننا عندما نتجه نحو الرها نجد أن الموقف هناك هو نفسه . والاشارات عن اليهود في «كتاب شرائع البلدان» الذي يعزى تأليفه الى مدرسة برديسان والذي كتب ، ربما ، في القرن الثالث ، ليست عدائية . انها تشدد على المحافظة على شرائع الختان ، وعلى استراحة اليهود من العمل في أيام السبت أيما سكتوا . ولكن الوضع في النصف الثاني من القرن الرابع كان مختلفاً جداً ، والنفور بين المسيحيين واليهود كان قد أصبح عميقاً . وكتابات القديس أفرام تظهر عداءً مريراً تجاه اليهود ، ولو أنه ، كأفرهاط ، كان مديناً بصورة كبيرة الى مثل التعليم اليهودي لبناء مناقضاته ومنطقها . اننا

تستطيع أن نخمن فقط أسباب هذا التغيير ، وهي موجودة بصورة أكيدة تقريباً في مجرى الأحداث التي كان أفرام ممثلاً فيها . ففي الصراع بين الأهالي المسيحيين والفرس في نصيبين يبدو أن يهود نصيبين ساندوا الفرس . لقد كانوا في صف واحد ضد بيزنطية . صحيح أن الامبراطور جوليان عمل باتجاه اليهود وكتب عنهم ببعض اللطف والعطف . ولكن عطفه كان ناشئاً عن كراهيته للمسيحية . كان اليهود يبادق شطرنج في صراع الوثنية اليانس ضد قوة المسيحية النامية . ويكتب سوزومين ان جوليان بانحيازه لليهود « لم يكن مدفوعاً بأي احترام لدينهم . . . ولكنه فكر بتكدير صفو المسيحيين بانحيازه لليهود . . . وربما وضع في حسبانته أيضاً اغراء اليهود على اعتناق الوثنية وتقديم الأضاحي » (٧٢) .

لا بد أن النقطة الحاسمة في العلاقات اليهودية المسيحية في الرها كانت قد نشأت بعد المعاهدة بين بيزنطة والفرس سنة ٣٦٣ . فموجب هذه المعاهدة خططت الحدود بين الامبراطوريتين بشكل حاد . ووقعت الرها في مدار بيزنطة بثبات وأصبحت نصيبين معقلاً فارسياً . أما بالنسبة لتجار غربي ما بين النهرين فقد كان معنى ذلك الفقر والانحلال ، لأن الحدود قطعت طريق القوافل التي كانت تحمل عليها ما تنتجه الهند ، والشرق الأقصى . وكذلك عنت المعاهدة للمسيحيين غربي ما بين النهرين الانعزال عن مركز عقيدتهم العظيم . ولكن بالنسبة ليهود الرها الذين كان ارتباطهم بنصيبين حيوياً فقد كانت المعاهدة كارثة عليهم لم يستطيعوا الافلات من وقرها بتاتاً ، وبقوا بدون نصيبين دون قيادة ، رازحين تحت الفقر ، ولم يكن لهم من يلجأون اليه طلباً للمساعدة . وكان سلطان الوثنيين السياسي ، وهم حلفاء لا يعتمد عليهم وقت الحاجة ، قد تحطم بموت جوليان ، ولم يعد المسيحيون في حاجة لليهود كحلفاء في صراعهم ضد العالم الوثني . وكان اليهود محتقرين ومرفوضين . وفي سنة ٣٨٨ أحرق المسيحيون كنيسة لهم في كالينيكوس . وأمر ثيودوسيوس المسيحيين بأن يعيدوا بناءه ، ولكن الأمر الامبراطوري ألغي بدافع من امبروز ، حتى انه رفض اعطاء تعويض مالي لليهود . وجددير بالاهتمام ان الامبراطور المتسامح شعر بالاضطرار لاصدار

٧٢- يروي أميان ، وهو شاهد مستقل ، كيف حاول جوليان أن يعيد بناء الهيكل في اورشليم ولكن كرات من نار خارقة للطبيعة صدمته عن ذلك . وتوسع الكتاب المتأخرون كثيراً في سرد هذه الحكاية . وسرعان ما تموهت أعمال جوليان بالأسطورة . ونكاد لا نستطيع أن نتبع ابن العبري عندما يدعي بأن مسيحي الرها « ذبحوا اليهود الذين كانوا في جوارهم » عند سماعهم أن جوليان قد ذهب الى حران « وقدم القرابين للأصنام وكرم اليهود » .

تعليماته الى السلطات العسكرية في الشرق بمعاقبة من ينهب كنيسة أو يتدخل في شؤون اليهود أثناء قيامهم بممارستهم الدينية • وكانت الرها تختلف عن الأماكن الأخرى في الامبراطورية البيزنطية بالدرجة فقط • وفي جميع أنحاء الامبراطورية في غضون القرن الخامس كان المسيحيون الأرثوذكس فقط مسموحاً لهم أن يعينوا كموظفين رسميين في الدولة • وكان قد أصبح مجرد لفظ كلمة يهودي مجلبة للخزي والعار •

ويهاجم القديس أفرام ممارسة اليهود للختان ويوم راحتهم في السبت وشرائعهم المختصة بطعام الحمية • ويسأل العقيدة اليهودية بازدراء :

« أين جمال شبابك ، ومجد خطابك ؟ ••• أين ثناؤك وشرفك ، وزينتك وبهاؤك ؟ أين هو البيت الذي أقامه الملك سليمان لمجدك ؟ أين الكاهن ••• الذي قام بخدمتك ؟ أين الزنار الذي كان يتمنطق به ، والسلسلة والعمامة أيضاً ؟ أين الكتان البديع القرمزي والجرس الذهبي والرمان ؟ ••• أين هي اجتماعاتك المهيبة ، وأقمارك الجديدة وأعمالك الطقسية المعبرة ؟ لقد توقف فرحك مع صوت رقصك وغنائك ، ها ان أناشيدك هي نواح الجنائز في فمك وقم أبنائك » •

ويصيب اليهود كقتلة ليسوع • ويكتب ان الموت يعلن أن : « أموات اليهود مكروهون جداً لدي ، وحتى رائحة عظامهم كريهة لدي في الهاوية ، حينذا لو كنت أستطيع ايجاد وسيلة لأقذف بعظامهم خارج الهاوية لأنها تشيع النتن فيها • واني لأستغرب كيف أن الروح القدس سكن بين شعب رائحته زنخة » •

عندما أصبحت المونوفيسية العقيدة السائدة في شمال غربي ما بين النهرين أضحى موقف اليهود يرثى له • وهوجمت العقيدة النسطورية بتعصب شرس • وبالأماكن اعتبار النسطورية بدرجة معينة قريبة جداً لعقائد اليهود • وعلى مر الزمن كان النساطرة قد تساووا مع الفرس • وحقر رجل ديني مونوفيسي المطارنة الملكيين بأنهم « رجال غير ورعين ، مرتدون ، ويهود جدد(٧٣) » • ونقرأ أيضاً عن « ظلمة مذهب ذلك الرجل نسطور - أو بالأحرى البشاعة والشناعة اليهودية - أي ثنائية طبيعة ( يسوع ) (٧٤) ، وكذلك حقر الأمبراطور المونوفيسي أنستاسيوس ، الأكليروس النسطوري الذي في عاصمته قائلا : « أيها اليهود الملاحين » ،

٧٣- ايليا الداري في يوحنا الافسسي ، سير •

٧٤- سويريوس الأنطاكي •

وردد صدى كلماته رعا ع القسطنطينية الذين صاحوا وراء البطريرك النسطوري « لا أحد يريد هذا المطران اليهودي » ، وحتى آباء الكنيسة في القسطنطينية الذين حضروا المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ صاحوا بصوت واحد : « الى المنفى بدْيوسقورس الاسكندري ! لقد لعن الله ديوسقورس !... كل من يتناول القربان من ديوسقورس هو يهودي ! » . فلا نعجب اذن عندما نرى المونوفيسيين الرهاويين القرويين يهتفون ضد المطران هيبا « النسطوري » يلعنونه قائلين « لا أحد يريد عدو المسيح ! ولا يرغب في عدو الأرثوذكسية أحد ! لا أحد يريد يهودياً كمطران ! ٠٠٠ لا أحد يريد صديق اليهود ! لا أحد يريد عدو الله ! » . وبعد قرن من الزمان توعد المونوفيسيون مضطهدهم مطران آمد و نعتوه ب « قاتل ويهودي » (٧٥) .

صحيح أن هناك بعض اشارات الصداقة بين اليهود والمسيحية في الرها مدونة من قبل مدونين للأحداث ولكنها قليلة . ونُخبر أن يهود الرها اشتركوا في الحداد العام على وفاة المطران رابولا سنة ٤٣٥ . ونخبر أيضاً بأنهم شاركوا المسيحيين السذج في الدهشة بأعجوبة البيضة التي وضعتها أوزة في بلدة زوغما وعليها كتابة سحرية أنبأت عن انتصار بيزنطة على الفرس سنة ٣ - ٥٠٤ . غير أن الانحطاط المادي والثقافي لليهود لم يكن بالمستطاع ايضاحه . ولقد كان بأمر من الامبراطور ثيودوسيوس الثاني ان حول المطران رابولا كنيسة لليهود في الرها الى كنيسة للمقديس اسطيغان . ويعلمنا كاتب سيرة حياته أنه تقبل آلاف اليهود في العقيدة المسيحية . وفي الفقر الشامل الذي اجتاح ما بين النهرين البيزنطي عانى اليهود ربما أكثر من جيرانهم المسيحيين . وفي مجاعة سنة ٤٩٩ - ٥٠٠ التي عمت الرها سمح للنساء اليهوديات بخبز الخبز . ومهما يكن فان شراء الدقيق كان فوق ما يستطيعه يهود الرها . ومنح الدقيق للنساء اليهوديات من المخازن العامة .

لم يكن استعمال العنف الجسدي ضد اليهود بعيداً عنهم . ووصف يوحنا الأفسسي المآثر التي تشمئز منها النفس لتناك منعزل في قرية قرب آمد : فقد كان يجد لذة في تعذيب اليهود وبالأخص بحرق كنسهم . ويقص يوحنا حكايته بثناء ورع على بطله . ولكن هذا كان عمل متعصب مغمور . وكانت السلطات البيزنطية في اقليم الرها عادلة عادة في معاملتها لليهود . وفي قرية تلا التي تبعد حوالي مئة كيلو متر من الرها أتى ابن الأسقف

٧٥- يوحنا الافسسي في تاريخ احدث زوقنين .

صفرو ونيوس بيهودي يدعى حز يقايوس الى القصر الأسقفي عندما كان والده غائبة سنة ٤٤٨ وأكل معه « طعام اليهود » وربما كان خبز الفطير وهو ممنوع على المسيحيين بموجب قوانين كنسية (٧٦) ، وجعله يجلس معه على المائدة حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر ، وذلك أثناء أسبوع العنصرة عند صيام المسيحيين . وبعد هذا أدخل اليهودي الى الكنيسة أثناء قيام الصلاة . ولكن هذا كان كثيراً على أهالي تلا ، فطردوا الرجلين الى الخارج فأعطاهما القائد الرومي حماية في مركز حكمه ( البريتوريون ) واتهم اليهود في نفس البلدة سنة ٢ - ٥٠٣ بالتآمر على تسليم المدينة الى الجيش الفارسي الذي كان عندئذ يحاصر الأسوار ، فقتل ذلك مذبحه رهيبة . وفي القرن السابع تدهورت العلاقات بين الحكومة البيزنطية ورعاياها اليهود حتى قيل ان مشاعر اليهود كانت مع الفرس أثناء حروب تلك الفترة . وطرد ثيودور أخو الامبراطور الفرس من الرها . ويتابع محدثنا مدون الأحداث : « ثم أمر يقتل اليهود الذين في الرها لأنهم ساعدوا الفرس في ايداع المسيحيين . وعندما بدأ في قتلهم قام واحد منهم وأتى الى هرقل ( في تلا ) . . . . وسأله أن يحفظ حياتهم وأن يعاملهم بلطف . فكتب هرقل الى ( أخيه ) . . . . وعندما وصله المکتوب كف عن قتلهم » (٧٧) .

ومع كل ذلك ، ولو أن حياة يهود الرها سلمت ، فقد كانوا مضطرين الى الاختيار بين المعمودية وبين نفيهم الى بلاد فارس .

## وثنيو الرها

في هذه الفترة من التاريخ ينزوي وثنيو الرها في الظلال غامضين مترددين ، ويموت الامبراطور جوليان أقل نجم الوثنية في الامبراطورية البيزنطية ، وبقيت المذاهب الوثنية في روما وأثينا كئيبة . كان لها أتباع في بيروت والاسكندرية ولكن بمحابة وتستر السلطات المحلية . وحتى في القسطنطينية نفسها حاول أفراد قلائل فقط تقديم تخشعاتهم لآلهتهم خلسة . أما في ما بين النهرين فقد كان البدو يقدمون الضحايا وقيل ضحايا بشرية أحياناً للكوكب بلثي أو العزسي ، ونسأؤهم تسكب الخمر قرباناً للآلهة على أسطح المنازل .

٧٦- أعلن مجمع اللاذقية في القانون ٣٨ : يجب الا يقبل أحد خبز اليهود الفطير أو أن « يشترك في كفرهم » .

٧٧- اغاييوس محبوب المنبجي .

كان مركز الوثنية العظيم في شمال غربي ما بين النهرين حران وبينما كانت الرها تتباهى بشهرتها كبطلة للتعقيدة المسيحية العالمية تشبثت حران بعناد أكثر بمذاهبها المحلية المختصة بالاله القمر سين والكواكب الأخرى . وفي سنة ٣٦٣ أتى الامبراطور جوليان ليقدّم احتراماته على هياكلها . وحكاية هذا الامبراطور الشاب الفيلسوف الذي وضع نفسه في دور الاسكندر ولكنه لقي حتفه في معركة ضد الفرس ، كان لها أثر واضح في معاصريه . وقد أضاف وقوداً الى المعركة بين حران والرها . ويخبرنا اميان بأن جوليان « تأخر في [ حران ] للتحضيرات الضرورية ، ولكي يقدم القرابين بموجب الطقوس المحلية الى القمر . . . أمام المذبح دون أن يشاهده أحد » . وقصة زيارته وسّعها ثيودوريط بتفاصيل مخيفة ولكنها غير ممكنة وذلك بعد سبعين سنة . ولا شك في أن الطائفة المسيحية في حران بقيت لمدة طويلة لا شأن لها . ولا نسمع عن أسقف لحران قبل سنة ٣٦١ ، عندما نقل برساي من حران الى الرها - ولكن يبدو أن برساي لم يغامر في البقاء في حران أما خلفه في المدينة فيتوس المتكشف فقد كان نجاحه قليلاً هناك ووجدت الراهبة ايغريا حران مدينة وثنية بأكملها « ما خلا بضعة من الأكليروس والرهبان الأبرار » . وفي سنة ٤٤٩ تطلبت « مدينة الوثنيين » مطراناً ذا مواهب كي تجذب أعماله الصالحة الوثنيين وتكسبهم الى جانبه . ولكن عوضاً عن ذلك عين هيبا الرهاوي ابن أخيه دانيال على كرسيها ، ( ويُزعم ) انه كان شاباً منحل الأخلاق . ويقال انه تقبل عطايا الوثنيين على المذبح ممن كانوا يخافون العقاب على خطاياهم وهذا مخالف لأشرايع الكنيسة . ولعله حاول بهذه الطريقة اقناعهم بمزايا المسيحية الطيبة . ومع ذلك ، بعد مضي عدة قرون على مجيء الاسلام ، كان لا يزال الكتاب المسيحيون يشعرون بنسمة من الغموض الدنس فوق منطقة حران ، حيث وجد البنائون هياكل بشرية متحجرة في الصخور . وكانت سمعتها قد وصلت حتى فارس بأنها موطن الفنون السحرية الشريرة . ورفض ملك الفرس خسرو الأول أن يقبل النقود من مواطني حران الذين أتوا ليقدّموا فدية عن مدينتهم في سنة ٥٤٠ ، وقال ان هبتهم « لا تخصصه لأن معظمهم ليسوا مسيحيين بل أتباع الدين القديم » .

كانت مشاعر الكتاب الرهاويين نحو حران وسكانها الوثنيين تمتلج باحتقار متولد عن فضيلة واعية . وأعلن القديس افرام في القرن الرابع بنعمة خالية من الفكاهة ، اذا اعتبرنا العصر النسبي للرها وحران :

« مياهاك مريرة وأبناؤك خشنون • طيَّبني نفسك بالصليب يا حران  
••• ان كنزي ، يا حران ، هو في ضواحيك ، انه الرها الجميلة الشهيرة  
أيتها الابنة كوني كامك التي هي ملح العالم وتبلي بمقيدتها فكرك ••••  
قدرة أنت يا حران ، انظري ان مراتك جميلة ونقية ، زيني نفسك بها  
تلك المباركة التي هي أمامك » •

وهو في أماكن أخرى أكثر بحثاً للطائفة :

« في حران أتوا بالأشواك في رغبات [ الرجال ] ••• [ ولكن ]  
الأشواك تبدلت الى ورود وزنايق ، تاجاً للفلاحين الذين حملوا تاج الأشواك  
••• ان طريق المصالحة ودرج الفرح يمتد من الرها الى وسط حران ،  
ويذهب الناس في وئام من كنيسة الى كنيسة » •

ولكن هل كانت الرها نفسها والتي توجهها الشعراء بنموت ك « أول  
خطبة للمسيح » خالية من العيب ؟ ان تلميحات عرضية في التوارينخوسير  
الحياة ومعلومات مبشرة من مصادر أخرى تمكنا من بناء صورة مغايرة •  
وحتى « تعاليم ادائي » تقر ان المذبح الوثني القديم في وسط المدينة بقي  
قائماً عندما تحول الكهنة الوثنيون الى المسيحية • وكان لا يزال هناك  
مذبح وثني قائماً في فترة متأخرة في دير « نفشاثا » أي « الأضرحة البرجية »  
على التلال جنوبي الرها (٧٨) • وبقيت أسماء ذات قرائن وثنية حتى  
القرن السادس ، مثل كيفار صلم ( قرية الصنم ) خارج اسوار الرها ،  
وكيفار نابو ( قرية نابو ) • وبعض هذه باق حتى اليوم مثل ساريمغارة أو  
سانيمغارة ( كهف الصنم ) • وكانت هناك طائفة مانوية في الرها في القرن  
الرابع وما بعده • وبإمكاننا أن نستذكر الجملة البارعة التي قالها  
القديس افرام : « لأن ماني كان عاجزاً عن أن يجد مخرجاً آخر ، دخل ،  
ولو من غير رضى ، من الأبواب التي كان يرديسان قد فتحها » • وكانت  
أغاني برديسان شائعة ومحبية في زمن مار افرام • وذهبت جهوده عبثاً  
عندما حاول أن يستبدل بها أناشيده وجوقاته الخاصة لأنها بقيت شائعة  
حتى أيام رابولا •

وأمر الأمبراطور ثيودوسيوس في سنة ٣٨٢ بأنه يجب السماح  
لهيكل وثني في أوزروين ، ولربما في الرها ، بأن يبقى مفتوحاً للجمهور  
- مما يدل على أنه كان هناك طلب لاغلقه - ولكن القرابين التي تطلبت

انزال الوحي يجب ألا تنجز هناك (٧٩) . وسنّ الأباطرة فيما بعد قوانين ضد الطقوس الوثنية ومع ذلك يبدو انها لم تطبق بصرامة في أنحاء الإمبراطورية . ومن الجلي أنه كان لا يزال هناك في القرن الخامس أربعة معابد للأصنام في الرها ، تم هدمها على يد المطران رابولا . وأخيراً هناك آثار لمذهب عبادة الأفعى في الرها . ويدعو مار أفرام الهرطقة « أولاد الأفاعي » ويدعي بأنهم « يسحرون الأفعى ويفتنون العقرب » ولهذا صدى في ابن العبري الذي يكتب عن « هرطقة الأدرين ، أي الذين يعبدون الأفعى » . وبإمكاننا أن نستذكر أن مؤسس السلالة الملكية في الرها يقول عنه أحد المؤرخين انه كان يدعى أورهي بن حيويا أي حية (٨٠) . وفي كهف كبير تحت السور تماماً غربي أورفا هناك أفعى والى جانبها رأس ثور وقرص منقوشة على كلا جانبي المحراب الأوسط .

وفي نهاية القرن الخامس احتفل الرجال في الرها بمهرجان وثني بالربيع وهم في بهجة وخشوع عميقين ، وفي أيار من سنة ٤٩٦ : « كانوا حاضرين ٠٠٠ في ليلة الجمعة [ في المكان ] حيث كان الراقص ٠٠ يرقص . وأشعلوا قناديل لا حصر لها احتفاء بهذا المهرجان ، وهي عادة لم تكن معروفة من قبل في المدينة . صفوا القناديل المضاءة على الأرض على طول النهر ، من باب المسرح وحتى باب الأقواس . وضعوا القناديل المضاءة على حافة النهر وعلقوها في الأروقة المسقوفة وفي قاعة المدينة وفي الشارع العام وفي أماكن أخرى عديدة »

وبعد سنتين . في سنة ٤٩٨ ، يوصف المشهد ثانية : « وأتى زمن ذلك المهرجان مرة أخرى حيث راحت الحكايات الوثنية تغنى . وأبدى المواطنون مشقة واهتماماً به أكثر من المعتاد وكانوا قد بدأوا في الذهاب قبل الموعد بسبعة أيام وهم يفدون زرافات الى المسرح وقت المساء مسرلين بحلل الكتان والعمائم على رؤوسهم ، وأحقاؤهم غير منمنقة . كانت القناديل مضاءة أمامهم ويحرقون البخور ويسهرون طيلة الليل يسرون

٧٩- ان افادة جوليان ( Or ، iv ) بأن الشعب الرهاوي عبد الشمس وموثيموس وعزيزوس يجب أن تؤخذ بعين الحذر . ( اما الاسمان الأخيران منعم وعزيز فيحتمل أنهما يمثلان سيماء المساء والصبح لكوكب الزهرة ) . ولا ريب في أننا يجب أن نقرأ « Emesa » حمص ، التي كانت شهيرة في مذهب تبجيل الشمس ، بدلاً من « Edessa » اديسا . ومن الملاحظ أن مار أفرام الذي كان معاصراً لجوليان لا يشير اطلاقاً لعبادة الشمس في اديسا ( الرها ) .

٨٠- راجع الصفحة ٥ حاشية ٤ .

في أنحاء المدينة يمتدحون الراقص حتى الصباح بالغناء والصباح  
وبالتصرفات الخليعة . لهذه الأسباب أهملوا الذهاب الى الصلاة أيضاً .  
وما فتئوا يقولون ان سكان المدينة في الأزمان القديمة كانوا بلهاء وحمقى  
ولم يكن هناك من يحذر أو يوبخ أو يرشد (٨١) .

يبدو أن المؤرخ يدعي القول بأن المهرجان لم يكن بدعة في الرها بل  
ان اضاءة القناديل في هذا الاحتفال لم يكن معروفاً هناك من قبل . ولا  
ريب في أن المهرجان كان ، كما يقر ، وثنياً وشائعاً . وفي السنة التالية  
يظهر أن وباء من الجراد كان السبب في الغاء المهرجان . وفي سنة ٥٠٢  
أصدر الامبراطور انستاسيوس أمراً يمنع فيه اقامة حفلات الرقص علناً .  
وفي سنة ٥٢١ كتب يعقوب السروجي في رسالة :

« من اللائق أن تكون [ الرها ] البكر الملية بالفضيلة في كل  
الأزمان ، لأنها أرض مباركة تقبلت البذر الصالح وأنتجت غلة من أول  
الثمار بايمان صادق ولو أنها أنمت بعض الأعشاب الطفيلية ولكنها قليلة،  
ويجب ألا تحتقر بسببها أو ان تدعى حقلاً من الأعشاب الطفيلية » .

كان يعقوب السروجي رجلاً لطيفاً يفكر بالخير في بني جنسه . ولكن  
قبل هذا بزمن اضطر لأن يكتب توبيخاً لطيفاً لراهب يدعى اسطفان بار  
صدّيله يعرف باسطفان الكاتب يحثه على أن يتذكر العقاب على الخطيئة .  
ويعلن بأنه الأجدر بنا ألا نخسر « في سبيل حياة ممتازة أيامها قليلة مملكة  
السماء التي لا نهاية لها » . [ يجب علينا ] أن نهرب من المسرات القصيرة  
الأجل لئلا نجلب على أنفسنا بواسطتها العذاب الأبدي » . وكان اسطفان  
قد عبر عن عدم ايمانه في أبدية العذاب الجهنمي . وتعلم المزيد عن  
اسطفان من رسالة أخرى كتبها فيلوكسينوس المنبجي الى شيخين من شيوخ  
الكنيسة في الرها قبل حوالي خمس عشرة سنة . وكان اسطفان قد سكن  
الرها ذات مرة أما في ذلك الوقت فقد كان ساكناً قرب أورشليم . ويدعي  
فيلوكسينوس أن اسطفان كان قد عبر عن آراء تجديقية في رسائل وكتب  
أرسل بعضها الى الشيوخ علم فيها تعاليم « حمقاء كفرية » وادعى بأن  
جميع المخلوقات باستطاعتها أن تصبح كالألهة ، وأن ليس هناك ديتونة ،  
وان الجزاء نفسه هو حصة كل انسان ، وحتى العفاريت ستكون مساوية

في الجوهر للجوهر الالهي . لقد بشر ، في الواقع بأن جميع المخلوقات ستصل الى حتمية واحدة ، وان هذا سيكون معلوما في سر اليوم الاول من الاسبوع عندما يكون الله الكل في الكل ، طبيعة واحدة وجوهرأ واحدا والهأ واحداً . وحذر فيلوكسينوس الشيوخين بالآ يسمحا لهذه الكتب بأن تقع في أيدي الآخريين وبخاصة « الراهبات الساكنات في نطاق الكنيسة ، لئلا يزيغوا ببساطة وضعف طبيعة المرأة » .

من الواضح اذن ان الآراء الهرطقية كانت معروفة ، لا بل نشأت أيضاً في الرها في هذه الفترة . والأكثر خطورة كان القيام الفعلي بالممارسات الوثنية من قبل قادة المجتمع المحلي . ففي القسطنطينية حوكم عدد من النساء والرجال المرموقين ضمنهم أطباء ومتصوفون وأساتذة علم أمام الامبراطور جوستينيان ، الذي كان قد أمر جميع الوثنيين أن يعتنقوا المسيحية تحت طائل نفيهم ومصادرة أملاكهم . وكانت التهمة قد وجهت اليهم بأنهم يمارسون « الطقوس المانوية » - وهذا وصف لا ينطبق على الطقوس الوثنية - ثم نفذ فيهم الاعدام وصودرت أملاكهم . وفي نفس الوقت تقريباً ألقى القبض على جماعة أخرى من الوثنيين في العاصمة ، فانتحر قائدهم بتناول السم وكان من النبلاء . وبعد حوالي عشرين سنة جرت حركة تطهير أخرى لأشخاص بارزين اتهموا بممارسات وثنية . وكذلك نفذ حكم الموت حرقاً بخمسة كهنة من أثينا وانطاكيا وبعلبك وأحرقت كتبهم الوثنية معهم . وفي سنة ٥٧٨ أو ٥٨٩ علم بأن وثنيي بعلبك كانوا يضهدون المسيحيين ، لربما انتقاماً للخراب الذي حل «بطريقة عجيبة» بهيكلهم العظيم الجميل قبل عشرين سنة . فعاقب الجيش شعب بعلبك بوحشية بأمر من الأمبراطور وقادت التحريات بعدئذ الى انطاكيا واكتشف أن نائب والي المدينة ( الذي انتحر بعدئذ ) كان قد ذهب الى الرها ليحتفل هناك بمهرجان زيوس مع حاكمها أناتولوس . وحاول أناتولوس عبثاً أن يتدبر أمر غيابه في تلك الآونة مع المطران . ثم وجد تمثال لأبولو في بيته فعُذب هو وأمين سره ثم قتل . وكانت التهم توجه بحرية الى الشخصيات المترعمة ومنهم بطريرك انطاكيا أيضاً . واحدى المحاكمات التي غدت قضية شهيرة دامت عدة سنوات في القسطنطينية . وثار الغوغاء في انطاكيا وفي العاصمة حيث ألقى اللوم على عتبة اليهود . ولكننا لم نسمع عن شغب ثار في الرها ، ولو أن البينة على الوثنية هناك بدت أمراً لا جدال فيه . ومن الواضح أن أعمال الوحي في تلك المدينة لم تسترع اهتماماً شعبياً .

لقد اضطهد وثنيو حران وضمنهم الحاكم نفسه اضطهاداً قاسياً من قبل الأمبراطور موريس ، وبمجيء الاسلام في سنة ٦٣٩ تهيأت لهم الفرصة لتحرير أنفسهم من المضهدين البيزنطيين . ولكن قبل تسليم مدينتهم للمسلمين استشاروا أهل الرها وطلبوا ارشادهم . من الجلي انه كان لا يزال هناك طائفة وثنية منظمة في الرها ، وفي نهاية القرن السابع يصف يعقوب الرهاوي مناقشة بين حراني مخلص لعبادة الكواكب وبين رهاوي من أتباع برديسان . هذا كان آخر ذكر للوثنية العلنية في الرها . وحيث أخفق اللاهوتيون المسيحيون نجح المسلمون بأساليب أكثر دقة وذكاء .

مهما يكن من أمر فقد كان اليهود والوثنيون جماعات قليلة ، وفي الأغلب قليلي السلطة أيضاً . ففي القرن الخامس كانت الرها مدينة مسيحية « عظيمة جداً وأهلة ، ذهبت شهرتها في الآفاق لتدينتها » . وكانت أديرتها وأكاديمياتها شهيرة بورع ولوذعية علمائها اللاهوتيين . وكان في داخل المدينة « معابد عديدة ورهبان أتقياء أيضاً » . بعضهم يعيش في المعابد وبعضهم الآخر على بعد من المدينة في أديرة وأماكن أكثر بعداً . وكانت التلال خارج أسوار المدينة قد غدت كخلية النحل بالكهوف الغاصة بالنسك المتخشعين وأحياناً بالمتعلمين أيضاً « بأعداد غفيرة يعيشون حياة فريدة غريبة الى درجة تكاد لا توصف » ، لا يذوقون الخبز ولا اللحم ولا يشربون الخمر . كان طعامهم العشب ، « يعيشون بين التلال يمجدون الله دون انقطاع بالصلوات والترانيم » . هكذا كان ابراهيم ناسك قيديونا الذي يقال انه عاصر القديس افرام : قضى أيامه في الصوم وصلاة الليل والبداذة ، ولكن في التواضع والاحسان أيضاً وقصة افتدائه لابنة أخيه الزائغة يصفها كاتب سرياني برقة نادرة . ويقال أن ثيودوسيوس العمودي أمضى ثمانية وأربعين عاماً على عمود قرب الرها في النصف الثاني من القرن الرابع . وكان العديد من هذه العواميد قد نصبت في ضواحي الرها لهذه الغاية . وحكايات مراسلة الملك أبجر للمسيح ، وصورته المقدسة ، وتبشير واعتناق الرها للمسيحية ، ان كان ذلك بواسطة مار اداي أو تداوس أو توما الرسول، كل هذه كانت معروفة أينما انتشرت المسيحية : من بريطانيا حتى المناطق السحيقة من ايران ، وتوافدت جموع الحجاج زرافات من جميع أنحاء العالم المسيحي لزيارة المعابد المقدسة في الرها للتبرك بعظام مار اداي وأبجر والشهداء شمونا وكورية وحبيب ، وأجساد القديسين توما وقوزما ودميان .

# الحياة في الرها

سنة ٢٤٠ - ٦٣٩ م

## لمحة تاريخية

أتت الملكية في الرها الى نهايتها حوالي سنة ٢٤٢ ، ويعود انحلالها بدرجة كبيرة الى تأثير تدخل الفرس والرومان المباشر في هذه المنطقة وقبل ذلك بأقل من عقدين من السنين ، أي في سنة ٢٢٦ كان الموقف السياسي في وادي الرافدين قد تغير تغيراً أساسياً ببروز السلالة الساسانية واتباع حكام الفرس الجدد سياسة التوسع المستمر واذ كانوا متلهفين لاستعادة الامبراطورية الأخمينية أشعلوا نار الحرب ضد الرومان دون هوادة . واحتل أردشير نصيبين وحران في سنة ٢٣٣ ، وتوعد الرها . وفي سنة ٢٤٣ بدا انتصار غورديان الثالث في راشعينا وكأنه قد دحر الهجوم الفارسي ، ولكن غورديان اغتيل بعد وقت قصير ، وسحب خلفه فيليب العربي القوات الرومانية من ما بين النهرين تاركاً حاميات في المدن الرئيسية فقط .

وعندما تدخل الرومان ثانية جابهتهم الكارثة ، قام شابور الأول بغزوته الثالثة في المنطقة الرومانية في سنة ٢٦٠ وحاصر الرها ، فتقدم فاليريان الامبراطور عبر الفرات لنجدها . ان كتابة شابور المنقوشة قرب برسبولس تسجل اندحار الرومان ووقوع الامبراطور نفسه أسيراً في « المعركة العظيمة في ما وراء حران والرها » . والرها ليست في قائمة المدن التي سقطت عندئذ في أيدي الفرس ولكن الجيش الروماني كان قد تحطم وكان الأمر يبعث على الدهشة لو لم يدخل الفرس المدينة . ومهما يكن من أمر فانهم لم يستطيعوا أن يحتلوها لأكثر من بضعة أشهر . فالجيوش الرومانية بقيادة كاليستوس وأذينة أمير تدمر ضعفت القوات الفارسية عند انسحابها نحو المشرق بعد أن نهبت انطاكيا . وأصبحت تدمر في الاثنتي عشرة سنة التالية سيدة ما بين النهرين ولو أنها

استمرت بالاعتراف بسيادة روما عليها ، وأصبح سبتيموس أذينة على نفسه لقبى « ملك الملوك ، ومخلص الشرف » ولكن سرعان ما أثارت مطامح تدمير الاقليمية غضب روما ، وهُزمت القوات التدمرية في الميدان . وفي سنة ٢٧٢ احتلت الفيالق الرومانية تدمر ، وبذلك سحقت قواتها نهائياً . ومع ذلك لم يستطع قادة الرومان أن يقوموا بهجوم ناجح ضد الفرس . وخطط أورليان وبروبس لحملات في الشرق ولكن طاقاتهم تحالت الى أماكن أخرى . ومات كاروس بغتة قبل أن يستطيع تدعيم انتصاراته في ما بين النهرين . ودحر غاليريوس قرب حران ربما في سنة ٢٩٦ ، ولم يكن الا في سنة ٢٩٨ أن استطاعت القوات الرومانية بقيادة ديوقليتيان الشخصية استعادة ما بين النهرين واملاء الشروط على الفرس ، حيث جعلت الحدود الامبراطورية الى ما وراء دجلة ، وأمتت الحدود بسلسلة من القلاع ، وتلا ذلك أربعون سنة من السلام .

وجدد شابور الثاني المتلملم هجوم الفرس أولاً في ارمينيا ثم في ما بين النهرين ، وحاصر نصيبين ثلاث مرات في السنوات ٣٣٨ و ٣٤٦ و ٣٥٠ ، وسقطت آمد في أيدي الفرس في سنة ٣٥٩ . وفي السنة التالية مكث الامبراطور كونستينوس في الرها يهيئ نفسه لحملة جديدة ضد الفرس ، ولكن أنباء عن ثورة جوليان وصلته قبل قيامه بالهجوم فرجع الى الغرب ليموت في رحلته في تشرين الثاني سنة ٣٦١ . وفي آذار سنة ٣٦٣ ترك جوليان أنطاكيا ليقوم بحملته المعلن عنها كثيراً نحو المشرق ، ويقال ان قواته المجمع من جميع أنحاء الامبراطورية بلغت خمسة وستين ألف رجل ، والعلها أعظم قوة أرسلت في حملة للامبراطورية البيزنطية . ويخبرنا أحد المصادر أن المبعوثين الرهاويين قدموا له تاجاً وهو في مدينة باطناي . ومهما يكن من أمر فانه رفض أن يزور الرها المسيحية . وعضواً عن ذلك مكث فترة قصيرة في حران . غير أن حملة الامبراطور الوثنى الشاب انتهت بكارثة ، مما حدا بالأدباء الأخلاقيين المسيحيين الرهاويين الى تذكير المرتدين المارقين بذلك باستمرار ودون كلل : قهر الجيش الروماني الرئيسي الفرس خارج قطيسفون ولكن التقدم كان شاقاً ، وفي مناوشة ثانوية قتل الأمبراطور ، فانتشل جوفيان القوات الرومانية بهدنة سريعة متنازلاً للفرس عن مقاطعات تقع على كلا الجانبين شرقي وغربي دجلة وعن سينغاره ونصيبين لمدة مئة وعشرين سنة ، ووقع خط الحدود الجديد بين الامبراطوريتين بمحاذاة نهر الغابور الى نقطة اتصال النهرين نيمغيوس ودجلة . ويصف مؤرخ معاصر غضب وحزن الشعب النصيبيني ، الذي كان قد طرد

الجيش الفارسية ثلاث مرات عندما رأى فارسياً « يدخل المدينة ويرفع علم أمته على قمة القلعة باذن من الامبراطور » . ومع ذلك فقد استمر قتال متقطع ، ويعد مفاوضات مستطيلة وقعت معاهدة رسمية في سنة ٣٨٤ .

وفي خلال القرن التالي استراحت بلاد ما بين النهرين من الحرب ما خلا قتالاً منفرداً هنا وهناك كالذي نشب حول نصيبين حوالي سنة ٤٢٤ واصطدام آخر في سنة ٤٤١ . ومهما يكن فان الرها تورطت لمدة قصيرة في سياسات العاصمة . وفي أثناء حكم الامبراطور زينون قام اثنان من قواده هما ليونتبيوس وايلوس بعصيان في أنطاكيا اتخذ الأول لنفسه لقب امبراطور والآخر « مدير الشؤون » ، فأرسل زينون جيشاً لمحاربتهما ففرا . « ولكنهما أرسلوا شخصاً من مسانديهما . . . ليثبت سلطتهما في الرها كمركز حكومة ، الا أن الرهاويين عارضوه وأغلقوا أبواب المدينة وحرسوا الأسوار ، كأنهم في حالة حرب ، ولم يدعوه يدخل المدينة (١) » .

في بداية القرن السادس استأنف كاواد ملك الفرس الهجوم العدواني وكانت معاهدة سنة ٤٢٢ قد اشترطت على البيزنطيين والفرس أن يقدموا مساعدة عسكرية في الجند والمال كل منهما للأخر عند الحاجة ، فتقبل الفرس بموجب هذه المادة منحة سنوية لتغطية مصاريف العمليات لكبح قبائل الهون . وادعى كاواد أن هذه جزية واعتراف بسلطة الفرس على المنطقة (٢) . وأشار البيزنطيون من ناحية أخرى أن نصيبين ما أعيدت الى الغرب في سنة ٤٨٣ بموجب شروط معاهدة جوفيان لسنة ٣٦٣ ، وأوقفوا الدفع . وفي سنة ٥٠٢ هجم كاواد فجأة واحتل مدينة ثيودوسيوبوليس في أرمنيا بواسطة خيانة القائد البيزنطي . وبعد ذلك غزا مقاطعة تلال وحرمان والرها بمساعدة المرتزقة من الهونيين وبدو الحيرة ، وثنى كهنة المجوس عزيمه عن مهاجمة الرها نفسها لأن الطالع لم يكن مؤاتياً . وسقطت آمد في يده سنة ٥٠٣ ، ولكنها دفعت

١ - يشوع العمودي .

٢ - رد هذا الادعاء بعنف من قبل البيزنطيين . ويقص علينا يوحنا الافسي بان أثناء الادعاءات من كلا الطرفين من مبعوثي الفرس والبيزنطيين في بلاط الاتراك في نحو سنة ٥٧١ منح الآخرون الى تمثال نطراجان كان لا يزال قائماً في بلاد الفرس . وعلنوا أنه ليس هناك فارسي يجزؤ على المرور أمام التمثال وهو ممتط حصانا ، وزعموا أن هذا برهان على أن الفرس لا يزالون يعترفون بسيادة روما العليا وخلفائها البيزنطيين .

ثمناً رهيباً لمقاومتها الشجاعة التي دامت سبعة وتسعين يوماً ، وتكبدت مقتل ما ينوف عن ثمانين ألفاً من مواطنيها ، وسعى الامبراطور أنستاسيوس لشراء كاواد « لكي لا يهرق الدم من كلا الطرفين » ولكن عبثاً . وأعلن الحرب في نفس السنة . ويقال ان القوات البيزنطية بلغ عددها اثنين وخمسين ألف رجل . وفي الخريف قام جيش فارسي جبار بمحاصرة الرها ، وهي القاعدة البيزنطية للعمليات في هذه المنطقة ، بالرغم من تحذيرات شيخ مسيحي أن رسالة يسوع تؤكد مناعتها وعدم امكانية فتحها من قبل الأعداء . وقام المواطنون مع الحماية باصلاح وسائل الدفاع مع أنه كان هناك نقص في الامدادات ، وبموجب حكاية شاهد عيان ، ان حفنة من الرهاويين دحروا الفرس وأحلوا خسائر فادحة بالمحاصرين ، ولما وقع هجوم ثان أشد عزمًا ، صده عدد من القرويين الذين كانوا في المدينة . . . [مسلحين] بالمقاليع » ، وبدون تدخل من الجنود البيزنطيين ، وانسحب كاواد بعد أن عبّر عن نغمته على الرهاويين بتهديم كنائسهم وأديرتهم خارج أسوار المدينة وانزال الدمار في القرى المجاورة ، واسترجع البيزنطيون آمد في سنة ٥٠٤-٥٠٥ وانتهت العمليات الحربية بعد حين قصير ، ووقعت معاهدة في سنة ٥٠٦ .

من الواضح أنه بعد موت أنستاسيوس رفض الامبراطور الجديد جوستين الأول أن يدفع المنحة السنوية الى الفرس . وقادت غارات البدو الموالين للفرس وغزوة البيزنطيين لارمينيا الى استئناف الأعمال الحربية على نطاق واسع في سنة ٥٢٧ ، السنة التي مات فيها جستين واعتلى ابن أخيه جستينيان العرش . ومرة أخرى شهد الريف المجاور لنهري البليخ والخابور معارك طاحنة بين البيزنطيين والفرس مما أحل به الدمار . وكان الحظ يتقلب بينهما ، وكسب البيزنطيون معركة في دارا سنة ٥٠٣ ولكنهم ما لبثوا أن انهزموا في كالينيكوس (الرقّة) في السنة التالية . وبعد موت كاواد سنة ٥٣١ ، وقّعت معاهدة في السنة التالية تعهد البيزنطيون فيها بأن يدفعوا مبلغاً ضخماً من المال الى الفرس . ولكن السلام كان قصير الأمد مرة أخرى . وقام الملك خسرو (كسرى) الأول أنو شروان بغزوة في أعماق سورية في سنة ٥٤٠ ورجع الى الوطن عن طريق ما بين النهرين . ويقال انه فعل كوالده كاواد قبل ثلاثين سنة : أراد أن يبرهن على عدم صحة الأسطورة القائلة بعدم امكانية فتح الرها . وعندما وصل الى المدينة أصيب بمرض فتركها كما فعل بتلا ودارا ليشتري مناعتها بمئتي دينار ذهب ، ورجع خسرو في سنة ٥٤٤ ليحاصرها ثانية . ورفض المواطنون شروطه للتسليم

وبرهنت المفاوضات على عدم جدواها . ودافع الرهاويون بشجاعة فائقة عن أسوار المدينة ، مما اقنع الملك الفارسي بالتراجع مقابل خمسمئة دينار من الذهب عوضاً عن الخمسين ألفاً التي كان قد طلبها . وتوصلت الامبراطوريتان الى هدنة في سنة ٥٤٥ أو ٥٤٦ حين سلم البيزنطيون مبلغاً ضخماً من المال الى الفرس . وتوصلا في النهاية الى سلام مدته خمسون عاماً في سنة ٥٦٢ .

لم تكد تنقضي عشر سنوات حتى اندلعت الحرب مرة أخرى عندما رفض جستين الثاني أن يحترم التعهد بدفع الاعانة المالية التي استحققت بموجب المعاهدة . وفي سنة ٥٧٣ حول الفرس خطر البيزنطيين الى نصيبين وحاصروا داراً وهاجموها بعنف وتوغلوا في سوريا ولو أن ذلك لم يتم دون خسائر . وافتتحت المفاوضات في مستهل سنة ٥٧٥ ولكن سرعان ما برهنت على عقمها . وفي صيف نفس السنة غزا خسرو ارمينيا البيزنطية وتقدم غرباً ولكن جيشه أرغم على الانسحاب في فوضى عبر الفرات . وبدأت مداوات الهدنة وطالت من سنة ٥٧٦-٥٧٧ وحتى ٥٧٩ ووصلت نقطة النجاح عندما مات خسرو في مستهل سنة ٥٧٩ . واستؤنفت الحرب مرة ثانية . وبينما كانت الجيوش البيزنطية في الميدان ضد الفرس في الشرق غزا جيش فارسي منطقة الرها وتلا وراشعينا في ٥٨٠ ، وأحرق وأنزل الدمار في الريف . وقاومت الرها بنجاح حصاراً دام ثلاثة أيام . ومرة أخرى هدمت عمارات في شمال المدينة وقتل الفرس الأسرى .

وتبع ذلك نوبات من الصراع ولكن انتصاراً للبيزنطيين تحقق في سنة ٥٨٦ في شرقي تلاً أنقذ الرهاويين من خطر الهجوم . وفي نفس السنة اعتلى الامبراطور موريس العرش . وهدد الخطر سير الحملة البيزنطية في فارس عندما صمم موريس على تخفيض رواتب الجند بمقدار الربع ، وأرسل قائداً جديداً يدعى بريسكوس لاستلام العمليات الحربية سنة ٥٨٨ ، وأتى الى الرها قادماً من أنطاكية ليقضي عيد الفصح في المعسكر ، ولكن عدم شعبيته وأنباء تخفيض الرواتب دفعت بالرجال الى العصيان . والتجأ بريسكوس الى تلاً وبعد مظاهرات عدائية فرّ الى الرها ومن هناك الى القسطنطينية . وحاول الفرس الاستفادة من الوضع فآلقوا حصاراً حول تلاً . ولكن الجيش البيزنطي حافظ على ولائه وطرده الفرس حتى أنهم غزوا فارس حيث كسبوا نصراً كبيراً في سنة ٥٩٠ . وفي هذه الأثناء جوبه الفرس بثورة وطرده

خسرو الثاني أبرويز من فارس بعد اعتلائه العرش بوقت قصير وفرَّ ليحتصي بالامبراطور البيزنطي موريس . وبعد اقامته فترة وجيزة في كيركاسيون في الرها حيث احتفي به بكرم بالغ وكذلك في منبج ، أعيد الى عرشه بمساعدة القوات البيزنطية .

اتخذ الملك خسرو حادث اغتيال الامبراطور موريس في سنة ٦٠٢ ذريعة لبدء أعمال عداوية جديدة . فقام في ربيع سنة ٦٠٣ يريد الانتقام لموت المحسن اليه الذي قتله فوقس . وكان قائد الجيوش البيزنطية في ما بين النهرين نارسي هو أيضاً خصماً فوقس . احتل الرها ، ويقال انه أمر بقتل مطران الملكيين في المدينة سيفيروس رجماً بالحجارة . وفي هذه الأثناء انقسمت قوات المغتصب الى قسمين ويمت احدى القوتين وجهتها لمحاصرة الرها وذهبت الأخرى تتعقب شخصاً يدعى بأنه ابن موريس . وطرد خسرو جيش فوقس خارج الرها في سنة ٦٠٤ ، ويبدو أنه شغل المدينة لوقت وجيز ، ربما ليقابل نارسي ، ثم انسحب . وترك نارسي الرها ليذهب الى منبج حيث أرغم بعدئذ على الاستسلام لفوقس وأبحرق حياً في العاصمة . وعندما هزم خسرو قوات فوقس هزيمة حاسمة وقعت مدن ما بين النهرين تحت رحمته . ولكن السيطرة التامة على المنطقة تأكدت له عندما احتل الرها فقط ، على الأرجح في سنة ٦٠٩ ، واستطاع بعد ذلك أن يمد سلطانه على سوريا وفلسطين ، وحتى على آسيا الصغرى . ونعلم أن الفرس فرضوا على أهل الرها عبثاً من الضرائب ونهبوا الرخام والذهب والفضة من الكنائس . ويوضح مؤرخ بأن خسرو عين رهاوياً يدعى قورش حاكماً على المدينة . والتمس قورش من الملك تخفيض الضرائب ولكن حدث بعدئذ أن قورش عندما أغضبته افتراءات حاسديه من بني جلدته ، نصح الملك بأن يجرد المدينة من ثرواتها . ونتيجة لهذا أمر بتخلية المدينة تخلية جماعية من أهاليها ونفيهم الى فارس ، وذلك ربما خوفاً من الخطر المنتظر من هجوم البيزنطيين . ومهما يكن من أمر فإن الحاكم الفارسي كان رجلاً رحيماً فأجلى الرهاويين في أعداد صغيرة ، وكان ربيع المواطنين قد ترك المدينة عندما وصل جيش بيزنطي وهياً للنازحين الرجوع بتعليمات من الامبراطور .

وسرعان ما انعكست الأمور على الفرس ، كان هرقل قد أسقط فوقس سنة ٦١٠ ، وأبدى الامبراطور الجديد قيادة فذة وحيوية ، وفي سلسلة من الحملات السريعة استرجع ما بين النهرين ودخل الرها ، ربما في سنة ٦٢٨ ، لكنه لم يتمتع بنصره طويلاً .

فما كادت أن توقع معاهدة سلام بين البيزنطيين والفرس سنة ٦٣٠ - وتضمنت الشروط تبادل الأسرى - حتى عمت بلاد الشرق الأدنى جيوش الاسلام . فأخضع العرب سورية في سنة ٦٣٦ ، وفارس سنة ٦٣٧ ، وما بين النهرين سنة ٦٣٩ . واستسلمت الرها لهم سنة ٦٣٩ .

## أهمية الرها الاستراتيجية

اتسمت القرون الأربعة الأولى ، كما رأينا ، منذ زوال الملكية في الرها الى حين استيلاء المسلمين عليها ، بحروب منهكة بين الشرق والغرب . وربما مثلت الأمبراطورية الفارسية تحت حكم السلالة الساسانية أعظم تهديد خطير كان على الامبراطورية الرومانية أن تواجهه على حدودها في عهدها الأخير ، فحشدت لمقاومته أضخم قوات سجلها تاريخها . وفي غمار هذه الأحداث كانت الرها قلعة ذات أهمية استثنائية ، وحتى عندما أوغلت الحدود الرومانية بعيداً حتى شرقي دجلة أكدت الرها بقوتها الطبيعية وموقعها الاستراتيجي على منزلتها كعاصمة ريفية اقليمية وقاعدة عسكرية . ففي سنة ٣٥٩ كان هناك شخص يدعى أنطونيوس قد قرء من الجيش والتجأ الى الفرس يحمل معلومات سرية عن خطط حملة بيزنطية ، ونصح الفرس بأنهم يستطيعون مدء سلطانهم الى الغرب اذا تمكنوا فقط من الاحتفاظ بالرها في مؤخرتهم . وبعد بضع سنوات وبخضوع نصيبين للفرس سنة ٣٦٣ أصبحت الرها المعقل الحربي الرئيسي للبيزنطيين في هذه المنطقة . ان الحرب بين الامبراطوريتين كانت حرب التحرك السريع . وألحقت القوات الفارسية الدمار بالريف وأضرمت النار في المحاصيل . وهدمت القرى والمزارع ، ولم يستعمل البدو المرتزقة في الجيش الفارسي خطوط المواصلات العادية بواسطة الطرق والماء بل انهم قاموا بغزواتهم بجسارة متزايدة عبر دروب الصحراء وانسحبوا بسرعة كما أتوا . غير أن هذه الهجمات لم يكن لها تأثير مستديم طالما احتفظ البيزنطيون بالرها (٣) . ومن حسن حظ الغرب لم يكن للفرس ميل للحصار الطويل ، وخصوصاً في الطقس القارس . ولئن كانوا يلبسون السروال ، فقد كانوا « ضعفاء ومرضى في أثناء الشتاء لا يستطيعون تحمل البرد ولا يقدرّون على الحرب في ذلك الفصل - كما يقول المثل « في ذلك الوقت لا يستطيع الميدي حتى

٣ - من بين نعوت الشتاء التي أسبغت على المطران رابولا في « سيرة حياته » . « حصن الحدود الأمامية » للمؤمنين .

اخراج يده خارج معطفه» (٤) • ومهما يكن فانه عندما احتل خسرو الثاني الرها سنة ٦٠٩ تأيد رأي أنطونيوس • استطاع الفرس بعد أن استولوا على الرها في المؤخزة أن يكتسحوا الأراضي التي عبر الفرات وأن يمدوا سلطانهم بعيداً الى الغرب والجنوب •

كان من الضروري لروما وبعدها لبيزنطية أن تحافظ على رضى الشعب الرهاوي الطيب الفعال وعلى رضى الريفيين منهم أيضاً • وكانت هناك عقبات لأن لغة المنطقة كانت السريانية ، وهي غريبة على الغرب ، ولو أن هذه المشكلة تددلت ، كما سنرى ، عندما غدت اليونانية أكثر انتشاراً تدريجياً بين الطبقة المثقفة من الرهاويين • وكانت هنالك أيضاً مصالح مشتركة أعظم أثناء هذه القرون الأربعة ، كما في الأزمان السابقة ، بين منطقة الرها وبلاد ما بين النهرين الفارسية أكثر منها بين اقليم الرها ( أوزروين ) وآسيا الصغرى ، أو حتى سوريا • ان روابط التقاليد الثقافية والاجتماعية وحّدت سكان شمالي ما بين النهرين على كلا جانبي الحدود ، ولكن روابط الدين كانت أقوى من كل هذا • وكان السكان المتزايدون في الرها في القرنين الثاني والثالث يكرهون الحكام الوثنيين في روما يقدر ما يكرهون أولئك الذين في قبطيسيفون • صحيح أن المسيحية نبتت في غربي آسيا ولكن كان لها موطنها راسخ في أديابين (حدياب) شرقي دجلة وفي بلاد ما بين النهرين الفارسية • وقد يكون أنها وصلت الرها من الشرق ونشأت نقطة تحول بظهور السلالة الساسانية سنة ٢٢٦ لأن تصعيد الوعي القومي في فارس صحبه نمو في تأثير وقوة الكهنوت الزرادشتي ، وغدت السياسة الرسمية في فارس الآن عدائية للمسيحية بالرغم عن الموقف المتسامح لبعض الملوك • كانت المسيحية ديناً يقبل المتقلبين من العقائد الأخرى اليه • ولم يتسامح الفرس أو يتحملوا النشاط التبشيري بين الأهالي الزرادشتيين • وفي الغرب أيضاً اضطهد الامبراطور ديشيوس المسيحيين وكذلك فعل ليسينيوس بعده ، وبقي أتباع هذا الدين الجديد لفترة دون عطف من أي المسكرين ، ولكن في سنة ٣١٣ صدر منشور الامبراطور قسطنطين في ميلان بالتسامح ، وبعد حين قصير أصبحت المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية ، وبعد هذا غدا الصراع بين الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية مبارزة بين المسيحية والزرادشتية ، ورأت الرها نفسها مرغمة على الوقوف الى جانب بيزنطية •

٤ - سجل الأحداث لحوالي سنة ١٢٣٤ م Chr. ad. 1234 نفس السجل يغيرنا انه عندما حاصر عسكر الفرس آمد « بدأ عليهم الاعياء وهم في شراويلهم » •

ومهما يكن من أمر فان التصارع الطائفي أضعف في النهاية هذا الرباط الديني ، وفي زمن اغلاق مدرسة الفارسيين في الرها سنة ٤٨٩ استحسن غالبية المواطنين معارضة القسطنطينية للنساطرة الديوفيسييين . وبعد خمس سنوات انفصل قادة النساطرة عن سلطة أنطاكية الكهنوتية ليؤسسوا الكنيسة القومية الفارسية ، وسارت السياسة الآن يدا بيد مع الدوغما وكان الرهاويون مخلصين لبيزنطية . ولكن ظهرت في القرن التالي اختلافات أكثر دقة وعمقاً سببت صدعاً في المعسكر المعادي للنساطورية في الغرب . كانت غالبية الرهاويين مونوفيسية واعتبرتهم القسطنطينية في القرن السادس هرطقة خطرين . ولا شك في أن النفور بين المونوفيسييين والكنيسة الملكية الرسمية لبيزنطية كان انعكاساً للنفور بين سكان الأرياف الصارمين وسكان العاصمة المترفهين . وتساعد هذا النفور باضطهاد الامبراطورين جوستين وموريس للمونوفيسييين وتركت ، كما أسلفنا ، تركة من المرارة في الرها . ورفض المطران أشعيا غير المتسامح اعطاء القربان للامبراطور هرقل في كاتدرائية الرها ، ولم يكن رد الفعل القاسي من قبل الامبراطور حادثاً منعزلاً لأن الرهاويين كانوا قد غدوا يحملون كراهية عميقة في صدورهم للكنيسة الامبراطورية ، ولكن هذا لم يقدمهم الى التعاون مع الفارسيين ، الا أنه بالطبع شجعهم على استقبال المسلمين على أبواب الرها . ان مبادئ المونوفيسية الصلبة كان فيها الكثير مما هو مشترك مع عقيدة التوحيد الاسلامية الحنيفة .

أعطت انتصارات ديوقليتيان روما سيطرة لا تنازع على المنطقة الواقعة ما وراء الفرات ، وجده النظام الاداري للمنطقة برمته بعدئذ . وأطلق اسم ما بين النهرين على اقليم شرقي الخابور وعاصمته آمد . ودعت المنطقة ما بين الخابور وحوض الفرات الكبير أوزروين وعاصمتها الرها . وبقي الاقليمان ضمن نطاق الفضاء الكهنوتي لبطيريك أنطاكيا . واستمر في الوجود طيلة الزمن البيزنطي حتى مجيء العرب . ان اصلاحات ديوقليتيان الادارية تبررت على أسس استراتيجية . والاقليم الشرقي الذي كانت مكاتب الرئاسة فيه تتحرك بموجب تغيير سير العمليات الحربية ، احتفظ بالاشراف المباشر على المدن الحامية الأمامية مثل دارا التي أنشئت سنة ٥٠٧ والحصون على طول الحدود مع الفرس . أما اقليم الرها - أوزروين فقد شكل قاعدة للامدادات مؤمنة في المؤخرة ، وكانت حدوده من الغرب والجنوب تقع على الفرات وتبعد حوالي مئة كيلو متر شمال شرقي شمشاط حتى سيرسايون ، وفي الشرق من الخابور الأدنى الى نحو ثلاثين كيلو متراً غربي نقطة اتصاله بنهر

المغدونيوس ، ومن ثم شمالاً الى نقطة نحو عشرين كيلو متراً شمال غربي دارا . ويبدو أن الحدود الشمالية كانت تمر قرب ماردين ومن هناك باتجاه شمال غربي ، شمال سيفيراك حتى الفرات ، وكان يتضمن مدناً أهميتها ليست قليلة . منها بيرثا ، ودوسارا (بعدئذ قلعة جعبر) وكالينيكوس (نايسفوريون) وكيركاسيون ، وجميعها نقاط تقاطع على الفرات . ثم هناك راسمينا (ثيودوسيوبولس) وتلا (كونستنتيا) وسيفيراك الى الشرق وشمال شرقي الرها ، وباطنان (سروج) وحران على جنوبها الغربي والجنوب . ولكن جميعها كانت تنقصها المزايا الاستراتيجية التي كانت الرها تتمتع بها . وكانت فيها نقطة التمرکز الطبيعي للنشاط الاقليمي طوال القرون الأربعة من الحكم الروماني البيزنطي لاقليم الرها - أوزروين . وهنا كان ، عادة ، مسكن القائد الحربي ، والحاكم المدني للاقليم ، والسلطات الاكليريكية .

## الرها كقاعدة حربية

كانت الرها المركز الاداري للجيش البيزنطي عندما היא كونستانتنيوس حملته ضد الفرس سنة ٣٦٠ . وعند نهاية القرن الرابع أنشئ فيها مصنع لانتاج الثروس والسلاح . وكان مأمور الأقوات العام الذي يرسل المؤن للجنود البيزنطيين المحاربين في آمد في سنة ٥٠٣ متمركزاً في الرها ، وفي السنتين التاليتين كانت الرها القاعدة الرئيسية لبيزنطة في ما بين النهرين بينما كانت القيادة الأمامية في آمد . وفي سنة ٥٣١ أيضاً كان المركز الاداري الحربي في الرها وأيضاً في أثناء العمليات في نصيبين في زمن حكم جوستين الثاني .

من الواضح أنه كانت هناك حامية كبيرة متمركزة بصورة دائمية في الرها وما جاورها . وكان هناك جنود مرتزقة غرباء متمركزون في الرها والمدن المجاورة لها ويجهزون بموجب معاهدة من قبائل متحالفة ويحاربون بامرة قادة من بني جنسهم ، فكان بينهم هونيون وألمان وأليريون وقوط ، ارتقى بعضهم الى المراتب العليا ، وكان هناك في ما بين النهرين أيضاً ، كما سنرى ، وحدات من البدو تحت قيادة شيخ أمير Phylarch منزله كمنزلة القائد الحربي (Dux) في بلدهم ، وفي زمن جستنيان غدت هذه الجنود المرتزقة المنظمة تنعت بـ «الحلفاء» . أما لقب « فويدراتي Foedrati » فغداً الآن يطلق على الجنود ، ومعظمهم غرباء انخرطوا كأفراد ، فشكّلوا وحدات بقيادة ضباط

بيزنطيين تشبه الى حد ما « الفرقة الأجنبية » الحديثة ، وجميع هؤلاء الرجال كانوا مواطنين بيزنطيين ، وكان الرهاويون معتادين على وجودهم ، حتى ان الكلمة السريانية روميا - رُوميا - عنت اما رومانياً بيزنطياً ، أو جندياً .

كان الجنود القدامى عندما يعزلون من الجيش بإمكانهم الحصول على حصص من الأرض في المنطقة التي خدموا فيها ويستقرون فيها ويعتنون بفلاحتها ، وفي قانون لسنة ٤٤٣ غدت أراضي جنود الليميتاني Limitanei غير قابلة للانتزاع وأبناء هؤلاء الجنود ينخرطون في وحدات والديهم ويرثون أملاكهم . وهنا لربما يكمن التفسير لاستعمال الكلمة

السريانية « فلاحا » رُوميا لتعني المعنيين : الفاعل الزراعي والجندي في الجيش ، والأخير يسمى في الأغلب فالوحو دمالكوثو - فلاح الامبراطورية - أو فلاحاً ستراتياً ، الفلاح الحربي ، وكان الجنود العاملون في الجيش كبقية الخادمين المدنيين الآخرين معفيين من العمل الشاق كأمناء أو قيمين ، وكان الجنود أيضاً كالتجار يعطون إخطاراً طويل الأمد قبل دعوتهم الى المحكمة كشهود أو الطلب منهم القيام بالتزامات شرعية أخرى طالما أن سفرات الجنود لحضور المحاكم البعيدة كانت ستؤثر بالمقدرة العسكرية . وفي الحق لقد سمح تنظيم من القرن الخامس للجنود الليميتاني Limitanei بأن يحاكموا في المحاكم العسكرية فقط .

كان المجندون يؤخذون فرضاً من بين الأهالي القرويين وبعد الالتحاق كانوا يوسمون . وفي أمور الترتيب والنظام كانوا خاضعين لسيطرة قائدهم . أما في اقليم الرها - أوزروين فكانوا خاضعين للقائد العسكري المحلي . وكان للقائد السلطة لفرض أي عقاب وحتى الحكم بالموت أيضاً . وتعلم بأن أحد القواد ، بتدخل من المطران ، خفض حكم الموت حرقاً الى الموت بقطع الرأس . وفي بعض الأوقات لم يكن الجند سهلي الانقياد للنظام . وفي سنة ٥٠٥-٥٠٦ ، وتلبية لطلب من وجهاء الرها أمر القائد الجنود القوط بأن يأخذوا حصصهم شهرياً فهاجموا بيته غضباً ولكنه فرّ وخلف بعد مشقة ، ولم يسمع بعدئذ شيئاً عن اقتراحه .

كانت القيادة العسكرية في الاقليم منذ زمن ديوقليتيان مفصولة الى حد بعيد عن الحكومة المدنية ، والتنظيمات التي شرعها قسطنطين وسعت هذا الاجراء ، ولكن التجنيد المحلي وتجهيز الأسلحة والدخائر والسكن للجنود كانت من مسؤوليات السلطات المدنية . وعندما كان هناك

احتكاك بين القيادة العسكرية والقيادة المدنية كانت رغبات الأولى هي التي تسود عادة . أما حصص الجند من الزاد فقد كانت عادة من الخبز واللحم والخمر والزيت - في الشتاء البقسماط عوضاً عن الخبز ، والخمر الحامض بدلاً من الخمر . أما طحن القمح وخبز الخبز أو البقسماط فقد كان واجباً على الأهالي المحليين . وكان موظفو المجلس المحلي (Curia) يشرفون على شحن حصص المؤن . وفي زمن الحرب كانت أعمال الصيانة عبئاً ثقيلاً على المواطنين ، كما سنرى ، حتى أن الجنود كانوا يهجرون معسكراتهم في برد الشتاء الى دفاء المدينة . وكان مستحيلاً على المواطن العادي أن يتصل بالسلطات العسكرية الا بواسطة الادارة المدنية ، وكان تعويضه قليلاً أو لا يعوض بالمرة عن سوء المعاملة التي يلاقها من الجنود ، وكان يرتعب خوفاً من اثاره حفيظتهم . وفي سنة ٥٠٥-٥٠٦ عندما غضب الرهاويون من سوء تصرف المرتزقة القوط التجأوا الى حيلة كتابة شكواوهم على الورق مغفلة من التوقيع ، ثم لصقتها على الجدران حيث تعرض الاعلانات العامة . وكان تأثير هذا على قائدهم سريعاً لأن الجند انسحبوا في الحال . وكذلك فان والدة فتاة اختطفها أحد الجنود القوط واستعبدها رفعت الأمر الى قائده ولكن بصورة غير مباشرة ، اذ لجأت الى وساطة اسقف الرها نفسه لايصال شكواها .

## الادارة المدنية

استبدلت سلطة الملوك المدنية في الرها بشخصية تدعى المقيم ، ويفيد المؤرخون السريان أن أول حاكم مدني للرها كان شخصاً اسمه أورليانوس حفصاي وذلك على الأرجح في سنة ٢٤٨-٢٤٩ ويمكننا الافتراض من اسمه أنه كان أحد وجهاء المدينة الحاصل على المواطنة الرومانية . وتعيين شخص مواطن ليكون أول من يشغل منصباً كهذا بعد الاحتلال كان عملاً شائعاً في الامبراطورية الرومانية في هذا الوقت ، وفي الحق لقد عين خسرو الثاني بعض المواطنين حكاماً في آمد والرها في بداية القرن السابع ، ولكن ليس لدينا سجل وثيق عن أسماء حكام الرها باستثناء سنة ٤٤٩ والفترة التي كتب عنها يشوع العمودي وبموجب النظام المركزي للامبراطورية الرومانية المتأخرة كان التعيين لمنصب حاكم اقليمي يجري في القسطنطينية . وحاكم الرها قد يكون مواطناً من منطقة بعيدة جداً من ما بين النهرين . ويبدو أن الأمر كان يستحق التعليق من المؤرخ عندما قال ان آمد عندما استرجعت من الفرس سنة ٥٠٤-٥٠٥ « أعطى الامبراطور [مواطنيها] الحاكم الذي هم طلبوه » .

ويظهر أن مدة وظيفة الحاكم لم تكن أكثر من بضع سنوات ، وكان هناك حاكم اداري يدعى ألكسندر ذو موهبة استثنائية ، كما سنرى فيما بعد ، لم يمكث في الرها الا سنة واحدة فقط .

وفي القرن الرابع وما بعده ، ربما عندما انتقلت عاصمة الامبراطورية الى القسطنطينية ، كان الحاكم لاقليم الرها - أوزروينه يدعو الشعب بلقبه الاغريقي « هيجيمون » وكتبت الكلمة في السريانية كما هي . وبموجب وظيفته الشرعية وفي الأمور المالية أيضاً كان يدعى بلقبه السرياني « ديانا دأثرا » <sup>٥</sup> ، كما وأحاكم أو قاضي المنطقة (٥) ، وكان مسكنه البيريتوريون الذي ربما كان محله في القلعة ، وهذه كانت مسكن الملوك من قبل . وكان يمنح المقالات الرسمية للملمتسين في مكتبه ، ومهما يكن ، ففي القرن الخامس كانت هيئة موظفيه تتضمن الممثلين عن الأقاليم التابعة للحكومة الامبراطورية وضباط الادارة الاقليمية .

من الجلي أنه لم تعد شارة الحاكم الرسمية لباساً خاصاً للرأس كشارة الملوك القديمة بل رمزاً آخر للسلطة كان يرى في زمن الملكية هو الحزام والسيف الرسمي الذي نراه في فترة ما قبل الزمن البيزنطي على تمثال في سوماتار هارابييسي وعلى تمثال من حران قد يكون بنفس القدم . وعندما ذهب الحاكم لزيارة الامبراطور في القسطنطينية سنة ٤٩٩-٥٠٠ رحل وهو « متمنطق بسيفه » ليظهر بأنه كان لا يزال يحتفظ بوظيفته ، وأنه لم يعزل . وقد يكون هذا متصلاً بالممارسة البيزنطية لـ « قطع الحزام » ، وهي اشارة الى الطرد . ويتهم بروكوبيوس جستنيان بأنه كان يقطع أحزمة الأشخاص الذين لم يعودوا صالحين للعمل أو تقدموا في السن . وهدد طيبيريوس قادة المجتمع البيزنطي بهذا المقاب اذا هم تقاعسوا عن حضور محكمة تحريراً امبراطورية . وكان

٥ - في نصوص شرائع هذه المنطقة في هذه الفترة كان الوالد الذي يرغب في أن يعفي ابنه من واجبات الأبوة *Patria potestas* أو أن يعطيه هدايا ، عليه أن يفعل ذلك أمام ديانا دأثرا . والمرأة التي ترقب في العناية بأطفال أيتام يجب أن تعلم الديانا دأثرا . والوصي على يتيم يجب ألا يدفع ضرائب بدون تخويل سلطة من الديانا دأثرا . ويجب أن يكون الهيجيمون حاضراً عندما يريد شخص أن يقدم ابنه ليتبناه شخص آخر . وهذا يمكن اجراؤه فقط اذا كانت الوثائق مصدقة من الامبراطور أو انديانا ( من الواضح هنا أنه موظف أرقى رتبة من الديانا دأثرا المحلي ) . الديانا دأثرا هو الذي يسأل الوجهاء ( ريشانا دامديتا ) أن يعينوا وصياً ليعتني باليتام . وعندما يجبي الحاكم ضريبة الفرد ( الرأس ) ويسعى لمساعدة مالية من الامبراطور لمدينته يدعى دايانا . وتخبّرنا الكتابيات أن الرجال الذين « لا يستحون » لا يحسق لهم ملء منصب الديانا دأثرا .

الاحتفال بتطوع الحزام يقام علناً أمام الشعب عندما كان قائد الجيش البيزنطي يعزل من وظيفته من قبل جوستين الثاني .

كانت الطلبات الدورية في زمن حكم ديوقليتيان ليس لصيانة الجيش وحسب بل أيضاً لصيانة الخدمة المدنية والنقل العام والبلاط الملكي وتجهيز الطعام للمدينة تحول الى « الدورة المالية » (٦) وهي جباية سنوية مبنية على سجل للأراضي والماشية ورؤوس الأهالي الفلاحين . ونتيجة لهذا كان الأهالي مرتبطين بالمكان الذي سجلوا أنفسهم فيه . وهذا النظام اذا ما أظهر في وحدات مالية بالامكان تعديله سنة بعد سنة ليناسب متطلبات الميزانية للإمبراطورية ان كان ذلك بالعملة أو عينياً ، ولايجاد مجندين للجيش وعمال للأشغال العامة . وبالإضافة الى الدورة المالية السنوية كانت هنالك جبايات خاصة تفرض على الأقاليم من وقت الى وقت من قبل السلطة المركزية لسد حاجات معينة . وكان هناك أيضاً عمل طحن الحنطة وخبز الخبز للجنود كما أشرنا وتجهيز المواد للأبنية العامة وايجاد العمال الفنيين والعادين والضيافة للجنود والسعاة ، وصيانة وحفظ الأماكن المحصنة والطرق والجسور . ان الأقاليم الواقعة على الحدود كاوزروينه كانت تتحمل عبئاً ثقيلاً بنوع خاص .

ان مسؤولية دفع الضرائب في كل اقليم كانت تخول لحاكمه ، وهو بدوره كان يعهد بمهمة الجباية الى أعضاء المجلس المحلي ، وهم بدورهم يعهدون بها الى وكلائهم ، ولم يكن على المجلس المهمة المستقبحة جبي الضرائب فقط بل كان عليهم تغطية أي عجز قد يظهر كلما ارتفع معدل الضريبة . وكلما حاول أعضاء المجلس ترك وظيفتهم ، ازدادت الدولة اصراراً على بقائهم فيها . والدليل على هذه الحالة تجده في الرها في قانون ينص على أن ابنساً لكل رئيس خدمة مدنية اقليمية يجب أن يسجل كعضو في مجلس المدينة Curia . ومن الواضح أن هذا الاجراء كان وسيلة للاحتفاظ بحلقة اتصال بين الحكومة وادارة مجلس البلدية ، وكان الحاكم عادة مستعداً لاستعمال الشدة مع كل دافع ضريبة مقاوم . وفي الرها في نهاية القرن الخامس لم يتردد حاكم الاقليم من استعمال العنف ضد مالكي الأراضي لكي يحصل على الضريبة منهم . ولربما كان جهاز جبي الضرائب بطيئاً ومربكاً ، وأحياناً كانت الضرائب تلغى ،

٦ - الدورة المالية شرعها قسطنطين ومدتها خمسة عشر عاماً ، وتحسب اعتباراً من أول ايلول سنة ٣١٢ م ، وهي ضريبة يجيها الأباطرة الرومان في بداية كل خمسة عشر عاماً .

لأنه لم يكن هناك أمل في استحصالتها . ومع ذلك ، فقد كان المذنبون  
اجمالا قلائل .

ان تقدير وفرض الضرائب كانت الادارة المركزية تقوم بهما ،  
والدورات المالية السنوية يجب أن يوقعها الامبراطور نفسه ، وكذلك  
تخفيض الضريبة والاعفاء منها أيضاً كان يمنحهما الامبراطور فقط .  
وهذا كان يجري عادة بتوصية من الحاكم الاقليمي ، وفي سنة ٤٩٩-٥٠٠  
عندما أهلك الجراد المحاصيل حول الرها ذهب الحاكم شخصياً الى  
القسطنطينية ليبلغ عن الكارثة وربما ليطلب ، كما كان واجبه ،  
تخفيض الضرائب . ورجع بمبلغ ضخم من المال ليوزعه على المحتاجين .  
وفي السنوات الثلاث من سنة ٥٠٣-٥٠٦ أعفى أنستاسيوس ضرائب  
اقليم الرها . هذا ولا ريب كان بسبب الوفرة المالي الثقيل الذي تكبده  
لصيانة وحفظ الجيش الذي قيل ان مجموعته بلغ اثنين وخمسين ألف  
رجل في الحرب مع الفرس . وخفض الامبراطور الضرائب عن القرى  
بمقدار فلتين Folles وذلك بتدخل شخصي من مطران الرها في سنة  
٤٩٩-٥٠٠ ولكنه من الجلي فعل ذلك متأقفاً وعندما ذهب المطران الى  
القسطنطينية في سنة ٥٠٤-٥٠٥ ليعرض على أنستاسيوس تخفيض  
الضريبة وبخه الامبراطور بشيء من الالتهاج على هجره وظيفته ،  
وبامكاننا الاستنتاج أنه وبخه أيضاً على انتحاله امتيازات الحاكم ، لأن  
السلطات العسكرية فقط تعطى الصلاحية من قبل الامبراطور في بعض  
الأحيان لتقديم النصيحة عن الضرائب . وعندما تم السلام مع الفرس  
سنة ٥٠٦ أعطى أنستاسيوس القائد البيزنطي والقوميسار العام السلطة  
لتخفيض الضرائب ، فعزما على التوصية باعفاء آمد من جميع الضرائب ،  
والرها من نصفها .

كانت هنالك أشكال أخرى من الضرائب تفرض على مالكي الأرض  
والوجهاء ولكنها كانت ذات أهمية صفري ، وجميع هذه الضرائب  
وقعت ، مباشرة أم لا ، على الأهالي الفلاحين . كان هناك نوع واحد  
من الضريبة يدفعه أهالي المدينة منذ زمن قسطنطين ، ومن اسم هذه  
الضريبة Chrysargyron كريسارغايرون يستدل بأنها كانت تدفع  
في الأصل بالذهب والفضة ، ولكن منذ زمن حكم فالنيس بالذهب فقط .  
وأصلاً كانت تستحق عند اعتلاء العرش وفي احتفالات مرور كل خمس  
سنوات تالية على حكم الامبراطور . ولكن في القرن الخامس كانت  
تجمع كل رابع سنة ، وتدفع من قبل جميع « المزاولين » أي من كل من  
يعمل للرزقة بالشراء والبيع أو بتحصيل الأجور - التجار وأصحاب

الحوانيت والمهنيون ، وحتى المهائنين والعاشرات . وكانت تفرض على موجودات الرأسمال الفردي وبضمنها عدته وحيواناته وعبئده وعداد أفراد عائلته . والمستثنيات كانت قليلة . وكان الأطباء والمعلمون والرسامون ، وبعد سنة ٣٧٤ المهنيون الفلاحون أيضاً محصنين ، بينما كان الجنود القدماء والطبقة السفلى من الاكليروس محصنين جزئياً . ان القليلين من دافعي الضرائب كانوا مكتفين بحيث يوفرون أثناء السنوات الأربع التالية المبلغ المتطلب للضريبة ، والترتيبات للدفع بالأقساط كانت نادرة . وفي الرها ، وهي مدينة ، كما سنرى ، لعبت سلع الرفاهية فيها دوراً رئيسياً ، غلّت الضريبة مائة وأربعين رطلاً من الذهب كل أربع سنوات . ومع ذلك فان الضريبة المدنية لم تؤلف أكثر من واحد على عشرين من دخل الامبراطورية . وهي اشارة جلية على التحيز الزراعي وللإقتصاد والأهمية الصغرى للصناعة والتجارة . وفي سنة ٤٩٨ ألغيت هذه الضريبة في جميع أنحاء الامبراطورية من قبل أنستاسيوس ، الذي كان داهية في الأمور المالية وعضو الدخل من « الموجودات الخاصة » ، أي الأموال الموجودة تحت تصرفه الشخصي . ولقد سبب الالغاء فرحاً عاماً بين الصناع المهرة في الرها .

كان الحاكم الاقليمي اذن أميناً على مالية منطقته ، والمهمة الرئيسية الأخرى التي قام بها نيابة عن الامبراطور كانت ادارة العدل . وكان لحاكم اقليم الرها - أوزروين اذا استطعنا أن نحكم من صياح الرعام الرهاويين ، سلطة الحكم بالموت شنقاً وحرقاً في السطايدوم أو بالعمل الارغامي في المناجم . وكانت المحاكم الاقليمية في الرها في القرن الرابع في « الباسيليكا قرب الحمامات الشتوية » ، وفي نهاية القرن الخامس كانت في كنيسة القديس يوحنا المجاورة . وكان الحكام قضاة من الدرجة البدائية ، وكانوا يشجعون على احالة القضايا المهمة الى محاكم ثانوية . غير أن خسارة الفقراء كانت محتمة في مقاضاتهم مواطنين أكثر أهمية منهم . وكانت الأجور باهظة ، وكانت هناك تأخيرات طويلة والرشوات شائعة ، وفي جميع أنحاء الامبراطورية كان أقصر طريق للإثراء للحكام الاقليميين ، أثناء مدة وظيفتهم ، في نشاطاتهم في المحاكم ، وكان هناك القليل أمام السلطات في القسطنطينية مما تستطيع فعله لمعالجة هذه الحالة . صحيح أنه كان للمشتكين المتبرمين الحق ، باستثناء القليل منهم ، الالتماس الى محاكم أعلى ، وفي اقليم الرها أوزروين الى ما كان يسمى بالمجالس الشرقية Comes Orientis أو حتى مباشرة الى الامبراطور ، ولكن كثيراً ما كان الالتماس تضاف اليه

مصارييف السفر الى مسافات بعيدة ، وهذا كان مما يبطل الفائدة التي يسرها ديوقليتيان بايجاد وحدات اقليمية أصغر ، لكل منها محكمتها الخاصة . وكانت هناك مؤسستان تحميان بدرجة ما المواطنين الفقراء - مكتب المدافع المدني Defensor civitatis والمحاكم الأسقفية . وسترجع اليهما فيما بعد .

يبدو أن العدل في محاكم الحكام في الرها وفي الأماكن الأخرى من الامبراطورية كثيراً ما كان يخيب بسبب طمع القضاة وارتشائهم ونفوذ الأثرياء الزائد . ولهذا فان الثناء الذي أهدق على الاسكندر حاكم أوزروين في سنة ٤٩٦-٤٩٧ يثير الاهتمام ، إذ نعلم منه أنه كان يعالج القضايا ، عند الضرورة ، في السر وبدون أجور : « وضع صندوقاً أمام البريتوريون Praetorion وجعل له فتحة في غطاءه وكتب عليه ان كل من أراد أن يعلن عن شيء ولاقى صعوبة في أن يفعل ذلك علناً ما عليه الا أن يكتبه على ورقة ويرميها في [الصندوق] دون خوف . وبهذه الوسيلة علم أشياء كثيرة كتبها أفراد الشعب ورموها في [الصندوق] ، كان يجلس كل يوم جمعة في معبد القديس يوحنا المعمدان والقديس آدائي الرسول ويبيت في القضايا الشرعية بدون أي أجر . وهكذا تشجع المظلومون وأتوا بقضاياهم أمامه وقضى بينهم . وكانت بعض القضايا قد مضى عليها خمسون سنة لم ينظر أحد فيها ، قدست له وبّت فيها (٧) » .

امتدت سلطات الحاكم الى جميع أنحاء الاقليم ولكنه سيطر على حياة العاصمة الرها ، والى نشاطات الحاكم في هذا المجال نجد اشارات متكررة في التواريخ المحلية ، وكانت جميع المهمات المتعددة المترابطة موضوعة بين يديه وهذا يذكرنا حقاً بالموقف الأبوي لملوك سلالة أريو ، وفي الزمن البيزنطي كان المنظم الاداري ، وبالسريانية مدبرانا مبرحاً

يأخذ مكان النوهدرا في زمن الملكية وكان ينوب عن الحاكم عند غيابه عن المدينة وينفذ الواجبات الصغيرة عنه ، ومهما يكن فقد كان الحاكم نفسه هو المخول بالمسؤولية الحفظ أمن المنطقة تحت سيطرته . وفي سنة ٥٠٤-٥٠٥ مثلاً قام الحاكم باصلاح السور الخارجي للرها بأكمله بمنحة دعم مالي مقدارها مئتا باوند من الذهب من الامبراطور . وكذلك قام باصلاح سور مدينة باطناي الذي كان قد أصيب بالتلف . وهو الذي كان ، ولا ريب ، من يحفظ الطرق في حالة لائقة ويشرف على العمل الكنف لخدمة البريد ، ويتراس صيانة القنوات فوق القناطر

التي أسالت المياه في الرها من التلال الى الشمال ، وامدادات القمح في  
العنبر العام . وتصرف الحاكم بهيئة من الشرطة السرية ، بالسريانية  
«شاريره» ، حذمتاً وأيضاً بقوة من الشرطة لها واجبات عامة . وهذه  
القوات الأخيرة سيطرت على الحركة في أبواب المدينة التي يبدو أنها  
كانت تغلق كل ليلة . ولا شك في أنهم استمروا في هذه العادة التي  
نشأت في عهد الملكية بحراسة الأسوار أثناء شهور الخريف والشتاء  
ليعطوا الانذار عندما يهدد النهر باغراق المدينة . وإذا حكمنا من تعداد  
الذين فقدوا حياتهم في فيضانات السنين ٣٠٣ و ٤١٣ و ٥٢٥ فان هذا  
الغرض لم ينجز بكفاءة عظيمة .

كانت شوارع المدينة تضاء في الليل . ونقرأ في سنة ٥٠٤-٥٠٥  
أن الزيت الذي كان مجهزاً للمعابد والأديرة، وكميته ستة آلاف وثمانمئة  
« قسْطه » ، قد كرس لاضاءة الأروقة المعمدة ، و عوضاً عن ذلك قدم  
الحاكم حصّة من ملكه الخاص مقدارها مئتا « قسْطه » لكل معبد ، وقبل  
هذا بثمانني سنوات أمر الحاكم الصناع الفنيين أن يعلقوا صلباناً على  
الأكشاك التي يشتغلون فيها في كل ليلة سبت ، وأن يضعوا خمسة قناديل  
في كل صليب . وكان الحاكم يشرف على منظمة الأسواق ، ويعطي  
يشوع العمودي تفاصيل دقيقة لكل سنة عن أسعار الأطعمة الأساسية  
التي يبدو أنها كانت خاضعة لمراجعة مستمرة ، وكانت صيانة الحمامات  
العامة ومبادئ حفظ الصحة من مسؤوليات الحاكم أيضاً . ففي سنة  
٤٩٦-٤٩٧ أعطى الأمر بازالة المنصّات التي بناها أصحاب الحرف في  
الأروقة المعمدة ، ربما لتأمين حرية الحركة في الشوارع . ويعلمنا  
مؤرخنا بأنه في سنة ٤٩٧-٤٩٨ أمر الحاكم أن تبيض الأروقة المعمدة  
بالكلس ، وهذا مما أزعج المعتقدين بالخزعبلات الذين شعروا بأن هذا  
العمل كان شؤماً ونذير كارثة .

كان الحاكم الصالح يظهر اهتماماً وعطفاً على تحسين شؤون  
مواطنيه . وفي أوقات القحط أو الوباء كان يأخذ القيادة في توفير  
الزاد للمحتاجين والمرضى . وفي سنة ٤٩٩-٥٠٠ ذهب الحاكم الى  
القسطنطينية ليقدم تقريره مباشرة الى الامبراطور عن المجاعة الرهيبة  
التي حلت في الرها . وأطلق نائب الحاكم الحنطة من عنبر الحكومة  
لتباع للجمهور . وفي السنة التالية « سد الحاكم أبواب الرواق المعمد  
الموصل بالحمام الشتوي وفرش أرضه بالقش والحصر لكي يستطيع

[الفقيه] أن ينام (٨) هناك . وكان يرافق المطران والنبلاء في مواكب الجنائز في أوقات القحط . وكان هو المسؤول عن المقابر أيضاً . ومات الكثيرون في مجاعة ٤٩٩-٥٠٠ . وغصت المقابر بهم . فأمر الحاكم أن تفتح القبور القديمة بجانب كنيسة مار قونا، وكان بعض حكام الرها بنائين متحمسين، بنى أحدهم ممشىً مسقوفاً قرب الباب الغربي وكذلك بنى حماماً عاماً . وأصلح حاكم آخر سور المدينة وقنوات المياه السائلة فوق القناطر والحمامات بالإضافة إلى قصره وبنى أبنية أخرى كثيرة على ما يقال .

كانت إدارة شؤون البلدية اذن من مسؤولية الحاكم المرسل من القسطنطينية ونائبه المدير الاداري . وكان هناك مأمورون مدنيون أيضاً منتخبون من الأهالي المحليين . وكان هناك شخصان بوظيفة ستراتيجوي Strategoi التي يقال ان ملوك الرها ألغوها . ويبدو أنهما يظهران هنا مرة أخرى . ولقد ألقنا بأنه في سنة ٢٤٣ عندما أصبحت الرها تحت الادارة المباشرة لروما يأتي ذكر للستراتيجوي في وثيقة رسمية جنباً إلى جنب مع المقيم . ويذكران أيضاً في « أعمال » شهداء الرها التي تعكس الوضع في الرها في مستهل القرن الرابع . وفي مجموعة قوانين من القرن التالي نجد اذا كانت والدة أرملة لا ترغب في العناية بطفلها فانه يجب أن يعين وصي « من قبل ستراتيجوي المدينة الذين هم رؤساء (ريشاننا) » ، وعندما احتل الفرس آمد في مستهل القرن السادس عينوا ممثلين من هيئة المواطنين ليقوما بدور الناظرين باسمهم ، فكانا ، في الواقع ، ستراتيجوي . ولكن هذه مجرد اشارات عابرة . وما أن حلّ زمن ديوقليتيان حتى فقد الستراتيجوي الكثير من سلطتهم . وبالطبع لم يشكل هؤلاء الموظفون المبهمون في الرها أي كبح على سلطة الحاكم الأوتوقراطية .

كانت هنالك سلطات قضائية ثانوية في أيدي شخصيتين أخريين في المدينة ، أولاهما المطران الذي يرئس محكمته التي تعالج قضايا علمانية واكليريكية في نفس الوقت . والشخصية الثانية كانت الأكديكوس Ekdikos المدافع المدني Defensor civitatis الذي برزت وظيفته في الشرق ربما قبل قسطنطين الكبير ثم عممها الأباطرة الآخرون في جميع أنحاء الامبراطورية . وكان المقصود منها حماية المواطنين المتواضعين من استغلال مواطنيهم الأكثر قوة . والاشارة إلى المدافع

المدني في القوانين السريانية تشير الى أن حكمه القضائي في الرها كان محدوداً . كان باستطاعته مثلاً أن يعطي التعليمات الى حافظ الارشيف بأن يخرج نص وصية ما . وكان بإمكانه أن يمنح الصلاحية لكتابة وصية ثانية اذا كان كاتب الوصية يحتضر في أثناء كتابة وصيته الأصلية وتوفي قبل أن يملئها حتى آخرها ، شريطة أن تكون مواد الوصية يكاملها معروفة لدى شهود سلفاً . وأيضاً عند استحالة تطبيق وصايا محكمة المطران كان المرجع الى الأكديكوس ، وعندما قدم اكليروس ورهبان تلا ، ربما في سنة ٤٤٨ ، تهمة استعمال السحر ضد اسقفهم صفرونيوس عرضوا الوثيقة أمام الأكديكوس ووضعوا شهاداتهم مع القسم في عهده .

كان الجهاز الممثل لأهالي المدينة يدعى بـ *Boule* أو كوريا *Curia* أي مجلس شوري المدينة . وكان أعضاؤه يُستمدون من « الأحرار » ، أي الشخصيات المعروفة في المدينة . ويعقد اجتماعاته في مجلس البلدية . ولقد عُرفت الرها ، كباقي المؤسسات السلوقية هذا النظام منذ أقدم الأزمنة . وكان مجلس المدينة في العهد البيزنطي ولا ريب السليل الوارث لمجلس « الأحرار » الذي ساعد الملك أبجر في ادارة مملكته . ولا شك في أن الحاكم كان يتابع نشاطاتهم بعين يقظة . وكان يعترف بهم كأئمة حكومية ملائمة . وكانوا مسؤولين ، كما أسلفنا ، عن جباية الضرائب ويشرفون على المهن الوضيعة التي كان المواطنون الفقراء يقومون بها - وهي أعمال البناء وصيانة الشوارع والمجاري ، والحراسة ، والأشغال العامة المختلفة التي حافظت على سير الحياة المريح في المدينة . ونحن لا نعرف عدد أعضاء المجلس في الرها ، ولعله كان كبيراً ، لأن مدناً أخرى في الامبراطورية كان أعضاؤها يبلغون الستمئة .

ومهما يكن من أمر فان مجلس شوري المدينة كان بطبيعتها جداً يلاقي مشقة في الادارة الفعالة ، وكانت السلطة التنفيذية بين أيدي لجنة صغيرة داخلية تدعى بالسريانية « ريشانة » ( رؤساء ) ، ويدعون في وثيقة من القرن الخامس « أولئك المزينين بالسلطة » وهم بمقابل ، ولا شك ، أولئك الأدنى [رتبة] الذين لا بد وانهم أعضاء مجلس الشوري العاديون . وفي بعض المدن كان عدد هذه الجماعة المنتخبة لادارة البلدية عشرة أشخاص أو خمسة . أما في الرها ، اذا كان باستطاعتنا الحكم من ممارسة أزمان لاحقة ، فقد كان عددهم اثني عشر شخصاً ، وكانوا أبناء أكثر العائلات الرهاوية أهمية . وبعض أسمائهم مسجلة في زمن هرقل في مستهل القرن

السابع - وعندما طرد الامبراطور غاضباً المطران أشعيا من الكاتدرائية تبع المطران الى منفاء قادة المدينة الموثوفيسيون : آل روسباية (٩) وآل تلمحراية (١٠) وأسرة قوزما بن عرابي وأسرة نالاد (١١) وبعض الأشخاص ذوي الرتب العالية في الرها اشتركوا في حكم المدينة . وفي سنة ٤٨٩ ضم الوفد الذي احتج على نشاطات المطران هيبا شخصان بلقب «كونت Count» وعضو في مجلس الشيوخ وقاضيان اقليميان لرئيس الخدمات الالهية .

كانت هيئة أعضاء مجلس الشورى Curiales وراثية . وقد ألمحنا بأن عضوية « الكيوريا Curia » كانت تتضمن التزامات مالية خطيرة . وعلى الاجمال فان أعضاء مجلس الشورى ، وطبعاً « الريشانة » ( الرؤساء ) أيضاً حصلوا على امتيازات فاقت أضرار مركزهم . وكانوا معفيين من الضرائب الخاصة التي كانت تضاف بين الحين والحين الى الدورة المالية ، ومعفيين أيضاً من « أعمال السخرة » . وعندما خفف حمل الضريبة في بداية القرن السادس كان وجهاء المدينة أول المستفيدين ، وراح ينافس الواحد منهم الآخر في عرض ثرائه متفاخراً . وعند وصول خسرو الى الرها بعد طرده من العرش تنافس اثنان من الوجهاء هما مارينوس وايوانيس روسباية على شرف الترفيه عن الأمير الشاب . وأقام خسرو في قصر مارينوس ، ولكن ايوانيس لم يهزم «وبواقع من الغرور البالغ أراد أن يظهر أنه أكثر ثراء من مارينوس» . فدعا خسرو مع الزعماء والشيوخ والوجهاء ، أي أصدقائه من أعضاء مجلس الشورى الرهاويين ، وأولم لهم في بيته ثم عرض ثروته من الذهب والفضة ، أما الى أي عاقبة مأساوية ، فسئرى فيما بعد (١٢) .

مهما يكن ، لا بد أن الوجهاء كانوا ينفقون معظم أوقاتهم في ما يهم الصالح العام لمدينتهم ، ففي مجاعة سنة ٤٩٩ - ٥٠٠ أقاموا ملاجئ للمرضى والفقراء ، وكانوا عادة يستشارون من قبل الحاكم قبل أن يتخذ اجراء مما قد يكون له ردود فعل محلية معاكسة . وفي القرن الرابع كان يؤخذ موافقة وجهاء المدينة قبل أن يعطى الأمر بتنفيذ الاعدام بالشهداء المسيحيين . وعندما طلب كاواد الفدية من الرهاويين في سنة ٥٠٢ أحيل

٩ - نسبة الى الرصافة .

١٠ - نسبة الى قرية تلمعري قرب نهر البليخ .

١١ - الاسم غامض .

١٢ - فترة من الدخول العام مدتها ١٥ سنة شرعها الملك قسطنطين ابتدأت في اول ايلول سنة ٢١٢ .

الطلب الى « عظماء » المدينة . ولكنهم امتنعوا عن قبول الطلب معلنين أن المسيح يقف أمام مدينتنا » . فتشجع القائد البيزنطي ورفض الطلب الفارسي . وفي أثناء حصار كاواد لآمد أيضاً رفضت شروط الاستسلام للمدينة من قبل رئيس أعضاء مجلس الشورى ، والحاكم ، ووكيل الخرج . ان نتيجة الحرب الطويلة بين البيزنطية والفرس توقفت على اخلاص المدن والقلاع البيزنطية . وفي آخر المطاف كان هذا يتوقف على ارادة ونشاط المواطنين أنفسهم ، وعلى قيادتهم .

يبدو أن أفراد الشعب الرهاوي العادي قبلوا بقرارات حكامهم دون تردد . وبعملهم هذا كانوا يتشجعون بما تقدمه الكنيسة لهم من مثل . وكان كهنة الأبرشية يوصيهم رؤسائهم باظهار الاحترام للملكي الأرض . وهكذا أيضاً ينتقد تاريخ يشوع العمودي «مديري ادارة » الرها لمشاركتهم في مهرجان وثني . ولكن الكاتب يضيف بحذر وحصافة « اني لا أختار أن أعين هذه الخطايا بوضوح كي لا أعطي الفرصة لأولئك الذين يحبون ابراز العيوب ، فيقولون عني اني أتكلم ضد الوجيهاء » .

### قضاء المطارنة والأكليروس

ومع ذلك فقد كان قادة الكنيسة هم الذين وجد سكان الرها المتواضعون فيهم أبطالاً لهم . فكان المطران هو المدافع عن المحتاجين وغير القادرين على الكلام . ويقتض علينا كاتب سيرة الأسقف ربولا بأنه لم يتردد « في توبيخ أثرياء الرها الذين كانوا يسحقون الفقراء بينما هم يترفهون في بيوتهم ، وكانت عائلة الفتاة الرهاوية البسيطة يوفميا التي اختطفها جندي قوطي أضعف من أن تستطيع اتهامه أمام السلطات العسكرية . ولكن المطران فعل هذا من أجلها . وعندما حكم على الرجل بالموت تدخل المطران ثانية فخفض حكم الموت حرقاً الى الحكم بقطع الرأس ! وتوسط بارحدد أسقف تلالدى القائد البيزنطي الذي رجح عن طريق الرها في سنة 506 بعد اتمام السلام مع الفرس . لم يشأ القائد دخول المدينة لأن السكان كانوا قد علقوا قبل زمن قصير اعلانات على جدران المدينة يتدمرون فيها من سوء معاملة الجيش » ورجاه بارحدد ألا يسمح للغضب والاستنكار أن يستوليا عليه وأن لا يترك وراءه شعوراً بالاهتياج والانزعاج في ذهن أي شخص . فاستجاب [ القائد ] الى طلبه حالاً» (١٣) .

وعندما كان الرهاويون يموتون بأعداد كبيرة من الجوع والطاعون كان المطران هو الذي يقود مواكب الجنائز يصحبه الحاكم والوجهاء . وعندما بلغت المجاعة ذروتها لم يهب المطران بطرس من التوسط مباشرة لدى الامبراطور ولو أنه بعمته هذا ، كان يعرف ، أنه يتعدى على امتيازات حاكم الاقليم .

« ذهب الى زيارة الأمبراطور [ في القسطنطينية ] ليرجوه رفع الضريبة . . . . ومهما يكن . . . . كانت النقود قد وصلت . . . . ولكي لا يُرجع أبانا خاوي اليدين خفض [ الامبراطور ] فلين عن كل قروي » (١٤) .

وبعد خمس سنوات أتى المطران الى البلاط بنفس المهمة ، ولكنه الآن قوبل باستقبال أقل بشاشة :

« أجابه الأمبراطور بخشونة ووبّخه على اهماله مسؤولية الفقراء في وقت عصيب كهذا ومجيئه اليه الى [ القسطنطينية ] وقال له ان الله كان سيلهم قلبه اذا كان الأمر صحيحاً بدون استمالة من أي انسان ليصنع معروفاً الى المدينة المباركة [ الرها ] » (١٥) .

ومع ذلك فان رحلة الأسقف كانت فعالة بالرغم عن توبيخات الامبراطور لأن مؤرخنا يتابع قائلاً :

« بينما كان لا يزال المطران في [ العاصمة ] أرسل الامبراطور أمراً بالاعفاء [ من الضريبة ] في جميع أرجاء ما بين النهرين ، وذلك بواسطة شخص آخر دون علم [ المطران ] » .

وفي زمن الحرب مع الفرس كان المطران يتكل عليه في تقوية العزائم في مقاومة العدو . ومثال على ذلك المطران بارحده التلاوي في سنة ٥٠٣ :

« دأب على أن يجول ويزور [ المدافعين ] عن المدينة ويصلي من أجلهم ويباركهم ، ويشني على عنايتهم ويشجعهم ، ويرش الماء المقدس عليهم وعلى اسوار المدينة ، وكان يحمل في جولاته القربان المقدس معه

١٤- نفس المصدر .

١٥- يشوع العمودي . هناك تشريع لجستينيان منح فيه الاساقفة من الغياب عن أبرشياتهم أكثر من سنة واحدة ، كما منحهم من الذهاب الى القسطنطينية بدون تصريح رسمي من مطران المدينة ( المطروفوليط ) . يظهر إعادة اصدار هذا القانون من قبيل الأباطرة المتتالين بأنه كان قليلاً ما ينفذ .

لكي يجعلهم يتناولون الأسرار وهم في مواقعهم ، لئلا يترك أي منهم وظيفته وينزل عن الاسوار لهذا السبب « (١٦) » .

وفصل بارحدد أكثر من هذا . خرج ليتكلم مع ملك الفرس كاواد ويقنعه بأن يرفع الحصار . وأظهر مطارنة آخرون نفس الشجاعة ، ورجا مطران سورا التي هي على الفرات الملك خسرو في سنة ٥٤٠ أن يرحم المدينة ويتركها بوافق الملك - ولو أنه فتح المدينة في نهاية الأمر بالخداع والخيانة (١٧) .

كانت سياسة قسطنطين الكبير أن يجعل من المطارنة حلفاء يوثق بهم للإدارة المركزية ، وأعطى سلطات واسعة للمحاكم الأسقفية كي تعالج القضايا الصغرى ولكي تمنح عدالة سريعة رخيصة ، وقضى بأن تكون أحكامهم نهائية وتنفذ بواسطة السلطات المدنية . ولكن هذا الترتيب عدل بعدئذ بحيث غدت قرارات محاكم المطارنة ملزمة فقط في حالة موافقة الطرفين في الشكوى سلفاً على انهما سيلتزمان بها . ويصف ثيودوريط في القرن الخامس أعمال ابراهيم اسقف حران ، المدينة التي كانت ما تزال ، كما نخبر « مستسلمة لخبل العفاريث » . كان المطران يقضي اليوم بأكمله في مصالحة المشتكين . ووجد الذين نوبوا أن يستعملوا الظلم أن الطرف الثاني في القضية أبعد من أن يكون قد مُست مشاعره ، وانه ترك المحكمة وهو شاعر بأنه قد انتصر . ومنحت الدولة امتياز مشاهدة تحرير العبيد الى الأكليروس في شخص المطران أو الكاهن في المدينة ، وفي الريف منحت الامتياز الى ممثل المطران أو الى كاهن أبرشية القرية . ومنح جستنيان المطارنة حقوقاً بعيدة المدى في التدخل في ادارة البلدية . وكانوا مخولين للمشاركة في تعيين موظفي المدينة الرسميين ، وضبط أموال البلدية وصيانة الحمامات ، والأهراء العامة ، وقنوات المياه والجسور .

ومهما يكن فقد كان المطارنة في القرن المنصرم قد أوكلوا بأعمال البناء التي تتطلب مصاريف كثيرة وقوة عمالية ضخمة وعلى مسافة بعيدة من العاصمة . ففي الرها بنى المطران نوناعمارة للمعمودية وبيتاً للبرص ، ومعبدأ ، وأديرة ، وأبراجاً وجسوراً ، وأمن الطرق . وأشرف توما الأمدى على بناء مدينة دارا في زمن الامبراطور انستاسيوس . وفي سنة ٥٠٤ -

١٦- يشوع العموني .

١٧- وكذلك عندما دمّر خسرو حلب في سنة ٥٤٠ توسل اليه مطرانها أن يترك قلعتها دون أن يمسه بالخراب ، ففعل .

٥٠٥ أعطى الامبراطور المطران بطرس نقوداً ليرمم قسماً من السور وأعطاه الوزير أوريسسيوس عشرة أرتال من الذهب ليبنى كنيسة . وفي نفس الوقت أعاد سرجيوس اسقف بيرثا ( بريسك ) ، الذي كان تحت سلطة مطران الرها ، بناء سور مدينته على حساب الامبراطور . كان نشاط المطارنة شائعاً جداً حتى ان كاتب سيرة حياة المطران ربولا يعلق على أن هذا المطران المتقشف امتنع عن كل بناء ما عدا تشييد كنيسة واحدة واصلاح أخرى . فمسؤوليات ومكانة المطارنة اذن كانت عالية جداً . ولقد عين شخصان على الأقل لمنصب رئاسة أبرشية كانا يحملان من قبل رتبة حاكم ، هما : نونا السلوقي وخلفه مارا (١٨) .

كان التعاون السهل بين الدولة والسلطة الاكليريكية المحلية ينقسم في بعض الأحيان بسبب الجدل العقائدي . واحتفظ الأباطرة بدورهم كمستلمي زمام الأرثوذكسية لاكليروسهم . واذا كانت آراء مطران ما تستدعي التساؤل لم يكن ليستطيع بعدئذ أن يعتمد على دعم الحاكم الاقليمي أو القائد العسكري (١٩) . ففي سنة ٤٤٨ كان هيبا الرهاوي قد برىء من قبل رئيسه بطريرك أنطاكية من التهم التي أقامها ضده جماعته من الأكليريكيين ، وصادقت القرار ارسالية امبراطورية مقرها في صور وبيروت . وعندما رجع الى الرها ، ربما في نيسان سنة ٤٤٩ كانت ضجة خصومة العجاجين لا تزال مستمرة لم تخمد . فترك هيبا المدينة بعدئذ ساعياً وراء وظيفة قاض كان له الحق فيها . ولكن بدلاً من أن ينالها ألقى حاكم الرها المعين حديثاً القبض عليه . وأمضى السنتين التاليتين ، كما ادعى فيما بعد ، في ما لا يقل عن عشرين سجناً قبل أن يرجع اليه المجمع الخلقيدوني منصبه واعتباره . وأعيدت نفس هذه الحكاية في القرن التالي . ففي سنة ٥٢٢ طرد الامبراطور المطران بولس الرهاوي لمساندته المونوفيسييين . وأخرج عنوة من مبنى العمودية الذي اعتمص فيه . ثم غدا المطران الجديد قادراً على اضطهاد أعدائه بكل عزم السلطة المدنية .

- ١٨- يبدو أن هناك حوادث قليلة مطابقة لهذا في مكان آخر من الامبراطورية البيزنطية وكان انتخاب أفرام أمير المشرق ليعتلي سدة بطريركية أنطاكية في القرن السادس أمراً فريداً في يابه .
- ١٩- مع ذلك فقد مارس المطران سلطة واسعة في قرار الأمور الاكليريكية . ونخب عن بطرس مطران الرها في زمن استتاسيوس بأنه « أضاف الى مهرجانات السنة » ( في الرها ) مهرجان أحد الشعانين . وكذلك أوجد عادة تقديس الماء في الليلة التي تسبق عيد الغطاس . وصلى ( الكلمة غير أكيدة ) على زيت المسوح ( المشحة ) UNCTION يوم الخميس ( من أسبوع الآلام ) أمام الشعب بأكمله . بالإضافة الى تنظيم أعياد أخرى .

« كان فعلاً نشطاً وعنيفاً ضد [ المونوفيسيين ] المؤمنين • ونفى العديد منهم وسامهم جميع أنواع العذاب • والكثير منهم ماتوا تحت المعاملة القاسية التي أنزلها بهم ليبيروس القوطي الذي كان مدبراً فظاً يدعى بأكل الثيران » (٢٠) •

لقد كان ممثلو الدولة ، سواء أكانوا مدنيين أم عسكريين هم الذين طاردوا اليعاقبة بشراسة ، المطارنة منهم وأفراد الرتب الصغرى من الاكليروس والعلمانيين على السواء • وفي زمن حكم الامبراطور موريس ذبح الجند حوالي أربعمئة راهب خارج أسوار الرها •

ان التهم الرئيسية التي وجهت الى المطران هيبا تعطينا صورة واضحة عن مدى سلطة مطران مطروفوليطي في القرن الخامس • اتهم هيبا بأنه حول لاستعماله الشخصي الجزء الأكبر من ألف وخمسمئة دينار ، ومبالغ أخرى جمعها الشعب من التبرعات لفدية الأسرى ، بالإضافة الى أموال أخرى مجموعها ستة آلاف دينار، وضعت في الخزينة، وزعم أن هيبا وزع منها ألف دينار فقط • وكذلك اختفت كأس ثمينه وهبت الى الكنيسة • واتهم كذلك بأنه أخذ نقوداً على رسامة الكهنة ، وأنه سعى الى تفضيل شماس لكرسي أبرشية باطناي أملاً في أن يحصل منه على وصفة معادلة سحرية معينة • وعندما أحبطت خطته من قبل رئيس الشمامسة عزل خصمه من رتبته وبالتالي عين صنيعته كقيم على تكية الرها • وكان يسلم الذين يعارضونه الى الأركون ( من المحتمل هنا أنه قاضي المنطقة) ليعاقبوه عقاباً سريعاً دون معرفة التفاصيل • وكان هيبا قد عين ابن أخيه دانيال لأبرشية حران مع أنه كان شاباً سيئ السمعة والسلوك ، بالرغم من أن سكانها كانوا في غالبيتهم وثنيين وتطلبوا ارشاد قسيس موهوب يؤثر فيهم بفضيلته المثلى • وسمح هيبا أيضاً لابن أخيه وأقاربه الآخرين بالتمتع بفوائد الدخل الاكليريكي • وكان قد عين حصة صغيرة من الخمر الجديد الرديء لكنيسة القربان المقدس بينما احتفظ هو ورفقاؤه بذخيرة من الخمر الممتاز للمذاتهم ، وكان يتمتع نفسه علناً بما يعرضه الاستديوم والمسرح من أمور التسلية • وتقول الناس بأن أحد معاصريه جهّز له سريراً خاصاً ليدخل المسرة الى

٢٠- ربما كان العسكريون أكثر رافة من السلطات المدنية ، إذ أصروا على المطران اسكلايوس تجهيز المونوفيسيين المطرودين بالحيوانات احمّل الأمتعة ، ولقد كان بموجب تعليمات مسن قبل مطران الملكانيين فقط أن المونوفيسيين يجب أن يلاقوا حتفهم على الخازوق في آمد « ذكريا ويطور » •

قلبه . وفي قائمة الاتهامات ضد هيبا - وهي ليست دائماً اتهامات ذات شأن ولو أن الضجيج العام وسّتها - كانت أيضاً تهمة الهرطقة . وساد التأكيد علي أن هيبا كان نسطورياً ونعت قوريلوس الإسكندري بهرطوقي . وصرح تصريحات مشينة في اجتماع لكهنته المرؤوسين مع مقابلة وجيهه علماني في المدينة ، وكذلك في موعظة من على المنبر الى الجمع المحتفل ، وتأليفه للرسالة التي أرسلها الى ماري بيت أردشير الفارسي كانت معروفة جيداً .

وقدمت الاتهامات ضد دانيال الحراني . وكان قد احتفظ بعلاقة مع امرأة متزوجة من الرها وأمضى وقتاً كثيراً في السفر معها خارج أبرشيته . وزعم بأنه رسم كهنة ذوي سمعة سيئة كسمعته وأعطى محظيته وأقاربها مالا أخذه من كنائس حران والرها دون أي احتجاج من خاله [المطران هيبا] ، ومارست المرأة التي كانت فقيرة من قبل الربا بمالها الحرام . وخدع دانيال شماساً كان قد اكتسب ملكاً من أملاك كنيسة وشاء أن يتركه للفقراء . عوضاً عن ذلك أعطى دانيال الارث العشيقتة ، وسمح أيضاً بقطع أشجار من حرش يخص كنيسة الرها لتستعمل في بناء بيتها . وكذلك قبل ، خلافاً للقوانين ، تقدمات على المذبح من الوثنيين وغفر لهم خطاياهم . وغُمز أيضاً بأن صفرونيوس مطران تلا وابن عم لهيبا كان قد عين لمنصبه بواسطة محاباة الأقرباء ، واتهم بممارسة السحر وكانت لابنه عادة معاشرة اليهود . وكفكرة طارئة متأخرة نوعاً ما ، اتهم صفرونيوس بأن له آراء ديوفيسية .

قد تكون بعض التهم التي وجهت لهيبا لا أساس لها ولكن يجب أن نلاحظ أن الاغراءات التي كانت تواجه مطراناً طموحاً مترفهاً في الرها كانت عظيمة حقاً . تصرفت الكنيسة بثروة لا يستهان بها استمد القسم الأكبر منها من الهبات وتركات الورعين الأغنياء منهم والفقراء ، ومن أملاك الاكليريكيين الذين ماتوا دون ترك وصية أو أنهم وهبوا ثروتهم الى الكنيسة في حياتهم (٢١) . وكان المطران رابولا يعارض الرفاهية، وأصر على أن تباع أنية الهيكل المصنوعة من الذهب والفضة ويعطى ثمنها للفقراء . ثم استبدلت بأنية من الفخار . واحتفظ بالأواني المكرسة للذكرى الأموات فقط . ومهما يكن فان مطارنة آخرين في الرها رحبوا بالهبات ، ففي سنة ٤٣٧-٤٣٨ أهديت مائة عظيمة من

٢١- كما فعل المطران رابولا الذي كان مالكا ثريا في غربي القرات قبل أن يصبح كاهنا .

الفضة زنتها سبعمئة وعشرون رطلاً الى الكنيسة القديمة ، وبعد أربع سنوات وضعت عظام القديس توما في معبد من الفضة . وفي زمن هيبا أعطي للكنيسة كأس مرصعة بالجواهر ثمينة جداً . أما الأواني الفضية التي زعم أن هيبا قد أذابها غير تلك التي اتهم بأخذها واستعمالها على مائدته ، بيعت بوزن مئتي رطل . ووهب كاهن ثري مالا ليكون وقفاً ثابتاً لتلك الكنائس التي لا دخل لها . وحصلت الكنائس على تركات ضخمة . وكانت الخزينة ملأى بالمال الى درجة استطاع معها المطران هيبا أن يختلس نقداً وفضة ما قيمته ستة آلاف دينار . وفي أثناء طاعون الدمامل في الرها سنة ٤٩٦-٤٩٧ وهبت محفة من الفضة بسبب « الغيرة اللائقة » التي أبدأها المطران ، وتبرع أحد المجتمعين بما يبلغ مئة دينار ، وبعد وقت قصير جهّز أحد الكهنة نحاساً وصفح به الباب المؤدي الى رواق الرجال في الكنيسة العظيمة .

صحيح أن الكنيسة كانت لها مصاريف باهظة ، وتدفع الضريبة من أراضيها ، ولو أنها كانت معفية من أية ضرائب اضافية ، كان عليها أن تقوم بصيانة عماراتها ، وأن تدفع رواتب الاكليروس ، وترعى شؤون المرضى والأرامل والأيتام والفقراء والغرباء ، وأن تنفق المال على فدية الأسرى . ولكن كثيراً ما كانت تحصل على الهبات لهذه الأغراض المعينة وليس من أثرياء الأبرشية فقط ، وفي زمن هيبا قيل ان شماساً فقيراً أصبح غنياً بسبب الامتلاك غير اللائق لممتلكات الكنيسة ، ثم ترك جميع ماله للفقراء . وقدم مطران في الكاتدرائية التماساً لجمع التقود الفدية الأسرى فكانت حصيلته نحو خمسمئة رطل من الفضة (أي ألف وخمسمئة نومي) ، حتى النساء والأرامل والأيتام تبرعوا بنحو خمسين أو مئة « نومي » . ان قائمة المنهوبات التي نهبها خسرو الثاني من كنائس الرها بعد احتلاله المدينة سنة ٦٠٩ تعطي انطباعاً عن الثروة التي كانت الكنيسة قد كدستها ، وهي تشتمل على ثروة المعابد المختلفة ، وموائد حجرية ، وأعمدة من الرخام ، ونوافذ من الذهب والفضة ، وصفائح من الفضة في المعبد على المذبح وعلى العمدان الأربعة والعمدان في واجهة الهيكل ، وعلى العرش في منتصف الكنيسة - يبلغ مجموع وزنها نحواً من مئة وعشرين ألف رطل - ولم يكن هذا كل ما هناك . لقد صادر هرقل أملاك كنيسة المونوفيسيين التي وهبتها العائلات الثرية في المدينة ولم تتكون من الذهب والفضة وحسب بل من البساتين والطواحين والحوانيت والحمامات أيضاً . لقد نمت ثروة الكنيسة بسرعة بالفلاحة والعناية الجيدة . وعلينا ألا ننسى أيضاً انه

بقانون لاون Leo في سنة ٤٧٢ أعفي الاكليروس من دفع الضرائب ومن الالتزامات العائلية التي كانت واجبا وطنيا Patria potestas .

ان مطرانا ميت الضمير قليل الذمة كان باستطاعته ان يكسب ثروة كبيرة في وقت قصير . وليس من الضروري ان نصدق الاتهامات الحقودة التي اتهم بها هيبا أنه قبض مالا على رسامات الكهنة ، أو ان دانيال قبل عطايا الوثنيين الذين رغبوا في التكفير عن خطاياهم . اذ مهما يكن ، ليس هناك سبب يمنع هيبا من تعيين أفراد من أسرته ، أو من حلقة معاشريه ، لمناصب الأسقفيات الشاغرة أو المناصب الأخرى في اقليم الرها - أوزروين ، أو عن أن يولي أخاه وأقرباءه الآخرين مناصب ادارة مدخولات الكنيسة . ان تفضيل الأقارب أمر يؤسف له ولكنه لم يكن خطيئة . كان المطران حراً في التصرف كيفما شاء في الأملاك الاكليريكية في اقليمه . ولذلك فان دمنوس الأنطاكي حكم عدلاً بأنه لا لوم على هيبا بهذا الخصوص . كان هناك خازن لأموال الكنيسة في الرها ووكيل للخارج يسمونه بالسريانية « راب بيتا » مسؤول عن عقارات الكنيسة ، ولكن مسؤولية التصرف بها كانت في يد المطران بعد استشارة البطريرك عند اقتضاء الضرورة . وكانت مجالس الكنيسة تكرر أن أموال الاكليروس يجب أن تدار ويشرف عليها الكليريكي عين خصيصاً للمنصب، ولكنها لم تكن لتستطيع أن تتدخل في سلطات المطران الا اذا تصرف بنزق فاضح . وبنفس الطريقة بالضبط حرمت المجالس المتاجرة بالدين والرتب الكهنوتية ولكنها لم تستطع أن تمنع ظهورها كلياً بشكل أو بآخر .

ان سلطات المطران علي مرؤوسيه كانت أيضاً كاملة ، وكانت له السلطة في أن يوقف أو يحرم كاهناً معارضاً . ولكن كانت هناك حماية للكهنة ضد أي عمل تعسفي قد يقوم به الاسقف فيما لو تخاصم الكهنة مع رئيسهم . فكان لهم الحق في اللجوء الى محكمة البطريرك أو الى الامبراطور نفسه ، وكثيراً ما كان هذا الحق يمارس . من الواضح أن هيبا حوكم بقسوة من قبل معارضيه المونوفيسيين في مقاطعته . وربما كانت تنقصه مقدرة أو تأثير سلفه رابولا الذي كان بنفس الأوتوقراطية . لقد أذعن للوصية المهينة التي أوصت بها اللجنة الامبراطورية بالألا يتحامل على كاهن أو راهب يستنكر أعماله ، بل يستشير البطريرك قبل أن يتخذ أية اجراءات شديدة ضد خصومه . ولكن مجمع خلقيدونيا استمد مغزىً مختلفاً من قضية هيبا ، وشرع

تنظيمات ضد الجمعيات السرية وأخوة الكهنة والرهبان لكي تتجنب تكرار المؤامرات في أماكن أخرى ضد مطران الرها - أي بمعنى آخر ساند سلطة المطارنة السائدة .

امتد قضاء مطران الرها الى جميع أنحاء الاقليم : أوزروين وكان يسيطر على الأبرشيات المجاورة التي كان أهمها أبرشيات حران وكالينيكوس (الرقعة) الى الجنوب ، وباطناني (بضمنها سروج) . وبيثا الى الغرب ، وتلا وراشعينا الى الشرق (٢٢) . ادعى هيبا في مجمع خلقيدونيا أن اكليروسه في الرها بلغ مئتي راهب أو أكثر . وهيئة موظفي الكاتدرائية الذين وقعوا الوثيقة لصالحه ودعمه كانوا سبعة عشر كاهناً ، وسبعة وثلاثين شماساً ، وثلاثة عشر رسائلياً ( افودياقونا ) ، وقارئاً واحداً (قورويو) (٢٣) . ولقد ألمحنا سابقاً عن وكيل الخرج ، وربما كان أهم موظف محلي في الكنيسة بعد المطران نفسه . وكان هذا المنصب تحتله شخصية بارزة في المدينة . وقد أشرنا أيضاً أنه في آمد كانت رتبته بعد رتبة الحاكم مباشرة . وأحياناً كان « راب بيتا » والذي كان عادة « بار قياما » حاضراً أي ابن العهد أو المكرس يخلف المطران في وظيفته ، ففي مجاعة سنة ٥٠٠ - ٥٠١ أنشأ أحد وكيلي خرج الكنيسة العظيمة في الرها ، الذي أصبح أسقف حران فيما بعد ، ملجأ للعجزة في عمارات ملاصقة للكنيسة . ومن الشخصيات البارزة الأخرى في المدينة كان الكزينودوكس القيم المسؤول عن التكية وأحياناً رئيس كهنة ورئيس شمامسة ( ارخدياقون ) . وكانت هناك شماسات أيضاً . ومن البارزين بين الرتب المنخفضة لموظفي الكنيسة كان خدم الكنيسة Vergers والكتبة . وكان المطران ربولا قد أمن معيشة الكتبة في وصيته . ومن الواضح أن صفرونيوس استعمل كتبة تلا ليحضروا حساباته في التنجيم . بينما يقال ان يعقوب السروجي استخدم سبعين كاتباً لينسخوا مؤلفاته الشعرية .

لا نعرف الا القليل عن سير الأمور في أية اسقفية في اقليم الرها أوزروين . كان المطران يسكن في قصره الرسمي ، واذا أقام حفلة يقيمها في قاعة المآدب ، وكان يعظ من منبر الكاتدرائية . ومن الغريب

٢٢- من الأبرشيات الأخرى ، كيركاسيون ، وتلمحري . وهيمريا ، ودوسارا ، ونيافالنتيا ، وماركوبولس ( كراكس صيدو أو هيكلا دا صيدا ) .

٢٣- حصل خصوم هيبا ( الموثوقسيون ) على خمسين توقيعاً لرسالة واحدة من رسائلهم الاحتجاجية ، وكان بين هؤلاء أحد عشر اسماً لرهبان ، أما الباقون فقد كانوا عشرة قسس وعشرين شماساً وتسعة رسائلياً ( افودياقونا ) .

أن المطران هو الذي كان يجهز الخمر في الرها للقربان في عيد الشهداء الأبرار . وكان من المتوقع أن يكون مطران الرها حاضراً في المدينة في عيد الفصح ، وكان عندئذ يعقد اجتماعاً لأكليروس المدينة ويعطيهم هدايا صغيرة بمناسبة العيد ويلقي خطاباً . ومن الواضح أن المطران كان ينظر إليه باحترام لائق . حتى أن خصوم هيبا ادعوا بأنهم سيحترمون رتبته مهما كان سلوكه لولا آراؤه الهرطقية . ولكن الضجة التي علت في الكاتدرائية في الرها يوم الأحد كانت في غياب المطران . ولم يكن عادة بالامكان تخفيض المطران من رتبته الا اذا امتهن مركزه . فنونا الذي قام بدور المطران في الرها أثناء نفي هيبا احتفظ بمنزلته عندما عاد الأخير الى منصبه ، على انه لم يكن هناك كرسي شاغر في تلك الفترة ، ووضع المطران نونا تحت تصرف بطريك أنطاكيا . ومهما يكن ، فان باستطاعة المطران أن يستقيل . ولقد عبر مونوفيسيو الرها الذين تظاهروا ضد هيبا عن دهشتهم من أنه لم يقدم استقالته من وظيفته نظراً لميوله النسطورية . ويقال ان دانيال الحراي أقرب عدم أهليته للأسقفية عندما لامه رفاقؤه الرهبان وجهاً لوجه وأنه قدم استقالته خطياً ، وأن كتاب الاستقالة هذا كان يجب أن يعرض على مجلس سينودس للنظر فيه ، ولم يتخذ أي اجراء في الواقع . فالكرسي الذي شغله شخص يدعى يوحنا قبل المجمع الخلقيدوني أعيد الى دانيال .

رسخت المسيحية في الرها ، كما في أي مكان آخر في الشرق ، في الريف . ومن المحتمل أنها رسخت في الريف قبل المدن . وان أعمال الدائرة الكنسية للأبرشية كان يسيطر عليها الاسقف . وأوضح وصف لأعمال كهنة الدائرة الكنسية نجده في مجموعة من القوانين تهيمن على أعمال الكهنة وال « بناي قياما » ، وهذه القوانين تعزى ، وربما عن حق ، الى المطران ربولا في القرن الخامس . وهي تستحق أن نوجزها هنا لما كان لها من تأثير على السلوك العام للمجتمع الرهاوي . أوصت القوانين الكهنة بأن يتجنبوا معاشرة النساء وألاً يأخذوا رشوات أو أن يقبلوا الهدايا من العلمانيين ، وألاً يطلبوا فائدة أو خصماً وألاً يعطوا ضماناً مالياً . وناشدتهم القوانين أن يهتموا بحاجات الأديرة وأن يبنوا الكنائس حيث تكون معدومة وأن يحافظوا عليها مكلسة ببيضاء ، بقاعات وقياب وأقواس مبنية بناءً حسناً . وفي كل كنيسة يجب أن يكون مكان للراحة . وكان على الكهنة أن يناموا في تكية الكنيسة أو في دير وليس في خان ، أو فندق حيث يسكن الجنود سيئوا السيرة والداعرات بلباسهن الخاص . ولم يسمح للكهنة بأن يأكلوا اللحم أو

يشربوا الخمر الا عند مرضهم وباعتدال . وكانوا ملزمين بأن يحضروا خدمات القداديس بانتظام وأن يثابروا على الصوم والصلاة . وعليهم أن يتجنبوا التورط في قضايا المحاكم وخاصة في المدينة وألاً يتركوا كنيستهم ويسافروا الى أماكن بعيدة حتى ولو كان من أجل القرية أو الكنيسة بدون تصريح معين . كان يتطلب منهم أن يسكنوا الكنيسة وأن يتركوا أموالهم لها بعد وفاتهم . وأمروا بألاً يتغاضوا عن أمور الزنا بأي حال من الأحوال . وألاً يقبلوا عملاً من العلمانيين أو أن يقوموا بدور الأوصياء ، ويجب أن تحفظ نسخة من الأناجيل المنفصلة (أي ليس السدياطسرون) في كنيستهم . وحذروا بألاً يتصلوا بالهرطقة أو يعابدي الآلهة الشريرة ، وأوصوا بأن :

« يعتنوا بالفقراء وأن يناصروا قضية المضطهدين دون أن يحابوا أحداً . . . [وكان عليهم أن] يتمسكوا بالاحترام المستحق للملاك الأراضي دون أن يحابوهم أو أن يضطهدوا الفقراء » .

كانت الطبقة المتصلة بالكهنة هي طبقة الـ « بناي قياما » ، ( أي أبناء العهد) و « بنات قياما » (أي بنات العهد) ، وكان على الكهنة أن يهتموا بشؤونهم اهتماماً خاصاً . وكان على « البنائي قياما » في هذه المنطقة وفي هذا الوقت أن يحافظوا على عدة قوانين يحافظ عليها كهنة الدائرة الكنسية في الأبرشية . فكان عليهم أن يكونوا متزهدين في الطعام وظاهرين وأن يعيشوا بمفردهم وألاً يحضروا اجتماعات دون وجود كهنة إذا كانوا رجالاً . أو دون وجود شماسات إذا كن نساء . وكان وكيل النخرج يجب أن يعين من بين « البنائي قياما » . وكان من اللائق أن ينتخب أحد العلمانيين لهذه الوظيفة إذا لم يكن هناك « بار قياما » مناسب لذلك . ان منزلة ومؤهلات الـ « بناي قياما » اختلفت ربما من منطقة لأخرى ومن فترة الى فترة في العالم المسيحي الشرقي . وظاهر من هذه التنظيمات بأنه في الرها في هذا الوقت ، أي في مستهل القرن الخامس – ولو أن القوانين قد تكون مبنية على ممارسة أقدم – كانت منزلة هؤلاء الأشخاص بشكل من الأشكال بين العلمانيين والكهنة . وكانوا في الحق أقرب الى الكهنة لأنهم قبلوا نظاماً اكليريكياً صارماً . وكانوا ينعتون سوية مع الكهنة « بأبناء الكنيسة » . وكانوا عزاباً لا يتزوجون . ولكنهم لم يأخذوا عهداً بالفقر . وبينما لم يسمح لهم بقبول أنواع معينة من العمل من العلمانيين لا بد انهم احتفظوا بحق استعمال ممتلكاتهم الخاصة .

## المهن

كان قادة الرها من المواطنين الوجهاء الملاكين ومنهم يُنتخب أعضاء لمجلس المدينة . وتشير وثيقة من سنة ٤٤٩ الى « أعضاء المجلس وبقية الملاكين » . ولكن المهنة التي كانت الثروة تستمد منها بأكثر ما يكون من السرعة هي التجارة . وكانت السلطات الرومانية حريصة على السيطرة وتشجيع سير القوافل بين فارس والامبراطورية . وفي زمن الامبراطورية الرومانية المتأخرة كانت تجبى ضريبة جمارك بنسبة اثني عشر ونصف بالمئة على الواردات والصادرات . وكان هناك في زمن ديوقليتيان طريق تجارة رئيسي الى فارس يمر عبر نصيبين على حدود الأراضي الرومانية . وعندما مرت الحدود بين البلدين عبر وسط ما بين النهرين بمعاهدة سنة ٣٦٣ استرجعت نصيبين وظيفتها كمركز جمركي ولكن على الجانب الفارسي الآن . أما نقطة الجمارك البيزنطية فقد كانت في كاليثيكوس ( الرقة ) في بداية القرن الخامس وفي سنة ٥٦٢ في دارا . وكان موقع الرها على الطريق الرئيسي الى نصيبين مصدرفائدة لا يستهان به لمواطنيها . ان بروز المدينتين كمركزين تجاريين عليه تعليق في وصف لبلاد مابين النهرين كتب ربما قبل معاهدة سنة ٣٦٣ بعشر سنوات ويعلمنا بأن « شعب نصيبين الممتاز » .

« فطن » ثاقب الفكر في أعمال الأخذ والعطاء بصورة فريدة ، ومجهز تجهيزاً حسناً ، وثرى بصورة استثنائية ، ومزين بجميع [ أنواع ] السلع والأشياء النافعة لأنه هو نفسه يستلم البضائع من فارس ويبيعها في جميع أنحاء المقاطعة الرومانية ثم يشتري ويشحن [ بضائع أخرى ] بالبدل . ان مدن [ ما بين النهرين ] في اختمار بأعمال الأخذ والعطاء التي ينجزها بنجاح في جميع أرجاء الاقليم . وبعد نصيبين تأتي الرها في أوزروينه . وهي نفسها مدينة بديعة » .

ان السلعة الرئيسية الوحيدة في التجارة كان الحرير . وكان يصل الى أسعار عالية فاحشة في روما . صحيح ان بعض الرومان كانوا يعتبرون استعماله عملاً مختئاً بحيث ان الامبراطور أورليان لم يلبس الحرير ولم يسمح لزوجته بلبسه أيضاً . ومهما يكن ، ففي القرن التالي عندما غدت القسطنطينة عاصمة الامبراطورية الشرقية ، كان الطلب على الحرير نهماً لا يقف عند حد ، غير أن الامبراطور جوليان العبوس الصارم

عبر عن عدم الموافقة على استعماله ، ولكن تأثير ذلك كان ضئيلاً . ويصف اميان نشاط التجار في باطناي في هذه الفترة :

« [ كانت باطناي ] تحتشد بالتجار الأغنياء عندما كان يجتمع عند المهرجان السنوي قرب بوابة أيلول جمهور غفير من كل صوب من أجل المعرض ، ليتاجروا بالبيضاة المرسله من الهند والصين والسلع الأخرى التي جيء بها الى هناك بانتظام وبكثرة عظيمة برأ وبحراً » .

كانت مدينة باطناي هي الموقع لهذا المعرض لأنها كانت المحطة الأخيرة على طريق القوافل قبل اجتيازها الفرات وتركها ما بين النهرين ، ولكن باطناي كانت متكلة على الرها ، والرها نفسها كمركز رئاسي اداري للاقليم ، لا بد انها كانت أكثر ازدهاراً كمركز تجاري .

لا بد انه في زمن جستنيان كان قد حل انحطاط في ازدهار تجار الرها . ونبلاء القسطنطينية كانوا لا يزالون « يجدون الرضى في عرض الألبسة [ الحريرية ] بالبذل السخي لنقودهم - أو . . . أنهم شعروا بأنهم مضطرون الى ذلك ! » . وحاول جستنيان أن يحول تجارة الحرير عن طريق فارس بمساعدة حاكم أثيوبيا ، ولكن بدون نجاح . وأنشئ فرع لصناعة الحرير قرب القسطنطينية نفسها - وذلك ، يقال ، بتدبير راهبين من أواسط آسيا هربا بدود القز كل في عصامجوفة الى الغرب ، ما بين عامي ٥٥٢ - ٥٥٤ ، وهناك غديا الدود على ورق التوت . ولكن الناتج المحلي سد حاجة جزء فقط من الطلب في العاصمة . واستمر جلب الحرير برأ من الشرق عبر الرها ، ولا ريب في انه استمر أيضاً في فرض أسعار عالية . غير أن الطريق غدا الآن غير آمن . ويرجع ذلك بصورة رئيسية الى ابتزاز قطاع الطرق البدو ، أو الى قلة القوافل .

هناك اشارات قليلة الى التجار في الأدب المحلي لهذه الفترة ، اذ يبدو ان الكتّاب اعتبروا سلوكهم غير شريف . ويكتب يوحنا الافسسي عن أخوين كانا تاجرين رحالين ، يحملان تجارتها ما بين القسطنطينية وفارس . ثم يعلق بمغزى قائلاً : « انهما امتنعا عن الممارسات الشريرة التي يميل الى اتباعها تجار العالم » من المساومة « وحلفان اليمين بجميع أشكالها والكذب والابتزاز » (٢٤) . ولم يكن ليستطيع الاخوان أن يثريا من مهنتهما . في البداية كانا يقبضان خمسة أو ستة دنانير سنوياً ،

٢٤- يوحنا الافسسي ، كتاب « السير » Lives .

وعندما باشرا بجلب السلع مع القوافل كانا يقبضان عشرين ديناراً ،  
وبعد عشرين سنة من العمل لم يكن معاشهما أكثر من ثلاثين ديناراً سنوياً .  
واعتبرا هذا كافياً لاقامة عمل بيع وشراء خاص بهما في آمد وبعد ذلك  
في ملاطية . وقبل قرنين لم يكن التجار الرحالون أكثر ازدهاراً . فقد  
هجر « تاجر ثري » ما بين النهرين اسمه أنطونيوس مهنته لكي يدخل  
خدمة « القائد » ككاتب ، وأصبح في نهاية الأمر جندياً حامياً في الحرس .  
فاذا كان قد غير مهنته لكي يحسّن أمره المالية فإن دخله كتاجر لا بدأه  
كان متواضعاً .

بإمكاننا أن نستمد صورة لا تخلو من الشيء عن أخلاق الرحالة  
التجار من حكاية مؤلفها مجهول تدور حوادثها حول تاجر وثني من فدانا  
قرب حران . من الصعب تحديد تاريخ الحكاية ولكن من الواضح ان  
أصلها سرياني يعود الى ما قبل العصر الاسلامي . تعهد التاجر بأن يأتي  
من دير ابراهيم في حران بقطعة من الحجر الذي دحرجه يعقوب من على  
فوهة البئر عندما التقى براحيل ، وذلك لأنه كان يظن أنه سيشفي عقم  
زوجة أحد معارفه الذين يتعامل معهم في القسطنطينية وعند رجوعه الى  
العاصمة سئل التاجر أن يظهر الطلسم الثمين . ولكنه كان قد نسي تنفيذ  
المهمة التي تعهد بها . ولم يعترف باهماله بل انه « ذهب الى خارج المدينة  
وأخذ حجراً كيفما اتفق وكسر قطعة صغيرة منه ولقها في قطعة من الحرير  
الصافي ووضعها داخل حقيبته ثم أعطاها للمرأة » . أما ان للحكاية نهاية  
سعيدة لأن المرأة حبلت ووضعت طفلاً ، فيجب أن يعزى الى قوة ايمانها  
وليس الى استقامة التاجر . وعلمنا أن التاجر هتف : اذا كانت قطعة  
من الحجر العادي بسبب ايمان المرأة ، استطاعت أن تعطيهها ولداً فكم  
بالأحرى لو أنني أتيت بقطعة من الحجر الذي طلبته فعلاً !

لقد ناقشنا سابقاً اهتمام الرهاويين الخاص بالشفاء . كانت حالة  
ومنزلة الأطباء راقية ، وبموجب القانون البيزنطي كان الأطباء كالمعلمين ،  
في المدن والقرى ، معفيين من دفع رسوم المهنة Collatio Iustralis  
ومن الالتزام الشاق بالقيام بدور الأوصياء على الأيتام . وينص القانون  
على ان « الأطباء يشفون الأجساد والمعلمين الأرواح » . وبما ان الأطباء  
كانوا منهمكين بالدروس العلمانية وليس الدينية جعل بعض الاكليروس  
ينظرون الى مهنتهم بعين الشك . وكان الطلبة في أكاديمية نصيبين  
اللاهوتية ممنوعين من السكنى مع الأطباء في المدينة . ومما فيه مغزى في

هذا الموضوع ان « طبيب المدينة » في تلا كان واحداً من أولئك الذين زعم بأنهم ينسقون ويجمعون الكتب عن علم التنجيم ليستعملها الأسقف صفرونيوس . ومع ذلك فاننا نقرأ في كتابات بروكوبيوس الرهاوي عن شخص يدعى اسطيغان من أهالي الرها ، « وهو طبيب ذو علم فريد ، بين معاصريه على الأقل ، شفى ملك الفرس كاواد . . عندما مرض ، وأصبح يملك ثروة عظيمة بواسطته » وكان اسطيغان قد أرسله البيزنطيون ليقنع خسرو بالانسحاب من محاصرة الرها في سنة ٥٤٤ . وادعى الطبيب أنه ربي [ خسرو ] منذ طفولته ، وانه نصح والده بأن يعينه خليفته على العرش » (٢٥) .

من المهن الأخرى التي مارسها الرهاويون في القرن الخامس الخدمة المدنية . فعلى رأس قائمة المبعوثين في الرها سنة ٤٤٩ الذين قدموا الى الحاكم عريضة ضد المطران هيبا كان موظفون في الادارة الاقليمية وموظفون تابعون للادارة الامبراطورية متمركزين في الاقليم ، وكان هناك موظف مدني مسؤول عن « المكتب » ربما أقل أهمية ، لأنه يظهر في أسفل القائمة ، وشخص مدرسي آخر قد يكون محامياً . وفي تاريخ لاحق بلغ الرهاويون مراكز بارزة في الخدمة الامبراطورية . وكان هناك شخص يدعى بروكوبيوس الرهاوي ، وهو « رجل ذو علم » ، أصبح حاكم نابلس في فلسطين في زمن حكم انستاسيوس .

وكذلك كان سرجيوس الرهاوي « متكلماً متدرباً وبارعاً الى درجة مفرطة » ، جعل مبعوث بيزنطية الى الملك خسرو في سنة ٥٤٣ . وفي سنة ٥٤٤ - ٥٤٥ ذهب للمرة الثانية الى البلاط الفارسي ليرتب معاهدة لخمس سنوات .

كان أصحاب الحرف هيئة اجتماعية معترفاً بها في الرها في زمن الملكية . وهكذا كان الحال في القرن الخامس أيضاً . وألفت ضريبة الكريسارغايريون Chrysargyron أو ( كولاتيو لسترالس ) التي كان يدفعها المهنيون في جميع أرجاء الامبراطورية في أيار من سنة ٤٩٨ في الرها .

« وعم الفرخ جميع المدينة ولبس الكل ، الصغير والكبير ، حلالبيضاء وحملوا شموماً مضاعاً ومباخر تفوح برائحة البخور المحترق ، وساروا وهم يرنونون المزامير والتراتيل يقدمون الشكر لله والثناء على الامبراطور ،

٢٥- واكن خسرو لم يستجب الى طلب اسطيغان بالانسحاب .

حتى وصلوا معبد القديس سرجيوس والقديس شمعون ، حيث احتفلوا  
بالقربان المقدس . ثم رجعوا ودخلوا المدينة ثانية وأقاموا مهرجان فرح  
وسرور خلال الاسبوع بأكمله . وشرعوا قانوناً بوجوب الاحتفال بهذا  
المهرجان كل سنة . وكان جميع أصحاب المهن مضطجعين يلهون ويستحمون  
ويتلذذون بالأكل والشرب في أفنية الكنائس وفي جميع أروقة المدينة» (٢٦)

كان أصحاب المهن والحوانيت منظمين في جمعيات نقابية Guilds  
ولا بد أن ممارسة اجراءات معينة كانت محصورة في أشخاص لهم  
سلطتهم (٢٧) . وبما أن الاشراف على الحرف كان صارماً الى هذه الدرجة ،  
كم كان تهديد البطريرك الملكي الانطاكي خطيراً في سنة ٥٣٦ - ٥٣٧ .  
« ذلك انه لن يسمح لأي انسان في المدن الكبرى في ما بين النهرين البيزنطية  
أن يزاول مهنته ما لم يقبل بالمجمع الخلقيدوني ، وكانت هنالك مهن  
حقيرة أخرى . وجنباً الى جنب مع فئة الحرفيين في القرن الخامس كانت  
فئة « أولئك الذين [ يشغّلون ] في الحرف اليدوية » فربما كان هؤلاء  
عمالا غير متدرّبين أو طلاب مهنة تحت التمرين ، ولا شك في أنهم لم يكونوا  
أعضاء في نقابة . وقد يكون ذا مغزى ان المهنيين كالاكليروس ومستشاري  
المدينة وقعوا أسماءهم على العريضة المقدمة للحاكم ضد هيبا . أما « أولئك  
الذين [ يشغّلون ] في الحرف اليدوية » قبل « أولئك الذين تكون مهنتهم  
في العمل [ الزراعي ] » قانهم « يبصمون بأصابعهم » .

وكان هناك خدم يعملون في البيوت أيضاً في الرها . ويقص  
علينا تاريخ للمقدسيين في القرن السادس أن رجلا باراً يعمل في أحد البيوت  
كان يُدفع له مائة « نمّي » ورغيف كامل في اليوم ، فكان يعطي النقود  
للفقراء وفي أيام الآحاد يشتري فواكه ويوزعها على الذين في التكية .

كان صنع الخبز فرضاً متواضعاً بنوع خاص يقرب من العبودية  
الحقيقية . وكان عادة من مهام النساء (٢٨) . وكان ينجز أيضاً في مناسبة

٢٦- يشوع العمودي .

٢٧- من الواضح أن اغاي الذي كان صانعا ماهراً في الحرير مارس الاحتكار قبل أن يصبح مطرانا في  
قصة اداي .

٢٨- في سنة ٥٠٤ - ٥٠٥ في آمد قاست التامية الفارسية من النقص في الخبز الى درجة هائلة ،  
فالتقوا بالاهالي المذكور في المسرح المدرج ليموتوا من الجوع، ولكنهم اطعموا النساء «لأنهم استعملوهن  
لاشباع شهواتهم الجنسية ولأنهم كانوا في حاجة اليهن ليطحنن ويخيزن » « ذكريا ريطور » . ولكن  
فيما بعد اضطر الجنود الفارسيون الى انجاز هذا العمل بأنفسهم .

خاصة بأمر خاص من الحاكم أو القائد العسكري العام . وفي مجاعة  
سنة ٤٩٩ - ٥٠٠ .

« رأى نائب الملك أن الخبازين لم يكونوا كافين لصنع الخبز للسوق  
بسبب جحافل القرويين الذين كانت المدينة تعج بهم ، ولأن الفقراء لم  
يكن في بيوتهم خبز . وأصدر أمراً بأن كل امرئ باستطاعته صنع الخبز  
إذا شاء وأن يبيعه في السوق أيضاً . فأتت نساء يهوديات حيث أعطاهن  
القمح من العنابر العامة وصنعن الخبز للسوق » (٢٩) .

وفي أثناء تقدم الفرس في منطقة تلا وحران والرها في سنة ٥٠٣  
كان الحاكم العسكري العام قد تركز في الرها لينظم تموين الجنود  
البيزنطيين « بما أن الخبازين لم يكن باستطاعتهم صنع خبز يسد الحاجة  
أصدر أمراً بأن تزود جميع بيوت الرها بالحنطة ليصنعوا البقسماط  
الخاص بالجنود على نفقتهم الخاصة » . فخبز الرهاويون في هذه المناسبة  
ستمئة وثلاثين ألف ( مودياي ) Modii من الخبز للجيش . وفي أيار من  
سنة ٥٠٤ أعطى الرهاويون حنطة مرة أخرى ليخبزوها على نفقتهم ،  
فأنتجوا ثمانمئة وخمسين ألف « مودياي » . وفي السنة التالية خبزوا في  
أحواش بيوتهم ستمئة وثلاثين ألف « مودياي » « بالإضافة الى ما خبزه  
القرويون في جميع أرجاء الريف وما خبزه الخبازون الغريباء منهم  
والمواطنون » - أي ما يكفي ، بموجب ما حسب ، اطعام جيش يقارب  
تعداده أربعين ألف رجل لمدة ستة شهور .

لا شك في أن الرق كان عنصراً بارزاً في المجتمع الرهاوي ، ولكن  
باستثناء بيع فتاة جارية في الرها سنة ٢٤٣ ليس لدينا سوى بيئة ضئيلة  
عنه . ان تنظيم القانون الروماني الصادر قبل الزمن المسيحي الذي ينص  
على أن الفتاة المستعبدة بالامكان اعطاؤها رهينة مقابل قرض واعتبار  
عملها فائدة على الرأسمال بقي ساري المفعول في ما بين النهرين  
البيزنطي (٣٠) واختطاف شخص حر ووضعه في العبودية كان عقابه الموت .  
ان هذا القانون تصوره لنا بوضوح حكاية الفتاة الرهاوية يوفميا التي  
كُتبت ربما في القرن الخامس . أغريت الفتاة كي تتزوج جندياً قوطياً .

٢٩- يشوع العمودي .

٣٠- يتابع القانون : اذا كانت الفتاة المستعبدة التي أعطيت كرهينة تنجب اولادا فان الاولاد يعتبرون  
ملك سيدها . ويعلن « ان المرأة ليست كالارض » .

ولكن ما ان بعدت عن بيتها مسافة طويلة حتى وجدت انه كان متزوجاً .  
 « وجردها [ زوجها ] من ثيابها الفاخرة ونزع الذهب الذي عليها . . .  
 وألبسها ثياب الرق » . غير انها نقلت أثناء الليل بمعجزة الى الرها .  
 واقترض أمر الجندي القوطي فيما بعد ونفذ فيه الاعدام لأنه كان  
 « مستهتراً » بقوانين الرومان النقية . ولأنه أذل شخصاً حراً وألبسه نير  
 العبودية » .

## الزراعة

كان بعض الأهالي الرهاويين ، كما رأينا ، منشغلين بالأعمال  
 الزراعية ، أي افتراضياً ، باليساتين والكروم القريبة من المدينة كما  
 في أورفا الحالية ، وفي وقت الحصاد كانوا يشتغلون في القرى والمزارع  
 الكبرى بالمياومة . وعندما اجتاح جيش خسرو هذه المنطقة في بداية  
 القرن السادس لم يأسر الفلاحين فقط بل المدنيين الرهاويين والحرائين  
 أيضاً ، الذين كانوا قد أتوا ليساعدوا في قطف الكرمة . وفي الريف  
 خارج المدينة كانت أعمال المزارع تنفذ بصورة واسعة . والزراعة  
 جهزت الرها بالمصدر الرئيسي الهام لرزقها . ويصف مؤرخ لهذه الفترة  
 السهل الواقع أمام سفوح تلال الرها الى الجنوب والشرق بأنه « أرض  
 خصبة » . وكان يروي رياً حسناً فينتج محاصيل وفيرة من الحبوب  
 والخضار والفواكه ، وكان يتضمن مزارع وقرى عديدة ، زعماءها  
 شيوخ علمانيون ، ونصوص القوانين تعترف بمنزلة هؤلاء « الشيوخ  
 الذين يديرون القرى » . وكان واجبهم سوية منع الكهنة ، وفي بعض  
 الأحيان مع الشماسة أيضاً ، يفتح الوصية في حضور الورثة ثم تصديقها  
 لوضعها في ارشيف الكنيسة المحلية .

كان القروي اما مزارعاً مستقلاً « أكاراً » ، أو عاملاً زراعياً  
 « فلاحاً » . وكثيراً ما كانت معيشة المزارعين متزعزعة وبامكاننا اعتبار  
 القطعة الشعرية لشاعر القرن الخامس السرياني كوعظ فارغ  
 [عندما يقول] :

المزارع أكثر راحة من التاجر .

ومن يعمل في الأرض يحتقر الملك (٣١) .

وعندما كانت ماشيته تموت بفعل المرض أو تُسرق أو يُستولى عليها للأغراض الحربية ، وعندما كان حصاده لا يغل بسبب سوء الطقس أو الحرب أو أعمال السلب ، كان المالك الصغير لا يوجد لديه رأسمال احتياطي ليسد مطالب جابي الضرائب فيجد نفسه واقعاً في شباك الدين ، وكان المدايون الجشعون يحجزون قبل استحقاق الدفع بل حتى انهم كانوا يطلبون الدفع مرة ثانية على قروض سددت كاملاً من قبل . ولقد احتج النساك والمتقشفون الورعون العائشون في القرى على هذه المظالم ولكن سدى . أما المزارعون الأحرار فقد كانوا يشترون من قبل أصحاب الأملاك المتغيين الذين يعيشون في المدينة ويزورون أملاكهم من وقت لآخر للإشراف على حالتها ، ولا ريب لجمع مدخولها أيضاً . وكان يقع على الأهالي الفلاحين هنا ، كما في أي مكان آخر من الامبراطورية ، حمل من الضرائب أثقل من حمل أهالي المدينة في المال ، وفي دفع الثمن سلعاً لا نقداً ، وفي القوة البشرية . وكانت الضريبة تجبى دون رحمة . ففي سنة ٤٩٩-٥٠٠ حدثت مجاعة قاسية في الرها ومع ذلك فقد أرسل الحاكم ضريبة الرأس كاملة الى القسطنطينية بعد أن ، كما قيل ، أمسك بمالكي الأراضي وأكرههم على دفعها باستعمال ضغط كبير (٣٢) . وبإمكاننا أن نتصور درجة الضغط التي مارسها أصحاب الأراضي بدورهم على المستأجرين منهم . ان التخفيض الذي منحه الامبراطور في نفس السنة بمقدار « فلّين » فقط وذلك بتدخل شخصي من مطران الرها خفف الحمل عن القرويين نوعاً ما . وكانت القرى قد أصبحت متاعاً يباع أو يوهب حسب ارادة مالكيها . وكان امتلاك القرى بمثابة جواز سفر للنفوذ في المدينة . وتعلم أن أصحاب الأرض لم يوافقوا على بيع الأملاك في جيرتهم لأشخاص من ناحيات أخرى .

كان الفلاحون يأتون بنتاجهم اليبيعه في السوق خارج باب المدينة، وهناك يشترون ولا ريب السلع المصنوعة التي لم تكن متوفرة في القرى، وكانوا يعاملون أحياناً معاملة خشنة ، حتى ان مؤرخاً مسيحياً يثني على الحامية الفارسية لحمايتها الريفيين على باب آمد . ان المعاملة الخشنة التي كان العسكريون يعاملون بها الفلاحين كانت أمراً مفروغاً منه . غير اننا نخبّر بأن قائد الامبراطور جستنيان بليساريوس كان مستثنى لأنه عندما قُاد الجيش البيزنطي في ما بين النهرين « لم يكن نهماً للرشوات وكان لطيفاً مع الفلاحين ولم يسمح للجيش بأن يلحق الأذى

بهم» (٣٣) • ولكن رجال الكنيسة كانوا أحسن قليلاً من الجند • ففي القرن الخامس أوصي كاهن القرية بأن يعامل الفقراء بلطف ، ولكنه أوصي أيضاً بأن يتصرف باحترام نحو السيد الذي يملك القرى • ان حالة العامل الزراعي مصورة بوضوح في نص قانون لهذه الفترة « اذ يعلن أن كل من يختطف عاملاً سيخفض هو نفسه الى تلك الحالة » وكل من يختطف عبداً يستعبد هو نفسه - الا اذا كان شخصية هامة • وفي هذه الحالة يكون العقاب النفي • ان منزلة العبد الزراعي كانت في الحق أرقى قليلاً من منزلة العبد الرقيق •

## البدو

ان المنطقة الكائنة في ما وراء القرى والأراضي المفلوحة خارج المدينة كان يسكنها عرب شبه بدو ، كما في أيام الملكية • وكانت تمتد من جبال التكتك الواقعة على مرمى البصر من السهول خارج الرها الى مشارف نصيبين ، ومن آمد في الشمال الى تنوريوس في الجنوب • وبعد معاهدة سنة ٣٦٣ غدت منطقة حساسة لأن الحدود البيزنطية الفارسية مرت فيها • وكانت السلطات البيزنطية تنظر الى العربي بعين العطف ، ومهما يكن فقد كانوا أكثر حركة وتنقلاً من الأهالي الزراعيين الذين كانوا مرتبطين بصورة دائمية بالأماكن المسجلين فيها • ولذلك حاولت الحكومة السيطرة على تنقلات العربي ربما لتشجيعه على الاستقرار على الأرض لكي يكتسب اهتماماً مادياً بها بالاحتفاظ على حالات السلم • ولقد حصن أنستاسيوس قرية دارا أولاً لجنوده ، وثانياً « كي يحرسوا بلاد » العربايه « من غارات الفرس والبدو (٣٤) » • وبعدها بنى جستنيان (تنوريوس) « كملجاً في الصحراء ، تتمركز فيه قوة عسكرية لتحمي » العربي « ضد عصابات البدو السلاية » •

ويكتب اميان عن البدو من ملاحظاته الشخصية قائلاً : « لم يقبض أي منهم على سكة محراث ولم ينم شجرة على الاطلاق ، ولم يسع أي منهم الى العيش من حراثة الأرض ، بل كانوا يتجولون دون انقطاع فوق دروب لا نهاية لها ، لا بيت لهم ولا سكن ولا قانون ••• ولقد رأيت العديد منهم يجهلون القمح والخمر » •

٣٣- ذكريا ريطور •

٣٤- ذكريا ريطور •

ووقع راهب اسمه ملكي بين أيديهم فوصف اختباراتهم بينهم  
للقديس جيروم :

« يركب الاسماعيليون على الخيول والجمال » وأطواق حول  
شعورهم الطويلة ، وأجسادهم شبه عارية يلبسون الجلابيب والكتنانات  
تتدلى من أكتافهم وأقواسهم غير مشدودة ، ورماح طويلة في أيديهم -  
لأنهم لم يأتوا للقتال بل سعياً وراء غنيمة (٣٥) » .

كان البدو أسياذ الأراضي النائية عن الحدود ويتوغلون في  
تجوالهم بعيداً غرباً حتى معبد الرصافة وراء الفرات . والكوايح التي  
اعترفوا بها كانت الأحقاد والضغائن المهلكة بين القبائل ، وليس  
قوانين بينظية أو فارس . ولم يكن المواطن الرهاوي العادي في حاجة  
لأن يتصل مباشرة بالبدو الا اذا خاطر بعيداً عن المدينة ، ولكن لا يد  
أنه كان يعي يوماً خطراً عليهم البعيد . ولم يكن المسافر الوحيد ليأمن على  
نفسه . ومن كان يشط عن الطريق العام كان وكأنه يدعو لنفسه  
بالهلاك المحقق لأن قلوب الصحراء كانت معروفة للبدو فقط . وحتى  
القوافل الكبيرة كانت في بعض الأحيان تقع فريسة للتهب والسلب من  
البدو حيث ينهبون تجارتهم ويقتلون المسافرين أو يبيعونهم عبيداً ،  
وكان هناك سبب لاهتمام الرهاويين العميق في منتصف القرن الخامس  
الذين تبرعوا بسخاء لأموال الكنيسة لافتداء الأسرى ثم أخبروا بأن  
المطران هيبا تبرع بألف دينار فقط لهذا الغرض . وكان البدو  
يقبضون على الرهبان والراهبات « ليرغموا الرهبان على عبادة الأصنام  
أو مهما كانت نوع عبادتهم ، ويرغموا الراهبات ليصبحن زانيات  
ويقفن في الأماكن العامة . هكذا كانت عادة «البرابرة» (٣٦) » .

ان الحروب الطويلة والحالات غير المستقرة في ما بين النهرين مكنت  
البدو من أن يلعبوا دوراً هاماً في تاريخ هذه الفترة ، ويعلن يشوع  
العمودي عن حق بأن « هذه الحرب على الجانبين كانت مصدر فائدة  
للبدو . ففرضوا ارادتهم على المملكتين » . وكان الامبراطور  
كونستانتينوس قد حول البدو « النهائيين » ضد الفرس . وعندما  
وصل جولييان الى ما بين النهرين بعد بضع سنين « قدم له أمراء البدو

٣٥- جيروم ، حياة ملكي Vita Malchi ألف نحو سنة ٣٩٠ - ٣٩١ .

36 — J. P. Martin, RSE XXX, 1875, 22 ff.; Syriac text in British Museum

MS Add. 14530, fol, 41 b.

تاجاً ذهبياً وهم متوسلون على ركبهم . . . واستقبلوا بفرح لأنهم كانوا بارعين في حرب العصابات ولكن عندما قتل الامبراطور الشاب غندا الجنود البدو عدائين تجاه الرومان الذين لم يلبوا طلبهم للذهب . فنكلوا بالجيش عند انسحاب جوفيان . وفي المنطقة الفارسية في الفترة الباكورة من حكم الملك كاواد انتهز البدو الفرصة وهم متشوقون للنهب ، ليقيموا بغارات بحرية في أي وقت يشاؤون . وأعلن كاواد عن نيته في مهاجمة بيزنطية « فهرع اليه البدو في نشاط و سرور عظيمين (٣٧) » . وحول الفرس هذا الخطر فيما بعد الى حكومة منظمة بحصر السلطة في يد واحدة ، فحصل المنذر حاكم الحيرة على لقب ملك « وحكم وحيداً على جميع البدو في فارس » . واختبار الفرس كان موفقاً . كان المنذر « فطناً جيداً وذا خبرة حسنة في شؤون الحرب ومخلصاً اخلاصاً كاملاً للفرس ونشيطاً نشاطاً غير عادي » . وأوقع ما بين النهرين البيزنطي في خوف لمدة خمسين عاماً . « نهب البلاد كلها . كان ينهب ويسلب المكان تلو المكان ويحرق المباني في إثره ويأخذ الأهالي أسرى في عشرات الآلاف في كل غارة (٣٨) » يقتل معظمهم ويبيع الباقي . وكان يتحرك بسرعة حتى انه « كان يتقضم على مطارديه وهم ما يزالون غير مهينين . . . ويقضي عليهم دون مشقة » (٣٩) .

ثم أخذ البيزنطيون درساً من الفرس وعينوا هم أيضاً سيداً متفوقاً على البدو ، وكان هذا الحارث بن جبلة حاكم غسان « وأسبغوا عليه أنفة الملك » وألقب فيلارك Phylarch وباتريشان Patrician . ولم يكن الحارث محارباً ناجحاً كالمنذر ، ولو أنه حاز على بعض الانتصارات ولكن هو أيضاً أشاع الرعب في قلوب جماعته البيزنطيين دافعي المال ، لأنه كان مستعداً لمحاربتهم ، كما يدعي بروكوبيوس ، كما كان مستعداً لمحاربة الفرس . وفي القسطنطينية نفسها ما كان على حرس الامبراطور جستين الثاني المعتوه أن يصيحوا في وجهه « أتاك الحارث بن جبلة ! » حتى كان الشمس يفر مرتعباً ليختبئ تحت السرير . وعلى مر الزمن غدا خطر البدو والدمار الذي يحدثونه أمراً لا يطاق لحكام بيزنطية وفارس على حد سواء . وأحياناً أصر ممثلو الامبراطوريتين بقوة على احترام القانون . ففي سنة ٥٠٤-٥٠٥ نفذ القائد الفارسي

٣٧- يشوع العمودي .

٣٨- بروكوبيوس ، الحروب .

٣٩- يوهنا الاقسسي ، تاريخ .

في نصيبين الاعدام في شيوخ منطقته ، اذ كان أفراد قبائلهم قد قطعوا الحدود وتهبوا قريتين في المقاطعة البيزنطية ، وفي نفس السنة أعدم البيزنطيون أربعة من القادة البدو الذين كانوا قد غزوا ما بين النهرين الفارسي واستعيدوا سكان احدي الدساكر ، غير أن القضية احتاجت الى اجراءات أكثر صرامة وضد أشخاص أكثر نفوذاً وأهمية . وهكذا أزاح خسرو الثاني الزعيم البدوي نعمان بالسلم ، واحتجز الامبراطور طيبيريوس المنذر بن الحارث في القسطنطينية . وفي ثورة غضب راح أبناء المنذر يعيشون الخراب وينهبون ويأسرون كل من يجدونه حتى « غدت منطقة الشرق كلها في رعب . . . » . وهرب الجميع الى المدن ولم يجرأوا على أن يظهرُوا أنفسهم أمام [البدو] « . وقسم البيزنطيون فيما بعد مملكة البدو الغربيين بين خمسة عشر أميراً ، ونخبر أن معظم هؤلاء تعاهدوا مع الفرس . ومع ذلك فإن انتصار « البدو تم بظهور الاسلام والفتح العربي لما بين النهرين ، وكان النصر حاسماً (٤٠) » .

كانت تصل الرهاويين الآمنين وأبناء الريف حول المدينة قصص عن البدو الوثنيين تثير رجفة من الرعب في قلوبهم . كان البدو يقدمون الأضاحي ويسكبون الخمر أمام الكسواكب ، وقيل ان أحد زعمائهم أسر أربعمئة عذراء من حمص وذبحهن في يوم واحد تكريماً للالهة عزى . وبعد سنة ٥٤٥ بفترة قصيرة ضحى الملك منذر البدوي الذي كان يحارب في جانب الفرس باين عدوه حارث قرباناً لهذه الآلهة . صحيح أن هؤلاء البدو الوثنيين كانوا يحافظون على هدنة مدتها شهران كل سنة وقت الاعتدال الربيعي ، ولكن الأكثر أهمية هو أن المسيحية توغلت في البيت الحاكم لمدينة الحيرة البدوية في زمن حكم الملك خسرو الثاني . أما في الغرب فقد كان بعض زعماء البدو مونوفيسيين متحمسين مما كان له تأثير بعيد المدى على سير الأحداث في الكنيسة ، ولم يخف الحارث بن جبلة من أن يعنف البطريرك أفرام الآمدي ، وصدر

٤٠- من الواضح أن العرب ، في تلك الفترة السابقة لمجيء الاسلام بمدة طويلة ، كانت لديهم نزعة استقلالية تتصاعد مع الزمن بتساعد أعدادهم المستقرة في وادي الرافدين ، ولكنها كانت تجابه بشراسة وقمع شديدين من الامبراطوريتين اللتين اقتسما السلطة والثراء في هذا الجزء المهم من العالم . ونحن هنا نرى صراع العرب مع الفرس من ناحية ، ومع البيزنطيين من ناحية أخرى ، من خلال كتابات المؤرخين الروم أو المدونين المستقرين في المدن الخاضعة لهذه الامبراطورية أو تلك . والمؤرخون في الغرب اليوم ما زالوا يعتمدون تلك المصادر ، ويبدون مواقف فكرية تنسم في معظمها بمفاهيم أولئك المؤرخين والمدونين . وهي مفاهيم يجب أن تمحى وبعاد النظر فيها ، وتصحح في ضوء فهمنا الحديث لحركة التاريخ . ( المترجم ) .

نقاشه معه بالكلمات « أنا غريب في العرق واللغة ، وچندي ولا أستطيع قراءة الكتاب المقدس » وأعلن أن « كتاب لاون » الذي بنيت عليه قوانين المجمع الخلقيدوني ما هو الا « جرد موبوء (٤١) » . ولقد كان الحارث هو الذي شجع الامبراطورة ثيودورا على أن تحسّن أحوال طائفته « المونوفيسية » التي كانت في تدهور ، وكان بناءً على طلبه أن عينت يعقوب البرادعي على كرسي مطرانية الرها . ورفض حفيده النعمان أن يتخلى عن عقيدته المونوفيسية حتى في بلاط الامبراطور موريس الذي كان ملكياً متعصباً ، وسعى لمصالحة الجماعات المنشقة التي كانت المونوفيسية قد تصدعت بها .

### الحالات المعيشية في الرها

اننا نعلم القليل عن هندسة العمارات في الرها في هذه الفترة ، كانت البيوت تبني حول فناء مركزي والطابق العلوي يوصل اليه بواسطة درج خارجي كما هو الحال في اورفا اليوم . وكانت الأسطحة منبسطة ، والبيوت قريبة بعضها من البعض الآخر حتى كان بالإمكان القفز من سطح الى آخر كما فعل القائد البيزنطي عندما فرّ من جنوده القوط الثائرين في سنة ٥٠٥-٥٠٦ ، أما العمارات الأكثر أهمية ومتانة فقد كانت من القرميد أو الحجر المجصص بالجير . وأكواخ الأهالي الفقراء كانت تصنع من الصلصال . ويبدو أن استعمال الخشب في البناء كان باهظاً . واحدى التهم ضد دانيال اسقف حران في سنة ٤٤٨-٤٤٩ كانت اختلاسه المزعوم لغابة تخص كنيسة الرها واستعماله أخشابها في بناية لمحظيته في الرها .

كانت مدينة الرها ، ولا ريب ، مدينة ريفية أكثر من العديد من المدن ، كما لمح القديس يوحنا فم الذهب في النصف الثاني من القرن الرابع . ولكن مع ذلك فقد عاش أثرياء الرها في حالات من البذخ . ففي سنة ٥٤٢ أرسل القائد البيزنطي بليساريوس يوحنا بن باسيل « أشهر شخصية لامعة بين جميع سكان الرها في المولد والثراء » كرهينة لدى خسرو ولكن « رغم ارادته » . وعرضت فيما بعد جدة يوحنا لأمه أن تفديه من الفرس بقدية باهظة مقدارها ألفا رطل من الفضة ، ولكن الامبراطور جستنيان رفض السماح لهذا المبلغ من المال أن يدفع للفرس

لأنه كان لجستينيان ، اذا كان لنا أن نثق ببروكوبيوس ، غرض آخر .  
« ولم يمض وقت طويل حتى مرض يوحنا ومات . وصرح الحاكم  
القضائي للمدينة بأنه قبل وقت قصير كان يوحنا قد كتب له رسالة  
كصديق أعرب له فيها عن رغبته في أن توهب أملاكه للإمبراطور » .

ومهما يكن من أمر فان ثروة آل روسبايه (٤٢) ، احدى الأسر  
المتزعمة في الرها هي التي غدت أسطورة في المدينة . كانوا يمتلكون  
القرى والبساتين والطواحين والحوانيت . وعندما هرب خسرو الثاني  
من فارس الى الرها يطلب نجدة البيزنطيين أظهر المواطنان الزعيمان  
مارينوس وايونيس روسبايه اجلالاً عظيماً للأمير ، وأبدى خسرو من  
الخارج اعجابه بجمال قصر ايونيس ورغب في دخوله . فأخذت الخيلاء  
بايونيس فدعا خسرو وجميع أشرف المدينة وأقام لهم حفلة تسلية  
وترفيه . ولكي يبرهن أنه أعظم ثراءً من مارينوس راح يعرض  
كنوزه من الموائد والأواني والأصناف والأطباق والملاعق المصنوعة من  
الذهب والفضة الخالصة . أما كؤوس وطاسات الخمر ، والقدرور  
والأباريق والشفاشق والطاسات والأواني الأخرى فقد كانت جميعها  
من الفضة ، وكان هناك أشياء أخرى لم يظهرها . وعندما اكتشفت  
كنوز آل روسبايه حوالي ثلاثمئة سنة بعد ذلك ، في زمن حكم  
هارون الرشيد ، وجدوا « أشياء أميرية » أخرى - أفاعي وعقارب من  
الفضة مليئة بالاكسير ، ورقائق ونقود . أما بيت مارينوس منافس  
ايوانيس الذي كان قرب برك السمك فلا بد أنه كانت له غرائبه  
أيضاً . هناك جلبوا المطران الملكي سيفيروس المنكود الحظ ليحاكم أمام  
القائد البيزنطي نارسي في محاكمة مقتضبة حوالي سنة ٦٠٣ ، ثم سيق  
خلصة ورجم بالحجارة خارج أسوار المدينة . وهناك أيضاً سكن  
الامبراطور هرقل بعد نحو خمس عشرة سنة ، عندما عاد وفتح الرها  
مرة أخرى .

كان للمؤرخين السريان صبر قليل على بذخ الأغنياء . لقد كانوا  
رجال كنيسة وكهنة بسطاء مخلصين ينصب اهتمامهم على تحسين شؤون  
رعيتهم . كان فقراء المدينة مهملين وأحياناً بدون مأوى ، بينما كان  
كتابنا يقرعون المواطنين الأثرياء . وفي سيرة حياة يوفميا الأممية تتساءل  
المرأة النبيلة :

« هل من اللائق أن تجلسوا أنتم بينما يقف العبيد وينتظرون أوامرکم ؟ أنتم تتمتعون بأطايب متنوعة من أطعمة لذیذة وخمر ، بينما الله ( في شكل فقير ومضطهد ) مصروع في الشارع ينخل بالقمل ويفقد الوعي من الجوع ؟ ( ٤٣ ) » .

ليس الناس المحتشمون الصوف نظيفاً وبسيطاً . وينصح يوحنا التالي العلمانيين الوريين الذين سيصبح أبناءهم من أولاد العهد ( بناي قياما ) أن يلبسوهم « أثواباً محتشمة » وألا يسمحوا لهم بأن « يتنعموا في البسة قطنية بيضاء » . ومهما يكن فإنه لم يكن للفقراء إلا أن يقتنعوا بالأسمال . ولقد لبس القديس افرام وبعده يعقوب البرادعي الأسمال كعلامة على اخوتهم وعطفهم ( ٤٤ ) . كانت وجبة الطعام لدى المواطن العادي تتكون من الخبز ، خبز الشعير في الغالب واللحم والدجاج والبيض والخمر . أما المعوزون فقد كانوا يقتنعون بالحمص والفاصوليا والعدس والزبيب . وكانت الأسعار تخضع لتأرجح شديد تعتمد على ما اذا كان الحصاد جيداً بصورة خاصة أو رديئاً . وفي سنة عادية كان الـ « سوليدس Solidus » الواحد يشتري نحو ثلاثين « موديائي Modii » من الحنطة أو خمسين « موديائي » من الشعير . ومهما يكن فإنه عندما كانت الغلال تشح لم تكن تعالج الحالة بسهولة باستيراد مؤن اضافية . فالشحن كان باهظاً والقمح في الاهراء العامة كان المقصود منه أن يستعمل في الحالات الطارئة فقط . وفي أوقات كهذه كان « سوليدس » واحد يشتري من أربعة الى ستة « موديائي » من الحنطة ، ومن ستة الى عشرة « موديائي » من الشعير .

عاش الفقراء في الرها على شفا الجوع بصورة دائمة تقريباً وكانت حالة المشردين في قسوة الشتاء يرثى لها . ففي سنة ٤٩٩ - ٥٠٠ التهم الجراد جميع المحاصيل وحلت المجاعة في السنة التالية ، وتدفق أهل الأرياف الى المدينة وهجر العاجزون والمرضى والنساء والأطفال القرى

٤٢- يوحنا الاقسسي ، في كتابه « السير » .

٤٤- وكذلك ليس المطران رابولا قميصاً من الشعر وعباءة بيضاء . وعند قيامه بخدمة القديس كان يلبس حلة كهنوتية Vestment أو معظفا وقت الشتاء . ولكنه لبس جلبابا طويلا بدون اكمام في الصيف . ونخبير بأنه عندما كان الراهب يقوم بدور الكاهن في بلدة أو قرية كان يتوجب عليه أن يلبس ثوبا أبيض فوق رداؤه الديرى لكي « لا تحتقر رتبته الديرية في العالم العلماني » .

يحاولون الحصول على لقمة العيش بالتسول في شوارع الرها • ووزع نائب الحاكم الحنطة من الاهراء العامة ، وبيع الخبز في السوق ونكر سعره كان فوق طاقة الفقير • ويقول يشوع العمودي :

« أولئك الذين تركوا في القرى كان بعضهم يأكل الكرسنة وأخرون يغلون حبات العنب الساقطة الداوية ... »

والذين في المدينة كانوا يتجولون في الشوارع يلتقطون أوزق وسيقان الخضراوات المقذرة بالوحل ويأكلونها ، وينامون في الأروقة والشوارع ، ويتوحون اثناء الليل والنهار من غصات الجوع ... كانت المدينة بأكملها تعج بهم وبعدئذ راحوا يموتون في الأروقة والطرقات •

وختم حاكم الرها البؤساء بخاتم من رصاص حول أعناقهم وأعطى كل واحد منهم رطلا من الخبز كل يوم • وكان هذا زهيدا جداً للتخفيف من جوعهم فنحلوا وماتوا • ويتابع يشوع العمودي :

« وفي الشتاء التالي ، عندما بدأ الصقيع والجليد غدا الوباء أشد وطأة عليهم لأنهم كانوا يقضون لياليهم نائمين في الطرقات • وكان عويل الأطفال والأولاد يسمع في كل درب اذ كانت أمهات بعضهم قد متن وبعضهم الآخر هجرتهم - هجرتهم لأنهم عندما كانوا يطلبون شيئاً ليأكلوه لم يكن لديهم ما يعطينه لهم - • وغدا الأموات مطروحين في كل شارع • »

كان هناك عمل" من أعمال الرحمة خفف من تعاسة الفقراء نوعاً ما ، وكان هذا العمل تشييد التكايا وملاجئ العجزة بكثرة • وكانت الرها ، كما رأينا في فصل سابق ، قد كسبت شهرة في أعمال الشفاء • ويخبرنا كاتب سيرة مار افرام كيف ان في سنة ٣٧٣ ، قبل وفاة القديس بشهر واحد عهد اليه ، وهو الرجل العجوز ، بالاشراف ( بمساعدة معتمد ووكيل خرج ) على العناية بالفقراء اثناء المجاعة الكبرى في تلك السنة • كان المواطن الرهاوي الوحيد الذي يثق به الأثرياء عند تبرعاتهم بالهبات • وكان قد ضرب نطق صحي حول الشوارع ووضع نحو ثلاثمئة سرير في الساحة الخالية ، وبعض هذه الأسرة استعمل كنعوش للدفن وبعضها كمتكآت للفرباء والمحتاجين في المدينة والقرى • وبعد نحو خمسين سنة أقام المطران رابولا تكتيتين دائمتين احدهما للرجال والأخرى للنساء وأوقف عليهما دخلاً سخياً • ويؤكد أن الأسرة كانت نظيفة ولينة • وكانت هناك هيئة من الموظفين المشرفين عليهما من الرجال والنساء الأتقياء النشيطين •

لم تكن هذه التكايا للغرباء بل للمرضى والمحتضرين وبناء على ما تقوله الأسطورة ، كان في تكية رهاوية من هذا النوع أن قضى « رجل الله » الغريب الغامض ، الذي تسميه بعض الروايات الكسيوس ، ساعاته الأخيرة . وبعد وفاته حمل على نعش ودفن في مقبرة التكية . ويدعى كاتب حياة الشهداء المجهول ان الأعجوبة حدثت يوم ذكرى وفاة القديس الكسيوس عندما اختفى جثمان الرجل البار بصورة محيرة لا تفسر . وهذا مما ألهب حماس المطران ربولا تجاه المعوزين والأرامل والأيتام والغرباء الوافدين من بلاد بعيدة . وأنشئ هيكل القديسين قوزماودميان الطبيبين الشهيدين ، قرب البئر التي سميت في زمن لاحق باسم النبي أيوب . وكانت شهيرة بمياهها الشافية . وكذلك كان في تلك المنطقة ، خارج السور الجنوبي ملجأ للبرص أقامه المطران نونا في نحو سنة ٤٦٠ . وفي أثناء المجاعة العظمى والطاعون اللذين عمّا الرها في سنة ٥٠٠-٥٠١ لم يكن باستطاعة مباني العجزة أن تتسع للأعداد الضخمة من المرضى ، فسدّ قسم من الباسيليكا وبعض شوارع المدينة وفرشت بالقش والحصر لايواء المرضى . وأقام نبلاء المدينة - وحتى الجيش البيزنطي المرابط في الرها أيضاً - ملاجئ للعجزة على نفقتهم الخاصة . وكذلك استعملت الحمامات الكائنة تحت كنيسة الرسل قرب الباب الكبير في شرقي المدينة لايواء وراحة المعتلين .

## الثقافة

كان الرهبان في أديرتهم هم مصدر العلم والتهديب . ويصف يوحنا التلي في قوانينه عن السلوك ان :

« على الأولاد الذين سيصبحون بناي قياما ( أبناء العهد ) أن يرسلوا الى الأديرة ليقرأوا الكتب ويتعلموا منها السلوك الورع ، لأنه اذا كان في سبيل العلم ومن أجل هذه الدنيا يرسل العديد أبناءهم للبلاد النائية ، فكم هو أليق بأولئك الذين عزلوا أولادهم وقدموهم لله بأن يرسلوهم الى الأديرة المقدسة في سبيل الحكمة الروحية » .

يظهر أن المدارس في المدن كانت داخل الاسوار حتى ولو أن الدير الذي تنتمي اليه المدرسة كان خارج المدينة . والاشارة الوجيزة الوحيدة عن التدريس في الرها ترجع الى عهد المطران رابولا . ويبدو أن المطران زار هناك مدرسة يحضرها أبناء النبلاء مرتين في الشهر . وكان يدعو

أولاد الوثنيين منهم ويشقّهم ويرشدهم الى « كلمة الحق » . ان رواية عن مدرسة قروية في جوار آمد تنطبق ولا شك على منطقة الرها :

« ان [ الرهبان ] المباركين . . اختاروا لأنفسهم أن يعلموا الأولاد . وهذا العمل قاموا به من خلال النافذة لأن مقعداً وضع في داخلها ، وعُينت الساعات للأولاد كي يحضروا في الصباح والمساء . . فاذا ما علموا صفاً قراءة المزامير والكتاب المقدس ، انسحب الأولاد منه ودخل صف آخر من الأطفال الصغار يبلغ عددهم الثلاثين . وكانوا يتعلمون ويرجعون الى بيوتهم لأن القرية كانت تعج بالسكان . وهكذا استمر هؤلاء الشيوخ في عملهم حتى نهاية حياتهم . وكان التلامذة الأولاد يجهزونهم بكل ما يحتاجون اليه » (٤٥) .

وفي مدرسة أخرى كان الأولاد والبنات يعلّمون سوية . وكان المعلم يعمل ألواحاً للأولاد ويكتب لهم عليها فينسخون الكتابة فكانت الثقافة المدرسية اذن تنحصر بصورة واسعة بحفظ المزامير والأناجيل وفن الكتابة . وفي زمن حكم الامبراطور فالنس أنشأ بروتوجينيس الرهاوي ، الذي أصبح فيما بعد أسقفاً لحران ، مدرسة للأولاد أثناء نفيه في مصر ، وعلم تلامذته « ليس فن الكتابة السريعة فقط . . بل علمهم المزامير أيضاً . . . واهم مواد الايمان الرسولي » (٤٦) .

لم يكن ولد بمنجاة من الضرب بالعصا . وعندما يصف مؤرخ من القرن السادس اضطهاد خصومهم من قبل الأريوسيين فانه يعكس ممارسات عصره ، يكتب : « كان الرجال يجرّون الى الكنيسة كما يجرّون الأولاد الى المدرسة بالصفعات على وجوههم والسحب والشدة من ثيابهم (٤٧) . . . » ويميّز اسحق الأنطاكي ناسخي الكتب على تقصيرهم واهمالهم فيعلن :

« قد يأخذ صدفة أحد الرجال المحترمين كتابك ليعلم الطلاب منه ، ولكنه يؤخذ (على غفلة منه) بالأغلاط فيقع في حيرة واضطراب - فيصبح الذئب ذئبك » .

وقد يعاني التلميذ أكثر من مجرد الاضطراب لخطأ مشابه لأن شاعرنا الأنطاكي يتابع :

٤٥- يوحنا الأفسسي .

٤٦- ثيودوريط التاريخ الكنسي .

٤٧- بار حدبشبا ، تاريخ عربايا .

« وقد يأخذ الولد الكتاب أمام معلمه ليقرأ منه فينهض المعلم ويضرب التلميذ لأنه قرأ الأخطاء التي سببها اهمالك » .

فليس عجيباً أن يكون مستوى التعليم في المدارس منخفضاً وهكذا أيضاً كان معاش المعلمين . ولم يكن يتقاضى معلم مدرسة ابتدائية في زمن ديوقليتيان أكثر من خمسين « ديناراً » شهرياً عن كل تلميذ ، بينما كان الصانع الماهر يتقاضى من خمسين الى ستين « ديناراً » (٤٨) في اليوم علاوة على اعالته .

ومهما يكن من أمر فان طالباً ذكياً في الرها كان باستطاعته أن يحصل على قول في احدى أكاديميات المدينة أو أحد الأديرة الأكثر شهرة في المنطقة . وفي منتصف القرن الخامس كانت هناك ثلاث مؤسسات في الرها : مدرسة الأرمن ، ومدرسة الفرس ، ومدرسة السريان - سميت كل مدرسة ، تخميناً ، بموجب التبعية العرقية لأعضاء الادارة ، أن تفوق أساتذة مدرسة الفرس أكسبت المدرسة أكثر من شهرة محلية . وأول مدير لها اسمه مسجل في القسم الباكر من القرن الخامس كان اسمه قيوار . ومن الواضح أن المدرسة في ذلك العهد كانت صغيرة ، وكان المدير هو المسؤول ليس عن شرح وتفسير الكتاب المقدس بل عن التلاوة أيضاً وطريقة اللفظ وعلم الوعظ والارشاد ، وبعد جيل عندما كان نرساي مديراً زيد عدد أعضاء هيئة الادارة ، وعينت المحاضرات لتعليم الالتقاء وطريقة اللفظ وقواعد اللغة ، وعلم الوعظ والارشاد والكتابة ، واحتل المدير نفسه كرسي شرح وتعليم الكتاب المقدس ، وكانت الدروس مبنية على تعليقات القديس أفرام ، وبعد ذلك استعملت كتابات تيودور الموبسوسيتي بالاضافة الى ترجمات الفلسفة اليونانية الى السريانية . ويمكننا الافتراض بأن منهاج التعليم تضمن مواضيع علمانية أيضاً من تاريخ وخطابة وبعض حقول العلم الطبيعي .

لا بد أن نظام التعليم في مدرسة الفرس في الرها قبل اغلاقها في سنة ٤٨٩ كان يشبه الى حد ما ، أكاديمية نصيبين التي كانت هيئة ادارتها تعج بصورة كبيرة بمحاضرين طردوا من الرها . ان أنظمة كلية نصيبين التي نشرت في سنة ٤٩٦ لا تزال موجودة ونخبر بأنها كانت في وقت من الأوقات تضم ما لا يقل عن ثمانمئة طالب . وكانت الأمور الادارية وحفظ السلوك والنظام قد أوكلها المدير « ربّان »

٤٨- لئن تكن لفظة « دينار » العربية مأخوذة في الاصل عن اليونانية - ومثلها لفظة « درهم » - فانه من الواضح أن لا علاقة بينها وبين القيمة الحقيقية للدينار البيزنطي . (الترجم)

وزملاؤه الى أمين الصندوق « راب بيتا » . ولم يكن يسمح للمحاضرين أن يرتبطوا بأعمال تجارية أو يدوية أو ان يهملوا في واجباتهم التعليمية ، وكان على الطلاب أن يجتازوا امتحاناً تمهيدياً ، وكانت مدة الدراسة ثلاث سنوات ، والكلية داخلية ، ولا يسمح للطلاب بالعيش في المدينة الا اذا لم يكن هناك مكان لهم يبيتون فيه في نزل الكلية ، وكان الحضور اجبارياً في الصفوف ، التي يبدأ التدريس فيها عند الفجر مع صياح الديك ، وينتهي بتلاوة مزامير المساء . وكانت الفرصة السنوية من شهر آب حتى تشرين الأول ، ويسمح للطلاب في هذه الفترة بأن يشتغلوا بأجور ولكن خارج نصيبين فقط ، وذلك لكي لا ينافسوا سكان المدينة . وعلى الطلاب ألا يكونوا متزوجين . كان النظام صارماً وانتهاكه يعاقب عليه بالطرده . وكان الطلاب ممنوعين من ارتياد الحانات ومن حفلات شرب الخمر التي تقام في العراء ، ومن قراءة الكتب العلمانية ومن التسول ، ومن أن يكونوا غير مهندمين في مظهرهم . كذلك كانت استعارة الكتب من المكتبة ترضخ لسيطرة صارمة ، ويحرم على المستعيرين أن يكتبوا أسماءهم داخل الكتب . وكانت تثبط عزائمهم قدر الامكان كي لا يجتازوا الحدود الى المناطق البيزنطية .

بالرغم من استئثار الكهنة بالعلم والثقافة فقد كان عدد ليس بالقليل منهم أمياً . واسحق الأنطاكي يقرّع هؤلاء الكهنة المتخلفين . فرهبان دير الشرييين في الرها مثلاً لم يكن باستطاعتهم توقيع أسمائهم ، وعندما طلب منهم أن « يلعنوا المجمع الخلقيدوني أشار كل واحد منهم اشارة بايهامه » . وعندما قام يوحنا التلي بحملته لآحياء الكنيسة المونوفيسية رسم كهنة بأعداد غفيرة : « أخضع جميعهم لفحص دقيق وامتحان في قراءة الكتاب المقدس وتلاوة المزامير وفي مقدرتهم على كتابة أسمائهم وتوقيعهم » . ولم يقبل أي واحد منهم لم يستطع توقيع اسمه . واذا كان أحد المتقدمين غير قادر على توقيع اسمه كان يوحنا يحثه على التعلم ، فيوقع رفيقه نيابة عنه « . ويقص علينا يوحنا الافسسي أنه عندما أتى هو وسبعون آخرون معه الى يوحنا التلي ليرسموا كهنة مونوفيسيين رأهم « يقرأون ويكتبون بثقة » . فقبلهم دون تردد قائلاً « أنا راضٍ عنكم يا أولادي ، وما اني أناشدكم أن تصلّوا وألاً تكفوا عن الصلاة » .

عنصر بارز من عناصر التعليم في غربي ما بين النهرين شدد على عزل البلد عن بقية العالم المسيحي . كانت لغة التعليم السريانية . ومن الغريب أن هذا أشعل نار الحسد في صدور معلمي الثقافة المعاصرين

في الغرب • فالأكاديميات الغربية التي كانت تستعمل اللغتين اليونانية واللاتينية واجهت حرجاً استيعاب ومقارنة الدراسات الجديدة للتوراة واللاهوت مع البلاغة والفلسفة والآداب الرفيعة الوثنية • وكان علم اللاهوت في المدارس المتكلمة بالسريانية بالإمكان دراسته من جميع وجوهه • ويذكر جونيليوس التقاءه بفارسي تلقى علمه في مدارس السريان حيث « يعلم الشريعة السماوية بطريقة منسقة ، أساتذة عموميون كما نعلم نحن القواعد والبلاغة في الدراسات العلمانية » ، وأسس كسيودوروس في القرن السادس كلية لاهوتية في الغرب تقليداً لكليات الرها ونصيبين ولكنها لم تدم بعد موته •

هذه النظرة عن فائدة اللغة السريانية كوسيط للتدريب الشامل في اللاهوت لم يشاركها الشباب الرهاويون المتشوقون للكسب بعض المعرفة عن ثقافة العالم الخارجي ، وبعد الملكية ، وفي أثنائها أيضاً ، كانت الدراسات في الجامعات الخارجية كجامعات أنطاكية والاسكندرية وبيروت جزءاً جوهرياً في تثقيف أبناء العائلات النبيلة • ويبدو أن الشاعر اسحق الأنطاكي كان هذا يدور في ذهنه عندما كتب :

« ان أبناء الجواربي ينعمون في دار سيدهم وكأنهم ورثته - بينما سيدهم خارج البلاد يسعى وراء معرفة الآداب ويتجول من بلد الى آخر في تعب عظيم » •

كان هؤلاء الشباب يرجعون من رحلاتهم ولهم معرفة صحيحة باللغة اليونانية ، وكان هذا في غربي ما بين النهرين علامة الرجل المثقف •

ولكن هؤلاء الأشخاص المثقفين كانوا قلة ، وبقية الشعب لم يكن يعرف الاغريقية • وكان باستطاعة القائد الأسير أن يصيح باليونانية الى القائد البيزنطي على أسوار تلا في سنة ٥٠٣ وهو متأكد بأن كلماته لن يفهمها الأهالي المواطنون • لم يكن دانيال العمودي الذي كان أصله من جوار شمشاط يتكلم سوى اللغة السريانية ، وعندما ذهب الراهب المونوفيسي زعورا الى القسطنطينية أخذ معه تريبوناتا المثقف كترجمان له • وحتى الرجل المثقف في اقليم الرها - أوزروين كان يقنع باللغة السريانية • وطلب يورانيوس اسقف هيمريا في أوزروين ترجماناً للمجامع الكنسية حيث لعب دوراً هاماً في محاكمات هيبا الرهاوي • ومن بين الأربعة والستين كاهناً وشماساً وقارئ الانجيل الرهاويين الذين وقّعوا وثيقة في صالح هيبا في المجمع الخلقيدوني ، كان عشرون منهم (وبضمنهم طبيب كان شماساً) لا يستطيعون كتابة

أسمائهم في لغة غير السريانية ، فكان أهالي اقليم الرها أوزروين رجالاً ونساء في بلاد الغربية في عزلة وحيرة ، وكانت الفتاة الرهاوية يوفميا التي تركت بلدها مع زوجها القوطي « في شوق لملاقاة انسان يتكلم السريانية معها » . وحتى مارا ، اسقف آمد العلامة ، كان يسعد في منفاه في الاسكندرية عندما يصادف انساناً من بلده يتكلم معه بلغة بلاده .

## منزلة المرأة

كنا قد ألمحنا بايجاز الى منزلة المرأة في الرها تحت حكم الملوك في فصل سابق (٤٩) ومن الواضح أنه حدث تغيير طفيف في هذا الخصوص في الفترة التي تلت الملكية . كانت المرأة خاضعة للقوانين السارية في المناطق الأخرى من الامبراطورية البيزنطية . فالفتيات اليتيمات كن تحت رعاية وصي يكون عادة شقيق والدهن المتوفى حتى يبلغن الثانية عشرة (٥٠) . وكن يصلن سن البلوغ في الخامسة عشرة . وكان بالإمكان أن تخطب الفتاة في سن العاشرة ، في القرى على الأقل ، ولكنها كانت تصان بكل عناية من الغرباء حتى يوم خطوبتها . وكانت الخطوبة تتميز بعقد كتابي على مقدار البائنة . ونعلم من نصوص قوانين القرن الرابع ومستهل القرن الخامس أنه كثيراً ما كان يستعاض عن هذا باحتفال شعبي تتوج فيه العروس وتتلى الأناشيد تعظيماً للبكارة *Virginity* وتقوم النساء المهللات بخفر العروس من بيت والديها .

كانت النساء بعد الزواج ينشغلن بواجبات البيت ومن ضمنها الحياكة ، أما الرجل من ناحية أخرى فقد كان يتزوج « من أجل سلامة البيت » ولقد قررت نصوص الشرائع المحلية أن باستطاعة الرجل أن يطلق زوجته بسبب الزنا أو بسبب ذهابها الى بيت ليس بيته دون رضا زوجها . وكذلك اذا ذهبت الى المسرح لتشاهد مناظر غير محتشمة . والزوجة أيضاً كان باستطاعتها أن تطلق زوجها اذا شهد معها شاهدان أو ثلاثة بأن الزوج سرق أو استعمل السحر أو انه أشهر عليها سلاحاً حديدياً ، أو اذا أتى بأحدى المومسات الى بيته . وكانت الزوجة تحل من واجباتها الزوجية اذا هجرها زوجها دون أن يقدم لها أودها مدة سبع

٤٩- راجع صفحة ٥١ .

٥٠- بقي الأولاد تحت الوصاية حتى سن الرابعة عشرة .

سنوات - ( أو عشر سنين إذا كان سجيناً ) ، أو انه قدم لها أودها ولكنه هجرها مدة خمس عشرة سنة . وكانت البنات يرثن كالبنتين إذا مات الأب دون أن يكتب وصيته . وإذا كن جميعهن بنات يكن عندئذ الوارثات الوحيدات . ومن المفروض أن ترث كل ابنة ثلاثة من اثني عشر جزءاً من الثروة ، وعندما لا يكون هناك ذرية أو زوجة لرجل مات دون أن يكتب وصيته ، تكون الأولوية للذكور قبل الاناث من الورثة (٥١) .

كانت النساء يخرجن محجبات - وخروج امرأة دون حجاب يجعلها تبدو «وكأنها امرأة مجنونة» ، ففي سنة ٣٥٩ اتصلت زوجة رجل مرموق من نصيبين بملك الفرس « وهي محجبة حتى شفيتها بحجاب أسود » . ولم تكن يوفميا الأمدية في القرن السادس تمنني بالمرضى والمقعدين « الا اذا كان رأسها مكسواً » (٥٢) . أما عن المرأة التي كانت تشتغل بأجر فهناك حكاية المرأة الفقيرة في منطقة آمد التي كانت تعلم الرسم للنساء الأخريات فبرعت اثنتان من تلميذاتها في هذا الفن على يدها ولكنها رفضتا أن تدفعا لها نقوداً عن دروسهما . فالتجأت المرأة الى رجل تقى فضربهما بمرض ولم يشفهما الا بعد أن دفعنا ما عليهما من دين .

لقد تكلف الرهبان في اظهار الاحتقار للمرأة . وبإمكاننا أن نلاحظ نعمة القديس افرام في تعليقه على الحادث الذي وقع معه ، بموجب ما كتب عنه كاتب سيرة حياته ، عندما وصل مدينة الرها لأول مرة رأى النساء وهن يغسلن الثياب على شاطئ نهر ديسان فنظرت اليه احداهن نظرة طويلة فوبخها مار افرام على وقاحتها .

ولكنها أجابته . . . « عليك أن تنظر الى الأرض لأنك أخذت منها وعلي أن أنظر اليك . لأنني أخذت منك » فدهش لهذا الجواب واعترف

٥١- ربما علينا الا نأخذ جدوا الزعم الوارد في مرسوم تاريخه سنة ٥ - ٥٣٦ لجستينيان بأن الزواج المحرم بدوي القربى كان يتم بين « السكان القرويين » في أوزروين وما بين النهرين . يؤكد المرسوم نفسه أن « الاشاعة » لا تستحق التصديق كلياً . فاذا كان زواج كهذا قد تم انما بتأثير « الشعوب المجاورة » لفارس حيث كانت مثل هذه الارتباطات مسموحا بها . وأصدر جستينيان مرسوماً يصفح فيه عن الاتام الماضية ولكن أي اثم جديد سيعاقب بصراحة . وقد أعيد اصدار هذا المرسوم من قبل جستين الثاني سنة ٥٦٦ .

٥٢- يوحنا الأفسسي في كتابه « سير » يخبرنا ثيودوريط عن امرأتين سريانييتين فاضلتين كانتا محجبتين حتى الغصر . وكان المفريان ماروثا ( توفي ٦٤٩ ) يرشد النساء التقيات من الطائفة اليعقوبية في بلاد فارس بأن يجدلن شعرهن ويلبسن حجاباً .

بحكمة المرأة . . . وقال « اذا كانت نساء المدينة بهذه الدرجة من الحكمة ، فكم يكون رجالها ، بل وحتى أبناؤها ، أعقل وأكثر حكمة » (٥٣) .

ولكن المجاهد الكبير شمعون الارشمي لم يعتبر الأمر غير لائق بأن يطلب من الامبراطورة ثيودورا أن تتدخل لصالح أبناء كنيسته بالكتابة الى ملكة فارس ! ولقد أعطت المسيحية المرأة ، والحق يقال ، درجة من الثقة وتحقيق الذات ، فكانت ابنة الشهيد شمونا بين الذين خرجوا ليندبوا عليه ، واشتركت النساء مع الرجال بالاحتفال في دفنه . وهكذا أيضاً حضر الذين يعطفون على الشهيد حبيب من النساء والرجال يوم تنفيذ الاعدام فيه . وكان المطران رابولا قد تأثر تأثراً عظيماً بأمه المسيحية . وكذلك مارا الذي كان حاكماً ووكيلاً للخروج وبعد ذلك اسقفاً لآمد كان قد تثقف على أيدي أخته غير المتزوجتين . أما افرام الآمدي ، البطريرك الانطاكي البارع ، فقد مال الى عقيدة الملكيين بسبب تأثير الكتب التي كانت تخص والدته . وكان المونوفيسيون الرهاويون الذين قاموا بحملة ضد مطرانهم هيبا في سنة ٤٤٩ راغبين في السماح للنساء بأن يُعدوا من ضمنهم .

ان النساء الثريات اللواتي كن من أصل نبيل تأثرن قليلاً بصناعة المرأة في الشرائع المحلية . فكانت أخت ملك الحيرة شهيرة في سخائها وسعة حلمها في رعايتها للنسائطرة . وكان هذا الملك نفسه قد شجعت كلمات زوجته الجريئة ليووجه عداء ملك الفرس بقولها « من الأفضل أن تموت وأنت حامل اسم ملك » . وكانت جدة يوحنا بن باسيل ، النبيل الرهاوي ، باستطاعتها الاستغناء عن ألفي رطل من الفضة . وكانت زوجة ايوانيس روسبايه السيدة الانوف ، سيدة على أعمالها في قصرها . وعندما استضاف ايوانيس الملك خسرو الثاني ، كما رأينا سابقاً ، وأقام له وليمة سخية في قصره في الرها ، نادى الملك مضيفه قائلاً :

« لقد شرفتمونا شرفاً عظيماً ، ولكن هناك عادة في فارس تقضي بأنه عندما يتنازل الملك ويدخل بيت أحد الأمراء يجب على زوجة الأمير أن تتقدم وتملاً كأساً فيشربه الملك من يدها . . . فاذا كنت ترغب في أن تكمل الشرف الذي شرفتنني به فأكملة بهذه الطريقة . . . » وعندما سمع

٥٣- ان هذه الحكاية المدونة في السيرة السريانية للقديس افرام تنحكي بشكل موجز في مديح يوناني لهذا القديس يعزى الى غريغوريوس النباضي ، ولكنها تظهر أيضاً في سيرة يعقوب النصيبيني .

ايوانيس هذا اضطرب جداً ، ولم يشأ أن يجيب خسرو أو أن يمس مشاعره ، فترك الأمر لزوجته لتبت فيه لأنه كان يثق بحكمتها . فأرسل كلمة مع فتاة تعلمها بما قال خسرو . فاحتقرت الزوجة خسرو في فكرها ، ولكنها أجابته « أنت عظيم في أعيننا أيها الملك ، ولكن العادة السائدة والسارية بين البيزنطيين لا تسمح لامرأة نبيلة بتقديم الخمر لرجل » . ولزم خسرو الصمت عندما سمع هذا .

وبعد انتهاء الوليمة . . . اغتبيت زوجة روسبايه أمام خسرو وافتري عليها ، وزعم بأنها قالت « كيف لي أن أخرج وأقابل هذا الجلف الذي طرد من بلده ؟ » . . . فأقسم خسرو عندئذ بآلهته « انني اذا ما استرجعت حكمي على هذا البلد لن أترك هذه المرأة في سلام لهذه الاهانة التي وصمتني بها ، وسأجعلها غريبة عن بلدها وسأجعل لحمها طعاماً للقمل » . وهكذا عندما استرجع حكمه على الرها ألقى القبض عليها وأرسلها الى فارس مع ابنها سرجيوس الذي كان الوارث الوحيد الباقي لآل روسبايه . وألقى بالمرأة في غياهب السجن وأمر بمنع الماء عنها كي لا تستحم ولا تغسل ثيابها أو تبدلها ، وتعطى الماء والخبز كفافاً لتبقى على قيد الحياة فقط . وهكذا عذبت هذه المرأة النبيلة المحترمة بأن نهش القمل جسدها وماتت بقسوة « (٥٤) » .

## الكوارث الطبيعية

كان موقع الرها بعيداً عن العاصمة الامبراطورية وفي منطقة ، رغم الخصب الذي تمتعت به ، فقيرة نسبياً بمواردها المادية ، وكانت مهملة من قبل الادارة المركزية . وأهميتها بالنسبة للادارة انحصرت بصورة

٥٤- وسمع لسرجيوس بالرجوع الى الرها فيما بعد سجل الأحداث للمؤلف المجهول حوالي ١٢٣٤ م . Chr. ad. 1234 .

- العنوان الكامل لهذا المصدر في اللاتينية هو :

**Anonymi auctoris chronicon ad. annum. Christi 1234 Pertinens.**

وترجمته : « المؤلف المجهول لسجل الأحداث لحوالي السنة المسيحية ١٢٣٤ » وهذا السجل هو تاريخ الرهاوي المجهول . راجع اللؤلؤ المنشور لمثلث الرحمة العلامة المطربك أفرام الاول برصوم ص ٤٠٣ الطبعة الخامسة - حلب ١٩٨٧ . وهو أحد المصادر المهمة التي يعتمد عليها مؤلف هذا الكتاب ، وبخاصة في النصف الثاني منه . والصيغة المختصرة هنا هي التي نعتمدها كلما وردت اشارة الى هذا المصدر . (المترجم)

رئيسية في موقعها الاستراتيجي قرب الحدود الفارسية . ولهذا قاسى شعبها من الكوارث الطبيعية بصورة أكثر حدة وتعافى ببطء أكثر وأكثر . ففي تشرين الأول من سنة ٤٩٩ حدث انجراف في الأرض أحدث تفسخاً عظيماً في الاسوار الى جنوب الباب الشرقي مما سبب فزعاً كبيراً بين الأهالي . وفي سنة ٤٩٤ - ٤٩٥ ، ومرة أخرى بعد سنتين انتشر وباء من الدمامل والخراجات ، وفقد الكثير من الرهاويين أبصارهم ، وفي أيار من سنة ٤٩٩ وضعت جحافل من الجراد بيضها في اقليم الرها وفي السنة التالية « تخيل الشعب . . . أن الهواء نفسه يتقيأ [ جراداً ] . . . وانه ينزل من السماء . . . وعندما قدر الجراد على الزحف التهم واستهلك منطقة . . . تلا ورأسينا والرها بأكملها » (٥٥) . فنجم عن هلاك المحاصيل مجاعة أدت الى موت ما يقرب من مائة وثلاثين شخصاً في اليوم الواحد . وبهذه المناسبة يصف يشوع العمودي مشاهد الهلع بصورة حية (٥٦) .

وبعد نصف قرن حلت مجاعة أخرى في ما بين النهرين بأكمله دامت نحو ثماني سنوات ، ثم تبعها انتشار للطاعون الدملي الذي اكتسح الامبراطورية الشرقية من مصر حتى فلسطين وسوريا ، وبلاد فارس أيضاً . وشاعت الشائعات في ما بين النهرين عن غزو وحرب فأصاب الناس نوع من المس والجنون . ويقص علينا يوحنا الافسسي كيف راح الناس يثفون وينبحون ويعضون ويصرخون ويشتمون ويكفرون وينقضون على المتعبدین الورعين في الكنائس ، وكانوا يركمون ويقفزون ويقف الواحد منهم على كتف الآخر . ثم يؤكد ان العلاج اكتشف وذلك بالامتناع عن أكل الزيت مع الخبز وبالامتناع عن شرب الخمر . وبعد ذلك رجع الشعب الى حالته الطبيعية . وفي سنة ٥٠٤ - ٥٠٥ عندما انتهت الحروب حلت كارثة أخرى بالرهاويين يقول يشوع العمودي :

« غدت الحيوانات البرية مفترسة للغاية . . . لأنها اكتسبت مذاقاً جديداً ، مذاق اللحم البشري . . . دخلت القرى وحملت الأطفال . . . وهجمت على بعض الأفراد في الطرق . . . وغدا الناس في هلع عظيم حتى انه وقت الدراسات لم يكن يجروُ انسان في جميع أنحاء الريف أن ينام ليلته على أرض البيدر خارج الكوخ لخوفه من الحيوانات المفترسة . . . ووقع

٥٥- يشوع العمودي .

٥٦- انظر ما سبق صفحة ١٨٢ .

بعض هذه الحيوانات في أيدي القرويين وطعنوها بخناجرهم ثم أرسلوا جثثها الى الرها . وبعضها الآخر قبض عليه الصيادون فأوثقوها وأتوا بها حية .

وفي السنوات التالية نظم القائد البيزنطي صيد الخنازير البرية . اذ كانوا يصطادون منها أكثر من أربعين خنزيراً في اليوم الواحد وبعضها كان يرسل حياً أو ميتاً الى الرها .

كانت هذه المصائب عادية في المناطق الأخرى من بين النهرين . ولكن الرها كان لها مصدر كارثة خاص ، اذ انها كانت تحت رحمة النهرديسان « النهر الوثاب » الذي كان يفيض مرة واحدة على الأقل في كل قرن من الزمان فيسبب دماراً شاملاً في الأرواح والممتلكات . فالفيضان الذي حصل في سنة ٢٠١ تكرر في ربيع سنة ٣٠٣ ، ولدينا قصة حية عن فيضان آخر حصل في نيسان سنة ٤١٣ عندما فاض النهر ووجد المخرج مسدوداً أمامه شرقي المدينة ، فتراكمت المياه في المدينة وطفحت في الشوارع فتداعت الأكواخ الطينية والبيوت المبنية بالقرميد على سكانها . أما المساكن المدعمة بالحجارة والكلس فقد قاومت ضغط المياه وخاصة تلك المبنية على منحدرات التلال ، ولكن هنا أيضاً عندما باغتت المياه الأشخاص القاطنين في الأدوار السفلى أغرقتهم . وحملت المياه أجزاء من سور المدينة وبعض البيوت والأخشاب والأجساد البشرية والأواني البيتية وعامت على وجهها في السهل نزلا الى نهر الكلاب فنهر البليخ ومن هناك الى نهر الفرات ، وفي نيسان من سنة ٥٢٥ عادت وتكررت الكارثة على نطاق أكثر خطورة . حدث الفيضان في الليل وأكثر الناس نيام . وبعضهم كان يستحم في الحمامات الشعبية وآخرون يتناولون عشاءهم . ويقال ان ثلاثين ألفاً من السكان لاقوا حتفهم في هذه الكارثة . ويصرح بروكوبيوس أن ثلث السكان هلكوا وان أجمل المباني دمرت تماماً . وهرب المطران اسكلابيوس ومعه مدير ادارة المدينة الى انطاكية . وأرسل الامبراطور المهندسين من القسطنطينية ليقوموا بسداً ويغيروا مجرى النهر . وكان جستينيان مصمماً على « الاحتفاظ بالفائدة التي كانت المدينة تجنيها من [ النهر ] ، ولكن بنفس الوقت يحررها من الخوف منه » . ورسمت أسوار المدينة ، وكعرفان بالجميل على ما قام به الامبراطور نحو الرها أطلق عليها اسم جستينو بوليس ، ولكن دييسان بقي غير مروض ، وأصاب السد الخراب مع الزمن ورزحت الرها مرات ومرات تحت رحمة مياهه الفائضة .

## الحروب والجنديّة

مهما يكن من أمر فإن النواصب التي سببتها الدوافع البشرية أَلقت  
الفرع في القلوب أكثر مما فعلت نزوات الطبيعة . لقد أحلت حروب  
القرن المتتالية الثالث والرابع ، والسادس والسابع دماراً شاملاً ،  
وتركت قرى بكاملها خراباً يباباً . ففي سنة ٣٥٩ مثلاً أمر البيزنطيون  
« أن تحرق جميع السهول كي يمنعوا العدو من الحصول على الامدادات  
... فمن شواطئ دجلة وحتى شواطئ الفرات ما كنت ترى بقعة  
خضراء (٥٧) . وفي شتاء سنة ٥٠٢ توغل بدو الحيرة حتى وصلوا الرها »  
وهم يدمرون وينهبون ويأسرون جميع أهل القرى » . وبلغ عدد الذين  
أخذوا في الأسر ثمانية عشر ألفاً وخمسة شخص ، « عدا الذين  
قتلوا وعدا الحاشية والمقتنيات والغنائم المختلفة ، وسبب وجود هؤلاء  
الناس كلهم في القرى كان موسم قطاف الأعناب ، ولم يكن القرويون  
وحدهم يذهبون للقطف ، بل الكثير من الحرائين والرهاويين أيضاً  
خرجوا معهم ، فأخذوا أسرى (٥٨) » .

وفي سنة ٥٧٧ « أحرق القائد الفارسي ودمر وبث الخراب في  
جميع اقليم الرها ، وراح كل [فارسي] يرتع في الاقليم بثقة دون وجل  
وكأنه ساكن في بيته ... ولم يتركوا بيتاً قائماً أينما مروا ... وساقوا  
جميع المواشي والأسرى ... وفروا من منطقة الرها » . سيق آلاف  
الفلاحين الى الأسر . أما القرويون الأكثر حظاً فقد لجأوا الى مدينة  
الرها وراحوا يشاهدون بقنوط من على أسوارها كيف يدمر العدو  
محاصيلهم ويحرق بيوتهم . وكان سكان المدينة عادة في أوقات كهذه  
يستقبلون القرويين بعطف ويسكنونهم في التكايا وملاجئ العجزة .  
ونقرأ أنه في سنة ٥٠٠-٥٠١ « شاع خبر في جميع أنحاء الريف الرهاوي  
أن سكان مدينة الرها يعتنون عناية حسنة بالمعوزين . ولهذا السبب  
دخلت المدينة جحافل لا تحصى » . وكوفيء الرهاويون على عطفهم ،  
اذ بعد سنتين حاصر كاواد ملك الفرس مدينتهم ، وكان القرويون هم  
الذين هاجموه وهاجموا جيشه ودمروه . فشكرهم القائد البيزنطي  
علانية وكافهم بثلاثمئة دينار .

٥٧ - اميان Ammian

٥٨ - يشوع العموني .

٥٩ - يوحنا الأقسسي ، تاريخ .

الخوف من هجوم مفاجيء جعل من الضروري الاحتفاظ بدفاع المدينة في حالة تاهب . وفي تشرين الثاني من سنة ٥٠٢ تعرضت المدينة لغزو فارسي : « أغلقت الرها أبوابها وأقامت عليها الحرس ، وحفرت الخنادق ورممت الأسوار ، وسدت أبواب المدينة وحُصنت بالحجارة لأنها كانت قد أصابها العطب وكان المواطنون سيستبدلونها بأبواب جديدة ويضعون قضباناً من الحديد على فتحات مصارف النهر لئلا يدخل أحد منها ، ولكنهم لم يجدوا من الحديد كفاية في متناول أيديهم ، ولهذا صدر أمر على كل بيت في الرها أن يجهز عشرة أرطال من الحديد . وتمّ العمل بعد أن نفذ هذا الأمر » .

وعندما خيّم جيش كاواد قرب المدينة في أيار من سنة ٥٠٣ « هدم الرهاويون جميع الأديرة والفنادق التي كانت قريبة من السور وأحرقوا قرية كيفارصليم التي كانت تدعى نقبات أيضاً . واجتثوا جميع النباتات التي كانت كالسياج حول الحدائق والمتنزهات كما قطعوا الأشجار الكائنة فيها . ثم أتوا بجميع عظام الشهداء [من الهياكل] التي كانت حول المدينة ونصبوا آلات الحرب فوق الأسوار وعلقوا أغطية من نسيج الشعر على الفتحات فوق الأسوار (٦٠) . اتنا سعداء الحظ بحصولنا على قصة معاصرة للحصار الذي ضرب حول الرها سنة ٥٠٣ ، وقد فشلت المفاوضات بين القائدين المتخاصمين :

« لقد رأينا أن كلمات يسوع ووعوده لأبجر قد أنجزت حقاً . لأن كاواد ٠٠٠ أتى وخيم مقابل الرها ٠٠٠ [في جنوب وشرق وشمال المدينة] . ان هذا الجحفل الذي لا يعد ولا يحصى أحاط بالرها في يوم واحد علاوة على أعداد من الجنود تركها فوق التلال والمرتفعات . حقاً ، كان السهل برمته قد اكتظ بهم . وكانت أبواب المدينة كلها مفتوحة ، ولكن الفرس لم يتمكنوا من دخولها بسبب بركة يسوع . بل بالعكس ، دبّ الذعر فيهم وبقوا في مراكزهم لا يحاربهم أحد من الصباح وحتى الساعة التاسعة ، بعدئذ خرج البعض من المدينة وراحوا يحاربونهم وفتكوا بالعديد من الفرس ، ولكن سقط منهم شخص واحد فقط . وكانت النساء يحملن الماء الى خارج الأسوار لكي يشرب المحاربون . وكان الصبية أيضاً يقذفونهم بالحجارة بالمقاليع ، ثم خرج أناس قليلون

من المدينة وطردوهم بعيداً عن السور ، لأنهم لم يكونوا أبعد من رمية سهم . ذهبوا بعدئذ وعسكروا قرب قرية قبته (٦١) » .

طالب كاواد برهائن واتفق على أن تدفع له فدية ، غير أن الملك طلب كمية من الذهب تدفع له فوراً وبدون تأخير . وبعد أن استشار القائد البيزنطي كبار رجال الرها رفض الطلب .

« عندئذ استشاط كاواد غضباً وسلح الأفيال التي كانت معه وشرع في الهجوم . . . ومحاربة الرها مرة أخرى . . . وأحاط بالمدينة من كل جانب أكثر من المرة السابقة ، لأن جميع أبوابها كانت مفتوحة ، [وصدر الأمر للجنود البيزنطيين] بعدم محاربتهم كي لا يستطيع إيذاء أي قرية ، ولكن بعض القرويين الذين كانوا في المدينة خرجوا للقاءه بالمقاليع وكالوا الضربات للعديد من محاربيه المدرعين بالزرد بينما لم يسقط أي واحد منهم ، وكانت فيألقه مقدامة وحاولت دخول المدينة ، ولكن عندما اقترب الجنود من أبوابها نكصوا على أعقابهم كتل مرتفع من التراب . لقد دفعوا الى الوراء وأهينوا بسبب سرعة هجوم فرسانهم فاختلفوا بضاربي المقاليع وامتزجوا بهم . ومع أن الفرس كانوا يطلقون السهام والهون Huns يلوحون بالديابيس ، والبدو يصوبون الرماح نحوهم ، فانهم لم يستطيعوا إيذاء أي واحد منهم . . . وحين رأوا أنهم لا يستطيعون دخول المدينة ولا إيذاء الرجال العزل الذين كانوا مختلطين بهم » (٦٢) انسحب الفرس بعد أن أشعلوا النار في الهياكل والأديرة خارج أسوار المدينة .

ويصف بروكوبيوس حصار الرها الذي قام به خسرو الأول ابن كاواد بعد ذلك بأربعين سنة ، ويقول أن الملك الفارسي أرغم بسبب مرضه على الامتناع من مهاجمة المدينة ، وغداً نهياً « لكأبة عظيمة خائر العزم بعد أن قهر من قبل إله المسيحيين » . ثم عاود الهجوم في سنة ٥٤٤ ، وفشل هجوم قام به المرتزقة الهون على السور الشمالي من المدينة . وانسحب خسرو وفتح باب المفاوضات . وأقر أربعة مبعوثين من الرها بأنهم « يفضلون السلام على مخاطر الحرب » ، ولكن شروط خسرو كانت فادحة لدرجة شعروا عندها بأن من الأفضل تحدي قوته . بدأ الفرس بعدئذ في بناء وسائل الحصار في جنوبي وشرقي المدينة ، وأخفقت

٦١ - يشوع العمودي

٦٢ - يشوع العمودي

هجمات الحامية في إيقاف العمل ، وقويت الخطط للتوصل الى اتفاق سلام بطلب اما خمسين ألف رطل من الذهب ، أو ثروة المدينة بأكملها . فصممت الحامية البيزنطية على المقاومة . وشيدت نفقاً تحت جسر أقامه الفرس ودمرته تماماً . وأحبط قروي محاولة قام بها الفرس لتسلق سور القلعة أثناء الليل وذلك بتنبيه الحراس النائمين ليدهروا المهاجمين . وكذلك فشل هجوم آخر قام به الفرس على الباب الشرقي ولم يصادف نجاحاً .

ان وصول مبعوث من القسطنطينية للتوسط بين القوتين دفع بخسرو للقيام بمحاولة أخيرة لضرب المدينة :

« ركز على كل باب بعض قاداته وقسماً من الجيش ، وبذلك أحاط بالسور كله ، وأتى بالسلالم وآلات الحرب ونصبها تجاهه ، وجعل جميع البدو مع بعض الفرس في المؤخرة ، لئليهاجموا دائرة السور بل لكي يجمعوا الفارين عندما تسقط المدينة ويمسكوا بهم كشبكة الصيد بدأ القتال في الصباح الباكر فأصاب الفرس التفوق في البداية لأنهم كانوا في أعداد غفيرة ضد قوة صغيرة جداً ، ولأن معظم البيزنطيين لم يسمعو بما جرى ولم يكونوا مستعدين بتاتاً . ولكن عندما احتدمت المعركة عمت المدينة الفوضى والشغب وصعد جميع السكان وحتى النساء والأولاد الصغار على الأسوار ، وأولئك الذين كانوا في سن الجنودية صدوا مع الجنود العدو بشراسة عظيمة . واتي الكثير من القرويين أعمالاً بطولية ضد البرابرة . وفي هذه الأثناء كانت النساء والأولاد والمنون يجمعون الحجارة للمحاربين ويساعدونهم بشتى الطرق . كان بعضهم يملأ أواني عديدة بزيت الزيتون ، وبعد أن يفلوه في أماكن متعددة حول السور يسكبونه حاراً لاهباً على العدو الذي كان يهاجم دائرة السور مستعملين وسيلة خاصة لرشه عليهم . وبهذه الطريقة تنكروه وأضعفوه الى درجة كبيرة » . وفي « سورة من الغضب » ذفح خسرو بكل قواته وهاجم المدينة . « وأتى الجنود [الفرس] بجميع ما لديهم من آلات الحرب وهم يزعقون ويصيحون بكثير من الضجيج وقربوا من السور ونصبوا السلالم عليه وفي نيتهم فتح المدينة بهجمة ضارية واحدة . ولكن بما أن البيزنطيين كانوا يقذفون أعداداً ضخمة من النار ويبدلون كل قوتهم لطردهم نكص البرابرة على أعقابهم سريعاً . وبنما كان خسرو ينسحب ، غيرّه البيزنطيون داعين اياه أن يجرى هجوم مرة أخرى » .

أحرز الفرس نجاحاً لوهلة فقط ، وذلك عند الباب الشمالي حيث كان الدفاع ضعيفاً . ولكنهم هنا أيضاً هزموا . وانتهى . ومرة أخرى في سنة ٥٣١ طغت جحافل الهون المخيفة على حدود ما بين النهرين البيزنطية وتركت وراءها سلسلة من الكوارث قبل أن ترغم على الانسحاب . ان الهول الذي تركوه في أذهان الناس تظهره لنا رؤى أحد النساك :

« كثيراً ما كانت الأشباح تأتي وتصيح : اهرب ! اهرب ! انظر ، امتلأت الأرض بالهون ! وظهر الهون لي في أشكال مختلفة مخيفة وهم على ظهور جيادهم والسيوف مسلولة تلمع في أيديهم ، وهجموا على الباب صارخين برطانة بربرية وفي حالة احتياج ، والسهام مشرعة في أقواسهم ، فكنت أقول : لا أبالي ، وإذا كنتم حقاً برابرة وتملكون القوة على القتل فانا لا أخاف الموت . . . وبينما أنا أتفوه بهذه الكلمات صعدت جميع جحافل الهون على هذه الصخور ، هكذا . . . وصاحت : هذا الرجل قد غلب » (٦٣) .

ومهما يكن ، فان أعباء القوات البيزنطية المتعددة التي كانت مخيمة في المنطقة هي التي جثمت بكل ثقلها على كاهل الشعب الرهاوي ومحيطه . وكان أول عبء على الإدارة هو صيانة الأمن العسكري وليس مصلحة المواطنين العامة ، وكان على المواطنين واجب شرعي بتوفير وسائل الراحة والطعام والماء على حسابهم الخاص . ففي سنة ٤٩٩-٥٠٠ عندما خفض الامبراطور ضريبة الفرد (الرأس) على القرويين أعفى سكان المدينة أيضاً من فريضة سحب الماء للجنود . ولا ريب في أن وجود الجيش حقق للرهاويين بعض العمل ، ولكن الأجر كان ضئيلاً ، ومهما يكن فان بناء « دارا » من قبل أنستاسيوس كان أمراً استثنائياً . واذ كان الامبراطور متلهفاً ليحبط على الفرس اعتراضاتهم على هذا الانتهاك للمعاهدة بين البلدين ، جمع بسرعة قوة عاملة ضخمة باعطاء أربعة قراريط أجرة في اليوم لكل عامل ، وثمانية قراريط اذا كان للعامل حمار . وكان الرهاويون عادة يجندون

٦٣ - يوحنا الافسسي ، كتاب « السير » وكان الشاعر السرياني قيريلونا قد كتب شعراً عن غزو الهون في سنة ٣٩٥-٣٩٦ . ويعرف قيريلونا بأنه هو نفسه قيورا الذي كان مدير مدرسة الفرس في الرها ، ولكن هذا التعريف لم يثبت فيه . انظر وليم رايت في كتابه مختصر تاريخ الادب السرياني ص ٤٠ . وكان عيسيا القس الرهاوي ابن أخت القديس أفرام قد ألف مقالات عن غارات الهون سنة ٣٩٧ أو ٤٠٤ .

لانجاز « الأعمال الوضيعة » التي برهنت أنها في أثناء الحرب خطيرة وشاقة . ونصبوا هم أعمال الحصار حول مدينتهم . وفي سنة ٥٠٤-٥٠٥ طلب منهم أن يحملوا المؤن الى المعسكرات في آمد . أما عن مدى ما قاسوه في هذا المشروع فانه لا أحد يستطيع اخبارنا ، سوى الذين عملوا فيه ، وقد مات معظمهم في الطريق مع دوابهم .

تمركزت الوحدات غير المتحركة في الحصون ، وعلى الأغلب في القرى أو الريف . واذا تمركزت في المدن من المحتمل كانت تأوي الى ثكنات . ولكن عندما لم يكن الجيش مخيماً في الجبهة كان عادة يأوي الى المدينة ، وكان الجنود معظم الوقت يسكنون في بيوت خاصة أو في نزل ، وكان الأطباء والمعلمون والاكليروس وأصناف من المهنيين فقط مستثنين من واجب تجهيزهم بوسائل الراحة . وكانت طلبات تجهيز الغرف والمؤن هؤلاء الجنود من مسؤوليات وجهاء المدينة ، وكان هذا مصدر احتكاك بينهم وبين عامة الشعب . وانتهز الوجهاء فرصة الاستفادة من امتيازاتهم « ومدوا أيديهم للرشوات من كل انسان ولم يستثنوا أحداً . وبعد بضعة أيام أرسلوا [جنوداً] آخرين الى أولئك الذين كانوا قد أحلوا عندهم جنوداً من قبل . وكان [الجنود] يحلون عند الكهنة والشمامسة أيضاً ولو أن هؤلاء كانوا معفيين من هذا [الواجب] من قبل الامبراطور (٦٤) » .

وعندما حل الجيش البيزنطي بكامله في مدينة الرها في نيسان من سنة ٥٠٦ ومكث فيها خمسة شهور أسكن الجنود في القرى أيضاً وفي الأديرة حول المدينة وحتى مع المعتزلين ساكني التلال خارج أسوار الرها .

أصدر الامبراطور في سنة ٥٠٥-٥٠٦ أمراً باعفاء ضريبة الفرد . وسر الملاكون لهذا ، ولكن عامة الشعب ادعوا بأن الملاكين الذين استفادوا من هذا الاعفاء عليهم أن يقدموا وسائل الراحة للجنود . واقتنع والي المدينة بهذا ولو أن كل صاحب بيت كان مضطراً شرعاً أن يقدم للجنود ثلث مسكنه دون وسائل راحة أخرى ، اذ من الظاهر ان الجنود كانوا يطلبون الفراش والحطب والزيت أيضاً . ثم قدم كبار رجال المدينة التماساً الى القائد وطلبوا منه أن يعين مخصصات من المؤن شهرياً لكل جندي . « كي لا يدخلوا بيوت الأثرياء وينهبوهم كما

نهبوا عامة الشعب » • ولبي هذا الإلتماس وتعينت المخصصات الشهرية بمكيال واحد من الزيت ومثتي رطل من الحطب وسرير وفراش لكل جنديين • فعصى الجنود وثأروا ونجا القائد بعد أن كاد يفقد حياته ، وبقي أمر المخصصات للجنود حبراً على ورق • « ولم يقل القائد شيئاً للجنود فبقوا حيث كانوا مقيمين يتصرفون كما يحلو لهم تماماً ، لأنه لم يكن هناك من يضبطهم أو يكبحهم أو يوبخهم (٦٥) » •

ففي جو كهذا من الدسيسة وفقدان سلطة حاسمة كان لا مفر من أن الفقير هو الذي سيعاني الشدة الأكبر • وكان شعورهم بالأذى يزداد عند رؤيتهم الرفاهية النسبية التي يعيش فيها الجنود • فالجنود يأكلون خبز القمح الذي كان فوق طاقة المواطن العادي • والخبز يُخبزه الأهالي في بيوتهم ، والقرويون في جميع أنحاء الريف ، كما كان يخبزه الخبازون الغريباء منهم والمواطنون :

« لم ينقص الجنود البيزنطيين شيء • كانوا يجهّزون بكل شيء وفي الوقت المحدد ، ويرسل إليهم بضاعة عظيمة بأمر من الامبراطور • حقاً لقد كانت الأشياء التي تباع في المعسكرات أوفر مما هي في المدن ، سواء أكان ذلك من اللحم أو الشراب أو الأحذية أو الثياب (٦٦) » • وعندما كان يحل الشتاء كان الجنود يهجرون المعسكرات الى المدينة حيث الدفاع والراحة •

كان الجنود يتهددون ويستبدون بالمواطنين والقرويين حتى ان المطران ربولا اضطر الى استخدام سلطته مصرأ على أن يبدي الجنود الاحترام لثوب الكهنوت ، ويكتب المؤرخ يشوع العمودي بمرارة :

« ان الذين أتوا الى نجدتنا تحت اسم المخلصين • • • نهبوا بمقدار ما نهبه الأعداء منا تقريباً • طردوا العديد من الناس من فراشهم وتاموا فيه ، بينما نام أصحابه على الأرض في الطقس البارد ، وطردوا آخرين من بيوتهم وسكنوا فيها • وكذلك أخذوا دواب البعض بالقوة وكأنها غنائم حرب • ونزعوا ثياب آخرين عن أجسادهم وأخذوها وانهالوا بالضرب على آخرين لسبب تافه • وتشاجروا مع آخرين في الطرقات وشتموهم لسبب بسيط • لقد نهبوا علناً المؤن القليلة لكل انسان كما نهبوا المخازن التي امتلكها قلة من الناس في القرى والمدن •

وانقضوا على الكثيرين في الطرق العامة • ولم تكن البيوت والفنادق في مدينة الرها كافية لهم فسكنوا مع الصناع المهنيين في أكواخهم • واغتصبوا النساء علانية في الشوارع والبيوت ، وأخذوا من العجائز المسنات والأرامل الفقيرات الزيت والحطب والملح والأشياء الأخرى وأرغموهن على خدمتهن • وباختصار ، فانهم ضايقوا وأزعجوا كل فرد ، كبيراً أو صغيراً ، ولم يبق انسان واحد لم يعان الأذى منهم » •

كان العديد من الجنود المرتزقة من القوط ، وكان بعضهم ذوي رتب كبيرة • واعتبرهم الرهاويون همجيين ويفضون من الطريقة التي يزدنون بها بلبس الذهب ، ومن أسلوب تصرفهم العام : « ربما أن [الجنود القوط] لم يكونوا يعيشون على نفقتهم الخاصة ، أصبحوا من أول يوم مجيئهم نهمين في أكلهم وشربهم ، حتى ان بعضهم راحوا يلهون ويعربدون فوق أسطحة المنازل • ثم اندفعوا الى الأمام في الظلام وهم مخمورون بفعل الخمر وألقوا بخطواتهم في الفضاء فسقطوا رأساً على عقب وفارقوا الحياة على نحو شرير • وبينما كان آخرون جالسين يشربون الخمر استولى عليهم السبات فسقطوا من أعالي البيوت وماتوا على الفور • وآخرون أيضاً كانوا يتلوون الماء في فراشهم لافراطهم في أكلهم • وصب آخرون الماء المغلي في آذان الذين كانوا يخدمونهم لخطأ بسيط ارتكبه • ودخل البعض الآخر بستاناً « ليقطفوا الخضار ، وعندما هبَّ البستاني لمنعهم ، فتكوا به بسهم وراح دمه هدراً • واذ ازداد شر ولؤم الآخرين لعدم وجود من يكبحهم ، ولأن الذين أووهم تصرفوا بفطنة زائفة ولبوا جميع مطالبهم ، لم يجد الأشرار فرصة لايدائهم ، فراح يقتل الواحد منهم الآخر وهم في أشد ما يكونون من الاهتياج • ومهما يكن من أمر ، فان الواضح أنه كان هناك أناس بينهم يتصرفون بلياقة • • • لأنه يستحيل ألا يكون في جيش كبير كهذا أناس كهؤلاء • ولكن الأشرار منهم تبادوا في أعمالهم الشريرة حتى ان الذين كانوا ضد السلطة من الرهاويين تجرأوا على القيام بعمل غير لائق - كتبوا شكواهم ضد القائد على أوراق علقوها سراً في الأماكن التي تستعمل [للإعلانات العامة] في المدينة (٦٧) » •

# التسلية واللهو

## PASTIMES

تتوسع التواريخ : فتسرده بوفرة مصائب الشعب الرهاوي . ولكن يجب ألا يفترض أن الحياة هناك كانت حياة خوف لا ينفرج ويفقر مدقع . كان الرهاويون على استعداد دائم لايجاد فرصة للاحتفالات ، كيوم اعلان السلام ، أو يوم تخفيض الضرائب أو يوم المهرجان الربيعي الوثني . كانوا يدورون في الاحتفالات في حلل بيضاء بهيجة حاملين المشاعل والمباخر ، وكانوا يزينون مدينتهم بالشموع يضيئونها على طول ضفة النهر والشوارع والأبنية العامة . كانوا يضطجعون ويعيدون في الهواء الطلق وفي الماشي المسقوفة وأقنية البيوت . ان المؤلف المجهول الذي كتب « رواية جوليان الخيالية ، ربما كان رهاوياً في أوائل القرن السادس . ولا شك في أنه كان يعكس ممارسات عصره عندما يصف تزيين المدينة بعد رجوع الامبراطور جوفيان الورع . وكانت الشوارع وأبواب المدينة تزين بأقمشة متعددة الألوان وتعلق القناديل والشموع بالحبال في الطرقات الماشي المعقودة . أما خارج المدينة فقد كان يقام سرادق كبير على أعمدة رؤوسها متوجة بالذهب والفضة ، وفي القمة منها صليب ذهبي .

قلنا في فصل سابق ان الرهاويين كانوا مولعين بالشعر والموسيقى . وكان الرقص أيضاً لهواً شائعاً . « والرقصة الهمجية » التي شاهدها طراجان عند زيارته للرها أعيدت ثانية أمام قائد الجيش البيزنطي سابتيانس عندما تمركز في الرها سنة ٣٥٩ يهيم نفسه لصد غزوة فارسية عن وادي الرافدين . وفي الهواء الطلق ، تخميناً في جنوب غربي المدينة ، « قام الجنود وسط القبور . . . وبعث الحياة الخالية من الهموم ، بتسلية قائد الجيش برقصة يونانية صاحبت الموسيقى فيها حركات الراقصين بينما هو في منتهى التراخي » . ولا شك في أن المسرح بني فيما بعد في الرها ، وتعلم أنه في وقت متأخر من القرن الخامس كان قائماً على ضفة النهر في الحي الشرقي من المدينة . وكان يحتفل بالمهرجان الربيعي عليه بعرض علني من الرقص الى أن منع هذا بأمر ملكي من أنستاسيوس سنة ٥٠٢ ، ويبدو أن الممثل كان يرقص على منصة حجرية ويلبس في رجليه نعلين مثبتين على صفيحتين معدنيتين تصدران صوتاً كلما خبط بهما على الأرض . ومن الواضح أنه كان هناك أيضاً لوح يضرب عليه بقطعة صغيرة من الخشب . وكان الممثل

الأخرس يلبس أردية خاصة ويحيط به أفراد الجوقة ( الكورس ) .  
وكانت الأدوار النسائية يقوم بها الرجال في ثياب النساء وصدورهم  
محشوة (٦٨) .

كانت هناك ساحة كبيرة لسباق الخيل (٦٩) بنيت في تاريخ أبكر ،  
وتعزو الأسطورة بناء ساحة الهيبودروم هذه الى الإمبراطور أغسطس ،  
وكان مكانها الى الشمال الغربي من المدينة جنوب تل صغير خارج  
الأسوار مباشرة . وهي الساحة التي سميت فيما بعد بالأمفيثيتر ( المدرج )  
أو الستاديوم ( أو ربما كانت بجانبه ) ، ويمكننا التخمين أن في هذا  
المكان كان يلتقى بالمجرمين لتفترسهم الوحوش . وغوغايو الرها الذين  
زعموا ضد مطراتهم الديوفيسي هيبا في سنة ٤٤٨ أو ٤٤٩ طالبوا بأن  
الذين « يكرهون المسيح يجب أن يرسلوا الى الصيد ، ونسل الأنجاس  
الى الستاديوم » . وكان المطران هيبا يدعى « الاسقف الجوكي » ويقال  
أن أحد صنائعه كان قد هيا له سركا . ولعل العمل في الستاديوم كان  
قد تبدل بعد شهر آب من سنة ٤٩٩ عندما منع صيد الحيوانات المفترسة  
في الأمفيثيتر في جميع أرجاء الامبراطورية البيزنطية بأمر من الامبراطور  
أنستاسيوس ، ولو أن المنع أبطل بعد حين قصير .

ومهما يكن من أمر ، كان هناك حمامان عامان هما من أعظم  
الاماكن شعبية في الرها ، وكان أحدهما للصيد والآخر للشتاء . وفي  
أيار من سنة ٤٩٨ تداعى الصقان من الأعمدة التي كانت قائمة أمام  
حمام صيفي جديد وسقطت قبل افتتاحه بأيام قلائل . ومات عاملان  
فقط في الحادث . ثم أنهى بنيانه في سنة ٥٠٤-٥٠٥ ، وكان هناك  
صف من الأعمدة أمام الحمامات الشتوية أيضاً . واستعملت هذه  
الحمامات في المجاعة التي عمت سنة ٥٠٠-٥٠١ كملاجئ مؤقتة . وكان  
هناك حمام تحت كنيسة الرسل قرب الباب الكبير شرقي المدينة . وحمام  
عام آخر قرب الأهرام العامة .

كان الوردون من الوثنيين والمسيحيين على حد سواء يعارضون  
هذه الملاهي معارضة شديدة ولو أن معارضتهم بالنسبة للحمامات كانت  
فاترة . ونصت الشرائع الحظر على كل انسان بأن يورث أحداً من

٦٨ - راجع بنوع خاص يعقوب السروجي ، « مشاهد شعبية من المسرح » ( المترجم ) .

٦٩ - كان الهيبودروم يستعمل لسباق الخيل ، سباق العربات ، وكذلك للالعاب السيرك والتهرج .

« أولئك الذين يخدمون في المسارح » • وعندما نظم الامبراطور جوليان الكهنوت الوثني في أقاليم ومدن الامبراطورية أوصى أعضائها •

« بأن يتجنبوا الاستعراضات المسرحية الشهوانية السائدة اليوم ••• وناشدهم بأن يتركوها للجمهور ••• وبالأخص يدخل كاهن مسرحاً أو أن يتخذ ممثلاً أو سائق مركبة صديقاً له ••• أما بخصوص استعراضات الصيد بالكلاب والتي تقام في المدن على المسارح، فلا حاجة بي للقول انه ليس على الكهنة فقط أن يبتعدوا عنهم بل أبناء الكهنة أيضاً » (٧٠) •

وفي الرها منع المطران رابولا حضور ملاهي السيرك قائلاً : « حاشا أن يكون في مدينة المؤمنين رجال يأكلون جسد الله ويشربون دمه بايمان، يسمحون لأنفسهم برؤية لحم انسان تأكله الوحوش الشريرة في حفلة لهو (٧١) » • وهكذا أيضاً أسف يوحنا الافسسي كقائده المونوفيسي سويريوس الأنطاكي على وجود مسارح السيرك والممثلين الايمائيين (Mimos) (٧٢) • وعزا يشوع العمودي الكوارث التي قاسى منها الرهاويون في زمنه الى رعايتهم مهرجان الربيع ووثنيته المستترة • ويكتب يعقوب السروجي في القرن السادس :

« ان ثمار [المسرح] هي ••• الرقص واللهو والموسيقى والتقليد بالتمثيل لحكايات كاذبة ، وتعليم يدمرّ الذهن ، وأشعار غير صادقة وأصوات مزعجة مضطربة ، وأنغام لجذب الأولاد ، وأغنيات منظمة أسرة ، وأناشيد بارعة ، وقطع شعرية Canticles كاذبة [ألفت] بموجب الطيش الذي استنبطه الاغريق » •

## الأدب

كانت الرها موطن اللغة السريانية الكلاسيكية • ومن المعتقد أن سكانها كانوا يتكلمونها ويكتبونها في أحسن وأكمل حالاتها • ويكتب ديونيسيوس التلمحري ، في « ميخائيل الكبير السرياني » : « ان جذر أو أساس اللغة السريانية ، أي الآرامية ، هي الرها » • وقبل قرن من الزمان أشار يعقوب الرهاوي الى « هذه اللغة المابين نهرينية ، أو

٧٠ - جوليان ، « رسالة الى كاهن » •

٧١ - حياة رابولا •

٧٢ - يعتقد بعض اللغويين ان كلمة «موس» العربية جاءت عن كلمة «ميموس» اليونانية • (المترجم)

الرهاوية ، أو لكي تكون أكثر دقة ، اللغة السريانية » ولقد نسخ كتبة أديرة الرها مخطوطات هامة ، وتوافد الطلاب الى هناك لكي يتعلموا الخط وعلم النسخ الصحيح أمثال ماروثا التكريتي وكتاب سيرة حياته دنحا في بداية القرن السابع ، وغدا الأول مفريانا ورئيساً للكنيسة اليعقوبية في الشرق والثاني خلفاً له . ومنذ تاريخ قديم ، شغلت عملية الترجمة الى اللغة السريانية طليعة علماء الرها . وكان اهتمامهم الرئيسي ، ولا ريب ، ترجمة التوراة الى السريانية . ولا نستطيع بأية درجة من التأكيد قرن دياطسرون ططيان بالرها . ولكن أديابين التي نشأ فيها ططيان ، ولربما كتب الدياطسرون أيضاً فيها ، كانت لها روابط متينة بالطائفة المسيحية في الرها . أما الأناجيل المنفصلة (أونغليون دمفرشه أو تترأ أونغليون) ، والكتب المختلفة من « البشيطا - البسيطة » والنسخ الأخرى من التوراة ربما ألفت في الرها . ولا شك في أن رغبة المسيحيين في شكل نموذجي موحد لنص التوراة في السريانية نشأت من المجادلات اللاهوتية التي قامت بصورة واسعة في محيط هيلنستي ومن الحاجة الى تعبير واضح جلي للدوغما المعترف بها . ومن المؤكد أن « البشيطا » التي هي من عمل أيدي متعددة تظهر في بعض النقاط اتكالا على النسخة اليونانية . ولقد أوجد فيلوكسينوس المنبجي الذي ولد في بيت غارماي ولكنه تلقى علمه في الرها ، الباعث على ترجمة جديدة للتوراة اليونانية الى السريانية وذلك في نحو سنة ٥٠٨ . ويقال ان نسخة سريانية للعهد القديم بأكمله ، ومن المحتمل للعهد الجديد أيضاً ، أنتجها الكاثوليكس النسطوري مارابا الأول في منتصف القرن السادس ، وكان قد تمكن من اللغة اليونانية وأصبح فيها علماً في الرها .

كانت المقالات اللاهوتية تترجم بلهفة من اليونانية الى السريانية في الرها . ويبدو أن التواريخ الاكليريكية ليوسيبيوس وكتابات كليمنت وطيطس البوسطري كانت قد ترجمت إبان حياة هؤلاء المؤلفين أو بعد ذلك بزمان وجيز ، ونصوص هذه الكتابات تظهر في مخطوطات رهاوية يرجع تاريخها الى سنة ٤١١ و ٤٦٢ ، ولا بد أنها كانت قد تقلبت بين أيدي كتبة متعاقبين . ومترجمو أرسطو الذين كان لهم تأثير كبير على الفلسفة واللاهوت السريانيين ، برويس عند النساطرة وسرجيوس الراسعيني عند المونوفيسيين لم يكونا من الرها . ولكن مدارس الرها وما جاورها كانت المسؤولة عن الترجمة الى السريانية لأعمال ديودورس الطرسوسي وثيودور الموبسوستياتي (وكلاهما قبل سنة ٤٣٥) . نسطور ، وبولس الشميشاطي ، وسويريوس الأنطاكي ، وعديد من الكتّاب اليونان

الأخرين • وترجم المطران رابولا مقالات كيرلس الاسكندري الدينية بناءً على طلب كيرلس الخاص • وكانت مدرسة الفارسيين نشيطة بصورة خاصة قبل اغلاقها سنة ٤٨٩ • ولم تكن تترجم الأعمال اليونانية اللاهوتية فقط الى السريانية ، بل كانت تؤلف بها كتابات أصيلة في النثر والشعر أيضاً • وكتابات نرساي وصديقه النسطوري ماعنا كانت مرموقة • وكان علماء الرها على اتصال دائم بالعلماء المجاورين منهم في حران وتلا وكذلك بعلماء أنطاكيا وكيرهوس (قورس) (٧٣) •

أما الترجمة العكسية ، ترجمة السريانية الى اللغات الأخرى فقد بدأت منذ عهد متقدم • وقد تكون قصة أهل الكهف الشهيرة ، قصة الافسسيين السبعة النائمين ألفت في الأصل بالسريانية ، وبعدئذ ترجمت الى اليونانية • وهكذا أيضاً كان الحال تقريباً مع أعمال القديس توما الباكرا • وكما ألمحنا سابقاً ، فان كتابات مار أفرام ترجمت الى عدة لغات وبضمنها اليونانية بعد وفاته بوقت قصير • وربما كان القديس جيروم يعرف السريانية لأنه حصل على حكاية مغامرات ملكوس ( ملكي ) أيام أسره بين البدو مباشرة من ذلك الراهب • واستمد المؤرخ سوزومين روايته عن اضطهاد المسيحيين في فارس من مصادر شرقية ولربما السريانية ، ونقل ثيودوريط بعض قصص الشهداء الآرامية الى اللغة اليونانية وكان يعرف سيرة حياة مار أفرام • وترجمت الآداب السريانية الى الفارسية أيضاً ، وخصوصاً بجهود المترجم ماعنا (٧٤) •

ومهما يكن ، فانه ليس هناك دليل على أن الأدب الأصيل في الرها في هذه الفترة كان يؤلف بغير اللغة السريانية • والقد قدمنا نبذاً من الكتابات التاريخية قبل الآن ولاحظنا البساطة المؤثرة لبعض كتابات تواريخ الشهداء المبكرة في الرها والأمانة في حكاية تعاليم مار آدائي ، وسفر الأخبار المعزو الى يشوع العمودي الذي كتبه حوالي سنة ٥٠٧ • راهب من دير زوقتين قرب آمد ، وكان ساكناً في الرها • وهو يقدم لنا مادة ممتازة لتاريخ هذه الحقبة وكتب بأسلوب بسيط لا تكلف فيه •

٧٣- ومن ناحية أخرى فان يوسيبوس اسقف حمص ( توفي قبل سنة ٣٥٩ ) والذي كان مواطناً رهاوياً فانه يستذكر لكتابات اللاهوتية باللغة اليونانية ، وترجمت فيما بعد الى السريانية • وكان يوسيبوس قد قضى بعض السنين في فلسطين وأنطاكيا قبل حصوله على الأفضلية لكرسي أبرشية الرها •

٧٤- قد يعزى بعض النشاط الأدبي الى المطران ايثالاها ، ولكن كل ما بقي من كتاباته ننفذ مترجمة الى الأرمنية •

وكذلك سفر أخبار الرها الذي كتبه أو جمعه شخص مجهول أكمله حوالي سنة ٥٤٠ ، ولكنه في شكله الحالي ليس أكثر من مجرد خلاصات للأحداث .

ليس يوسع الرها المطالبة ببوحنا الافسسي المؤرخ السرياني البارز في القرن السادس ، والقصة القصيرة عن حياة يوفميا الفتاة الرهاوية التي اختطفها جندي قوطي ثم نقلت الى البيت بمعجزة بتدخل من الشهداء ألفت بصورة تكاد تكون أكيدة هناك . وربما يتحتم علينا أيضاً أن نعزو الكتابات الثلاثية « التاريخية » عن قسطنطين ، ويوسبيوس الروماني ، وجوفيان المدعوة « رواية جوليان » الى كاتب رهاوي ، ولا ريب في أن الرواية ألّفها راهب مجهول ما بين سنة ٥٠٢ و ٥٣٢ وهي تتضمن مبالغات كبيرة وتشويهاً للواقع ، ولكن أسلوب كتابتها السريانية يدعو الى الاعجاب .

ان أشهر شعراء الرها في العهد البيزنطي كان القديس أفرام .  
ولقد ناقشنا عمله الأدبي وقدّمنا منه نبذاً في فصل سابق . وهنا سنتناول بايجاز ناحية من كتاباته قليلاً ما أشير إليها من قبل ، ألا وهي ناحيتها العلمية ، وقليل من الأمثلة فيه الكفاية .

« عندما لا تقيء [المعدة] يكون هناك دليل على ثقل [الطعام] وبرودته . . . وإذا كانت لا تهضم فانها لا تفرز سائلاً ، وإذا لم تفرز سائلاً فان [المعدة] لا تقيء . . . لأن البرودة تغلق على الطعام بثقل . . .

« الخط لا جوهر له بحد ذاته ، كما للحصان جوهر . . . وعندما يرسم الفنانون شيئاً للأجسام التي يشاهدونها فانهم لا يستطيعون اضافة أو طرح أي شيء ، وعندما يرسمون شيئاً للمادة التي لا يرونها فانهم يرسمونها بألوانها وأشكالها الأصلية . . . ولكن في قضية الخط يضيف [الفنان] وينقص أي شيء يريده . . . ولا يلام على ذلك . . .

« لكي تتعلم جيداً كيف تركز الأنابيب الأشياء المبعثرة وتدفعها الى الأمام تأمل أيضاً أنابيب اطفاء النيران وشاهد مدى العلو الذي تدفع الماء المتزعزع وتبعثره ، وتأمل علاوة على ذلك مجاري المياه ذات القناطر وانظر كيف تجمع المياه في أحواض وأنابيب ثم تصعد وتقوم بالخدمة على أعالي صعبة المنال . . . وانظر كيف أن [الهواء] عندما يركز في أتون الحداد أو في موقد الصائغ تندفع هبة الهواء منه بقوة بسبب تركيزها . . . ثم قم بتجربة أنت بنفسك - فإذا فتحت فمك واسمأ

وصرخت يضيع صوتك ويغدو ضعيفاً • ولكن إذا ضغطت شفطيك قليلاً من الخارج وجعلت منهما تجويفاً رحباً من الداخل يتركز صوتك ويزداد وخصوصاً إذا كنت تنظر الى أسفل وليس الى أعلى • ومرة أخرى تأمل نجاراً عندما يتمعن استقامة قطعة الخشب ••• انه يغمض نصف غمضة لكي يتمكن من تركيز [نظره] على استقامة قطعة الخشب •

« وعندما ينظر المرء في اتجاه الشمس اذا لم يضع يده فوق عينيه ويقيهما فان نظره لا يتمركز [ليشاهد] بثبات ••• وعندما ينظر انسان في اناء من الماء الصافي يرى في المياه المتجمعة في قعره لون السماء وكذلك يرى طيراً اذا صدف ومرّ طير فوق الاناء •

« ان الأشعة لا تنبعث من الأجسام غير المصقولة أو من مواد لا تلمع كما تنبعث من الأشياء المصقولة أو من مواد براقّة • وكما أن كل شيء يقع في المرآة ••• يظن بأنه يخص المرآة ولو أنه لا يخصها ، وهكذا أيضاً كان يظن أن تلك الأشعة تخص المرآة ولو أنها لا تخصها ••• وعندما تصطدم المواد الصلبة الواحدة منها بالأخرى يتولد صوت من بينهما - فالقضية ليست أن الصوت كان في داخلها وأنه كان غير مسموع ، بل لأنه من طبيعتهما أن يولدا الصوت باصطدامهما الواحد بالآخر ••• » •

ان هذه الميزة العلمية في كتابات مار أفرام تعطي لمسة من دوغمائية ظاهرة لمناقشاته اللاهوتية • ولكن تعبيرها أيضاً لونا من الواقعية كانت جذابة للرهاوي العادي • والميل للعلم كان أمراً مميزاً عند برديسان الذي كان في نفس الوقت شاعراً قد يفوق مار أفرام • وهذا الميل كان أس الأنظمة التي استنبطها علماء نظام الكون • والأكثر أهمية فقد كان له ، رغباً عن سذاجته ، تأثير كبير في أعمال الكتاب المتأخرين في السريانية والعربية • وبوسعنا أن نكتشف في كتابات مار أفرام تلك روح البحث والاستطلاع التي جعلت من الناطقين بالسريانية وسطاء لنقل وبحث الفلسفة والعلم اليونانيين •

شاعر سرياني آخر هو اسحق الأنطاكي الشهير كان مواطناً من آمد ، ولكنه أمضى سني حياته الباكرة في الرها وتتلذذ على يد أحد تلامذة مار أفرام ، وبالتالي ذهب الى أنطاكيا وتوفي هناك نحو سنة ٤٦٠ • كانت كتاباته الغزيرة تنتزع الاعجاب العظيم من معاصريه ولكنها للقارئ العصري تبدو مصطنعة ومملة قليلاً • ومع ذلك ، فان خطاباته الحماسية ضد العبادة الوثنية قد تنقصها الحرارة الشديدة ولكنها

لا ينقصها الاخلاص . ومقالتا اسحق الأنطاكي الوعظيتان حول بيت حور التي نهبها البدو الموالون للفرس نحو سنة ٤٥٧ تقدم صورة تثير الاهتمام عن وادي الرافدين في تلك الفترة البيزنطية :

« لماذا يسارع أبناء جيلنا الأحمق ليصيحوا متدمرين على ما أنزل بنا من عقاب ، جالسين يحكمون على قاضيهم [المولى] ، ولماذا يطالبون [بالانتقام] على يده ؟ يصيحون : هلموا شاهدوا ، أسرى ومتفيين مع غنائم من الشراء الدنيوي - البدو الذين نجسوا الأرض حملوهم بعيداً . دمرت بيوت الرجال عندما اجتاز [البدو] الحدود الآمنة - إلهات شريرة منتقمة ، وحمير وحشية ، واسماعيليون يذبحون الصالح والطالح على حد سواء . ولكن حقاً كانت [بيت حور] غصناً نبت من كرامة الهلاك ، انها حران [جديدة] نشأت على أرضنا ، وعدلاً فعل الغازي بانتزاع جذورها ... »

ولم يرحمها الفرس لأنها عبدت الشمس معهم . ولم يتركها البدو أيضاً لأنها قدمت القرابين للعزى معهم . لقد جعلت من نفسها زانية تقبل اللطم في سبيل الشراء . ولها عشاق مكارون من أجل الجواهر الوفيرة . كانت الملتقى للعابثين المتقلبي الأهواء والشريين والصوص والخادم الهارب من سيده والابن النائر على أبيه ... »

ادعى المتكهنون معرفة الأشياء الخفية فيها ، ولكنهم لم يتكهنوا بأن مصيرها سيقع بأيدي قطاع الطرق ، والطاغية هناك ، زعيم وثنيي المدينة . كانت له ثقة بالكهانة ، ولكن يوم الغضب اكتسحه كلياً . أصبحت زوجاتهم ، الكاهنات غنائم في بيوت الغرباء ، وبناتهم العذارى اغتصبن في طقوس بكتشي ... »

ولكن ما أصاب بيت حور من حيف فقد انتقم له :

« قف قليلاً وامتلئ عجباً كيف هلك النهابون بالغنائم التي نهبوا على أيدي الفرس على حدودنا . أتى الكثيرون سوية من قلعة نصيبين ، وفي لمح البصر هلكت القوة التي أتت الى حدودنا ... ان الذين اغتبنوا على أيدينا باتوا فقراء ، والذين نهبوا أصبحوا غنيمة ، بالحرب والوباء قضت عليهم العدالة » .

يقرع اسحق الأنطاكي النساك المنافقين الذين قال عنهم الامبراطور جوليان قبل قرن من الزمان « في معظم الحالات ، الرجال الذين يقومون

بتضحيات صغيرة يربحون الكثير ... وبحجج منمقة يجيئون أتاوات  
يسموئها حسنات - مهما يكن يعني ذلك « (٧٥) » .

« دعنا نأتي الآن لنظام النساك الطاهر . النساك الذين يتفوقون  
في شعرهم الطويل ويُبجّلون لشوبهم ... خدم تركوا طاعة أسيادهم ،  
وأبناء يهملون واجبهم نحو آبائهم ، يطيلون شعورهم خلافاً لنظام  
تعليمهم ، ظانين أنهم يستطيعون تغطية أخلاقهم المهجورة بشعرهم الطويل ،  
أنهم يتجولون في المدن ليجمعوا الصدقات فيستهزئ بهم النبلاء ويزدرهم  
الخدم ... وبحجج مختلفة من العدالة يضاعفون الأموال ويكدسونها  
يجشع ... يقومون بدور النساك بالعطور والقذارة ، ويخصّون أنفسهم  
بالطعام والخمر . وحيثما يذهبون يوجدون الفضيحة في بيوت الباعة  
المتجولين والتجار ... بشعرهم وبجرايهم الذي يحملونه يظهرون أنفسهم  
بالقداسة - ولكنهم يقترفون الزنا والسرقه ... لقد حطموا نير المعلمين  
وانقطعوا عن أي شكل من أشكال العمل ، ولا يحنون الا الى موائد  
التكايا . انهم لا يمكنون في الأديرة الطاهرة المقدسة لأنهم لم يتعلموا  
المزامير ولا يستطيعون التأمل في الكتاب المقدس ... انهم يقلقون راحة  
الرهبان الرصينين الساهرين بفسقهم وسبائهم ... انهم يتشوقون  
لراحة بطونهم ، وينتقلون من دير الى دير ينشدون دوماً ولائم جديدة ،  
كالغرباء ... لكي يتمكنوا بهذه الحجة من أن ينغمسوا في شراحتهم  
وسكرهم » .

هناك قطعة من الشعر لاسحق الأنطاكي عنوانها « عن قوة الشيطان  
في اغواء الانسان » يبدو أنها كتبت في الرها . انه يزر بها النساء  
المؤمنات بالخزعبلات في المدينة ، فيقول :

« ايمانهن ليس عظيماً وأخطأهن جسيمة . انهن يلتجئن الى  
النساك ليمسحوهن بالزيت ليس لأن النساك رجال أتقياء ولكنهن يقلن :  
انهم سيشفوننا أكان بالسحر أو بالعزائم . ومع أن الناسك أحق  
متعجرف تهرع اليه نساء حمقاوات ، يركضن اليه بابه متكررات ،  
عديمات الحب ، ويقلن [في أنفسهن] : مهما يكن فانه سيستنبط شيئاً  
لدائنا وبكتاب العزائم واهراق الخمر سيطرده الشياطين من أبنائنا » .  
ويكتب اسحق الأنطاكي بنقمة عن الاحترام الذي يبديه الزهاويون  
لهيكل القديس توما :

٧٥- خطاب رسمي الى هيراقليوس الكلبي .

« ملتوية أصواته ، تجعلنا نزوغ عن المكان المقدس ، عظيم احتقارنا للكنيسة ، لأننا بحق نزدري أركانها • ان الرجل الذي يقسم ويحث على اليمين بالكنيسة - نحن لا نحترم قسمه • قد يلتجئ أحد الى القسم بالكنيسة ولكن الذي يحثه عليه لا يحترمها • [انه يصيح في وجهه] : اذا كنت لا تقسم بهيكل توما الرسول قاني لسن أعتبر قسمك صادقا • انهم ينزلون [توما] في منزلة أعظم من سيده ، لأن العفاريت انتحبت [بجانب قبره] • اذا أقسم أحد بالكنيسة ، أقسم على عجل ، واذا أقسم بالرسول تباطأ وأطال القسم » • ومع ذلك فان اسحق الأنطاكي يتسامح في شكل عبادة هذا القديس :

« ألم تشاهدوا بلاط ملك من الملوك ؟ لا يضرب أحد أمامه ، ولكن القائد الذي يقف أمامه هو الذي يعاقب الثائرين • وفي الكنيسة فان المسيح كالمملك والرسول كالقائد ، وبهذه الطريقة يمجّد المسيح كنائسه بالراحة » •

كان ليعقوب السروجي صلوات أقرب بالرها • ولد في سنة ٤٥١ في سروج التي تبعد أربعين كيلو متراً جنوب غربي الرها • كان والده قسيساً ، ودرس الكتاب المقدس في الرها ما بين ٤٦٩ و ٤٧٣ ، ويلمح بأنه عشر « بطريق الصدفة على احدى كتابات ديودورس [الطرسوسي] ووجد فيها جحفاً من الآراء والأفكار تخالف الحقيقة » • وكان يعقوب له رتبة الزائر المقيم (بريودوط) في منطقة سروج • ثم أصبح مطراناً لباطناني سنة ٥١٩ عندما بلغ عمره سبعة وستين أو ثمانية وستين عاماً • عاش حياة كلها درس هادئ ، وقضى جميع أيامه قرب بلدته ، ولكنه أخذ على عاتقه جزءاً فعالاً في الأحداث التي جرت في زمنه • ولقد بقيت لنا مجموعة من رسائله ، وهي ذات فائدة بارزة • والعدد الضخم من التأليف الموزونة التي تعزى اليه - ويقال انه أملى أشعاره البالغة سبعمئة وستين قطعة شعرية على سبعين ناسخاً ، أكسبته لقب : « مزمار الروح القدس وقيثارة الكنيسة المؤمنة » •

ويحكى أن في سنة ٥٢١ استدعاه المطران بولس الى الرها ، ولبى النداء يعقوب ، وهو المونوفيسي المخلص ، غير راضٍ خوفاً من أن بولس قد يطلب منه الاعتراف بالمجمع الخلقيدوني • وبموجب التقليد وصل يعقوب دير الفرس الذي يبعد ستة أميال عن الرها • فرأى هناك رؤيا أوحى اليه بأنه سيموت خلال يومين • فرجع الى باطناني ورتب أمور كنيسته وتوفي في الوقت الذي أنبأه فيه حلمه •

هناك رسالة ضمن رسائله عن الرها تذكر مواطنيها بالوعد الأسطوري الذي أعطاه يسوع لها بأنها لن تسقط بأيدي العدو أبداً .  
 ورسالة يعقوب هذه كتبت عند سقوط آمد بيد كاواد الفارسي سنة ٥٠٣ ،  
 واننا نعرف من سفر أخبار يشوع العامودي بأنها شجعت الشعب على  
 ألا يفرّوا مرعوبين أمام الفرس ، وفي رسالة لأمير يدعى باسوس  
 يمدح يعقوب ولاءه للمونوقيسييين . ومن الواضح أن باسوس كان  
 قائداً للرّها لأن يعقوب يدعو « الوريث الصالح لأبجر البارثي » ويتابع  
 « وطالما ورثت مدينته فانك ورثت عقيدته أيضاً . لقد نهضت كمحارب  
 شجاع وأبديت صدق عقيدتك [للمطران] بولس راعي الكنيسة والمعترف  
 بعقيدته في الوقت العصيب » .

هناك رسالة بديعة كتبت ما بين سنة ٥١٤ و ٥١٨ موجهة من  
 يعقوب الى رهبان مار باسوس قرب أفاميا :

« المودة كالذهب ولكن الايمان كاللؤلؤة . . . فمن أين أتيت أيتها  
 اللؤلؤة . . . ؟ انك تفوقين أسرار الضياء . . . ومسربلة بالجمال  
 والبهاء . . . التجار يشتهونك ولا يشبعون أبداً من النظر اليك . . . » .

وتجيب اللؤلؤة : « أنا ابنة النور ، وبدخلي تتشكل صورته .  
 تركت العلى ونزلت الى أعماق الهاوية ولمستها . أنا نداوة القبة  
 الزرقاء ، وولدت في الرحم العظيم ، ركض البرق أمامي ، والرعد  
 زميلي ، وخفرتني السحب في مسالكها وحملتني الرياح وأتت بي وأنا  
 مكسوة بضباب النور . نزلت من بيت أبي وتشوق البحر للقياي  
 واستقبلني ، وعانقني اليمّ في أحشائه . اغتسلت في المياه ولم تتشوه  
 محاسني . رحم الظلمة حملني ولكن لألأئي لا ينطمس » .

وفي رسالة أخرى من يعقوب السروجي يهنئ فيها المطران بولس  
 الرهاوي على اعادته الى كرسي أبرشيته من قبل الامبراطور :

« لو لم تضطهد لما ظهر جمالك ، ولو لم تهن لما حصل لك الشرف  
 العظيم . . . والآن يا سيدي هناك فرح في كل الأرض . والقطيع الصغير  
 مبتهج لأن الراعي قد عاد الى حظيرته والكنائس متوهجة بمشاعل النور  
 والتراتيل الروحية ، وجميع المجامع تصلي من أعماق قلوبها للامبراطور  
 المؤمن والقداستك . . . انه من اللائق أن يشرق ايمان امبراطورنا  
 كالشمس في العالم بواسطة كاهن الرها التي هي أول خطيبة للمسيح  
 ويليق بها أن تكون المولود البكر ممتلئة بالفضيلة في كل الأزمان » .

في محاوره ليعقوب السروجي « عن سقوط الأصنام » توجد فائدة خاصة تسترعي اهتمام دارسي الوثنية في هذه الفترة . ولو أنه يجب التسامح عن المبالغات الشعرية في وصفه :

« ظهر نور عظيم في العالم في أيام ربنا ، وبظهوره أتى الفرح الى مناطق كانت كئيبة . وبظهور أشعة الآب رأت الظلال أن تنصرف . ارتفعت منه فابتلعت بعضها البعض ثم مرت وانجابت وأشرقت شمس البر الجميلة من الجلجلة على العالم وطرقت ظلمة عبادة الأصنام .

« ونصب [الشیطان] أبولو وأصناماً أخرى في أنطاكيا ، وفي الرها . ونصب نابو وبيسل وآخرين كثيرين ، وقاد حران الى الضلال بواسطة سين وبعل شامين وبار نحري ومار كلابه ، وترعائنا وغدلات الإلهتين . وجعل من منبج مدينة كهنة للالهات . وابتنى [الشیطان] على قمم الجبال قصوراً للالهات ، وعلى المرتفعات [نصب] هياكل مصبوغة للأصنام . . . . وعلى تلة كانت الضحايا تذبح لأريس وعلى أخرى بنى مذبحاً لهرميس . كان أحد الوديان يسمى [وادي] هرقلس . ومرتفع آخر [يدعى] باسم « بيت الآلهة » . ولم تكن هناك رابية واحدة لم تخضب بدم الضحايا . ولم يكن هناك مكان مرتفع خال من سكب الخمر للآلهة . وكان الشبان يقدمون بأعداد غفيرة كضحايا ، كما كانت العذارى تذبح لأصنام أنثوية . . . . للشمس والقمر والكوكب الزهرة والتيتيرين . . . . وكان للآلهة مقاعد شامخة من الشهرة فكانت التماثيل تنصب على عواميد بطولية والكهنة يلبسون كتاناً مغزولاً بشكل بدیع ويتدشرون بالآلبسة الجميلة » .

وعندما بزغ النور بمجيء المسيحية هدمت الهياكل : « وأقيمت أديرة على قمم الروابي عوضاً عن بيوت العفاريت وعلى المرتفعات بنيت بيوت عبادة مقدسة عوضاً عن الهياكل ، ونهب [الشیطان] الى الرها فوجدها في مخاض عظيم . أصبح ملكها عاملاً للكنيسة ثم بناها . ووقف أداي الرسول فيها كبتاء ولبس الملك أبحر تاجه وشاركه في البناء . . . . » .

وينذر يعقوب السروجي بأن حب الذهب وحده سيمكن الشيطان من ارجاع حكم عبادة الأصنام .

هناك موعظة طويلة عنوانها « عن دفن الغرباء » هي ذات فائدة ثمينة للراغبين في دراسة الرها . انها لا تعكس وحدة طالب متجول

وحسب ، بل تعكس نفور يعقوب السروجي أيضاً ، وهو الراهب القروي الهادىء ، من ضوضاء المدينة وعدائها :

« ذات يوم عندما كنت ماراً في الشوارع الدنيوية رنّ في أذني صوت أنات مليئة بالألم . أتفتت فرأيت رجلاً يائساً غريباً عن المكان ملقى على الأرض ممدداً ومعذباً بالمرض ، واقتربت لأستمع الى كلماته الحزينة التي كان يتفوه بها عن نفيه وعن الويلات المخيابة فيه . ثم راح يبكي وجعل المارين يبكون معه . ان تنوع كلماته وحلاوتها جعلاني أقف حيث كنت ، وبينهدات حزينة عرض شكواه وما قاساه من جراء نفيه : تركت بيت أهلي أملاً في الرجوع والعودة سليماً في الروح والجسد . . . . ولكن الألم الممض والمرض الآن يعذباني وينغصان عليّ في كل ساعة - موجات مشحونة بالموت . . . . ليس هناك انسان يسألني أليعرف أحزاني ومرضي . . . . كل واحد يمر على عجل ولا أحد يقف بجانبي ، انهم يسرعون في خطاهم متعمدين كي لا يرونني . ينقضني اليوم ويأتي الليل ليجلدني . انه يأتي بالظلمة ، انه يعزلني وينشر الكآبة على جدران الشوارع . . . . لا نور هناك ولا عشرة . . . . أنا غريب عن العالم وعن تعزياته . يا أيها المنفي . . . . هناك الاضطهاد والعناء على طرقاتك ، وهكذا الضيق والكرب والجوع والعطش والتعب والاعار والوعيد . النظرات الجارحة والكلمات القاسية تحرق قلبي كالسهام ، وكروؤوس الحراب تجرحه بقسوة . . . .

. . . . واقتربت نهايته عندما اجتمع به [الموت] . . . . وأجال بصره في كل جانب - فلم يكن هناك من يساعده ، وتاهت نظراته هنا وهناك - فلم يجد من ينجده ، وانسكبت دموعه بلوعة على وسادته وكان وجهه مغطى بالغبار . . . . ولم يكن هناك من يمسحها . . . . وتمتمت شفقتاه [تناديان] أمه الحبيبة الغالية لتأتي وتندب عليه . . . . ونادى والده كي يأتي ويرى ابنه العزيز على القمامة يتعطر بالتراب . « آه يا أمي . . . . أين حبك المليء بالحنان . . . . أين صوتك الملاطف ؟ رأيت ، اني أناديك كي أحصل على مؤاساتك وأنت لا تسمعين . . . . ليتني أراك الآن [تنحنين] على وجهي وتمسحين التراب عن عيني بحزن . . . . آه لو كنت أستطيع أن أشاهد خلاني وجيراني وعائلي وزملائي التلامذة وأصحابي وجميع أقربائي ! . . . . أخذت أصابعي تضعف وترتجف . أيها الموت ، قف قليلاً ، اذا كان هذا ممكناً ، قد يأتي أحد يشيعني ويدفني . . . . دع أولئك الذين أبناؤهم في الغربية يبكون عليّ . دع أولئك الذين أولادهم في المنفى يبكون عليّ . دع أولئك الذين مات أحباؤهم على

جوانب الطرق وفي أماكن النفي ، وأولئك الذين قلوبهم معذبة . . .  
كقلبي والديّ المعذبين ، سيكون عليّ . . . يا رب ، اني أسلم اليك  
الآن روحي المسكينة فاستلمها بعطف بموجب كرمك . . . أتوسل اليك  
أن تخلصني من ألم وعذاب [الطريق] ، كي أستطيع الطيران مع الملائكة  
عبر هوة الجحيم . . . حصّني بيمينك ضد جهنم وواسني على العذاب  
هنا وهناك .

. . . وضم يديه وأحنى رأسه وتلقى الموت . كزهرة ذبل جماله  
ولم يعد يسمع له صوت ، ليتبارك الذي عفا عنه . . . ومنحه الراحة  
من عنائه . . . » .

### الحجاج المسيحيون

ان انتصار المسيحية الأرثوذكسية في الرها ، كما رأينا ، كان المكافأة  
على المثابرة وتحمل المشقة لسنين عديدة ، وتميز بثلاثة استشهادات على  
الأقل . وما أن وصل القرن الرابع حتى كانت المدينة قد غدت شهيرة  
بأسطورة « الرسالة » التي وعد فيها يسوع أنه لا يمكن لعدو (٧٦) أن  
يصبح سيداً على الرها اطلاقاً . وأماكن العبادة فيها كانت هدفاً للحجاج  
من ما بين النهرين وبلاد فارس وسوريا وآسيا الصغرى ، وحتى من الشرق  
الأقصى وأوروبا . بعضهم أتاها لزيارة قصيرة كالراهبة ايقريا  
الأكويتانية ، وبعضهم أتاها للدراسة « كالغريب » الذي ذكره يعقوب  
السروجي في شعره ، وأتى آخرون للصلاة ، والأسطورة الشهيرة عن  
« رجل الله » ألكسيوس تقص كيف أن شاباً ثرياً - بعض الكتاب  
يلمحون بأنه كان ابن الامبراطور ثيودوسيوس الثاني - ترك روما سراً  
عشية زواجه :

« الرجل المبارك . . . جال البلاد كمتسول وذهب الى مدينة  
البارثيين التي تدعى الرها . ومكث هناك [يحيا حياة] متسول حتى  
مماته . هذه كانت طريقة حياة الرجل المبارك في الرها . أثناء النهار  
كان بصورة دائمة في الكنيسة ومعابد الشهداء المقدسة . لا يأخذ شيئاً من  
أي انسان بل رغب في أن يحرم نفسه من تناول الطعام أثناء النهار كي  
يحافظ على الصيام حتى المساء . وعند المساء كان يقف بجانب باب

٧٦ - وفي عبارة كتبت متأخرة « ولا بربري » ، وفي مكان آخر « ولا اشوري » .

الكنيسة ويدها مبسوطتان لكي يتقبل الهبات من الداخلين الى الكنيسة - وعند استلامه منهم ما يكفي جميع حاجاته كان يطبق يديه ولا يأخذ شيئاً بعد ذلك \* أما مخصصات طعامه فقد كانت عشرة مكابيل من الخبز ومكبالان من الخضار ، واذا تسلم أكثر من هذا بطريق الصدقة كان يعطيه لشخص آخر ، كما أنه يتصدق مما أخذ من صدقات ... انه لم يعزل نفسه عن الفقراء في مسكنه \* بل بعد حلول المساء وجميع الفقراء تأثمون حوله ، كان ينهض ويصلب ذراعيه على صدره ويقف أمام حائط أو عامود ، ثم يصلي \* وكان يدخل مع أول الداخلين للكنيسة للصلاة ويمكث حتى الصباح \* وهكذا أنجز جميع أيامه » -

جمع الرهاويون الذخائر المقدسة بنفس الحماس الذي تجمع فيه المتاحف العصرية أعمال الأساتذة القدامى العظام ، ولنفس الأسباب - لكي يدغدغوا غيرة المواطنين في مدينتهم وليحافظوا على سيل الزائرين - وهذا الايمان في فعالية الذخائر المقدسة بالمستطاع ، ولا ريب ، مضاهاته بأماكن أخرى في الشرق الأدنى \* ورفات يعقوب النصيبيني الذي توفي في سنة ٣٣٧-٣٣٨ كانت محفوظة داخل جدران المدينة ، ويعلن القديس أفرام أن قداستها هي التي أعطت نصيبين الحماية الإلهية ضد هجمات الفرس الكفرة ، ورفض مواطنو أنطاكيا السفسطائين مفارقة جسد القديس سمعان العامودي لكونه « حصناً وقلعة لهذه المدينة » \* ومهما يكن من أمر فانه لم يكن هناك في أي مكان آخر رضى بالذخائر المقدسة أكثر من رضى القسطنطينية عاصمة الامبراطورية \* فكنائسها ومعابدها المقدسة حصلت على مرّ الزمن على الصليب المقدس والكيل الشوك ، ورداء ووشاح وحزام مريم العذراء ، ورأس القديس يوحنا المعمدان ، وأجساد القديسين اسطيفان وطيموثاوس وأندراوس ولوقا ومجموعة ضخمة من الأشياء المختلفة التي كان الحجاج يحترمونها في جميع أنحاء العالم المسيحي \* (أضف الى ذلك قنماط يسوع ، والخبز الذي أعطاه يسوع لليهوذا ، وعصا موسى ، وعباءة ايليا ، والأبواق الأربعة التي هدمت أسوار أريحا) \* ان تعطش الشعب القسطنطيني للذخائر المقدسة وصل الى حد الشغف والوله \* وفي القرن العاشر حوّل حكامها الى عهدتهم ثروات الرها المقدسة وصورة يسوع ورسالته \*

في البداية كانت ذخائر الرها المقدسة محفوظة خارج المدينة تماماً كما كان المواطنون أنفسهم يُدفنون في مقابر خارج الأسوار \* فالقانون الروماني كان يمنع الدفن داخل المدن ، وبقي الأمر كذلك حتى نحو

سنة ٣٥٠ م • وشيد معبد مقدس في الرها قرب الأسوار على المكان الذي تم فيه تنفيذ الموت بالشهداء الثلاثة : شمونا ، وكوريسه ، وحبيب • وبقربه بنى دير كان رهبانه يقومون بالصلاة اليومية في المعبد • وعندما غدت الرها مهددة من قبل الفرس سنة ٥٠٣ جلب المواطنون « عظام جميع الشهداء التي كانت حول المدينة » الى داخل كنيسة المعترفين التي كانت قد بنيت داخل الأسوار قرب الباب الشمالي ، وكانت عظام مار أداي الانجيلي والملك أيجر قد دفنت في ضريح العائلة الملكية ، تخميناً خارج أسوار المدينة • ومع الزمن نقلت هي أيضاً لتحفظ في كنائس داخل المدينة ، ومعبد القديسين قوزما ودميان خارج المدينة الى الجنوب كانا شهيرين لاحتوائهما على جسدي هذين الطبيبين الشهيدين • ربما بقي هذان في الخارج (ما عدا في حال وجود عدو يهدد بتنجيسهما) لأنه كان بجوارهما عمارات للتكايا • وبعد رده من الزمن يعتقد أنه أصبحت العادة وضع الذخائر المكتسبة حديثاً في الكنائس مباشرة داخل المدينة • ويبدو أن مار أفرام يشير الى عظام القديس يوحنا المحفوظة ربما في العمودية العظيمة التي بنيت سنة ٣٦٩-٣٧٠ في المدينة •

كانت أعظم ذخيرة ميجلة في الرها ، بعد رسالة وصورة يسوع : « كنز » جسد القديس توما رسول الشرق ، الذي يعتقد أسطورياً بأنه أرسل أداي الى الرها بأمر من يسوع نفسه وأهالي الرها المونوفيسيون في شكواهم للحاكم البيزنطي ضد المطران هيبا سنة ٤٤٩ يعلنون أن مدينتهم كانت « ممجدة في الايمان : أولاً بسبب البركة التي باركها بها خالق السماوات والأرض ••• وثانياً بسبب أهليتها بكنز عظام توما الرسول الذي كان أول من اعترف بأن مخلصنا هو الرب الإله ••• » • ويقال ان جسد توما الرسول كان قد جلبه تاجر من الهند حيث كان القديس قد استشهد •

ويظن أن هذا التقليد بدأ في تاريخ مبكر • فهناك عبارة في نهاية « أعمال توما الرسول » تنص على أن « أحد الاخوة أخذ [عظام القديس توما] سراً ونقلها الى الغرب » وفي نسخة أخرى «••• نقلها الى ما بين النهرين » وقد تكون هذه الكلمات أقحماً ولكن في القرن الرابع روفينوس الأكويلي يدعو الرها « مدينة المؤمنين في ما بين النهرين ، وهي مزينة برفات توما [الرسول(٧٧)] » • وفي فقرة بارزة كتب مار أفرام في نحو نفس هذا التاريخ فقال :

٧٧- هناك حكاية تقول ان الرهاويين طلبوا من الإمبراطور اسكندر سيفيروس عندما دحر الفرس سنة ٢٣٢ أن يطلب منهم ارجاع عظام القديس توما ، ولكن ليس هناك تبرير تاريخي للحكاية •

« راح الشيطان يندب ، الى أين أفر من الأبرار ؟ لقد هيجت الموت لكي أستطيع قتل الرسل وبموتهم أتمكن من الخلاص من العذاب ، ولكنني الآن أتعذب بقسوة أكثر من ذي قبل . فالرسول الذي قضيت عليه في الهند أتى أمامي الى الرها . انه هنا وهناك كلياً ، وذهبت الى هناك - فوجدته هناك . وجدته هنا وهناك فأنا محزون . . . ذلك التاجر حمل عظامه - أو بالأحرى هي حملته . . . تابوت توما قتلني ، والقوة الخفية فيه تعذبني . . . كنزه العظيم زاد في فقري . ان كنزه فتح في الرها ، وبمساعده غدت المدينة العظيمة غنية » .

يقع معبد القديس توما في الريف المكشوف خارج الأسوار الغربي الرها . وهناك اجتمع خصوم الأريوسية برئاسة المطران برساي نحو سنة ٣٧٢ يتحدون الامبراطور فالنس وضباطه . وتقول الرواية ان الامبراطور الأريوسي أمر بالقيام بمذبحه عامسة في المواطنين . ورأى القائد امرأة بسيطة تركض مع أولادها الى المعبد لتقبل الشهادة فتحررت عواطفه بهذا المشهد لدرجة مكنته من اقناع الامبراطور بأن يكتفي بطرد المطران مع رؤساء الاكليروس الأرثوذكسي من الرها - ويكتب مار أفرام عن هذا الحادث :

« أبواب البيوت تقف مفتوحة ، تركتها [رعية المدينة] وذهبت مع راعيها الى الخندق الثموت ولا تحنث بإيمانها . [ويصرخ السكان] « دع المدينة والقرى والعمارات والبيوت تعطى للامبراطور . اننا سنترك أمتعتنا وذهبنا ولن نحنث بإيماننا » . . . فليبارك المسيح السكان - الرها واسمها أنفتها ، واسم رسولها مجدها . المدينة التي هي سيدة أتباعها ، المدينة التي هي ظل اورشليم السماوية » .

كانت بقايا القديس توما قد نقلت في آب سنة ٣٩٤ من معبد الشهادة خارج الأسوار الى « معبده العظيم » داخل المدينة (٧٨) . ونحن نعلم من مصدر موثوق به أن هذه الكنيسة كانت في الحي الجنوبي الغربي من الرها ، أي ربما في نفس اتجاه معبد الشهادة خارج السور (٧٩) . وكان تابوت الرسول موضوعاً ( في بداية ممشى الكنيسة الشمالي على

٧٨ - تذكر سيرة القديس افرام أن ذلك القديس شفى بعمجرة رجلا مصاباً بالصرع على « باب كنيسة القديس توما في المدينة » وهذا يعني ضمناً أن كنيسة القديس توما بنيت قبل سنة ٣٧٣ . ولكن علينا أن لا نعتمد كثيراً على القيمة التاريخية لهذا النوع من الآثار الأدبية .

٧٩ - وبنفس الطريقة كانت كنيسة الشهداء شمونا وكورية وحبيب واقعة في شمال المدينة ، بنفس اتجاه معبد شهادتهم خارج الاسوار .

الجانب الغربي من المشى » . وفي سنة ٤٤١-٤٤٢ وهب قائد يدعى أناتولس « صندوقاً من الفضة لتحفظ فيه بقايا القديس . وزارت الراهبة ايغريا الأكويتانية الرها بصورة رئيسية للصلاة في معبد القديس توما . وهناك تلت صلوات معينة بضمناها كلمات الرسول . وهي لا تذكر أدائي (أو تداوس) كمبعوث للقديس توما . ومن الواضح أنها اعتبرت القديس توما هو نفسه مبشر الرها . ويبيدي اسحق الأنطاكي الملاحظة بأن الشعب في الرها كانوا يعلقون أهمية عظمى على التقسيم بهيكل القديس توما أكثر من التقسيم بالكنيسة ، والشاعر لين في توبيخاته . ونحو نهاية القرن السادس يظهر أن غريغوريوس النورسي يحاول الوصف بلغة مبالغتة احتفالاً سنوياً في الرها لذكرى القديس توما . ففي الشهر الخامس ، أي في شباط أو آذار كانت تتجمع جماهير غفيرة لتقديم خشوعها ، وبعد ذلك تقيم سوقاً . وكان مسموحاً لها بالبيع والشراء دون دفع الضرائب لمدة ثلاثين يوماً :

« لا ينتشب نفور بين الشعب أو لا تحط ذبابة على اللحم ، ولا يوجد عطشان ينقصه الشرب . في الأيام الأخرى يسحب الماء من آبار عمقتها مئة قدم ، ولكن الآن إذا ما حفر امرؤ حفرة صغيرة يجد ماءً صافياً ينبع بغزارة . ولا شك أن هذا يمنح بفضل الرسول . وعندما تنقضي أيام المهرجان تفرض الضرائب مرة أخرى على الجمهور ، والذباب الذي كان قد اختفى يظهر ثانية ، والمياه التي كانت قريبة من سطح الأرض تفيض . وبعد ذلك . . . تظهر الأمطار قاعة الكنيسة من الأوساخ والأشكال الأخرى من القذارة التي تراكمت أثناء المهرجان حتى ليظن المرء أنها لم تدس من قبل [ بالأقدام ] » (٨٠) .

كان الحجاج الى الرها ، كالحجاج في كل مكان ، يؤخذون في رحلات للأماكن الأثرية الرئيسية . وتصف ايغريا زيارتها ، ربما في منتصف القرن الخامس ، بسرور ساذج وتقص الحكايات التي كان الحجاج يتشققون بها :

« وبما أن المطران البار لتلك المدينة كان رجلاً متديناً وراهماً ومعرفاً بحق ، فانه أخذ بيدي عن طيبة خاطر وقال لي : بما أنني أرى

٨٠ - لقد قرن مونيريت دي فيلارد هذا العيد السنوي في الرها بالمعرض السنوي في باطناي الذي وصفه اميان في الصفحة ١٦٨ . انه يشبه شبهة كبيراً المهرجانات الربيعية في الشرق الأدنى الباقية حتى اليوم ، وتنعكس جزئياً في المهرجانات الاسلامية ( مع التعديلات الناشئة من تحويل التقويم الشمسي الى التقويم القمري ) .

يا ابنتي أنك قد كبدت نفسك مشقة كبيرة في سبيل العقيدة بمجيئك من بلاد بعيدة الى هذا المكان - لذا ، اذا شئت ، سنريك جميع الأماكن التي يبتهج المسيحيون لرؤيتها . . . » .

وقاد المطران رئيسة الدير (ايغريا) في أنحاء قصر الملك أبجر المزين بتمائيله البراقة التي تمثل أبجر وابنه معنو Magnus ثم شاهدا البرك المليئة بالسماك الكبير الريان اللامع ، الذي لم ترَ ايغريا مثله من قبل اطلاقاً . وقص عليها مراسلة أبجر مع يسوع ، ثم صرح المطران لها أنه بعد وصول رسالة يسوع بفترة وجيزة أحاط جيش فارسي بالرها ، فرفع أبجر الرسالة الثمينة عالياً وتضرع لها لمساعدة المدينة . وللحال اكتنف الفرس ظلاماً ، ولم يتمكنوا من الاقتراب الى المدينة ، وبقوا بعيدين عنها حوالي ثلاثة أميال . وبعد مكوثهم عدة شهور دون أن يفعلوا شيئاً صموا على اخضاع المدينة بقطع موردها من المياه . ووضح المطران ذلك بقوله :

« ان الجبل الذي ترينه فوق المدينة يا ابنتي كان في ذلك الوقت يمد المدينة بالمياه ، فلما شاهد الفرس ذلك حولوا المياه عن المدينة وجعلوا لها مجرى نحو المكان الذي خيموا فيه . وتبعاً لذلك ، وبنفس اليوم والساعة التي حول الفرس فيها اتجاه المياه تفجرت هذه الينابيع التي ترينها في هذا المكان من تلقاء نفسها بأمر الله . أما المياه التي حولها الفرس فانها جفت في اليوم ذاته حتى لم يبقَ لهم نقطة يشربونها لساعة واحدة . وبالامكان مشاهدة ذلك حتى هذا اليوم . وبعد ذلك الحين وحتى يومنا هذا لم تظهر هناك أية آثار للمياه على الاطلاق . وهكذا ، وبأمر الله الذي وعد بحدوث هذا ، أرغم الفرس على الرجوع الى بلدهم . » .

أخذ المطران بعدئذ ايغريا الى الباب الذي أدخلت « رسالة يسوع » منه الى الرها بموجب ما يقوله التقليد . وصلى هناك وتلا الرسالة ثم صلى سرا أخرى . ثم زارا القصر على جبل القلعة كما زارا أماكن أخرى . واستلمت ايغريا من المطران نسخة عن الرسائل المتبادلة بين أبجر ويسوع لتأخذها الى بلدها .

ان كل من يعرف أورفا الحالية يتضح له أن الكثير مما قاله المطران الدليل ثرثرة غير معقولة ، رغم أنه يجب علينا أن نتساهل بخصوص صعوبات المكالمة بين ايغريا المتكلمة باللاتينية ودليلها الذي كان يتكلم

السريانية وقليلًا من اليونانية . ان مورد المياه لا يمكن أن يأتي من تلك الصخرة الجيرية الشامخة التي بنى عليها القصر . وواضح أن الينابيع التي تزود برك السمك بالمياه قديمة . ويدعي المطران أن قصر الملك ابجر كان على الجبل ، وان ابنه عاش بعده في قصر قرب البرك . وهذا مخالف للحكاية التي وردت في « سفر أحداث الرها » (أوردناها في الفصل السابق) والتي هي ولا ريب صحيحة . والآن علينا ألا نتوقع من المطران أن يكون قد راجع سجلات المدينة ، وكذلك يجب ألا نفترض أن حكايات الزوجات المسنات عن المعجزات نسجت خصيصاً لتثقيف الحجاج . فالرهاويون الموهوبون دوماً بموهبة قص الحكايات الخيالية كانوا يعتقدون ولا ريب هم أنفسهم بها . بعد هذا التاريخ بزمن ، صحيح أن العداوات الطائفية وذلك العناد ، الذي زجر كتّاب الأحداث الرهاويين عليه عبر القرون ، أتت بنتائج غريبة . فصورة يسوع لم تكن واحدة بل ثلاث صور ، واحدة لكل من الطوائف الرئيسية الثلاث : اليعاقبة ، والملكيين ، والنساطرة . وادعت كل طائفة أن صورتها هي الأصيلة ، وكان هناك أكثر من ثلاث « رسائل ليسوع » : « أصيلة » أيضاً . هكذا كانت قوة الايمان ، ولكن ايمان الرهاويين كان ايماناً عميقاً ومخلصاً . ووضع هذا الايمان أمام أقسى تجربة في عام ٥٠٣ . ويشير كاتب الأحداث المعاصر يشوع العمودي بأن « أولئك الذين كانوا بعيدين عن [خطر الوقوع في أيدي الفرس] وقعوا تحت خوف شديد على حياتهم لقلّة ايمانهم ، ولأنهم فكروا أن العدو قد يجعل نفسه سيداً على الرها أيضاً كما فعل بمدن أخرى » . ولكن الرهاويين أنفسهم لم يتزعزعوا ، وبقيت أبواب المدينة مفتوحة وبدون دفاع في وجه الجيش الفارسي ، وانسحب الفرس في فوضى . . .

## الخرزيبات والسحر

تدهور الايمان وداخلته الخزعبلات . واعتقدت يوفميا ، الفتاة الرهاوية التي اختطفها جندي قوطي ، أن الشهداء المعترفين الرهاويين ، الذين أقسم القوطي على قبرهم بأنه سيعاملها معاملة حسنة ، سينتقمون لها . وأتت من أجل مساعدتها بعيداً عن مدينتها . وقد علمنا أنها « بواسطة القوة الالهية الكامنة في عظام الشهداء القديسين والمعترفين الذين نادتهم واحتمت بهم وجدت نفسها في تلك الليلة بالذات على الرابية [ خارج الرها ] بجانب معبد الشهداء القديسين والمعترفين » . فقصص كهذه لم تكن غريبة في الرها كما لم تكن غريبة للممارسات

اليومية التي امتدت جذورها في الخزعبلات • فاللباس الأبيض مثلاً كان رمز الفرح والثقة ، ففي « رواية جوليان » يذهب يهود الرها لملاقاة جوليان وهم لابسون الثياب البيضاء • وتسربل المسيحيون بالثياب البيضاء لاستقبال جوفيان حاميهم • ومما يلفت الانتباه ان والدة الشهيد حبيب كانت مسريلة بحلة بيضاء عندما رافقت ابنها الى ساحة الاعدام • وفي أثناء خسوف للشمس في شهر تشرين الأول سنة ٤٩٩ سار رجال الأكليروس وعامة الشعب في الرها في احتفال في « جميع شوارع المدينة يحملون الصليبان ويرتلون المزامير والترانيم وهم مكسوون بالحلل السوداء علامة المذلة والاتضاع » • وتوجد في الأنظمة الكهنوتية المعزوة الى المطران رابولا تعليمات الى كاهن القرية بأن يحافظ على صبغ الكنيسة باللون الأبيض •

ويكتب يشوع العمودي بتهكم مقتنع بقناع رقيق : بأمر [ من الحاكم في سنة ٤٩٧ - ٤٩٨ ] طليت جميع المحاشي المعمدة في [ الرها ] بالكلس الأبيض مما أقلق الأناس ذوي الخبرة قلقاً عظيماً لأنهم قالوا ان ذاك كان علامة ٠٠٠ للشروار التي ستحل [ بالمدينة ] • فهذا الكاتب لم يكن غراً سانجاً • انه يكرر رسالة شعب زوغما في آذار سنة ٥٠٤ ويكرر قصص حكاية الاوزة التي وضعت بيضة عجيبة مكتوب عليها أسطورة بالأحرف اليونانية بأن « اليونان سيتغلبون » • ولكنه يقدم هذه الحكاية بالكلمات التالية : « كي لا يظن اني أقول أي شيء من عندي أو أنني سمعت أو صدقت اشاعة كاذبة ، فاني أنقل نفس كلمات الرسالة التي وردتنا » ومع ذلك يصعب علينا أن نشك بأن يسوع نفسه صدق « العلامة » التي تبعت الاحتفال بمهرجان الربيع الوثني في الرها سنة ٤٩٦ عندما « الصليب الذي كان في يد تمثال الامبراطور قسطنطين المبارك انسحب وخرج من يد التمثال [ ووقف في الهواء ] على بعد نحو ذراع ومكث هكذا طيلة يوم الجمعة والسبت حتى المساء • وفي يوم الأحد اقترب الصليب الى مكانه تلقائياً وأمسكه التمثال بيده كما كان ممسكاً به من قبل • وبواسطة هذه العلامة فهم الفطنون بأن الشيء الذي جرى كان أبعد من أن يسر الله » •

كانت الممارسات الفارقة في الخزعبلات تُقرن بـ « الحنانا » ، وهي الخاصية الغامضة التي تكمن في الأشخاص والأشياء المقدسة • ولم تكن بقايا الشهداء والقديسين والنسك والعاموديين فقط هي التي تجمع بعناية وشغف بل أي شيء آخر لامسهم أثناء حياتهم أو حتى بعد وفاتهم بوقت طويل • فالتراب الذي داسوه بأرجلهم وثيابهم وحتى لعابهم

— كل هذه كانت تنقل مزية أصيلة من القدسية (٨١) وكان المتخشعون يأتون الى المعبد ليشتروا وصفات للصحة الجيدة والحظ السعيد أو ليمضوا ليلتهم هناك . وقد يؤخذ صبي مخبول الى « الأماكن المقدسة » ليمسح بالزيت ويقدم به فيسترجع عقله ، وكان المرضى يزورهم المتخشقون الذين كانوا يصلون عليهم في أسرتههم وينفخون في وجوههم ويرسمون فوقهم اشارة الصليب (٨٢) وهذه الممارسات كانت شائعة بين البسطاء وغير المثقفين كما هي الحال معهم حتى اليوم .

ومما يبعث على الدهشة أكثر من هذا هو المدي الذي شاع فيه السحر بين الرهبان المسيحيين ذوي الرتب العالية في اقليم الرها . فهؤلاء كانوا على استعداد للتهمك على الطقوس الوثنية في حران « مدينة الوثنيين » أو مدينة البدو . وليس بنا حاجة للأخذ بعين الجدل الاتهامات التي وجهت ضد المطران هيبا سنة ٤٩٩ من قبل أعدائه في الرها . فقبل انه كان يجتمع مع الذين يمارسون فنون التعزيم . وهتف الفوغاء ضده قائلين « انتصر الساحر مصرايا [ مع هيبا ] ! لا أحد يريد [ هيبا ] الساحر » . ويقال ان هيبا حاول أن يضمّن كرسي أبرشية باطناي لأحد صنائعه الذي كان على صلة مع أحد السحرة ، غير ان صنيعته الذي أخفق في الحصول على الوظيفة عين بواسطة المطران قيماً على تكية ، ورداً على هذا ( كما لمح ) كوفيء المطران بوصفة للسحر والشعوذة .

هذه الادعاءات ربما كانت افتراءات شريرة ، ولكننا نكاد لانستطيع أن نطرد بسهولة قصة الطقوس السحرية التي مارسها صفرونيوس اسقف تلا وابن عم هيبا ، حوالي سنة ٤٤٨ .

« لقد اشترك في لائحة الشياطين وحسابات [ التنجيم ] اللعينة وحركات النجوم والضلال والكهاتة والتنبؤات الوثنية ! » لقد كرس نفسه لكل هذه الأشياء الشريرة . »

يقال أن صفرونيوس فقد مرة في إحدى رحلاته مبلغاً من الذهب . فشك في بعض الأشخاص ، فجعلهم يقسمون اليمين على الانجيل ، ولكن

---

٨١ - ومن ناحية أخرى يخبرنا زكريا ريطور بأن رجال الكنيسة في آمد استنبطوا عملية تجفيف الخمر بوضعه في الشمس ادة سبع سنين . « كانوا يضعون قليلاً منه في الماء ويجعلون منه مزيجاً يعطي عند شربه حلاوة وتكهة الخمر » ، ولكنهم أخفوا هذا الانغماس في المتعة الذاتية عن رعيتهم « باخبار الجاهلين منهم بان ( النبيذ المسحوق ) هو حنانا » ومصنوع من رماد القديسين .

٨٢ - القديس افرام « ضد الهرطقات » .

بما ان النتيجة لم تسره أخضعهم لتجربة سحرية وأرغمهم على أن يأكلوا خبزاً وجبناً • ومع ذلك لم يجد الذهب • « فعمل طاسة التكهّن قائلاً : الذهب موجود في حوزة الشخص فلان الذي اسمه كذا وكذا ويلبس كذا • » وكان متهمو صفرونيوس يؤمنون بهذه الطقوس مثله تماماً لأنهم يضيفون : ان الشياطين في محاولاتهم تثبيته في ضلاله كانوا يكشفون له عن السارق عدة مرات ، لا لأنهم يريدون ادانة [ اللص ] بل لأنهم كانوا في أشد الشوق لدفع المطران في هوة الهلاك •

وفي مناسبة أخرى أخذ صفرونيوس صبياً ، « وأتى به وحيداً الى غرفة نومه بصحبة شماس يدعى ابراهيم ، وكان أحد أقاربه ، وبعد أن وضعوا مائدة في الوسط وضعوا تحتها بخوراً مهياً للعقاريت ، ووضعوا فوقها قارورة فيها زيت وماء • وجعل الصبي يقف عارياً بجانب المائدة ثم غطاه مع المائدة بقطعة نظيفة من الكتان • وراح الشمس بعدئذ يهمس بكلمات نظمها المطران له من فن الكهانة الشرير • وأخذ المطران والشماس يستجوبان الصبي قائلين له : ماذا ترى في القارورة ؟ فقال : اني أرى لهباً من النار تخرج منها • وبعد فترة وجيزة سألاه مرة أخرى : ماذا ترى الآن ؟ فأجاب اني أرى رجلاً جالساً على عرش من الذهب وسربلاً بالأرجوان وتاج على رأسه • ثم حفروا [خارج] الباب حفرة عميقة مآها بالزيت والماء وجعلا الصبي يقف هناك • قالوا له : ماذا ترى في الحفرة ؟ فأجاب ، اني أرى حبيب ابن المطران يمشي على الطريق - وكان قد ذهب في رحلة الى القسطنطينية - وتابع : وأراه جالساً على بغل أسود معصوب العينين ووراءه رجلان سائران : وأحضرا بعدئذ بيضة وكسراها وألقيا ببياضها وأبقيا على الملح وسألا الصبي : ماذا تشاهد في البيضة ؟ فأجاب : أشاهد « حبيب » آتياً على الطريق وهو على ظهر حصان ، له ياقة موضوعة حول عنقه وأمامه رجلان يمشيان • وفي اليوم التالي وصل ابن المطران من القسطنطينية تماماً كما تكهن والده » •

ان متهمي صفرونيوس وصفوا كتب التنجيم التي كتبها بناءً على طلبه رجال ونساء من كتيسته وطبيب المدينة المحلي أيضاً : « علاوة على ذلك كان يحمل كرة نحاسية لكهانتته الشريرة ويقص على أصدقائه كل ما كان يراه فيها » • ومهما يكن فان حكايات السحر هذه كانت لدى أعضاء المجمع الخلقيدوني إما لا أهمية لها أو من الأحداث اليومية

العادية ، لذا قرروا أن صفرونيوس يجب أن يحاكم أمام المجمع الاقليمي لرؤساء الطائفة الدينية فيما اذا كان قد عبّر عن آراء نستطورية فقط ، ولم يذكروا شيئاً عن ممارسته المزعومة للسحر .

## الأبنية العامة

قرب نهاية الملكية يذكر سفر أحداث الرها بفخر « البنائيات الجميلة البديعة » في المدينة . وفي القرون الأربعة التالية حافظ ازدياد عدد البنائيات الفخمة في الرها على خطاه مع أهمية المدينة كمركز اداري للاقليم ، ومركز قيادة للجيش ، وككرسي لأبرشية الكنيسة الرئيسية المتكلمة بالسريانية : ان معظم الأحداث التاريخية كتبها رجال الكنيسة ولذلك فان تشييد الكنائس الجديدة والأديرة يسترعي أشد الاهتمام (٨٣) .

من الأبنية التي هي من نهاية المملكة عيّنًا موقع القصر الشتوي على بيت طبارا ( المساحة الواسعة لعويضة بن عبد نحد ) وهو موقع القلعة الحالية ، وموقع القصر الصيفي هو المنطقة حول برك السمك . أما قصور النبلاء فكانت قائمة ربما على الأرض المرتفعة شرقي القلعة والمجاورة للشارع العام في المنطقة المسماة بيت صحراية . ولا بد أن « كنيسة المسيحيين » التي هدمت في فيضانات سنة ٢٠١ كانت على الأرض المنخفضة ، ربما على مكان مقام ابراهيم الحالي . ويقول تقليد متأخر ان هذه الكنيسة « فوق نبع الماء غربي المدينة » كان سابقاً هيكلًا وثنيًا بني في زمن سلوقس . كان الجدار الشرقي قد هدم فامتدت البناية على ذلك الجانب لتشكل فجوة مستديرة مقببة وضع فيها المذبح . ودشنت الكنيسة للمخلص وزينت بزخرفة جميلة وقام في وسطها أعمدة عظيمة من الرخام . وتقول الأسطورة ان مار أداي قام بالقداس هنا بحضور الملك أبجر وجميع الشعب .

في أثناء اضطهاد المسيحيين ربما كانت « كنيسة المسيحيين » قد أصابتها يد الإهمال وقد يكون الخراب قد أصابها في فيضانات سنة ٣٠٣ ، ومن المحتمل قونا وضع أسس الكنيسة الكاتدرائية في سنة ٣١٣ على

---

٨٣ - اننا نسمع مصادقة فقط عن تماثيل كانت تزين المدينة بالإضافة الى تماثيل أبجر وعائلته كان هناك تماثل من البرونز لقونستنتيوس حطمه الرهاويون أثناء حياة هذا الامبراطور . وكان تماثل الامبراطور قسطنطين الكبير قائمة في المدينة في نهاية القرن الخامس . راجع الصفحة ٢٢٣ .

موقع « كنيسة المسيحيين » القديمة ، بعد منشور التسامح الذي صدر في ميلان مباشرة ، وأنهى خلفه سهدوث بناءها ثم وسعها المطران ايثالاها في سنة ٣٢٧-٣٢٨ باضافة عليها من الناحية الشرقية ، وكان المدخل ، كمادة الكنائس في الرها في من الغرب (٨٤) .

الكنيسة التالية التي بنيت كانت « البيعة » تبجيلاً لشهداء الرها شمونا وكورية وحبيب . وكان المطران ابراهيم هو الذي قام بهذا العمل بعد سنة ٣٤٥ . كان هناك في الأصل معبد على مكان دفن الشهداء على « تلة الحرس » ( وكذلك أطلق عليها الاسم الغريب « المرتفع المدعو بيت عالاً قيقل٤ (٨٥) » ) في شمال المدينة . وخدمات الصلاة في المعبد كان يقودها بانتظام الاخوة في الدير الملحق به . ومهما يكن فقد كانت الكنيسة داخل السور قرب الباب الشمالي . وكانت عظام الشهداء توضع هناك حرصاً على الاحتفاظ بها عندما كانت الرها تواجه تهديداً من العدو . وكانت الباسيليكا الشمالية للكنيسة قد تعرضت للهجوم بقذائف معادية ، وأصابها الخراب من قبل الفرس عندما حاصروا المدينة سنة ٥٠٣ ، ومرة أخرى نحو سنة ٥٨٠ .

وبنى المطران برساي المعمودية العظيمة سنة ٣٦٩-٣٧٠ ربما كما ادعى بعض العلماء ، كامتداد للكاتدرائية . ومن الواضح أن لقب « العظيمة » الذي أطلق على المعمودية يشير الى أنه في زمن كاتب التاريخ في القرن السادس كان هناك أكثر من معمودية واحدة ، وبعد عشر سنين ، حوالي سنة ٣٧٩ ، بنى المطران والاغاش (ايولوغويوس) كنيسة على اسم دانيال . وفي القرن السادس دعيت باسم دوميتيوس وهو إما الطبيب (الشهير في قدرته على شفاء عرق النسا) أو الشهيد الذي يحمل ذلك الاسم .

وفي آب سنة ٣٩٤ نقل تابوت توما الرسول بواسطة المطران قورا (قورش) الى كنيسة بنيت في الزاوية الجنوبية الغربية من المدينة ، من المحتمل الى شمال برك السمك مباشرة . والفجوة النصف دائرية المقببة Apse كانت الى الشرق كما في الكنيسة الكاتدرائية . وبعد سنة ٤٠٨ ابتداء المطران ديوجنيس في تشييد كنيسة الشهيد برلاها التي من الواضح

٨٤ - يجب ألا يخلط بين هذه الكاتدرائية وبين كاتدرائية الملكيين التي بنيت برئاسة امازونتيوس .  
انظر الصفحة ٢٣٣ .

٨٥ - تعني العبارة حرفية « مكان اله تل القمامة » .

أصبحت أحد أعظم المعابد أهمية في المدينة ، وكانت قرب الباب الجنوبي الذي سماه بروكوبيوس باب برلاوس ، باسم الكنيسة . وكان معبد برلاها قد اشتهر بالكتان البديع الناعم ، ربما كتان الكفن ، الذي اتهم المطران هيبا في سنة ٤٤٨ مامتلاكه لمنفعته الشخصية . وفي هذه الكنيسة دفن ثلاثة مطارنة رهاويون : نونا ( توفي سنة ٤٦٠-٤٦١ ) ، واسكلابيوس ( في ايلول سنة ٥٢٥ ، وكان قد توفي في أنطاكيا قبل ثلاثة أشهر ) ، واندراوس ( توفي في كانون الأول ٥٣٢ ) . وفي منتصف المدينة كان المطران رابولا ( توفي سنة ٤٣٥ أو ٤٣٦ ) قد حول كنيسة يهودياً الى كنيسة القديس اسطيفان ، وهذا العمل أنجز بأمر ، أي على حساب الامبراطور - في أوائل رئاسة المطران ، فيما يبدو .

كان رابولا يكره التبذير وفرض حظراً على البناء . وما خلا إعادة بناء كنيسة القديس اسطيفان لم يفعل شيئاً سوى قيامه بانجاز تصليحات جوهرية « الجزء من الجدار الشمالي من هيكل كنيسة مدينته » ، وهي تخميناً الكاتدرائية التي كانت قد وقعت في يد الاهمال . ولكن في زمن خلفائه حصل رد فعل وأنعش البناء . ففي سنة ٤٣٧-٤٣٨ قدم للكاتدرائية التي باتت تسمى الآن « الكنيسة القديمة » مذبحاً عظيماً من الفضة يزن ٧٢٠ رطلاً . وبعد أربع سنوات شيد أناتولس معبداً Chapel فضياً لرفات القديس توما . أما هيبا الذي خلف رابولا كمطران للرها سنة ٤٣٥ ، والذي أثار ذوقه للبخ عداء الكثيرين من أبناء بلده الرهاويين ، فانه أسس كنيسة الرسل الاثني عشر في الحي الشرقي من المدينة . وصرح كاتب مؤرخ « بأنها في بهائها وأقسامها البديعة لا مثيل لها في العالم » . وكان قد شاعت تسميتها « بالكنيسة الجديدة » ، وسماها آخرون « الكنيسة العظيمة » ، واذا كنا نعتبر أن جدتها تكمن في شكل هندستها فبمكائنا أن نثبت أن تاريخ زيارة ايفريا الأكويتانية الى الرها يقع في الفترة القصيرة بعد اكمالها . فرئيسة الدير بعد ذكرها « الكنيسة ومعبد شهادة القديس توما » تتابع قائلة : « ولكن هناك كنيسة فسيحة وجميلة جداً [ ومشيدة ] بشكل جديد ، حقاً انها تستحق أن تكون بيتاً لله (٨٦) » .

٨٦- أتت ايفريا الاكويتانية ربما من جنوب بلاد الغال ( فرنسا ) . وكان هناك نقاش كثير حول تاريخ زيارتها للرها . والاقتراحات لسلسلته في نهاية القرن الرابع حتى بداية القرن السادس . لا بد انه كان قبل القرن السادس للأسباب التالية : أولاً : تكتب ايفريا أن حران كانت « كلها وثنية » في زمنها ، ولكن الحال لم يكن هكذا في زمن الاسقف دانيال ( حوالي ٤٤٨ ) . ثانياً : انها لا تذكر صورة يسوع في الرها والتي كان الغرب يحتفل بها في أواخر القرن السادس .

ان الهندسة « الجديدة » لكنيسة الرسل الاثني عشر لم تكن ظاهرة منعزلة . لقد بنى هيبا أيضاً كنيسة الشهيد سرجيوس خارج الباب الشرقي على نفس النمط . وسميت بعد ذلك كنيسة القديس سرجيوس والقديس سمعان ( على اسم سمعان العمودي الشيخ ) وأقيم فيها قداس للاحتفال بازالة ضريبة الكريسارغرون (٨٧) Chrysargyron سنة ٤٩٧-٤٩٨ . وكانت كنيسة القديسين سرجيوس وسمعان ، كالباسيليكا الشمالية من كنيسة المعترفين قرب الباب الشمالي ، هدفاً لحقد الأعداء الهدام الذين فشلوا في فتح الرها . لقد أحرقها الفرس المتقهقرون في ايلول سنة ٥٠٣ ، كما أحرقوها مرة أخرى نحو سنة ٥٨٠ (٨٨) . ويجب ألا يخلط بين كنيسة القديس سرجيوس هذه وكنيسة أخرى مكرسة لنفس القديس ولكنها خارج الأسوار الى الجنوب قليلاً من كنيسة الرسل الاثني عشر . ان كنيسة القديس سرجيوس الثانية بنيت على طراز كنيسة القديس توما .

حلَّ المطران نونا مكان المطران هيبا في الرها سنة ٤٤٨ أثناء فترة ايقافه واقصائه عن أبرشيته . وبعد زمن رجع نونا الى الرها بعد وفاة هيبا سنة ٤٥٧ . وكان نونا أشهر حتى من سلفه لانجازاته كيان . وفي أثناء فترته الأولى كمطران للرها شيد نونا معبد « الكنيسة » التي

ثالثاً : انها زارت قصر الملك أيجر في الرها - ولكن ليس هناك للقصر ذكر في كتابات يشوع العامودي ( الذي كان يعرف الرها جيداً ) في نهاية القرن الخامس . رابعاً : انها لا تذكر أبداً القديس آدای مع أن وفاته كانت قد نقلت الى كنيسة القديس يوحنا ثم أضيف اسمه الى اسم يوحنا في نهاية القرن الخامس . ومن ناحية أخرى ، أولاً : من الواضح انها كتبت بعد سنة ٣٦٣ عندما انتقت الحدود بين بيزنطية وفارس في منتصف ما بين التهرين . ثانياً : طوبوغرافية اورشليم التي وصفتها ايجريا تتطلب تاريخاً بعد سنة ٤٦٠ . ثالثاً : ان المرجع الى ليترجية ايجريا يجعل التاريخ بعد منتصف القرن الخامس مستحيلاً . وعدم ذكر ايجريا للقديس سمعان العمودي ( ٣٩٠ - ٤٥٩ ) لا يدهشنا ، لأن الرجل البار كان يعترض على زيارات النساء . ان أعظم تفصيل واقعي أعطته ايجريا عن زيارتها للرها هو الكنيسة المبنية « في شكل جديد » وهذا ينطبق بدقة على كنيسة الرسل الاثني عشر أكثر من كنيسة القديس توما المبنية نحو سنة ٣٩٤ ( والتي لا توصف بهذا الشكل ) او كاتدرائية أمازونيوس الملكية في القرن السادس ، وقد تم بناؤها بعد فيضان سنة ٥٢٥ ، ورافقها نشاط عمراني آخر في الرها والذي لا تاتي على ذكره ايجريا . وتبعاً لذلك فاننا نعيّن بدرجة معقولة زيارة ايجريا للرها في منتصف القرن الخامس .

٨٧ - كلمة لاتينية مزدوجة تعني « الذهب والفضة » .

٨٨ - ودمرت بهجوم أجنبي أيضاً في العصر الاسلامي . ويعرف المعبد الان بجامع ومكان للحدج شرقي

الاسوار حيث سجل مؤلف هذا الكتاب كتابات سريانية محفورة فيه سنة ١٩٦٦ .

هي تخميناً كاتدرائية نونا . وفي أثناء اشغاله الثاني لمنصب كرسي الأبرشية يقال ان نونا بنى أديرة وأبراجاً وجسوراً . ولكن أعظم انجازاته التذكارية كانت كنيسة القديس يوحنا المعمدان ، وهي بناية فخمة بديعة باثنتين وثلاثين عموداً من الرخام الأحمر . وقبل نهاية القرن الخامس وضعت فيها رفات مار أداي الانجيلي بعد أن أخذت ، كما نفترض ، من الضريح الملكي المزين حيث كانت قد وضعت في الأصل . (ونعلم من سفر أحداث متأخر أن بقايا الملك أبجر نقلت أيضاً الى داخل المدينة ) ، وكانت كنيسة مار يوحنا المعمدان قائمة في الجي الغربي من المدينة ، من الواضح الى الشمال قليلاً من الباسيليكا قرب الحمامات الشتوية التي هي نفسها (كما اكتشف مؤخراً) قامت الى شمال برك السمك . والحاكم الروماني على الرها ترأس في هذه الباسيليكا محاكمة الشهيدين شمونا وكورية ، وفي أثناء مجاعة سنة ٥٠٠ - ٥٠١ سدت الباسيليكا وفرشت بالقش والحصر للمرضى والفقراء ، ولكن المنطقة كانت لا تزال مكاناً لتصريف شؤون العدالة . ويقال انه في سنة ٤٩٦-٤٩٧ جلس الحاكم البيزنطي في كنيسة القديس يوحنا التي تسمى الآن باسم القديس أداي أيضاً ، ليبت في القضايا القانونية ويزيل الحيف عن المظهورين .

بنى المطران نونا أيضاً « ملجأ لبيت الفقراء البرص خارج باب بيت شمش » أي الباب الجنوبي ، وفي ملجأ الفقراء هذا بنى مزاراً للشهيدين القديسين قوزما ودميان . ويبدو من وثيقة متأخرة انه كان هناك معبدان منفصلان لقوزما ودميان . أولهما في السهل جنوبي المدينة و ثانيهما على قمة صخرة شامخة قرب المدينة . وكل منهما يحتوي على رفات الشهيد الطبيب المدشن باسمه . وطالما ان الشهيدان كان يقرن اسماهما بالشفاء فمن المعقول الافتراض ان معبد قوزما كان قائماً قرب « بئر أيوب » ، وان بيت البرص كان يقع في ما تعرف اليوم بأيوب مهلاسي . (حي أيوب) ، وهو أقرب نوعاً ما الى الباب الجنوبي . وبعد سنة ٥٠٤ - ٥٠٥ بني مزار لمريم العذراء بنقود قدمها اورببسيوس وزير الامبراطور وربما شيد هذا المزار على مكان مدرسة الفرس التي أغلقت سنة ٤٨٩ بمرسوم امبراطوري . ان تدشين معبد لوالدة الله لا بد انه بدأ للمونوفيسيين انه ضربة مقابلة حاسمة للاهوتيين الذين روجوا المبادئ النسطورية الديوفيسية على نفس هذه البقعة . وفي هذه البقعة وفي هذا المكان كان لا يزال دير واقفاً لوالدة الله في القرن الثالث عشر .

ان الكنائس التي عددناها حتى الآن كان قد تم بناؤها قبل فيضان سنة ٥٢٥ . ومعلوماتنا عن الأماكن البارزة في المدينة قبل ذلك التاريخ ضئيلة . كان هناك أربعة أبواب للمدينة على النقاط الأربع الرئيسية من دائرة البوصلة تقريباً ، ثلاثة منها سميت قبل سنة ٥٢٥ : الباب الغربي ( باب الأقواس أو العقود ) ، الباب الشرقي أو الباب الكبير ، وفي الجنوب باب بيت شمش . وهذه كانت أبواباً للطرق وليست أبواباً للمياه . لذا يجب ألا نخلط بينها وبين الباب الكائن قرب مصارف المياه والواقع في الغرب أيضاً ، وكان النهر يدخل المدينة من خلاله (٨٩) ، أو « الأبواب ذات المصارف الثمانية » في السور الشرقي التي كان النهر يخرج من خلالها من المدينة ، وقد تضخمت مياهه بمياه الينابيع الواقعة قرب برك السمك . وكانت هذه الأبواب تغلق بقضبان حديدية ضخمة مطروقة وتدعم بالمتاريس . ان الطريقة الموصوفة في قصة فيضان سنة ٢٠١ كانت لا تزال هي نفسها في زمن هجوم كاواد الفارسي على الرها سنة ٥٠٣ .

لقد سبق وأشرنا الى مساحة المقابر الثلاث الرئيسية خارج اسوار المدينة . وفي مستهل القرن السادس كان للتيكية مقبرتها الخاصة وتقع تخميناً بجانب عمارات التكية خارج الباب الجنوبي وكانت تستعمل لدفن الغرباء (٩٠) . أما « مقبرة الكنيسة » فمن الواضح انها كانت قد خصصت لدفن المواطنين . ولسنا في حاجة لنفترض من اسمها انها كانت داخل أو بجانب الكنيسة الكاثدرائية لأنه من الممكن انها كانت المنطقة حول معبد الشهداء على تل الحراس خارج الأسوار الى الشمال . « والقبور القديمة بجانب كنيسة المطران قونا » قد تكون الأضرحة في جنوب المدينة ( أي قرب كهف صورة العائلة الفسيفسائية ) اذا كان تحديدنا لمكان هذه الكنيسة صحيحاً . وربما كانت هذه هي المقبرة التي أقامها المطران ايثالاها . وعندما لم تكن هذه القبور كافية لدفن الأموات أثناء المجاعة الفظيعة سنة ٥٠٠ - ٥٠١ كان يفتح « أي قبر قديم » للدفن فيه ، والاشارة هنا ربما هي لقبور وثنية غربي المدينة . ويوجد في سجل لتاريخ الشهداء شخص يدعى عبشلاما بن أبجر يقال انه شيد مقبرة هنا ، كانت تمتد بعيداً حتى

٨٩ - من المعتدل ان هذا الباب هو الذي دعي بعد زمن « بباب الماء » .  
 ٩٠ - هنا دفن « رجل الله » المدعو ألكسيوس بموجب الأسطورة . . راجع أيضاً النبذة الماخوذة من شعر يعقوب السروجي .

« قرخ مغارة » الى الجنوب • ويبدو ان استعمال المقبرة الغربية كان قد توقف في أواسط القرن الخامس الا في الأحوال الطارئة • وهذا يوضح لماذا ، من المحتمل في تلك الفترة ، استطاعت ايغريا أن تكتب انه «لا يؤخذ ميت خارج المدينة من خلال ذلك الباب [ الذي مرت منه « رسالة يسوع » عندما جيء بها الى الملك أبجر ] والذي باستطاعتنا الافتراض انه كان الباب الغربي ، ان الكتابة المسيحية الوحيدة على القبور ، وهي باليونانية ، والتي تخص هذا العصر من تاريخ المدينة وجدت اما في المقبرة الشمالية أو الى الشمال الغربي قرب ضريح القديس افرام (٩١) •

في سنة ٤٩٦ - ٤٩٧ شيد حاكم الرها ممشى مغطى قرب الباب الغربي • وكانت قاعة المدينة عمارة عامة هامة ، ومن العمارات الأخرى كانت الحمّامات والتكايا والملاجيء واهراء الحكومة وأقنية المياه المبنية على القناطر ، الممتدة من تل زيماء ومودود جلبت المياه الى المدينة من خمسة وعشرين نبعا • وكانت توجد فنادق خارج المدينة ، ربما جنوبي باب حرّان ليس بعيداً عن التكية ، وكان يؤمها الجنود والبلغايا وبياع الخمر فيها للجمهور • والى شرقي الاسوار كانت البساتين والحدائق في الأرض المنخفضة على طرف سهل حرّان تسقى ولا ريب ( كما في الوقت الحاضر ) بالمياه الآتية من المصارف على ذلك الجانب من المدينة • ولا شك بأن الهجوم من هذه الناحية كان أسهل للعدو • وكانت الأشجار والحدائق يقطعها المواطنون عندما يرون ذلك ضرورياً ليجردوا القوة المعادية من الأخشاب وأماكن الاختباء •

أشرنا سابقاً الى طوفان سنة ٥٢٥ ، وكان قد أحدث خسارة كبيرة في الأرواح ودمر العمارات الرئيسية في المدينة • ولقد برهن هذا الحادث على نقطة تحول في تطور الهندسة المعمارية في الرها • وكما نعرف ، فإنه

---

٩١ - وجدت كتابة ضريجية سريانية مؤرخة ، على مسافة قريبة شمال غربي اورفا ، نشرها ساخاو Sachao سنة ١٨٨٢ وتقرأ « في شهر تشرين الأول سنة ٨٠٥ ( أي سنة ٤٩٣ م • الا اذا قرأنا التاريخ ٨٥٠ فيكون ٥٢٨ م • ) أنهي الضريح في أيام الأرشمندريت مار الياس والشماس مار ابراهيم والشماس مار يوحنا مع بقية الذين كانوا معهم • الحمد له لذاك الذي يبعثنا من القبور + آمين + » • وكتابة ضريجية كاملة أخرى باليونانية نشرها ساخاو مع الكتابة الآتية وهي منقوشة على مدخل كهف قرب دير سركيس غربي الاسوار ، ترجمتها : « اله واحد ومسيح واحد • امياس و ٠٠٠ أخوات • أقيمت هذ النصب ٠٠٠ ( من قبل ) اسكلايوس نفسه ( و ) مانا » •

أول مرة قامت الحكومة المركزية بمحاولة لمنع حدوث كارثة كهذه مرة أخرى (٩٢) .

كان [ النهر الفاضل ] قد هدم قسماً كبيراً من السور الخارجي والمشى المغطى الكائن بين السورين الخارجي والرئيسي . ولكن [ جستنيان ] عمل جهازاً ناجحاً كي لا تتكرر كارثة كهذه مرة أخرى . ونجح في شق مجرى جديد للنهر أمام المشى المغطى واحتمال عليه بالتدبير التالي : كانت الأرض على يمين النهر في السابق منبسطة ومنخفضة ، بينما الى الشمال قامت رابية منحدره لا تسمح للجدول بالالتفاف جانبياً أو بالخروج عن مجراه العادي اطلاقاً ، وكانت تدفعه نحو المدينة بالاكراه ، ولم يكن هناك على اليمين شيء يكبحه عندما يندفع مباشرة نحو المدينة . ولذلك أزال هذه الرابية بأكملها بينما جعل الأرض من شمال الرابية مجوفة وأعمق من مجرى [ النهر ] ، وأقام على اليمين جداراً ضخماً من الحجارة كل منها بحمولة عربية قطار حتى اذا ما جرى النهر في مجراه وهو في حالته العادية لن تحرم المدينة من منفعه أبداً . ولكن عندما ترتفع مياهه بطريق الصدفة ويفيض سيجري قسم معتدل منها الى داخل المدينة كالمعتاد ، بينما سيجري الباقي مرغماً في القنال الذي استنبطه جستنيان ويسيل وراء ساحة الخيل الكبيرة التي لا تبعد كثيراً . وهكذا قهر النهر ، عكس ما كان متوقفاً ، وذلك بمهارة الانسان وبعد نظره (٩٣) .

ان سد جستنيان في شمال غربي المدينة قاد النهر بواسطة قنال مصطنع خارج أسوار المدينة الشمالية والشرقية ، وعندما يرتفع النهر الى منسوب غير اعتيادي تتمر المياه الزائدة فوق السد على الضفة الجنوبية أو اليمنى من النهر ، وتتبع المجرى القديم في منخفض الوادي جنوباً بمحاذاة الأسوار الغربية . وبهذا الانجاز الفذ من الهندسة المعمارية أمنت المدينة من الفيضانات التي سببت الكوارث في تشرين الثاني سنة ٢٠١ وأيار سنة ٣٠٣ وأذار سنة ٤١٣ ونيسان سنة ٥٢٥ ، عندما كانت قوى النهر بأكملها تندفع على السور الغربي . ولا يزال جهاز جستنيان باقياً حتى اليوم ، ولكنه وقع على مر القرون تحت يد الإهمال . ويعزو كاتب أحداث مجهول متأخر العمل الى سلوقس

٩٢ - افتتح البرنامج المعماري في الرها في زمن حكم الامبراطور جستين ( توفي سنة ٥٢٧ ) ولكن

السلطة المرشدة ولا ريب كانت لخلقه جستنيان .

٩٣ - بروكوبيوس ، عمارات .

ونمرود ، أما تجديده فيعزوه الى مار آداي ! ويصرح : رأى [آداي] الوادي الذي كان الفيضان يمر فيه باستمرار ويهدم [السور] في الجانب الغربي من المدينة ثم يدخلها ويدمر بيوتاً عديدة ، ويمحو جميع الأبنية التي تعترض طريقه ، لأن المسر والمخرج اللذين شيدهما سلوقس ونمرود كانا قد بنيا مرة أخرى قبل هذا الوقت من الحجارة وأقواس عظيمة واسعة من طابقين وثلاثة ممرات (٩٤) . فيمر فيها الفيضان ولا تسبب خراباً . ولكنه غداً ممتلئاً بالرمال والقصب وأعقاب سيقان الحنطة التي جرفت على مرّ سنين عديدة . وكان الرسول متحمساً ، وبحماس ومساعدة وعناية من الملك أبحر بُني سد عظيم من الحجارة الجبارة على رأس الوادي خارج السور الغربي من المدينة يسمى وادي الستاديوم . وكُدس بالطول والعرض أكداً من حجارة جبارة ووضع عليها الحجر المبتل والطين ، وحفر في الأرض حتى اتصل الخندق بالخندق الملتف حول المدينة خارج السور ، على طول الجهة الشمالية من المدينة ، وهكذا ومن ذلك الوقت نجت المدينة من الاجتياح العنيف حتى خرب السد وارتفع التراب ، وأخذت المياه تصعد من وقت لآخر فوق السد (٩٥) ، وحتى التجديد الذي عزاه الكاتب الى آداي لم يمنع الفيضانات ، وسنرجع الى هذا فيما بعد .

لقد أدخل مهندسو جستنيان تعديلات أيضاً على مجرى النهر داخل المدينة وعلى سواقي مياه الينايبع التي انضمت اليه . وهذا أيضاً لا يزال باقياً في أورفا حتى اليوم . ويكتب بروكوبيوس :

أرغم [الامبراطور] النهر على أن يتبع مجرى مستقيماً عملياً بعد دخوله المدينة كما رفع فوقه بناءً يرتكز على ضفتيه كي لا يجرد عن سبيله . وبعمله هذا لم يحافظ على الفائدة التي تجنيها المدينة من النهر وحسب ، بل حررها من الخوف منه أيضاً .

وبنفس الوقت أعيد بناء وتقوية السور الرئيسي والممشى المغطى بين السورين - الخارجي والداخلي . أما السور الذي حول القلعة في جنوب غربي المدينة فقد جعله أكثر فعالية . ويكتب بروكوبيوس أيضاً :

« هناك قسم معين من الممشى المغطى بين السورين يحتوي على حصن ارتفعت خارجه رابية ، وهي قريبة جداً منه ، كما سيطرت على منبسط

١٥

٩٤ - المعنى غامض : هل الإشارة هنا هي الى القنوات المائية ؟  
٩٥ - سجل الأحداث للمؤلف المجهول لعوالي سنة ١٢٣٤ م Chr. ad. 1234

المدينة تحتها ، وعندما لاحظ السكان الأقدمون أن الرابية شكلت خطراً على التحصينات فوق السور أدخلوها في المشى المسقوف بين السورين ، كي لا تبقى المدينة ضعيفة سهلة المنال . ولكنهم بفعلهم هذا جعلوها أكثر ضعفاً واسهل منالاً ، لأن جداراً متقاطعاً وصغيراً جداً يقوم على أرض مكشوفة يكون الاستيلاء عليه أمراً هيناً حتى على الأولاد عندما يهاجمونه . ولذلك ، وبعد أن هدم هذا السور ، بني سور آخر على قمة الرابية ، وهو عمل قام به الامبراطور جستنيان الذي لم يكن عليه أن يخشى أي هجوم من موقع أعلى . وهذا السور انحدر على طول المنحدر بعيداً حتى الأرض المستوية على أحد الطرفين وأوصل بالمشى المسقوف « (٩٦) » .

كان طوفان سنة ٥٢٥ قد دمر «قاعة المدينة» و «كنيسة المسيحيين» . ولكن بواسطة أريحية جستنيان واتساع أفق تفكيره أعيد بناء الاثنتين . و «كنيسة المسيحيين» هي ربما الكاتدرائية التي بناها قونا وأكملها المطران سعد وايتالاها ، ومكانها قرب مقام ابراهيم الحالي . وكان مسيحيو الرها قد انقسموا الآن الى طائفتين : المونوفيسيون الذين أحياهم يعقوب البرادعي ، وينعتهم [خصومهم] « باليعاقبة » نسبة اليه . والخلقيدونيون الذي دعمتهم الحكومة في القسطنطينية فتعتوا « بالملكيين » . وكان لكل من الطائفتين قادتها ، والظاهر أن الكنيسة الكاتدرائية وقعت بأيدي الملكييين . وبالتأكيد كان الامبراطور قد أوكل بناء الكنيسة الجديدة الى المطران الملكي أمازونيوس ( أو أميدونيوس ) ، وربما قامت في نفس المكان كنيسة قونا قرب نبع الماء ، وكانت تسمى « هاجيا صوفيا » وهو اسم الكنيسة الشهيرة الموجودة في العاصمة القسطنطينية . ويقال أنها كانت جميلة الى حد يفوق الوصف بطلائها الذهبي وزجاجها ورخامها . وكانت صورة يسوع المقدسة من جملة كنوزها . ويمكننا أن نعيد الى الذاكرة أن الكنيسة كانت قائمة قرب موقع قصر الملك أبجر ، وان هناك ، بموجب « أعمال مار آدائي » ، وضع الملك صورة حنّان التي صورها ليسوع . وهناك أنشودة تصور كنيسة أمازونيوس بعبارات فياضة :

« . . . انها في الحق رائعة - كالعالم الواسع بصورة مصغرة ، ليس بالمساحات بل بالشكل - المياه تحيطها كالبحر [يحيط العالم] . هذا سقفاً يمتد كالسما ، بدون أعمدة ، معقوداً وثابتاً ، ومزخرفاً

علاوة على ذلك بالفسيفساء المذهبة كالقبة الزرقاء بنجومها البراقة .  
وقبتها الشامخة مصنوعة كسماوات السماوات ، كنخوذة قسمها العلوي  
موضوع بثبات على قسمها السفلي . [أما فيما يخص] بهاء أقواسها  
الواسعة فان طرازها مصنوع مثل أركان الدنيا الأربعة . وهي تشبه  
بتعداد ألوانها قوس القزح الرائع بين الغيوم تحيطها أقواس أخرى  
كالأطنان البارزة من التلال - ويرتكز السقف بأكمله على العقود ،  
ورخامها يحمل طابع صورة [يسوع المصنوعة] بأيد غير [قانية] .  
وجدرانها مطلية بتناسق بديع وببهاؤها المصقول الأبيض يجتمع نور  
[كنور] الشمس . ولقد صب الرصاص على تصفيحها كي لا تتلف من  
نفق الأمطار . والخشب معدوم اطلاقاً في سقفها الذي يبدو وكأنه  
مصهور من الحجر . وهي محاطة بأفنية بهية مع رواقين شكلا وعمدان  
تمثل أسباط اسرائيل . . . . ولها على كل جانب واجهة مشابهة  
[للواجهات] الثلاث لأن طرازها متناسق على نمط واحد . ويتوهج على  
هيكلها نور وحيد من خلال النوافذ الثلاث المفتوحة . . . . أما ضوء الجوانب  
الثلاثة فمقوى بنوافذ عديدة . . . . ووضعت المنصة في وسطها . . . . وثبت  
فوق العامود الموجود في مكان المنصة صليب من النور كرينا بين اللصوص .  
وفيها أيضاً خمسة أبواب مفتوحة . . . . وعشرة عواميد تحمل كاروبيم  
قدس الأقداس بهيئة الرسل العشرة الذين فرّوا وقت صلب مخلصنا .  
وبناء الدرجات التسع الموضوعة في قدس أقداسها ، والعرش ، يمثلان  
أيضاً عرش المسيح المخلص ورتب الملائكة التسع ، مبدلة هي أسرار  
هذا المعبد المقدس . . . . »

لدينا قائمة الكنائس وأديرة أخرى . ومن الواضح أن بعضها  
مونوفيسي والباقي ملكي . أما في أي وقت بنيت فلا نستطيع معرفته .  
وقد يكون عدد منها قد بني قبل فيضان عام ٥٢٥ . وأما الكنائس  
المونوفيسية في المدينة فتشمل كنيسة مكرسة لثيودور قرب القلعة وأخرى  
لمار قرياقس شمال شرقي كنيسة المعترفين وربما دير والدة الله ( دير  
المطران) . كان هناك خمس كنائس تخص الملكيين في المدينة ، بالإضافة  
الى كنيسة أمازونيبوس : واحدة مكرسة للصليب (كرست فيما بعد  
للقدّيس ثيودور الذي كان رأسه موضوعاً هناك) (٩٧) . وكان يوجد  
تجاهها كنيسة لوالدة الله ، وأخرى لوالدة الله شمال كنيسة القدّيس

اسطيفان ، وفي جنوب المدينة كنيسة لمار جورجوس الشهيد ، وأخرى  
ليخائيل رئيس الملائكة (٩٨) .

ليس هناك سوى تلميحات عابرة عن البنايات في الرها بعد العمار  
الواسع النطاق الذي قام به جستنيان \* وبروكوبيوس الذي يذكر  
« باب بارلاوس » ( الباب الجنوبي ) « والباب الكبير » ( الباب الشرقي )  
يذكر أيضاً عمارة الأبراج الثلاثة قرب « باب الساعات » ( الباب الشمالي ) ،  
وقام دير الشرقيين خارج الباب الجنوبي ، ويدعى هنا « باب بيت شمش » ،  
وفي الخندق هنا ذبح نحو أربعمئة راهب مونوفيسي في زمن حكم موريس  
وفيما بعد أقيم معبد للشهداء على نفس البقعة ، في هذا الوقت بنى  
المطران الملكي سيفيروس لنفسه قصراً قرب النهر وأبنية أخرى كما بنى  
شارعاً ( أو سوقاً ) دعى « الرواق الجديد » . كان سيفيروس المذكور هو  
الذي دعاه القائد نارسى إلى مسكنه في بيت مارينوس الذي كان ،  
من الواضح ، قرب برك السمك . وتقص سجلات الأحداث أنه بعد  
محاكمة سريعة عاجلة أخرج المطران من « باب صغير » وأخذ حول الباب  
الغربي ورجم بالحجارة قرب ساحة الخيل ، بينما كان الرهاويون ،  
وهم لا يعلمون عما حدث ، واقفين عند باب مارينوس . وقد يكون  
« الباب الصغير » هو المدخل الحالي للمدينة في الجنوب الغربي بجانب  
برك السمك ، والذي يدعى اليوم ساكابون كاييسي - من المحتمل  
« باب الاسقف » . وكان الامبراطور هرقل قد زار الرها أثناء حملته  
ضد الفرس ، وسكن في « القصر قرب مصدر النبع » ، وقد يكون بيت  
مارينوس (٩٩) .

٩٨ - هذا الترتيب للمعابد التي تخص المونوفيسيين والملكيين مبني على فرضية ان الكنائس والأديرة  
المبوية في الفصل ٤٣ من سجل الأحداث للمؤلف المجهول حوالي سنة ١٢٣٤ م Chr. ad. 1234

تخص الطائفة المونوفيسية . أما المبوية في الفصل ٤٤ منه فتخص الطائفة الملكية .

٩٩ - لعل الكنائس والأديرة خارج المدينة والتي سجلت أسماءها جميعها مونوفيسية ، وهي :

كنيسة مار يعقوب في قرية كرموش شمال الرها ( بموجب سجل متأخر ، يعقوب هذا لاقى  
الشهادة في أيام جوليان ، ولكن ليس هناك دعم مستقل لهذه الرواية ) ، وديران للقديسة  
بربارة . ثم دير القباب أو دير الآبار إذا قرأت الكلمة السريانية غوية بدلا من  
قبة وقد ذكره يشوع العمودي سابقاً ( صفحة ١٩٣ ) ، ويقع جنوبي معبد مار قوزما في اتجاه  
حران . ودير يوحنا ثيولوجس على صخرة منحدرية على قمة التلال ودير والدة الله - ودير  
الشرقيين على سفح التلال ، والأخير معروف جيداً في تاريخ هذه الفترة ( صفحة ١١٨ و ١٢٠ ) ،  
ثم هناك دير الرواق أكزدرا على قمة التلال ، وكان له رواق لرؤساء شمامسته ( والذي  
لربما كانت رفاتهم توضع وهي متدثرة بارديتها جالسة على عروش - كما هو الحال اليوم  
مثلا في دير قرتمين قرب مديات ) ويقال ان في هذا الدير قبل اثنا عشر ألفاً من البنائين

ان هذه التلميحات عن شوارع وعمارات الرها قليلة ولا تعطينا المعلومات الكافية ، ولكنها تعطينا الانطباع بأن المدينة كانت غاصة بالسكان وثرية وسفسطائية . ولا ريب أنها كانت جائزة مغرية لفتاحتها المسلمين .



---

المعمودية في احتفال كبير في عيد الغطاس . ثم هناك أيضا الكنيسة « البديعة » لما يعقوب « نقشانا » ( الأضرحة ذات الأبراج ) بين الروابي حيث بقي « مذبح الوثنيين العظيم » قائماً حتى وقت متأخر - وكان الدير موجوداً في زمن يعقوب السروجي ( ص ١٣٠ ) ولا يزال قائماً حتى اليوم باسم دير يعقوب ، ولكن أبراجه متهدمة مع كتابات علي جدرانته محفورة باليونانية وشكله من أشكال الخط التدمري ( ص ٤١ ) . وكنيسة لوالدة الله جنوبي دير مار يعقوب نقشانا . وأديرة زكاي وقانون وسموئيل وهنديانا ( وقد يكون اديابيني ) ويوسيوس ، وعلى نهر انقلاب دير جوليان سايا . وفي سنة ٤٤٩ كانت حدود مساحة مدينة الرها عند معبد زكاي . وهنا قام المونوفيسيون بالمظاهرات ضد المهران هيبا أو ايھيبا عندما قابلوا الحاكم البيزنطي الجديد . ويقال انه كان هناك تسعون ألف راهب على تلال الرها في ذلك الزمان .

## القرون الخمسة الأخيرة

٦٣٩ - ١١٤٦م

### لمحة تاريخية :

في معظم الطور الأخير من تاريخ الرها حكمها أناس من سلالات غربية ، يمتنقون مذهباً غريباً عن معظم سكانها . ومهما يكن فإن الرهاويين كانوا قد اعتادوا حكم الغرباء . فعند نهاية السلالة الأيجرية قام بإدارة المدينة حكام من القسطنطينية ، ونادراً ما كانوا من سكان الرها . واختلاف الدين بينهم وبين حكامهم لم يكن أيضاً شيئاً جديداً لدى الرهاويين . ومنذ نهاية القرن الخامس كان المونوفيسيون أكبر طائفة في المدينة ، بينما كان أغلب الحكام ملكيين . وكان العداء بين الطائفتين قد غدا مريعاً جداً ، كما أن سجل الاضطهاد الفعال أصبح عنيفاً . بحيث ان الرهاويين رحبوا بدخول المسلمين في مدينتهم كمخلصين .

ان رسوخ سلطان المسلمين على بلاد ما بين النهرين بأكملها أتى للرها بالفرح المرحب به . والحدود السياسية التي قسمت المنطقة تقسيماً مصطنعاً اختفت كلياً . ولم يعد الريف ساحة معركة بين القوات العظمى في الشرق والغرب . ومهما يكن فإن هذا الوضع الجديد قلل من أهمية الرها بنفس درجة تقليل تعرضها للخطر . ولم تعد قلعة يصبح الاستيلاء عليها جوهرياً للسيطرة على شمال غربي ما بين النهرين . صحيح أن انحطاطها البطيء تأخر لفترة ما بسبب الأحداث المضطربة الناتجة عن حملة الصليبيين الأولى عندما عبرت القوات الغربية نهر الفرات مرة أخرى وحاولت أن تركز نفسها في المنطقة . ولكن فشل الصليبيين سارع فقط في انتهاء السيادة المسيحية في الرها . ومع ذلك ، رغم أن القرون الخمسة التي ستوصف أحداثها في هذا الفصل هي عصر انحطاط ، فإن قصتها لا تخلو من فائدة تشير الاهتمام . ان بعض

الأحداث لهذا الزمن مكتوبة باليونانية والأرمنية واللاتينية ، ولكن أكثرها أهمية لدراسة التطورات المحلية هو ما كتب بالسريانية . والقليل من التفاصيل مسجل بالعربية التي كانت لغة حكام البلد . ولقد أعطينا نظرة عميقة نادرة وأحياناً منعشة في حياة جماعة أقلية في الامبراطورية الاسلامية .

في سنة ٦٣٧ حاول الحاكم البيزنطي لاقليم الرها يوحنا كاتياس ، رشوة المسلمين المتقدمين بعرض الجزية عليهم ، ولكن الامبراطور هرقل نقض عمله ونجّاه عن منصبه . ولم يستطع خلفه بطليموس أن يفعل شيئاً لاسترداد ثروات بيزنطية في هذا الاقليم ، اذ ان جيوش المسلمين اجتاحت سوريا والعراق بسرعة وكان احتلالهم لشمال ما بين النهرين مسألة وقت فقط . واستسلمت المدن الرئيسية حرّان والرها وراشعينا وماردين وأمد سنة ٦٣٩ م بشروط متفق عليها ، ولكن تلا ودارا أخذتا بالقوة . ولم يبق أمام القائد البيزنطي طريق سوى الانسحاب عبر الفرات .

هناك روايات مختلفة عن استسلام الرها . ويبدو أن القائد العربي المسلم عياض بن غنم حاصر حرّان أولاً . واستناداً الى أحد الكتّاب فان الحرائين - في هذا السياق علينا أن نفهم أنهم وثنيو حرّان - أعلموه أنهم سيسيطرون على قسم من المدينة وأنهم سيلتزمون بما يقرره الشعب ، الذي يعنون تخميناً ، وثنيو الرها ، ثم شرع عياض في الاحداق بالرها . وبعد مداوات قليلة أخرج المواطنون قوة ضد المسلمين غير أنها هزمت وأرغمت على التقهقر الى ما وراء الأسوار . وبعدئذ طلب الرهاويون المفاوضة من أجل السلام . ان الشروط التي منحها عياض لمطران الرها أمنت حياة وممتلكات المواطنين المسيحيين بصفتهم من أهل الذمة . وكان عليهم لقاء ذلك أن يدفعوا ديناراً واحداً ومكيالين من الدقيق عن كل مواطن ذكر ، وأن يحافظوا على الطرق والجسور في حالة جيدة ، وأن يقدموا المساعدة للمسلمين المشتتين ، وأن يدعموا القضية الاسلامية بصدق واخلاص (١) . وغدت هذه الصيغة نموذجاً للمعاهدات بين المسلمين والمدن الأخرى في ما بين النهرين . ويقال ان أول حاكم مسلم على الرها كان يدعى أبا بدر .

١ - نسخة أخرى من المعاهدة تدخل الشرط العادي وهو انه بإمكان المسيحيين الاحتفاظ بمعابدهم الموجودة لديهم ولكنهم يمنعون من بناء كنائس جديدة .

شاهدت السنوات الباكرة من العصر الاسلامي محاولة متعمدة لتغيير بنية المنطقة التي كانت تدعى قبلا أوزروينة ( اقليم الرها ) . أرسل الخليفة عمر (٢) التعليمات الى معاوية بأن يُسكن أعداداً من القبائل المضرية في المنطقة الواقعة بين الغابور وحوض الفرات الكبير ، وهي المنطقة التي عرفت فيما بعد بديار مضر . أما القبيلة الرئيسية في المجموعة المضرية فكانت قيس . وأعطى للقادمين الجدد أراض لا يملكها أحد ، وبعيدة عن المدن والقري الكبيرة . ووضع معاوية جيوشاً في المدن ليضمن سلامة المستوطنين المضريين الجدد . واستمرت هجرة هذه القبائل في القرون التي تلت ، وبقي أكثر البدو في المنطقة من قبيلة قيس ، التي لعبت بعض بطونها المعروفة ، مثل نُمير وعُقيل وسُلَيم ، دوراً كبيراً في تاريخ المنطقة كما سنرى . ولم يبق جميعهم بدواً رُحَّلَ اذ اتَّبَع بعضهم الاتجاه التاريخي نحو الاستقرار ، ولكن العداء بين البدو من جهة والمزارعين وسكان المدن من جهة أخرى بقي مستمراً رغم أن جميعهم كانوا أصلاً من القبيلة الواحدة نفسها .

استعمل المسلمون الرها كقاعدة حربية لاحتواء هجوم بيزنطي على بطناي سنة ٦٤٤ ، ولكن حران هي التي اكتسبت فيما بعد الأهمية العظمى في هذه المنطقة ، وبعض السبب هويتها ذات الصبغة المسيحية القليلة . كانت مركزاً لبني قيس وعندما نستذكر عبادة الكواكب في حران لاندُهِش عندما نعلم أن بعض أفراد بني قيس اشتهروا بعبادتهم لنجوم ، وفي القتال بين علي ومعاوية ساند شعب حران معاوية . فأتى علي الى حران وقتل سكانها حتى « سال الدم خارج باب المدينة (٣) » . ولكن عندما مال الامويون الى جانب قبيلة كلب ، الأعداء الوراثيون لبني قيس ، انحاز بنو قيس بعنف ضدهم ، ويجب أن يلاحظ أن الأكثرية العظمى من قبيلة كلب اعتنقت المسيحية والعقيدة المذهبية لليعاقبة بصورة رئيسية . ولدينا هنا امتداد غريب للعداء القديم بين الرها المونوفيسية وحران الوثنية . وفي سنة ٦٨٦ - ٦٨٧ قام ابراهيم الأشتر قائد الموالين لآل علي ، وخصوم الخليفة عبد الملك (٤) ، ومنح حكم الرها وحران وشميشاط لحاتم بن النعمان غير أن محمداً أبا الخليفة نجح في احتلال الرها « دون قتال » واسترجع منها السيطرة على جميع أنحاء ما بين النهرين .

٢ - الخليفة عمر بن الخطاب .

٣ - سجل الأحداث للمؤلف الجهول لعوالي سنة ١٢٣٤ م . Chr. ad. 1234 .

٤ - الخليفة عبد الملك بن مروان .

وقد أبرز الصراع الذي نشب بين الأمويين والعباسيين في القرن التالي أهمية مقاطعة الرها وحران مرة أخرى ، فارتبط مروان (٥) الثاني ببني قيس ، واتخذ لنفسه مسكناً في حران ونقل إليها ثروته ، ولكن دور حران كعاصمة ملكية كان قصير الأمد . وكما فعل نبونيدس ، الذي استقر في المدينة قبل ذلك بثلاثة عشر قرناً ، كان مروان آخر سلالته . فقد أرغم على الفرار غرباً ثم قتل في مصر سنة ٧٥٠ . وفي نفس السنة ألقى اسحق بن مسلم ، وهو أحد مؤيدي مروان ، قبضته على الرها ، غير انه انتقل فيما بعد الى شمشاط ، تاركاً أخاه بكر مسؤولاً في الرها . وهاجم أبو جعفر ، الذي أصبح فيما بعد الخليفة المنصور ، المدينة وكان له عدة مناجبات مع بكر ، وأحدق بشمشاط أيضاً . وانتهت مقاومة اسحق لنظام الحكم العباسي عندما سمع بمقتل مروان .

حافظت قوات عسكرية في الرها بقيادة رجل يدعى منصور بن جعوانا على اخلاصها للامويين ، الا أن العباسيين فتحوا المدينة وأرسلوا ابن جعوانا الى الرقة ( كالينيكوس ) وأعدم سنة ٧٥٨ - ٧٥٩ . وخيم جيش الخليفة قرب « نهر الميدين » ، القلاب ، لتسعة أشهر ، ونشر الخراب في الريف . ويأمر من الخليفة هدمت اسوار الرها هدماً تاماً كبقية أسوار المدن الأخرى في ما بين النهرين ، باستثناء حران وميفرقات ، ويروي سجل تاريخي سرياني أن المنصور طلب من الرهاويين أن يعطوه الأعمدة الرخامية من الكنيسة العظيمة ليضعها في قصره الذي كان يبنيه في الرقة ( أو في الرفيقة ، قرب الرقة ) فرفضوا ، لذا حاصر الرها ودمر كنيسة مار سركيس خارج السور الشرقي . وعرض « شيوخ ووجهاء المكان » أن يسلموه المدينة ان هو يضمن لهم سلامتهم . فوافق المنصور طالباً فقط أن يرجعوا اليه « حصاناً أبيض » كان من خيله . وبعد استسلام المدينة أعلم الرهاويون أن عبارة الخليفة كانت تشير الى أسوار المدينة ، فدمرت بأكملها ما عدا برجاً واحداً كانت المياه تخرج منه الى الطواحين شرقي الرها .

سكن الخليفة هارون الرشيد أثناء سنواته الأخيرة في الرقة وزار الرها سنة ٧٩٧ ، وكانت الرها متورطة في الصراع بين الأمين والمأمون على الخلافة التي تبعت موت الرشيد ، ويظهر أن مواطنيها أيدوا الأمين . على كل حال ، فان المدينة بدون أسوار كانت تحت رحمة كل قائد ميت

الضمير . وفي سنة ٨١١ - ٨١٢ كان القائد القيسي نصر بن شيبان العقيلي المعاضد للأمين يحاصر حران وقد ثني عن عزمه على هدم كنيسة الرها بإعطائه خمسة آلاف « زوزة » وذلك بوساطة زعيم مسلم ( هناك مصدر آخر يقول ان النقود دفعت الى يحيى الزعيم المسلم الذي قام بدور الوسيط ، وليس لنصر بن شيبان . وبعد بضع سنوات استعاد الرها ويون طمأنينتهم . وفي حوالي سنة ٨١٤ أعيد بناء الاسوار على يد شخص يدعى « أبو الشيخ غنويه » الذي جمع مصاريف العمل من « وجهاء وأثرياء المدينة » .

بعد أن أصبح المأمون خليفة ، عين قائده الطاهر بن حسين حاكماً ليعيد النظام الى هذه المنطقة من ما بين النهرين ، وتمركزت في الرها حامية من جنود الطاهر ، ولكنهم كانوا متمردين لدرجة أن الطاهر نفسه نجا بحياته بأعجوبة من بين أيديهم ، عندما ثاروا لمتعه عنهم ما اعتبروه « حقوقاً » لهم ألقى بنفسه من فوق الاسوار أثناء الليل وفر الى الرقصة حيث سرعان ما تبعه بعض الشائرين الذين خشوا أن يهاجم نصر بن شيبان مدينة الرها في غياب طاهر الجبار المخيف . وهذا ما حدث فعلاً بعد ذلك بوقت قصير . ويضيف ديونيسيوس التلمحري ، الذي كان شاهد عيان بعد ذلك بوقت قصير للحادث ، كيف ساعد شعب الرها حاميتهم « الفارسية » ليدافعوا عن المدينة بعزم وثبات :

صعدوا على الاسوار ، وحتى النساء أصعدن الحجارة على السور [ وأتين بالماء ليطفئن ظمأ (٦) ] أولئك المحاربين . أما الذين لم يستطيعوا الصعود على السور فكانوا سجّداً يصلون وكنت واحداً منهم ، وطلبنا أن ينتصر [ جنود المأمون ] الفرس كي لاتقع المدينة في أيدي الثوار . وكان الرب رحيماً فقد أصيب عمرو ، وهو أحد زعماء الثوار ، فتكصوا على أعقابهم في فوضى واضطراب (٧) .

استمر نصر في بث الرعب في الريف من حلب ، غير انه في سنة ٨٢٥ أكدت الادارة المركزية سلطتها بفاعلية ، وذلك بقيادة عبدالله بن طاهر الذي خلف أباه كحاكم لما بين النهرين ، ووقع نصر أسيراً وأرسل الى بغداد . وفي السنة نفسها نقل عبدالله الذي كان حاكماً عادلاً وبصيراً الى القيادة في مصر ، وحل مكانه في ما بين النهرين أخوه الأصغر محمود ، الذي كان أقل ميلاً لرعاياه المسيحيين . ومع ذلك فان الحرب المستعرة بين بيزنطية

٦ - ديونيسيوس التلمحري في « ميخائيل السرياني » .

٧ - الكلمات لابن العبري .

والمسلمين والتي اندلعت في هذا الوقت كانت في صالح المسلمين وأبرزت مزاياهم إذ كان ما يعطونه لأقلياتهم المسيحية لا يقل عما يعطونه للأهالي المسلمين من فوائد الحكم الحازم ، وبقيت الخلافة محافظة على حكومة مستقرة قادرة على طرد أي اعتداء غريب . ولكننا سنرى ان الوضع غداً مختلفاً جداً عندما ظهرت الرها مرة ثانية في التاريخ بعد ذلك بقرن من الزمان .

### + عجز المسيحيين +

في أثناء القرون الأولى من الاسلام كان مسيحيو الرها ، الذين يؤلفون الغالبية العظمى من سكان المدينة حتى الكارثة الأخيرة سنة ١١٤٦ يشاركون غيرهم من أهل الكتاب الفوائد والمضار الشائنة في أنحاء الامبراطورية الاسلامية . كانت حياتهم مأمونة بدفع الجزية ، كما أن أصحاب الأراضي المسيحيين كانوا يدفعون الخراج ، وعلى الاجمال كان مسموحاً لهم القيام بممارساتهم الدينية شريطة ألا يحاولوا كسب الأشياع بغلبهم من الاسلام الى دينهم . كانت كنائسهم والأرض المحيطة بها محمية ولكنهم منعوا من بناء أماكن جديدة للعبادة ضمن مسافات معينة من المدينة أو هذه القرية الكبيرة أو تلك . كانوا أحياناً يتعرضون لحوادث قمع ثانوية بعضها مهين ومحقر يعد لها الخليفة أو يتلافها بين وقت وآخر بعد استشارته مجلس الشورى ، وهذه كانت تتضمن أنظمة بخصوص اللباس والسكن والممتلكات . وكان المسيحيون يتمتعون من عرض الصليب علانية ، ومن دق نواقيس كنائسهم في أوقات الصلاة في الجوامع ، وأعلن الخليفة عبدالملك (٦٨٥-٧٠٥) عن تعديل مالي عرف « بالتعديل » ، تضمن بعض التغيير في أسلوب دفع الضريبة ، رغم أن التأثير بالنسبة للمواطنين السابقين في الامبراطورية البيزنطية كان يختلف قليلاً عن النظام السابق . ويعلن كاتب أحداث سرياني بمرارة وان لم يكن بدقة تامة :

« أصدر [الخليفة] أمراً صارماً بأن على كل انسان أن يذهب الى بلده وقريته وبيته والديه ، وان على كل فرد أن يدون اسمه واسم أبيه وكرمه وزيتونه وممتلكاته وأولاده وكل ما في حوزته ، من هنا ابتدئء بأخذ الجزية بموجب رؤوس الأشخاص . ومن هنا نشأت جميع مصائب الشعب المسيحي . كان الملوك حتى الآن يأخذون الضريبة على الأرض وليس على الأشخاص . . . ثمة عبيد يحكموننا . كان ذلك « التعديل » الأول الذي حققه المسلمون (٨) » .

في زمن حكم الخليفة الوليد (٧٠٥-٧١٥) الذي خلف عبدالمك - مروان زيدت الضرائب والأعباء على المسيحيين . ويعزو الكتاب - الى الوليد وعمر الثاني (٩) (٧١٧-٧٢٠) ويزيد الثاني (٧٢٠-٧٢٤) الأحكام التي تنص على أن دية المسيحي هي نصف دية المسلم ، وان شهادة المسيحي ضد المسلم باطلة في المحكمة ، وانه لا يجوز لمسيحي أن يكون قاضياً أو أن يرفع صوته في الصلاة ، أو أن يلبس قبـ أو أن يمتطي سرجاً ، وأمر الخليفة المنصور (٧٥٤-٧٧٥) بوسم جميع المسيحيين على العنق أو اللجين أو اليدين أو الصدر أو الكتفين . - اصلاحات الضرائب التي فرضها عمر الثاني أتت بالفائدة المادية على المسيحيين الذين اعتنقوا الاسلام وقادت الى خروج واسع الانتشار عن النصرانية . ومن ناحية أخرى استفادت الكنائس والأديرة باعفائه من ضرائب أماكن السكن والتركات ومحاصيل الأرض المخصصة لاعانة الفقراء .

كانت هذه الشرائع تطبق في جميع أنحاء الامبراطورية الاسلامية . وكان تفسير القانون الاسلامي يتأرجح بين الصرامة واللين بموجب تقلب وخيلاء الخليفة أو الحاكم . وكان التأثير على المسيحيين خطيراً أكثر منه على المسلمين الذين تمتعوا بحقوق الاستئناف المحددة تحديداً جيداً ، وكان تعسف النظام يظهر على أبشع صورته في مناطق نائية عن مركز السلطة . فقد علمنا مثلاً أن محمد بن مروان الذي عينه أخوه الخليفة عبدالمك حاكماً على ما بين النهرين أظهر حماساً لدينه بقتل كل انسان رفض اعتناق الاسلام ، وفي أثناء اقامته في الرها جمع عدداً من الأرمن في كنيسة وأشعل فيها النار . ولقد قتل هذا الحاكم أيضاً أنستاسيوس بن أندريه حاكم المدينة الاداري ونهب بيته . (ويشير كاتب سفر أخبار تاريخي الى أنه في هذا الوقت كان لا يزال المسيحيون يعينون لمنصب الحاكم) .

هناك سفر أخبار من القرن الثامن يروي بصورة مطولة القسر والاكراه اللذين كان يستعملهما جباة الضرائب الجشعون وعديمو الضمير ، ويدعي أنهم استغلوا أهل المدن والأرياف على حد سواء

٩ - الخليفة عمر بن عبد العزيز .

١٠ - الخليفة يزيد بن عبد الملك .

مطالبين اياهم يدفع ما هو أكثر من الاستحقاق الشرعي . وكانوا يسجنون ويعذبون ضحاياهم . وهرب أصحاب الحوانيت الى القرى وغدت الأسواق مهجورة ، ولم تكن القرى تحت رحمة ممثلي الحكومة فحسب بل تحت رحمة زعمائهم أيضاً الذين أجرت لهم جباية ضريبة الرأس لقاء مبلغ معين . انهم لم يستثنوا حتى أفقر الفقراء ، وملاً الوجهاء بيوتهم بالاموال المنهوبة ، والقرويون الذين لم يكن باستطاعتهم تلبية مطالبهم ، كانوا يستعبدونهم . وفي حوالي سنة ٧٧٠ اكتشفت الحكومة بأن المبلغ اندي عينته لضريبة الرأس لم يدفع ، فأصدرت الأوامر للشعب بأن يجتمع في الكنيسة الكبيرة في كل مكان : « كل الرجال الأحرار ، وحتى النساء اللواتي كان أزواجهن بعيدين أو غائبين بسبب الاضطهاد ، جرّوا جميعاً من بيوتهم . . . نساء لم يظهرن أنفسهن اطلاقاً في الشوارع أرغمن على المجيء ، ووضعن دون حياء بين الرجال . . . وداس الناس على [المذبح] المقدس بأرجلهم القنذرة ، وفي المكان المقدس غسلوا قذارة أطرافهم واقترفوا هناك نجاسات أخرى عديدة . . . لثلاثة أيام وثلاث ليال مكثوا في الكنيسة فارتفع بينهم نواح مريير . . . بعض الأشخاص رموا بأنفسهم على ثراء الكنائس والأديرة ، وحتى الكنائس البعيدة . . . كان عليها أن تعاني من هذا التدنيس . . . لأنها جردت من ممتلكاتها التي راحت نهباً . . . من قبل السكان . . . وقاست كنيسة الرها أكثر من جميع الكنائس وفقدت ممتلكاتها(١١) » . ونفس الكاتب يروي عن نرها نحو سنة ٧٣٣ :

« قاسى الوجهاء من الضربات والويلات . . . أكثر من أي مدينة أخرى . وكان قد عين عليهم رجل قاس يدعى رازين ، وكان اذا ما قبض على شخص فقير وحاكمه وعلم أن لا جرم عليه كان يوفد شرطيين معه ويقول له : اذهب الى الساحة العامة وامسك بأي شخص وقل له ( كن كفيلي ، ثم اهرب . فيقبل المسكين بذلك ويخرج الى الساحة العامة ويأخذ بتلابيب شخص كيفما اتفق . فيتركه الحارسان ليهرب وينجو بجلده ثم يلتقيان القبض على الآخر رغم أنه لم ينطق بكلمة واحدة مع [الرجل الأول الهارب] ويجرانه حتى يوصلانه أمام الحاكم الذي يأمر قائلاً : ( أنت كفيل ذلك الرجل ، فهات بما هو مدين لنا) ، وعندما يجيب : 'نا لست كفيله ، بل اني لا أعرفه يطرحونه أرضاً ويضعون قيوداً في رجليه حتى تنكسر ساقيه ، وكانوا لا يطلقون سراحه حتى يأتي بالمبلغ

الذي فرضوه عليه » • ويصف الكاتب بصورة مفصلة أشكال التعذيب التي كانوا يطبقونها وكان الجلد بالسياط أهونها •

وقد علمنا أن الرهاويين لم يكونوا دون لوم :

« هل هناك نبلاء وأمراء ، لصوص وسارقون ، يملأون بيوتهم بالأموال المسروقة والاحتيايل على الفقراء والأيتام والأرامل ، أسوأ من الشعب الرهاوي ؟ ... ان أعمال اغتصابهم لم يكن لها بداية ولا نهاية ، ولم يكونوا يشبعوا من الأموال المنهوبة التي حصلوا عليها » •

وكان للرهاويين أن ينالو استحقاتهم • فبعد قرابة أربعين عاماً ، وتحت حكم الحاكم طاهر بن حسين كان مدير ادارة الرها شخص يدعى عبد العلاء ، وكان هذا قليل العطف تجاه المسيحيين :

« أثقل كاهل المدينة بالضرائب • واذا رغب في الاستيلاء على قرية من قراها ، ضاعف الأعباء على القرية الى درجة يضطرون عندها الى بيعها ، فيحصل عليها بسعر بخس • كانت فكرته أن يطرد الرهاويين من مدينتهم ويسكن فيها أفراد قبيلته المدعوون بالسليمانية • لذا اجتمع جمع غفير من المواطنين وراحوا يتذمرون اليه عما يقاسونه على أيدي أولئك الذين سكنوا في بيوتهم في المدينة والقرى • فأجابهم : مِمَّ تتذمرون أيها المسيحيون ؟ منذ زمن الرومان ابتلعت هذه الأرض بينما كان أجدادنا يهيمنون على وجوههم في الصحراء القاحلة ، في البرد والحر اللذين يجففان المرء ويحرقانه ، يرعون مواشيهم وقطعانهم ، والآن وقد استولينا على هذه الأرض من الرومان بسيفونا ، لماذا تثيرون الاضطراب عوضاً عن أن تتركوها لنا وتنزحون عنها ؟ هيا اغربوا عن وجهي ، وتحملوا وضعكم • ادفعوا الجزية وابقوا في سلام ! وخرج الرهاويون وهم في عذاب » •

كان الرهاويون تحت الحكم البيزنطي ملزمين بتجهيز أماكن سكن لفرقة حامية من الجيش • واستمرار هذا الالتزام كان ضمن شروط السلام التي أمليت على المسيحيين الرهاويين من قبل عمياض بن غنم ، وكان هذا يُستغل في بعض الأوقات باستهتار • فحاول أبو الشيخ غنوايا الذي أعاد بناء أسوار المدينة سنة ٨١٤ على نفقة وجهائها أن يدخل أفراد قبيلته في مدينة الرها ويحتلوا بيوت المسيحيين • ولقد رأينا آنفاً طلباً مشابهاً قام به بعد حين من الوقت عبد العلاء لصالح السليمانية ، ولعلمهم أفراد عشيرة سليم القيسية • أما الخليفة المأمون المتسامح فقد نقض هذا الحكم وحث العرب والفرس بصراحة على ألا يؤذي أحد منهم

المسيحيين ، ولكن يبدو أن هذه المعاملة الخاصة التي أمر بها المأمون لم  
تعمر بعد موته .

ان تقلبات الظروف التي تعرض لها الرهاويون تصورنا  
الأحداث في زمن حكم المأمون احسن تصوير . فلقد رأينا أعمال الاغتصاب  
التي قام بها عبد العلاء عندما كان طاهر حاكماً . فلما فر طاهر وزملاؤه  
من بعده الى الرقة ، شعر الرهاويون « بالخلاص من اعباء ثقيلة » .  
ومن جهة اخرى كان عبدالله بن طاهر رجلاً لطيفاً حي الضمير . فعندما  
علم أن بعض الأهليين قد قتلوا بحجارة قذفها جنوده بالمقاليع على أسوار  
المدينة التي كانوا يحاصرونها ، اتبع فوراً أساليب أخرى في حربه .  
وطلب منه مسلمو حران والرها وحتى شمشاط : « ان يهدم الكنائس التي  
بنت أثناء السنين العشر المنصرمة وأن يوقف قرع الأجراس في الكنائس .  
ولكن الحاكم الطيب عبدالله أجابهم بأن المسيحيين المسادين لم يعيدوا بناء  
حتى عشر الكنائس التي هدمت وأحرقت ، وأمر بالأمتنع عنهم أي من  
القوانين والعادات القديمة، والا تهدم أي من كنائسهم . وعاش المسيحيون  
في راحة وسلام (١٢) » .

ومهما يكن من أمر فان عبدالله أرسله الخليفة الى الاسكندرية  
سنة ٨٢٥ وحولت سلطته في ما بين النهريين الى أخيه محمد . وكان مدير  
ادارة الرها في ذلك الوقت شخص يدعى يقظان له كاتب سر ملكي يدعى  
وليد ، « يكره المسيحيين » الذين هم تخميناً ، اليعاقبة . فشكوا أمرهم  
الى يقظان ولكنه لم يعطهم جواباً شافياً لأنه من الواضح كان موافقاً على  
حقد كاتب سره ، فسافر عتدئذ ديونيسيوس التلمحري بطريق اليعاقبة  
وأخوه ثيودوسيوس مطران العاصمة الرها الى مصر ينشده ان تدخل  
عبدالله الشخصي . أما يقظان وكاتب سره فطلبوا المساعدة في هذه الأثناء  
من وجيه من الرقة الذي حث محمداً على أن يصدر أمراً بهدم « جميع  
الأبنية الجديدة » في الرها - كنيسة الأربعين شهيداً ، ومكان الملايس  
والأشياء المقدسة وخزينة الكنيسة العظيمة ، وغرفة داخلية في الطرف  
الشمالي من المعمودية، وأبنية وعمارات أخرى شيدها المطران ثيودوسيوس .  
وكذلك ديراً للراهبات وكنيسة للملكيين - ولكن في اللحظة الأخيرة وصلت  
التعليمات من عبدالله ألفي بها قرار نائبه (١٣) .

١٢ - Chr. ad. 1234 سجل الأحداث للمؤلف المجهول لعوالي سنة ١٢٣٤ م .

١٣ - ديونيسيوس التلمحري في ميخائيل السرياني . أصدر الحاكم في حران أمراً سنة ٨٢٠ - ٨٢١  
بهدم الكنائس « الجديدة » فقط ، ولكن ألغاه في اليوم التالي ، وفي سنة ٨٣٤ - ٨٣٥ هدم مسلمو  
حران كنيستين مسيحيتين تخصان شعب تفريت .

كانت سياسة عبدالله تتمشى مع السياسة «الانسانية الرحيمة» للخليفة المأمون ، وان التأكيدات بأن المأمون ، أثناء زيارته لحران حوالي عام ٨٣٠ ، دخل في نقاش حول مسائل لاهوتية مع الاسقف ثيودور أبو قرء قد تكون حقيقية تاريخياً أو قد لا تكون ، ولكنها تعكس موقف هذا الخليفة نحو رعاياه المسيحيين . لقد أمر بالألّ تهدم كنيسة في أي مكان دون موافقة مؤكدة منه شخصياً . فعندما زار الرها في طريقه الى حملة ضد البيزنطية : « دخل الكنيسة العظيمة واندحش لشدة جمالها ، واستعلم من المطران عن ايراد هذا المعبد . أجابه المطران : « بفضلك أيها الملك ، ممتلكاته عظيمة ، ولكن ، والحق ، رغم كونها عظيمة فانها تصرف الدفء الجزية على ايراداتها » . عندئذ أمر المأمون بالألّ تؤخذ منهم جزية على الفنادق والحوانيت والحمامات والطواحين - وتؤخذ فقط على البساتين والأراضي لأنه أكد أنه ليس من الحق أن تدفع الجزية على أي شيء عليه سقف (١٤) - ولكن ميخائيل السرياني يضيف بصراحة في مكان آخر ، أن هذا الأمر صدر للعمل بموجبه في جميع أنحاء ما بين النهرين ، ولكن المسلمين ألغوه بعد زمن قصير » .

عندما كان ينشب قتال على نطاق واسع بين المسلمين والبيزنطيين ربما كان من المنتظر أن يعامل المسلمون جيرانهم المسيحيين بعدم الثقة ، ولكن البرهان قليل بأن هذا الشعور كان عاماً . وفي سنة ٧٣٦-٧٣٧ ظهر في حران شخص اسمه بشير ادعى أنه طيبيريوس ابن الامبراطور البيزنطي جستنيان الثاني . وطلب من اليهود المحليين أن يستدعوا أجداده بواسطة السحر ، كما طلب من وثنيي حران أن يفحصوا فآله في الكبد كي يصمم ويعلم عن أصول عائلته . وصدقت السلطات الاسلامية ادعائه ، وحتى سليمان ابن الخليفة هشام بن عبدالله صدقه . وعامله مسيحيو الرها معاملة مشرفة خاصة - « بموجب حماقتهم ، لأنهم مع كل ربح يتمايلون (١٥) » - يضيف الكاتب المؤرخ الذي يصف هذا الحادث : « وسمحوا له أن يتناول القربان على المذبح ، وهذا امتياز محفوظ للأباطرة الحاكمين (١٦) » وذهب بشير الى العاصمة ليحصل على الاعتراف به من الخليفة ثم عاد الى الرها . أما في القسطنطينية فقد أوقعت هذه

١٤ - سجل الاحداث للمؤلف المجهول لحوالي سنة ١٢٣٤ م . Chr. ad. 1234

١٥ - سجل الاحداث للمؤلف المجهول لحوالي سنة ١٢٣٤ م . Chr. ad. 1234

١٦ - هذا الامتياز حرم منه الامبراطور هرقل عندما زار الرها قبل قرن من الزمان . انظر صفحة ٢٩٢ .

التطورات الامبراطورية ليو الثالث في فزع عظيم . ولكن قلقه لم يطل  
فقد فضح بشير بعد أمد قصير كدجال ، ثم صُلب في الرها .

في سنة ٧٩٦-٧٩٧ مرّ هارون الرشيد بالرّها في طريقه ليقود حملة  
ضد البيزنطيين . فأعطى مسلمو الرّها معلومات ضد المواطنين المسيحيين  
هناك ، وادعوا بأنهم جواسيس للبيزنطيين ، وأن الامبراطور يأتي كل  
سنة ليصلي في كنيستهم في الرّها . ثم طلبوا من الخليفة أن يهدم الكنيسة  
ويمنع قرع الأجراس . ويتابع الكاتب المؤرخ : « وقال الخليفة لمستشاره  
يحيى البرمكي ، ما رأيك في هذا الاتهام ؟ فأجابه يحيى بحكمة ، يجب  
ألاّ يقبل بأي حال . فطرد المسلمون من حضرته على الفور ، وجلدوا  
أيضاً (١٧) » . وعلى كل ففي سنة ٨٣٧ ، عندما غزا الامبراطور ثيوفيلوس  
المقاطعة الاسلامية غدا الموقف أكثر خطورة رغم أن البيزنطيين ذبحوا  
المسيحيين واليهود والمسلمين على حد سواء ، ويسجل الكتّاب المؤرخون  
السريان : « نمت كراهية المسلمين ضد البقية منا الذين كانوا مسيحيين  
بسبب غزو البيزنطيين ، وقاسى مسيحيو الرّها بصورة خاصة بسبب رجل  
وقح مقدام يدعى شموئا . . . الذي قرن نفسه مع البيزنطيين وشجعهم  
على اهلاك المسلمين (١٨) » .

ومهما يكن من أمر فان عدم تقيد القادة العسكريين العرب بالقانون  
في أوقات الاضطراب المدني برهن على أعظم تهديد لسلامة مسيحيي الرّها .  
وهناك حكاية بارزة تعود ربما الى نهاية القرن السابع ، فقد أمّن  
ضابط عربي ، وهو علي وشك الرحيل في حملة ، مبلغاً كبيراً من المال  
عند حارس باب أحد الأديرة خارج الرّها . وبعد ثلاث سنوات رجع  
المحارب ليجد حارس الباب قد مات ، ولم يعرف أحد مكان المال . وهدد  
الضابط بهدم الدير اذا لم يحصل على ما يرضيه ، كما أصرّ حاكم الرّها  
على بيع الدير واستعباد ساكنيه . فقام مطران الرّها حبيب باستحضار  
روح الرجل الميت وعلم منه المكان الذي أودع فيه المال . وأرجعه  
الى صاحبه .

تصور هذه الحكاية البسيطة مدى عدم الأمان الذي عاشه المسيحيون  
الرّهاويون . وفي أثناء القتال بين الأمويين والعباسيين ألقى شخص  
يدعى عبيدالله بن بختاري الرّعب في منطقة الرّها . فقد علمنا أنه كان

١٧ - ميخائيل السرياني .

١٨ - نفس المصدر .

يأخذ النبلاء ويحرقهم أحياء « كالسماك من أجل الذهب (١٩) » . كما أخذ الكثير من الناس أرقاء وقتل رهبان تسعة أديرة تقريباً ، ونهب القرى واستحوذ على أملاكها . ولقد كان الاكليروس فقط هدف قسوة عبيد الله . أما ناصر بن شبث فقد تصرف بدقة ودهاء أكثر . ورغم أنه « كان طاغية » فان هناك ما يؤكد لنا: « أنه كان يحب المسيحيين ، وكان يضطهد دون رحمة وبكل أشكال الضرائب المسيحيين الذين خرجوا عن دينهم الى الاسلام أو الى الوثنية ، ويقول لهم : ( شريطة أن تدفعوا لي الجزية ، لكل منكم أن يدخل الدين الذي يريد ! ) فرجع العديد من الجوامع الى الكنائس (٢٠) » .

من المحتمل أن الدوافع لدى ناصر لم تكن نابعة عن موقف متفتح سخي تجاه المسيحيين لأن الشرعيين المسلمين اعتبروا الردة عن الاسلام أمراً لا يغتفر . بل كانت دوافعه على الأرجح تنبع من الحاجة الى تسهيل جبي الضرائب في هذه المنطقة المسيحية في غالبية سكانها . وعندما كان ناصر يحاصر حرّان ، حثه مسلمو الرها على أن يهدد بتدمير الهيكل الذي يحفظ فيه القربان في « كنيسة المسيحيين » في الرها . ولمحوا بأن المسيحيين سيدفعون أثمن الثروات ليخلصوا ذخائرهم . وحل اليأس والقنوط بالمواطنين ، ولم يكن باستطاعتهم المقاومة لأن أسوار المدينة كان قد هدمها المنصور . فلجأوا الى الصيام والصلاة فاستجيب دعاؤهم ، فقد حث أحد الوسطاء المسلمين ناصر أن يأخذ مبلغ خمسة آلاف « زوزة » كفدية ، ويوفر على نفسه عبء الهجوم على المدينة . فماذا كان سيصبح مصير الرها لو سقطت بين يديه - ولقد صدّ عن الرها بعد حين قصير - باستطاعتنا الحكم من تصرفه في أماكن أخرى من ما بين النهرين . لقد أشاعت جنوده الخراب والدمار في الأرياف ، وذبحوا ونهبوا واغتصبوا النساء المتزوجات والعذارى والأولاد وأحرقوا القرى والأديرة . ولكن شعب ما بين النهرين قاسى أقل من هذا بقليل من جيوش الحكومة التي عارضت ناصر ، فقد أرغمت القرويين على جمع الحنطة والشعير والحبوب الأخرى قبل نضجها ليذروها ويسلموا المحاصيل الى ادارة التعيينات أو الميرة (للجيش) فلما فعلوا ذلك أصبحوا هدفاً لנקمة ناصر ، فدمر الغلال وأحرق الحصادين وهم أحياء .

١٩ - سجل أحداث زوقنين .

٢٠ - ميخائيل السرياني .

## الأحوال الاقتصادية

لا ريب في أن هنالك فوائد تجنى من التجارة مع العسكر . ففي زمن حصار العباسيين لأرضروم سنة ٦-٧٦٧ « كان تقدم الجنود ذا فائدة عظيمة للشمال لأنهم بعثوا زوزه (نقود) هناك ، وخصوصاً الجديد منها » . ومهما يكن فإن هذا المسخاء لم يجلب الفائدة المتجار العاديين ، وإنما العكس . « من الآن فصاعداً ، باستطاعة كل من يريد أن يجمع زوزه بدون وجل ، وال ( زوزه ) الجيدة - وخاصة المزيفة منها - تضاعفت وسببت خسارة للجمهور » (٢١) . ولم تعد القوافل والتجار يكسبون الثراء من الرها . ربما كان تجارها لا يزالون ينعمون بشيء من الازدهار . وجهز خصب الريف ، كما سنرى ، عيشاً كافياً . ولكن الثروات كانت تكدر عن طريق الوظائف الحكومية . كان أثناسيوس أحد أفراد عائلة غومايا الشهيرة في الرها وشخصية بارزة للوذةيته ، فعين معلماً مثقفاً لعبدالعزیز الأخ الأصغر للخليفة عبدالمالك (٢٢) . ورافق أثناسيوس عبدالعزیز الى مصر حيث كان حاكماً ، ومكث معه هناك احدى وعشرين سنة . واكتسب أثناسيوس ثراء طائلاً بتروي تفاصيله كتاب الأحداث السريان باعتزاز ظاهر - أربعة آلاف مملوك ، وقرى وقصور وبساتين وذهب وفضة وجواهر لا تحصى كالحصى - كان يعقوبياً ورعاً، فكرس بعض ايراده الذي كان يدخله من الرها البناء الكنائس (٢٣)، وحدث أن موظفاً « ملكياً » حسوداً في بلاط الأمويين اتهم أثناسيوس بعدة اتهامات وقدمها للخليفة فاستدعاه عبدالمالك ، « واستقبله بهدوء وقال له بوداعة : يا أثناسيوس ، اتنا لا نظن أنه من الحق في شيء أن ينال مسيحي كل هذا الثراء ، أعطنا قسماً منه . فأخذ أثناسيوس يعطي حتى قال الخليفة كفى ! ومع ذلك فقد بقي له الكثير (٢٤) » .

بعد مئة سنة وفي زمن حكم هارون الرشيد تبرز الثروة الضخمة لعائلة روسبايه مرة أخرى للعيان . ولقد مرت بنا حكاية زوجة روسبايه المؤلة التي نفاها خسرو الى فارس وفتك بها هناك بعد عذاب رهيب (٢٥) .

٢١ - سجل أحداث زوقنين .

٢٢ - الخليفة عبد الملك بن مروان .

٢٣ - انظر صفحة ٢٦٣ .

٢٤ - ميخائيل السرياني .

٢٥ - راجع الصفحة ١٨٨ .

فقبل مغادرتها للرها خبأت ثروة عائلتها في بيتها بطريقة غامضة حتى ان سرجيوس لم يتمكن من العثور عليها عندما رجع من بلاد الفرس . وفي آخر الأمر ، انتقلت تركة آل روسبايه بواسطة عائلة تلمجرليه الى آل غومايه ، وفي نهاية القرن الثامن ترك سلفستروس غومايه عند وفاته ثروات وأملاك « لا آخر لها » لولديه . ولكن الشابين سرعان ما بدّداها . وعند ذلك حاولا أن يعوضا عن ثروتهما بالتلقيب عن كنوز آل روسبايه الأسطورية :

« نقبوا في أماكن مختلفة حتى وجدوا الكنز ، ولكن بما أنهما كانا شابين قليلي الحياء لم يعرفا كيف يتصرفان بها بحكمة ، بل راحا يبذّرانها على شراء الخيل وكلاب الصيد ، وعلى [اتباع الخادمت والصبايا ] (٢٦) .»

جذبت الحكاية انتباه هارون الرشيد سنة ٣\_٨٠٤ عندما كان في الرقة . فألقى بالشابين في السجن هناك ، وأرسل أحد الخصيان الى الرها ليحجز ما باعاه منها ، ثم ألقى القبض على والدتهما المسنة وزوجتيهما وأختيهما وأسرهن بأن يكشفن عن الثروة الباقية - قدور من الذهب والفضة والصفائح وأكوام من النقود البيزنطية ، وأفاعي وعقارب من الذهب والفضة مليئة بالاكسير الذي ظنه «الحمقى» غباراً ، فبعشروه على الأرض - وحدثت تكملة محزنة لهذه الحكاية الملحمية لثروة آل روسبايه ، فسجن الخصي كل امرأة منهن وحيدة منفردة :

« حجزت أخت الشابين ، وهي فتاة عذراء ، في بيت أحد المسيحيين الملكيين ، فوضعها في غرفة في الطابق الرابع من البيت ، وأقام حرساً من الفرس على الباب يحرسونها . وبقيت الفتاة مستيقظة وسهرت الليل بأكمله خوفاً من أن يدخل عليها أحد ويغتصبها بالقوة فلما سمعت صوت أقدام على الأرض ابتهلت الى الله ورمت بنفسها من النافذة ، ووجدوها ملقاة على الشارع ، وبعد يوم فارقت الفتاة المباركة الحياة (٢٧) » .

وحزن الخليفة على الحادث وأنّبه ضميره فأمر باطلاق سراح أخوي الفتاة وبأن يعطى لهما خمس الثروة ويعفى عنهما (٢٨) .

٢٦ - ميخائيل السرياني مع مقتطفات من سجل الأحداث للمؤلف المجهول لحوالي سنة ١٢٣٤ م . Chr. ad. 1234

٢٧ - ميخائيل السرياني .

٢٨ - نحن مدينون بهذه الحكاية وتفصيلها الفنية الى ديوتيسوس التلمجري الذي كان أحد أفراد عائلة تلمجرية التي لها قرى بال روسبايه .

كان هذا صدى منفرداً من ماضٍ أكثر رحابة • وعاش المسيحيون  
الرهاويون عيشة أكثر اقتصاداً تحت حكم الاسلام • وكانت هنالك رنة  
الحزن العادية للكوارث الطبيعية • وبالرغم من السد الذي بناه جستنيان  
فقد كانت مياه نهر ديسان تفيض في داخل المدينة مرة في كل قرن من  
الزمان • ففي تشرين أول سنة ٦٦٧ « حدث فيضان عظيم في منتصف  
الليل ، ودمرت المياه وهدمت سور الرها • وغصت المدينة بالمياه وغرق  
الآلاف من الشعب (٢٩) » • وفي آذار سنة ٧٤٠ حدث فيضان آخر ولكن  
بدون خسائر في الأرواح هذه المرة :

« تراكمت المياه خارج أسوار الرها وهدمتها ، ودخلت بقوة وملأت  
المدينة • وتقوضت البيوت والأحواش وانجرفت الشوارع والأطواحين  
التي كانت بغرب النهر ، واكتظت الكنيسة القديمة وأحواشها بالمياه •  
وألولا أن سارع الشعب وفتح مصارف المياه الشرقية لغرقت المدينة  
بأكملها في طرفة عين (٣٠) » •

وحدث فيضان سنة ٤ - ٨٣٥ في أثناء الليل عندما كان السكان نياماً •  
ومرة أخرى قوضت المياه السور الغربي وتدقت الى المدينة وملأت  
الشوارع والأحواش ففرق حوالي ثلاثة آلاف نسمة في دورهم قبل أن تهدم  
المياه السور الشرقي وتنساب عبر السهل •

وفي نيسان سنة ٦٧٩ حدث زلزال قوض مدينة بطناي تماماً وقتل  
العديد في الرها • وانهار هيكل القربان للكنيسة العظيمة مع جانبيها  
الخارجيين في الرها ، الا أنه أعيد بناؤها بأمر الخليفة معاوية •

وبعد أربعين سنة ، ربما في سنة ٧١٧-٧١٨ وقع زلزال آخر ذهب  
ضحيته العديد من البشر • ومرة أخرى هدمت الكنيسة القديمة والمعمودية  
وعمارات شاهقة أخرى • أما العمارات التي بقيت قائمة فقد ظهرت فيها  
الصدوع « وكان الذين يعيشون فيها يرتعدون أمام الرب كلما كانوا  
يرون تلك الصدوع التي سببها الزلزال (٣١) » •

وسبب الجراد ضيقاً هائلاً في ما بين النهرين سنة ٧٨٤ وكان الجراد  
منتشراً في كل مكان كما يصفه شاهد العيان ديونيسيوس التلمحري •

٢٩ - سجل الأحداث للمؤلف المجهول لحوالي سنة ١٢٣٤ م • Chr. ad. 1234

٣٠ - سجل الأحداث للمؤلف المجهول لحوالي سنة ١٢٣٤ م • Chr. ad. 1234

٣١ - سجل أحداث زوقنين •

« كانت الأرض والأسطحة مغطاة به كما كانت أباريق المياه وسعد والموائد والأواني . عندما كان يدخل بيتاً من الجنوب كان يخرج من الشمال وهو يسير قدماً . وعندما يمر فوق الأسطحة والقرميد كان يسير وكأنه في السهل دون توقف يلتهم كل ما يصادفه - العشب والأشجار والأقمشة الصوفية والثياب - وانتشر بنوع خاص في الرها [ وما جاورها ] . . . ثم جعل طريقه نحو الغرب . . . ونتيجة لهذا الطاعون الماحق أحدثت مجاعة في الأرض ] أثناء السنين الثلاث التالية بسبب قلة الخبز والخبز والزيت وجميع أنواع الخضار » . وفي آذار سنة ٨٤٢ لم تنبت البذور بعد شتاء كله صقيع لم تهطل خلاله الأمطار وزادت قسوة الحكومة لأمر سوءاً « بنهمها لدم الفقير » ، فأصرت على دفع الضريبة كاملة ، ومع ندر النقود وارتفاع سعر القمح والمجاعة والمرض والطاعون ، فإنها حصدت كلها بثقلها على كاهل الفقير . وكانوا يخرجون كي « يلتقطوا الحطب للنار وقليلاً من الأعشاب للتغذية بدل الخبز . ولقد هلكوا من الجوع والجوع في عقر دارهم . وعندما رأى الغني أنه لم يعد هناك خبز أو بذور في الأرض توقف عن الشفقة ولم يعد يبيع الحبوب ليبيث العزاء في قلب الفقير (٣٢) » .

وهطلت الأمطار في الشهر التالي وانتعشت الحبوب وأينعت ، ولكن البرد والجراد والرياح العاتية قضت على الفلال . واستمر الوباء مدة سنتين .

لم تكن هذه الكارثة طويلة نسبياً في ربح من الزمن طوله ثلاثة قرون . فمنطقة الرها كانت مزدهرة بزراعتها ، وفي رواية عن سنة ٧٦٧-٦ نقرأ :

« جميع أنحاء الريف كانت جميلة بالكروم والحقول ، والماشية في أعداد غفيرة ، ولم يكن هناك فقير تمس واحد في قرية لا يملك محراثاً وبعض الحمير والماعز . ولم يكن هناك مكان مهما كانت درجة صلاحيته للزرع لم يزرع بالدوالي . لقد نبتت الحنطة والدوالي بكثرة وفيرة » .

قاد الازدهار الى العيش الباذخ ثم الى الجشع والأضطهاد : « ان طمع [الأغنياء] غدا عظيماً ، حتى انهم أخذوا كل ما أعطاه أسلافهم للكنائس والأديرة . . . وكان المراك والنزاع والمشاحنات حول الحدود متكررة ، وكانت تصل في بعض الأحيان الى درجة القتل . . . وبينما

كان الأسياد أثرياء بقطعان الخراف والماعز والجمال والخيول والعبيد ،  
ويمتطون الجياد العربية ويرافقهم العبيد على البغال ، كان خدمهم  
يحملون أولادهم على أكتافهم ، ظهورهم مقوسة وهم عراة وعطشى  
وجائعون يستجدون من باب الى باب لقمة خبز ، والنساء يطردن من  
مكان الى مكان ٠٠٠ وهن يحملن أطفالهن العراة الناحلين (٣٣) » .

وفي نبذة أخرى عن الأحداث التي جرت بعد ذلك بما يقرب السنين  
يكرر هذا الكاتب وصف الوفرة في غلال حقول القمح والكروم و شراء  
مالكي الأراضي :

« كانوا أثرياء الى درجة فاحشة ويملكون كل الأشياء الحسنة  
كانوا متعجرفين متفطرسين ممتلئين بالحسد ، زناة فساقاً سكتيرين  
مغتصبين شهود زور ٠٠٠ [وحتى] نظام الترهيب الشريف تعدى حدود ٠٠٠  
اللياقة والحشمة ٠٠٠ حصلوا على الخيول وقطعان الثيران والماعز  
والضأن ٠ واقتنى كل منهم قطعاً من الأراضي ٠ وخرجوا ليمتلكوا الكروم  
والدور في القرى ، وليمتطوا الخيول المسرّجة كالكفار ، وليسيروا حسب  
شهوات قلوبهم دون أن يخضعوا أنفسهم لسيدهم الذي أعطي السلطة  
عليهم من الله » .

وعندما أتى القرويون الجهلة الى المدن سعياً وراء القروض وهم  
في أشد الضيق بسبب جباة الضرائب ، وقعوا بين أيدي مقرضي المال  
« جلبوا الهدايا لمقرضي المال الذين عندما كانوا يرونهم يقول الواحد  
منهم : أهلاً بكم ٠ ثم يضيف ، سأعطيكم كل ما تبغون ٠ لا تقلقوا ٠٠٠  
أنا لا أطلب منكم شهوداً أو ضماناً أو وعداً ٠ ولا أطلب فائدة أو تسديداً ٠  
خذوا ، وعندما يأتي موسم الحصاد أرجعوا لي [نقودي] أو أعطوني  
حنطة أو خمراً بموجب السعر الدارج في ذلك الوقت ٠٠٠ وكان الرجل  
التعس يمكنه في بيته بهدوء وراحة الى أن يأتي جباة الضرائب وعندما  
يمسكون بتلابيبه ، يقول لهم ، انتظروا لحظة ، سأتي بالضريبة لكم ٠  
ثم يذهب مسرعاً الى [مقرض المال] الذي كان قد دفعه الى الأمل باعطائه  
ما يريد ، ويقول له : من فضلك سيدي ، أعطني ما أريد ، فيجيبه :  
انتظر هنيهة ٠ ثم يتركه وينصرف ٠ أو انه يستهزئ به قائلاً : اذهب  
اليوم وتعال صباح الغد ، لأن الآن ليس لدي ما يكفيك ٠ وهكذا كان  
يتصرف معه لعدة أيام ، ويعذبه عذاباً مريعاً يشتهي المسكين الموت

دونه ٠٠٠ ثم يكتفي بالقول له ، لن أعطيك ما تريده لأنني لا أملكه .  
أو يقول له : أريد منك تعهداً خطياً ٠٠٠ ثم يصرفه قائلاً ، اذهب  
الليلة وتعال صباح الغد . وعندما يأتي مبكراً في اليوم التالي يقول له :  
سأعطيك ما تريد إذا قدمت لي رهينة . وبعد أن يعطيه الرهينة يقول  
له : كم تدفع فائدة على هذا المال ؟ وعند التسديد كم ستعطيني من  
الحنطة ؟ اني لن أخذا منك بالسعر الدارج » .

وكانت النهاية لا مفر منها . كان الفلاح التمس يبيع محصوله  
ليسد بعض ديونه ثم يبقى في قبضة المرابي حين لا يستطيع أن يسترد  
الرهن . . .

### النشاطات المذهبية

ليس هناك وكر للوثنيين في الرها بعد سقوط المدينة على يد عياض ،  
ما خلا إشارة من الاسقف يعقوب الرهاوي (توفي سنة ٧٠٨) لأحد تلاميذ  
برديسان الذي كان يناقش عن مقدرة علمية عن القدر وتأثير الكواكب .  
ومهما يكن فإن الوثنيين في حران حافظوا على مذهبهم لعدة قرون أطول .  
وكان بشير المدعي للعرش الامبراطوري البيزنطي قد طلب معونتهم ،  
وكان قد ظهر صنم لهؤلاء « المانويين (٣٤) » في زلزال في بادانا رايثا  
قرب حران سنة ٨ - ٧٦٩ . وفي السنين التالية أعدم الكثير من المسلمين  
الذين وقعوا في شرك الوثنية . تورط ثمانية من أسرة غوماية ، التي  
كانت تخميناً مسيحية ، في هذه التهمة ، وبعد عذاب طويل مات ثلاثة  
منهم في السجن وأخلي سبيل الآخرين . ولكن في سنة ١٦-٨١٧ سمح  
لوثنيي حران بممارسة طقوسهم علانية . وقد سمح لهم ذلك نفس  
الحاكم المسلم الذي أمر بهدم الكنائس في المدينة بحجة أنها كانت مبنية  
حديثاً . على أي حال ، فإن هذه هي الحكاية التي شاعت بين مسيحيي  
الرها ، ومهما كان صدقها ، فإنها تشير الى وعي الرهاويين بأن حران  
لم تكن بعيدة ، حران ذلك « العش الوثني » ، وبسكاتها « الموبوءون  
بقرحات عبادة الأوثان » .

ان التسامح الشرعي الذي أعطي للمسيحية تحت حكم الاسلام ،  
والذي تعرض لنزوات متقلبة من بعض الحكام ، لم يوقف انحلال الطائفة  
المسيحية في الرها بصورة بطيئة ، ويكتب كاتب سرياني :

٣٤ - اطلق الكتاب المسلمون تسمية « المانويين » على جميع الوثنيين بكل صنوفهم .

« كانت الأبواب مفتوحة أمامهم [ليدخلوا] الاسلام . وانزلت المتقليون والمنحلون نحو حفرة وهدة الهلاك ، وخسروا أرواحهم كما خسروا أجسادهم - أي كل ما نملك . . . انزلقوا نحو المروق دون لطفات أو تعذيب في تهور عظيم . وكانوا يشكلون جماعات مكونة من عشرة أو عشرين أو ثلاثين أو مئة أو مئتين أو ثلاثمئة شخص دون أي نوع من الاكراه . . . كانوا يذهبون الى حران ويصبحون مسلمين أمام موظفين حكوميين . لقد فعل ذلك جمهور غفير . . . من مقاطعات الرها وحران وتلا وراسعيننا (٣٥) . . . »

ويستمر المؤلف المجهول في وصف موجة الخداع والافتراء التي غمرت القرى المسيحية . ففي هذا الجو من عدم الثقة كان اعتناق المذهب السائد أكثر أماناً . وفي حالة اتخاذ هذه الخطوة كان لا رجعة منها . والدينا روايات عن مسيحيين مجاورين للرها اعتنقوا الاسلام ولكن الندم وتبكيك الضمير أقلق راحتهم . . . ولم يكن الضعفاء وحدهم يقبلون على الاسلام ، بل الأكثر طموحاً ومقدرة بين المسيحيين دفعوا أيضاً الى السعي وراء الفوائد الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تعود على الذين دخلوا الاسلام . هنا وفي هذا التحول والابتعاد التدريجي لأكثر أعضاء الطائفة موهبة عن مذهبهم قد يكمن تفسير الحقيقة الغربية بأن الطائفة لم ترص صفوفها قط ضد خصمها المشترك الاسلام . واستمر التناحر المذهبي المسيحي دون خمود في الرها .

عندما سقطت الرها في أيدي المسلمين سنة ٦٣٩ كانت المذاهب الثلاثة الرئيسية لمسيحيي بلاد ما بين النهرين وهي النسطورية والملكية والمونوفيسية ممثلة فيها ، وكان النساطرة الذين نصب أسقفهم ، لأسباب سياسية على الأغلب ، من قبل خسرو أبرويز عندما اجتاح الفرس ما بين النهرين ، قد حققوا تقدماً بسيطاً . ويقال انه كان هناك نسطوري يدعى سهدوثا برتبة اسقف في الشرق انقلب الى مذهب اليعاقبة في الرها وانتخب مطراناً هناك في النصف الأول من القرن السابع . وتدعي مصادر أخرى أنه كان مطراناً على الطائفة الملكية . ومهما يكن فانه ارتد بعد وقت قصير الى اعتقاداته السابقة وطرد من منصبه . وقضى أيامه ناسكاً بين التلال خارج المدينة . وهناك رسالة كتبت حوالي سنة ٦٥١ من أديابين الى نساطرة الرها يذكر فيها رئيس كهنة ، ورئيس شمامسة ، وممثل علماني ، ورهبان وعلمانيون آخرون

ويبدو أنه لم يكن هناك كاهن برتبة مطران • والطائفة كانت لا تزال مستمرة في الرها في أواخر القرن الثامن وما بعده •

أما الملكيون ، كالتساطرة ، فقلما كان يشير إليهم الكتاب المحليون ، الذين كان معظمهم مونوفيسييين ، أثناء القرون الثلاثة الأولى من مجيء الاسلام • ومهما يكن من أمر ، توجد لدينا قائمة بأسماء كهنة الرها لسنة ٧٢٣ وهي مؤلفة من مطران العاصمة ورئيس كهنة ، ووكيل للخروج ، « وكاهن درجة ثانية » ، وكاهن مسؤول عن الكنيسة التي كانت « ايقونة الرب » ، صورة يسوع ، محفوظة فيها(٣٦) ، وكاهن آخر مسؤول عن سجلات الكنيسة ، ورئيس شمامسة ، وشماس يحفظ المخازن ، ورئيس شمامسة من درجة دنيا يقوم بمهمة أمين السر ، ورئيس القارئ ، ورئيس جوقة المرتلين اليونان ، ورئيس جوقة المرتلين السريان ، وشماس المعمودية • وكان منصب مطران الملكيين في الرها قد شغله ربما سنة ٨٣٦ شخص يدعى ثيودور اذا صدقنا سيرة حياته المعزولة لابن أخيه(٣٧) • ويقال ان ثيودور المذكور الذي ولد في الرها أمضى ما ينوف عن عشرين سنة من حياته في عزلة قرب بيت المقدس قبل رجوعه ليستلم منصب الاسقفية في بلدته • وتوفي بعد حوالي ثلاثين سنة • وتمزق الأسطورة اليه ما هو بعيد الاحتمال ، وهو أنه شفى كلاً من الخليفة في بغداد وامبراطور القسطنطينية ، ثم قيامه بحملة ناجحة ضد الهرطقة في الرها نفسها • وكان أحد مستشاري ثيودور عمودي يدعى ثيودوسيوس عاش على عموده في الرها مدة تسع وأربعين سنة • والكنائس الملكية في الرها التي تذكر هذه السيرة لحياة ثيودور هي كاتدرائية سيدنا الرب وكنيسة الرسل القديسين • وكان هناك خارج المدينة دير للراهبات وكنيسة مار جرجس •

أما الطائفة الثالثة وهي الطائفة المونوفيسية المناهضة للخلقيدونيين فقد كانت تتألف في منتصف القرن الخامس من جماعتين منفصلتين : السريان أو اليعاقبة والأرمن • وكان لكل من الطائفتين السريانية

٣٦ - من المفيد المقارنة بين هذا الادعاء وادعاء اليعاقبة باقتناء الصورة الاصلية ليسوع • راجع ص ١٨٥ من الكتاب •

٣٧ - مهما يكن فقد نوقش الأمر عن ثقة بان هذا المطران ثيودور لم يكن شخصية تاريخية ، وان سيرته مبنية على سيرة أسقف حران المعروف جيداً بثيودور أبو قره الذي توفي في مستهل القرن التاسع ، وكان رهاوياً أيضاً • راجع الصفحة ٣٦١ • كان هناك أسقف ملكي لحران يدعى ثيودوريكس بوخلا قيل انه عزل في سنة ٨١٣ - ٨١٤ لتعليمه عقائد هرطقية ، وكان يعرف ولا ريب ، بثيودور أبو قره •

والأرمنية كالتوائفة الفارسية مدرسة خاصة بها في الرها في ذلك الوقت .  
وكان الأرمن فئة من السكان معترفاً بهم في زمن حكم الخليفة عبد الملك (٢٨) .  
وفي سنة ٧٢٨ عقد مجلس للكنيسة الأرمنية في منزيرت حضره  
مطروفوليط الرها وفيه رفض المجمع الخلقيدوني ، وأقيم اتحاد بين  
الأرمن والسريان وأسست ممارسات طقسية معينة فيما بينهما لا تزال  
سارية حتى الآن .

أكبر طائفة في الرها كانت ولا ريب طائفة السريان اليعاقبة .  
ربما لم يكن لديها ميل للانشقاق ، أكثر مما لدى المذاهب الأخرى ، ولكن  
كان بينها كهنة يشيرون الشعب ويرتشون . ومصيبة السريان اليعاقبة  
هي أن معظم الكتّاب المعاصرين في ذلك الوقت ينتمون إليهم ، لذا سجلوا  
أحوالهم بتفصيل العارف المدقق . ويعلن أحد أولئك الكتّاب دون مواربة  
بأن المطارطة لليعاقبة كانوا « متعجرفين متفطرسين شرسين ، محبين  
للخصام ، دهاة . . . لا يضعون شريعة الله أمام أعينهم » . وأنه لأمر  
يثير الاهتمام أن يحتج الزعيم اليعقوبي ديونيسيوس عندما أعلن المأمون  
أن أي عشرة اشخاص ينتمون الى جماعة واحدة باستطاعتهم الالتماس  
لدى الخليفة للحصول على اعتراف رسمي بهم كأصحاب مذهب ديني .  
ووضّح البطريرك بأن هذا سيشجع الانشقاق في كنيسته ، فأجاب الخليفة  
المأمون بحدة : « انكم تزعجوننا . . . أيها المسيحيون ، وأنتم اليعاقبة  
أكثر من الكل حتى لو تغاضينا عن الشكاوى التي يأتي بها الواحد  
منكم ضد الآخر » .

إذا أخذنا النصف الثاني من القرن الثامن فقط بعين الاعتبار نجد  
مدى انتشار الفساد بين قادة اليعاقبة أمراً يدعو الى الدهشة . لقد قُدح  
في البطريرك ايوانيس وفضّح أمام الخليفة نفسه من قبل أحد مطارنته  
الرئيسيين . واتهم أثناسيوس صندلايا ، أسقف ميافرقاط ، رئيسه علانية  
بالتجديف على الاسلام ، والصلح الذي جرى بين الحبرين سنة ٧٥٢-١  
كان قصير الأمد . وقيل ان اسحق خليفة البطريرك ايوانيس قتل راهباً  
متجولاً بعد أن استضافه في دير الكائن في بيت بركسي (مكان الأبراج)  
على التلال خارج الرها . وكان الراهب يدعي أنه يمتلك اكسيراً يحول  
الرصاص الى ذهب . فأمل اسحق أن يجد المعادلة السرية السحرية في ثياب  
الرجل المقتول . ولكنه لم يجد سوى كيسه الفارغ . ومع ذلك لمح اسحق  
في بعض الدوائر بأنه تعلم العملية السحرية ، وبواسطة التدخل الشخصي  
من الخليفة المنصور نال ترقية سريعة على كرسي أبرشية حران وأخيراً

الى السدة البطريركية . ولكن ادعاء اسحق الكاذب فضح أمام الخليفة فختق سنة ٧٥٦-٥ وألقيت جثته في نهر الفرات . وخلفه على الكرسي البطريركي اثناسيوس صندلايا الذي قتله شعب حران في الليل لمحاولته تنصيب مرشحه بطريقة مخادعة على كرسي أبرشيتهم الشاغر . أما البطريرك التالي واسمه جورجيس فقد افتري عليه في بلاط الخليفة داود اسقف دارا وآخرون ، فعذب وسجن لتسع سنوات ، ثم عزل عن كرسيه في النهاية . وأما خلفه يوحنا الرقي فلم يعترف به بعض السريان اليعاقبة كبطريرك شرعي كما لم يعترفوا بشرعية سلفيه اسحق وأثناسيوس . وعند وفاة يوحنا الرقي سنة ٧٦٣-٢ انتخب داود الداري بطريكاً . وكان يتجول مخفوراً أينما ذهب بحرس من الفرس منبهوداً من زملائه في الكنيسة . وفي سنة ٧٧٥ منح الخليفة المهدي الحرية للبطريك جورجيس السابق وأخرجه من السجن . ولكن قصة الكنيسة استمرت عاصفة . وعند أفول القرن الثامن قوبل البطريرك قرياقس بمعارضة مستمرة من اكليروسه قابلهما هو بالحرومات واللعنات وبمجامع لا جدوى منها .

في بحر هذه القرون كانت حران مركزاً هاماً للنشاط اليعقوبي ، وانتخب العديد من البطاركة ، وعقدت عدة مجامع في الأديرة حولها . وكان اهتمام الكنيسة موجهاً بصورة حتمية نحو الرها . وفي كل حال كانت الرها تدعي أنها « أعلنت عاصمة لما بين النهرين منذ زمن آدائي » . وتصرف مطرانها طيموثاوس بغضب عندما منح أثناسيوس صندلايا اسقف ميافرقاط درجة مطروفوليط (مطران العاصمة) ولم تمنح الدرجة له (٣٩) . وعند وفاة طيموثاوس سنة ٧٦٠-٦١ أراد اليعاقبة أن يعينوا مكانه ناسكاً يدعى شمعون الذي كان قد حبب نفسه لهم فقط بل للمسلمين والهراطقة أيضاً بفضائله ، وخاصة بتسامحه وأريحيته نحو الغرباء والفقراء . أخذ ورسم مطراناً بالقوة فصرف اليومين التاليين بالصوم . « ونظراً الى أنه وجد هواء الرها يضغط عليه » اعتزل الحياة بعدئذ في دير والدة الله بين التلال جنوبي المدينة ، وقد احتج بأن الرهاويين شعب « صعب المراس » لذا أغرى راهباً حبشياً بالمجيء من آمد للرها ، ولكنه هرب من المدينة في الليل عندما علم بأن القصد هو اغراؤه بقبول كرسي الأبرشية . وأخيراً عين شخص يدعى زكريا مطراناً وتوفي سنة ٧٦٩-٨ وحل مكانه راهب من قرتمين « وكان رجلاً خسيساً لا يذكر الله بتاتا .

٣٩ - لم تكن معارضة طيموثاوس سليمة كلية ، صحيح أن مطران الرها كان عادة هو مطروفوليط اقليم الرها ، ولكن الآن منح أثناسيوس لقب مطروفوليط ما بين النهرين ، وكان هذا عادة امتياز مطران آمد .

وغدا مطرانا ليس لأنه استحق المطرانية بل لأن الرهاويين يستحقونه (٤٠)»،  
ولكن تعيينه لم يُثبِت وبقيت الأبرشية دون من يشغل كرسيها .

وفي سنة ٧٨٤-٣ عزل زكريا مطروفوليط الرها عن كرسيه من قبل  
البطريرك بتحريض من المواطنين الذين أعلنوا أنه رفض توبيخ أخيه على  
سلوكه السيء الشرير . ونصبوا على الكرسي مطرانا آخر باسم زكريا  
أيضاً . ولكن « الاكليروس بأجمعه عارضه ناهيك عن الجمهور » سنة ٧٨٦،  
فطرده البطريرك جورجيس . وانتخب البطريرك يوسف فيما بعد بمجهود  
كبير من زكريا الذي أتى مع البطريرك الى الرها أملاً في أن يتمكن  
البطريرك ارجاعه الى كرسي الأبرشية ومكثا في معبد القديس قوزما  
سنة ٧٨٩-٧٩٠ . ولكن الرهاويين رفضوا الاذعان لتقاش البطريرك  
فانسحب باهتياج ولم يدخل المدينة . وبعد سنتين جدد بطريرك آخر ،  
اسمه قرياقس ، الالتماس لمصالح زكريا ولكن دون نجاح أيضاً . وفي نهاية  
الأمر توصل الى مصالحة ، حين منح زكريا السلطة على أربع مقاطعات  
من الأبرشية ولكن ليس على العاصمة نفسها ، ورسم البطريرك قرياقس  
مطرانا للرها اسمه باسيل ، وعندما شغل كرسي الأبرشية مرة أخرى عين  
البطريرك للمنصب كاهناً يدعى ثيودوسيوس ، ولكن ضد رغبة الشعب ،  
فقدت المفاوضات في الرقة ضرورة بين البطريرك والرهاويين قبل أن  
يقبلوا مرشحاً .

## الأدب

في القرون الأولى من حكم الاسلام حصل السكان المتكلمون باللغة  
السريانية في الامبراطورية الاسلامية على مراتب بارزة في حقول العلم  
والأدب . وكما لاحظنا كان لهم نشاط فعال لأمد طويل في ترجمة روائع  
الفكر الاغريقية الى اللغة السريانية . ولعبوا الآن دور ناقلي الحضارة  
الفربية الى الحضارة العربية الناشئة . واستمر نشاطهم حتى عندما أصبح  
المسلمون أنفسهم قادرين على فهم اللغة الاغريقية وترجمتها مباشرة الى  
العربية . ان المنافسة في تحويل أشكال الفكر والتعبير من لغة الى أخرى  
ليست مستمدة من السيطرة البسيطة على اللغات بقدر ما هي مستمدة من  
تلك المرونة العقلية والسيطرة على أساليب التعبير والاصطلاحات التي  
كانت عنصراً فريداً في هذه الجماعة الأقلية - السريان - ان مساهمة

الشعب الحراني العظيمة ، وخصوصاً الوثنيين منهم ، في الحضارة الإسلامية تقع خارج نطاق هذا الكتاب (٤١) . أما أولئك الذين كانوا مواطنين في الرها أو مقيمين فيها فلعلهم ساهموا بمقدار أقل ، ومع ذلك فقد كانت كتاباتهم ذات أهمية حقيقية .

ولد يعقوب الرهاوي قرب أنطاكيا وعين مطراناً للرها نحو سنة ٦٨٤ ، إلا أنه غضب سنة ٦٨٧ على الرخاوة التي فسرت بها قوانين الكنيسة ، فاستقال من منصبه بعد أن أحرق علانية نسخة من الأنظمة الكليريكية ، وانعزل إلى حياة الرهبنة . واستدعي ثانية إلى كرسي أبرشية الرها سنة ٧٠٨ ولكنه توفي بعد أربعة أشهر فقط من رجوعه (٤٢) . كان يعقوب الرهاوي رجلاً متضلعاً بارزاً في التوراة ، وأنهى تنقيح نص سرياني للمعهد القديم سنة ٧٠٣ . ولبروزه كعالم لاهوت ، أكسبته تعليقاته على التوراة لقب « مفسر الكتاب المقدس » ، وكان مؤرخاً أيضاً ، ولكن لسوء الحظ لم يبق إلا القليل من كتاباته في هذا الحقل ، وساهم يعقوب مساهمة فريدة أيضاً كمترجم وفيلسوف ومراسل لا يكل ولا يمل . وفوق هذا وذاك كان نحويًا . واستنباطه الرموز لتمثيل حروف العلة السريانية - لتكتب على السطر بجانب الأحرف الساكنة - كان انجازاً بارعاً لا مثيل له .

ان أعظم كتابات يعقوب الرهاوي هو الهكساميرون غير الكامل . وهو أول محاولة في السريانية لوصف العالم وظواهر الطبيعة في إطار قصة الخليفة في التوراة . ان ميله الحيوي نحو التحليل العلمي يصوره لنا اختبارات التي تذكرنا باختبارات القديس أفرام قبل ثلاثة قرون . يضع يعقوب الرهاوي الماء والتراب في اناء زجاجي ليظهر علاقة الهواء والماء والتراب في الكون . يغطس اناء زجاجياً ضيق العنق فجأة في الماء ليظهر « الصراع » بين الهواء والماء اللذين يحاولان دخول حيز ضيق . ان « الهكساميرون » يعكس المدى الذي كانت فيه العلوم الطبيعية ، وخصوصاً الجغرافية ، تعلم في ما بين النهرين في ذلك الزمن . ولكن يعقوب الرهاوي لم يكن يكتفي بما يسمع ، وأصر على أن يستجوب هو نفسه البنائين الذين ادعوا أنهم رأوا بقايا انسانية متحجرة في « بلد الحرانيين الجبلي » . وهو يستعمل نقاشاً عقلياً ليدحض النظريات عن تأثير الكواكب على

٤١ - عملياً لم يبق شيء من كتابات وثنيي حران في اللغة السريانية ما خلا تبدأ من أعمال بابا Baba

وتاريخ هذه النبت بالضبط غير مؤكد ، إلا أنها بلا ريب تعود إلى العصر الإسلامي .

٤٢ - دفن في دير تلعدا حيث كان يعيش وقد ذهب إلى هناك كي يأتي بمكتبته إلى الرها . ويقال أنه قد حدثت عجائب عديدة على ضريحه .

مات اثناسيوس سنة ١٠٩٩ - ١١٠٠ وحزن عليه الرهاويون كثيراً لأنه كان زينة للكنيسة . وقام بطريرك آخر مكانه بنفس الاسم اثناسيوس . وكان رجلاً بارزاً في العلم وحائزاً على احترام كبير داخل وخارج كنيسته على حد سواء . وأمل في ابقاء كرسي أبرشية الرها شامراً كي يقيم هو نفسه فيها . وكانت الرها في رأيه أكثر المراكز ملائمة لطائفته ، لأن آمد في ذلك الوقت كان يحكمها حاكم مسلم غير متسامح تجاه المسيحيين بينما كانت ملاطية قريبة جداً من رهبان دير برصوما المحبين للخصام . وعلى كل حال فان يعاقبة الرها أصروا على أن يمارسوا حقهم في انتخاب مطران العاصمة . فاختاروا راهباً بارزاً لفصاحته ولودعيتته يدعى أبا غالب بار صابوني من ملاطية . وكان أخوه مطروفوليط ملاطية ، وقد قتله حاكمها بعد وقت قصير من اقامته في الأبرشية . غير ان انتخاب أبا غالب أثار حنق البطريرك الى درجة عظيمة ، ليس فقط لأنه كان يأمل في ألا يعيّن أحد لأبرشية الرها بل لأنه كان ينظر الى أبي غالب بعين الحذر وعدم الثقة . ومع ذلك لم تكن لديه حيلة الا أن يقبل التعيين . لذا فرض شرطاً في البداية . كانت هناك مجلدات من الأناجيل مجلدة بالفضة والذهب ، تخص خزينة البطريركية ، أخذها قائد يعقوبي رهاوي واستعملها كرهينة ليحصل على مال يقدمه رشوة لحكام المدينة . فأصر البطريرك على أن تعاد هذه المجلدات الى البطريركية . وقبل أبو غالب (٨١) بالشرط كتابة ، ثم كرس سنة ١١٠٠ - ١١٠١ باسم باسيل . أما البطريرك فقد أقتنع نفسه بالمثل الشائع « خذه وان كان لا يسرك » .

ووقع باسيل تحت تأثير بعض مشيري الخصام العنيد من أبناء الطائفة . ورفض ارجاع الأناجيل ، فنجمت فترة من النفور استغلها أشخاص ذوو نيات سيئة ، وزاد الخصام حدة وهيجاناً ناصحون لا مبدأ لهم من كلا الجانبين ، فحرم البطريرك المطران باسيل . ولكن باسيل استمر في سيامة الكهنة ، والبطريرك لا يعترف بهم ، الا اذا كرسهم هو مرة ثانية ، وتوسل اليه الكهنة ووجهاء من العلمانيين عدة مرات أن يحل باسيل من الحرم فرفض . وبلغ أمر الدسائس والانشقاق في الكنيسة اليعقوبية الى مسامح كل من الأمير بلديون في الرها وجوسلين وحتى ملك بيت المقدس ، وتدخل

٨١ - يجب الا يخلط بين أبي غالب هذا مع سميته ومعاصره الآخر الذي كان اسقف جيعون الى يوم وفاته سنة ٨ - ١١٧٩ ، وكان كاتباً غزير الانتاج في المسائل الاكثريكية .

البطريك اللاتيني الانطاكي برنارد شخصياً في النزاع . وتفاصيل الأحداث التي تلت تصور العلاقات بين اليعاقبة وسلطات الفرنجة .

واستدعى برنارد البطريك اليعقوبي الى انطاكيا وطلب منه أن يحل المطران باسيل . فأخبره بواسطة الترجمان بأن باسيل مدين له ببعض المال ، فهتف برنارد قائلاً : « يجب على المسيحيين ألا يجردوا مطراناً من رتبته من أجل دين من الفضة » ، ثم غيّر لهجته واستمر في كلامه مقترحاً بأن للبطريك أن يعتبر العملية كأنه أعطى قرضاً الى البطريكية اللاتينية . وطلب بعدئذ جلب وثيقة تعلن أن باسيل قد حل . ثم دعا البطريك اللاتيني البطريك اثناسيوس ليوقع عليها بحضور مطران العاصمة الرها ، فصاح البطريك قائلاً « انظر يا أبا غالب الى آية حالة أوصلتني . » فأجابه باسيل : « اذا كنت أنا ادعى [ دونما كلفة ] بأبي غالب ، فيجب أن تدعى أنت أيضاً بأبي الفرج ! » فأقسم البطريك اثناسيوس بحنق وغضب شديد انه يفضل أن تقطع عنقه على أن يحل المطروفوليط من حرمة . فكاد البطريك برنارد أن يأمر بضرب البطريك اثناسيوس حالاً ، لولا أن احتج أحد المطارنة على عدم لياقة هذه الأعمال في الكنيسة . وهرب البطريك اثناسيوس الى كنيسة أخرى . فأصدر البطريك برنارد تعليمات لا يسمح بها لأي انسان الاتصال به . وأصبح اليعاقبة في ضيق عظيم . غير ان الفيلسوف الملكي عبدالمسيح الرهاوي نصح اثناسيوس بأن يطلب الاسترحام من روجر أمير انطاكيا وأن يشفع استرحامه بهدية . فكان لهذا العمل تأثير سريع . فاحتج روجر لدى البطريك برنارد ، وذكره بأنه لا سلطة له على « السريان » . ووجد البطريك اثناسيوس نفسه حراً في أن يترك انطاكيا ويذهب الى دير برصوما .

واتسع الشقاق وعزل البطريك المطروفوليط ولكن الأمير بلدوين ، كالرهاويين الآخرين ، ساند باسيل ومنعه من مغادرة المدينة . وعندئذ استعمل البطريك سلاحه الأخير - أمر باغلاق كنائس الرها ، وبالاتقاع الأجراس ، وأن توقف خدمات القداس حتى أحد العنصرة ، وأصبح موقف يعاقبة الرها دقيقاً وصعباً . وراح بعضهم يحضر خدمات قداديس غير أرثوذكسية كما اكتسبوا عادة تعميد أولادهم في كنائس لاتينية . وتدخل الكهنة الرؤساء لدى البطريك وتعهدوا بالاختلاط مع المطروفوليط ، وبناء على ذلك أعيد افتتاح الكنائس ، وأصبح باسيل الآن معزولاً . ولم يعد يحمل عكاز الرعوية ولا يلبس التاج أو القميص الأسقفي عند

حضور خدمة القديس . واعتكف بعدئذ في أرض له كان قد زرعها بالاشجار شمال غربي المدينة في وادي سليمان . وفي الوقت نفسه أسس أحد خصوم المطروفوليط باسيل (الذي تعين مكانه شخص يدعى أغناطيوس) ديراً للراهبات في نفس المنطقة بمساعدة أغنياء آمد وبأيدي رهبان من التلال المجاورة خارج الرها .

كان البطريرك في هذه الأثناء في آمد ، ونجح ببعض الصعوبة في مغادرة المدينة ، وذلك بتدخل من ميخائيل بارشومانا الحاكم الإداري اليقويبي للرها ونائب الأمير جوسلين في المدينة . وزار البطريرك الأمير جوسلين في تل بشير في طريقه إلى دير مار برصوما . وبينما كان يقوم بخدمة القديس هناك فارقته قواه فجأة وتوفي بعد ستة أيام . وشعر الفرنجة الآن أنهم أحرار في التدخل في الأمور الكليزيكية لرعاياهم اليقويبية ، ووضع جوسلين يده على شعار البطريركية معلناً بأن الانتخاب لمنصب البطريرك يجب أن يتم في منطقتهم . وتم هذا . وأقيم الاحتفال في شباط سنة ١١٣٠ في الكنيسة العظمى للآتين بحضور مقرين الشرق والأمير جوسلين وضباطه . ووُصف البطريرك الجديد يوحنا بالانحلال ، والضعف في الأمور اللاهوتية ، ولكنه نشيط في الغضب والنزاع . وأول عمل قام به هو انه حل المطران باسيل من حرمه . ولا ريب في أن هذا العمل كان بناء على نصيحة من أسياده الفرنجة . ولكنه أتى بعد فوات الأوان ، لأن رسالة الغفران وصلت المطروفوليط وهو على فراش الموت . . . .

وانتقلت السلطة بين اليقويبية الآن إلى أيدي شخصين تدعوهما مصادرتنا بـ « أناس أشرار » - أحدهما عبدون وهو رئيس الكهنة ووكيل الخرج ، والآخر كاهن غني يدعى صليبا ، وكان فخوراً بمقدرته العلمية . وعندما أصبحت أبرشية الرها شاغرة اتفق الاثنان واتخذا الإجراءات لانتخاب رئيس الشماسة ووكيل خرج الكنيسة إلى منصب المطروفوليط ، أي أسقف العاصمة . وكان من أقرباء عبدون . وأُسبغ عليه الاسم الرسمي أثناسيوس . وكان لتعيينه وقع حسن لدى المواطنين لأنه كان رجلاً صالحاً ومحتشماً . وبقي ست سنوات وهو يتحمل دسائس ووقاحة نصيريه .

وعندما توفي اثناسيوس سنة ١١٤٣ أو ١١٤٤ نقل باسيل أبو الفرج بارشومانا أخو ميخائيل بارشومانا إلى أبرشية الرها . وكان من قبل مطران كيشوم . وربما حصل باسيل على تعيينه مطروفوليطاً للأبرشية بتأثير أخيه الحاكم الإداري للرها . وبناء على طلب أمير الرها فإنه اضطر حقاً للدفاع عن نفسه علانية ضد تهمة حصوله على الأفضلية ، وأتى

بشهود ليشبت انه قبل المنصب عندما أمره البطريرك نفسه أن يفعل ذلك .  
وحاز باسيل على مساندة زملائه المواطنين لأنه هو نفسه كان رهاوياً .  
واسترجع البطريرك اليعقوبي بواسطته سيطرته على شؤون أبناء طائفته  
في المدينة . كان رجلاً دنيوياً نشيطاً علاوة على كونه لاهوتياً وشاعراً  
ومؤرخاً . ونجح باسيل في كسب ثقة حكام الرها من مسلمين ومسيحيين  
على حد سواء أثناء تقلبات الحظ العنيفة التي مرت بها المدينة في هذه  
الفترة .

لم يكن التناظر الداخلي قائماً فقط بين اليعاقبة بل كانوا متخصصين  
أيضاً مع أفراد المذاهب المسيحية الأخرى . ففي سنة ١١٠٢ قام نزاع  
حول تلك المشكلة المثيرة وهي تاريخ عيد الفصح . ولم يظهر لاتين الرها  
اهتماماً بالمسألة . أما اليعاقبة الذين كانوا من قبل قد قاموا بدور متلائم  
مع الأرمن ، أصدقائهم المناوئين للخلقيدونيين ، فانهم الآن ، بموجب  
ما يقوله متى الرهاوي الأرمني ، تحت تأثير الخوف انضموا الى معسكر  
الملكيين « وتخلوا عن الحلف الذي شكلوه مع الأرمن » . وحدث حادث  
غريب سنة ١١٣٣-١١٣٤ يصور خلفية النزاع الطائفي بوضوح أكثر .  
ظهرت أسراب الجراد في ريف الرها ، فأتى اليعاقبة من ملاطية بنعمش  
مار برضوما الذي كانت يد القديس اليمنى محفوظة فيه . وحالما عرضت  
الذخيرة المقدس اختفى الجراد دون أن يحدث تلفاً في الغلال . . . . ويعلق  
الراوي اليعقوبي بأن الملكي « تمشياً مع عادتهم المكروهة احترقوا  
بنار الحسد (٨٢) » . فحرضوا رئيس الأساقفة اللاتيني أن يصر على فتح  
النعمش . ولم يشأ اليعاقبة أن يسمحوا بذلك وأتذروا أن عدم احترام  
كهنه سيجر كارثة وراءه . فاستهزأ الملكيون بهم وزعموا بأن التابوت  
قارغ . وبناء على ذلك عرض الأثر في كنيسة اللاتين ، وعلى الفور  
أرعدت الدنيا بهزيم مخيف واكتست السماء بالسحب وهطل على الشوارع  
دفق عظيم من البرد ، وصاح الشعب طلباً للرحمة . وخرّ الفرنجة ،  
كهنة وعلمانيين ، على وجوههم ، وفرّ الملكيون وخبأوا أنفسهم . وعندما  
توقف سقوط البرد اجتمع سكان المدينة بأكملها وأعلنوا بأن الأيام  
الثلاثة التالية ستكون وقت طلب رحمة وشفاعة ، وتوسل مسلمو حران  
أن يرسل الأثر المقدس الى مدينتهم كي يحفظوها من الجراد . رفض  
اليعاقبة طلبهم وأرجعوه الى ملاطية ، حيث رحب به بالاحتفالات  
والصلوات . ولم يوقع الجراد أذى بالغلال بل اقتات على القش ثم  
انسحب الى الصحراء والى الأراضي شبه المزروعة .

## زنكي يحتل الرها

لم يوسع الصليبيون ملكهم شرقي الرها ورغمما عن حسد بعضهم لبعض فانهم دبروا أمرهم في أن يحتفظوا بالأراضي القريبة من المدينة في قبضتهم . وكان هذا يرجع الى حد كبير الى بلادة القواد الأتراك باستثناء القائد مودود سنة ١١١٠-١١١٣ . ومهما يكن ، فان الفرنجة جابهوا في الأتابكي أمير الموصل عماد الدين زنكي خصماً ذا ذكاء وعزم وحيلة واسعة ، بينما كان حاكم الرها جوسلين الأصغر عديم الأثر والشأن . وكانت الرها شوكة في جنب الأتابكة ، وعمل زنكي كل جهده ليبقيها محايدة . وفي سنة ١١٢٩ بينما كان زنكي ماراً قرب الرها أرسل رسالة صداقة أعلن فيها رغبته في السلام مع الفرنجة . فأرسل الرهاويون له لقاء ذلك الهدايا والطعام والشراب . ولكن الموقف تبدل الآن . فقد جرّ جوسلين على نفسه عداء عماد الدين زنكي حين عقد ميثاقاً مع منافسه الأرتقي قره أرسلان حيث سلم هذا الأخير قلعة الى جوسلين . وسعى جوسلين بدوره لتحسين جانبه من الصفقة بتقديم مساعدة عسكرية . وحدث في هذه الآونة سنة ١١٤٣ أن مات الأميران المسيحيان اللذان ربما كان باستطاعتها كبح خطط زنكي التوسعية . ففي نيسان توفي الامبراطور البيزنطي يوحنا الثاني كومنينوس ، الذي كان الأمل يعمر قلبه بتعزيز مطلبه في بسط سلطته على كل من الرها وأنطاكيا . وفي تشرين الثاني توفي فولك ملك القدس .

وانتظر زنكي أحسن الفرص وراقب تطور الأحداث في الرها بواسطة حكام حران المسلمين . وفي نهاية سنة ١١٤٤ ترك جوسلين المدينة مصحوباً بقوة كبيرة . وبموجب ما يقوله أحد الكتاب ، كان يحضر نفسه ليقوم بغارة على منطقة الرقة ليقطع خطوط مواصلات زنكي ، وبموجب ما يقوله كاتب آخر ، كان يقصد الذهاب الى أنطاكيا . وبموجب كاتب ثالث ، كان يريد الذهاب الى تل بشير لاقتراف أعمال الفسق هناك . وفي الحال أرسل زنكي جيشاً لياغت الرها . فسار الجيش أثناء النهار ، وفي الليلة التالية ، ولو وصل في تلك الليلة لوجد السكان غير مهيبين كلياً ، ولكن المطر انهمر فضل الجند الطريق . واقتربوا من المدينة في الفجر عن طريق حران ، في يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من تشرين الثاني سنة ١١٤٤ . وعندما مروا في الريف جنوبي الأسوار لاحظوا بسرعة أن المدينة معززة تعزيراً خفيفاً . فأرسلت رسالة الى زنكي بواسطة الحمام الزاجل ، فأتى بعد يومين ليحيط بالمدينة من كل جانب .

أما الأحداث التي تلت فقد وصفت وصفاً دقيقاً إذ رواها أناس شاهدوها بأعينهم . نصب الأتراك خيامهم داخل التحصينات الخارجية ، واتخذ زنكي لنفسه موقعاً تجاه باب الساعات في الشمال ، على رابية فوق كنيسة المعترفين . واتخذ ابن السلطان موقعاً الى شرقه . أما الوزير فكان على بعد الى الشمال على تل الحرس . وعسكر فصيل آخر الى الشمال الغربي على قمة وادي سليمان في « سياج برصوما » [ من الواضح أنه سمي هكذا نسبة الى بستان مطران العاصمة أثناسيوس (٨٣) ] . وفصائل أخرى عسكرت غربي المدينة على باب النبع ، على رابية في المقبرة التي كان فيها ضريح القديس أفرام . وكانت هناك فصائل الى شرقي الباب الشرقي حيث كان الطريق الى حصن قيساس آنئذ بأيدي الأتراك . وكانت هناك فصائل الى الشمال والشمال الشرقي وجنوبي هذه النقطة قرب بستان بوزان (ربما بوزان الذي كان حاكماً للرها تحت امرة ملكشاه قبل ستين سنة) ، وكان هناك جنود آخرون خارج باب حران الى الجنوب وآخرون الى غربيهم تجاه القلعة .

أما في المدينة فقد كانت هناك بضع فرق من المرتزقة الذين لم ينالوا أجورهم لسنة كاملة وأكثر . وكان رؤساء الأساقفة لطوائف ثلاث موجودين : رئيس أساقفة الأرمن يوحنا ، ومطروفيوليط اليعاقبة باسيل بار شوماننا (الذي هو مؤلف تاريخ هذه الأحداث) . وأخيراً هيوغو اللاتيني الذي كان القائد الأعلى للدفاع . ويقول أحد مدوني الأحداث بأن المواطنين كانوا « فقط من صانعي الأحذية والحياكين واللبازين والخياطين والكهنة والشمامسة (٨٤) » . ولكن وليم الصوري يكتب بتوبيخ صارم قائلاً انه كان في الرها « سريان (٨٥) » وبعض الأرمن من غير المحاربين وخدم يجهلون كلياً استعمال السلاح ويعرفون فقط فنون التجارة » بالاضافة الى بعض أفراد من اللاتين . كان في الرها مؤن كافية من السلاح والماكولات كما كان لها سور قوي مع القلعة العليا والقلعة السفلى بأبراج عالية . ويضيف وليم الصوري : « لنجحت هذه الأشياء كلها ضد المهاجمة ، لو كان هناك شعب يريد القتال من أجل الحرية ويقاوم العدو بشجاعة » .

٨٣ - انظر الصفحة ٢٩٥ .

٨٤ - سجل الأحداث للمؤلف المجهول لحوالي سنة ١٢٣٤ م . Chr. ad. 1234

٨٥ - في النص الأصلي باللاتينية : كلدان .

ان ملاحظات واليم الصوري الانتقادية هذه انما تعكس ازدراء  
الفرنجة بالمسيحيين المحليين ، وهم مظلومون بهذا النقد من كاتب فرنجي ،  
فاذا كنا نثق بما يقوله باسيل بار شوماننا ، فانهم لم يتخلوا عن عنادهم  
الشرس ، وروح العزم والارادة الذاتية في وجه أحداث شاذة طاغية ،  
« لقد قاوموا مقاومة شديدة وصمدوا [أمام الهجوم] بشجاعة طالما كانوا  
قادرين على ذلك (٨٦) » . ولم يترك الأتراك شيئاً هذه المرة للصدف .  
فأقاموا الاستحكامات الترابية ، ونصبوا آلات الحصار ، وانهالوا على  
الأسوار بالتدمير ، وأهالوا وابلا من النبال على داخل المدينة ، وحفروا  
الخنادق تحت الجسر خارج الباب الشمالي . وأراد زنكي أن تسلم المدينة  
كي لا يهلك سكانها ، والا تدمر (المدينة) (٨٧) . وتوسل الى الرهاويين أن  
يسلموا تحت شروط متفق عليها . ولكن « لم يكن هناك أحد في المدينة  
له الكلمة الحاسمة . . . وأجابوا زنكي بالاهانات والشتائم (٨٨) » .  
ومع ذلك فقد كانت تحصينات المدينة لا أمل فيها . وقد علمنا أن هيوغو  
رفض أن يضمن تعاون الجنود بتوزيع المال الذي كان قد كدسه ، وأصاب  
الشعب الانتهاك من شدة الجوع لأن حصار زنكي كان محكماً . « وأرهقت  
النساء والفتيات من التعب الى حد يفوق الوصف وهن يحملن الحجارة  
والماء والضروريات الأخرى للرجال المحاربين . وكن هدفاً متواصلًا  
للمنجنقات ، وأحدثت ثغرة في السور وقوضت أسسه . وكانت نفايات  
من ألواح الأخشاب مكدسة والفجوات قد حشيت بمواد مشبعة بالنفط  
والدهن والكبريت جاهزة لاضرام النار فيها . وراح باسيل يقنع رئيس  
الأساقفة اللاتيني أن يكتب لزنكي ويطلب منه هدنة ، أملاً في أن  
الصلبيين قد يستجيبون لالتماسهم ويرسلون قوة نجدة من أنطاكيا أو  
من القدس . ونحن على يقين من أن زنكي كان سيمنح هذه الهدنة .  
ولكن الرسالة وقعت في يد ( رجل جاهل يتعاطى بيع الأقمشة ) فخرقها  
الى تنف علانية . . . وحدث اضطراب عظيم ، ولم تسفر هذه الخطة  
النافعة عن شيء (٨٩) » .

بموجب احدي الروايات دعا الأتراك الرهاويين لياتوا ويتفحصوا  
أعمال الحصار لاقتناعهم بأن لا سبيل لهم سوى الاستسلام . وبالفعل  
كانت أجهزة التقويض قد جهزها حلبيون لهم معرفة جيدة بطوبوغرافية  
الرها . وبعد حوالي أربعة أسابيع من بدء الحصار ، وفي اليوم الثالث  
والعشرين من كانون الأول ، أو ليلة عيد الميلاد ، أضرم جنود زنكي النار  
في العوارض قرب الباب الشمالي . وأتت لهب النيران على الدهن

والكبريت وحملت ريح شمالية الدخان نحو المدافعين ، فتداعى السور العظيم وسقط معه برجان الى الأرض ، وبرهن البناء المؤقت الذي أقامه الرهاويون داخل السور على أنه قصير العمر . وحارب الرجال والنساء وحتى الرهبان من تلال الرها في الثغرتين منذ الفجر ، وفي الساعة الثالثة اندفع الأتراك وفتحوا لهم طريقاً الى المدينة على جثث القتلى . وكان زنكي قد أباح المدينة لجنده لينهيوها مدة ثلاثة أيام . وفي اليوم الأول قتل نحو ستة الاف من الرهاويين الذين لا نصير لهم . وعندما رأى الأولاد والنساء والشباب العدو يقتحم الشوارع ركضوا نحو القلعة العليا في جنوبي المدينة « يدفع الواحد منهم الآخر ، صفاً فوق صف ، من خوفهم من الموت والاستعباد ، وراحوا يندفعون الى فوق ويدوس بعضهم البعض (٩٠) » ، ولكن بوابة القلعة كانت قد أغلقت بأمر من رئيس الأساقفة هيوغو . وكان الشعب « قد اختنق وديس عليه ككتلة متماسكة (٩٠) » وهلك منهم نحو خمسة آلاف نفس بتماسة ، وأخذ نحو عشرة آلاف ولد وفتاة الى العبودية . وقتل هيوغو نفسه بضربة فأس وهو يهجم بدخول القلعة . كما قتل العديد من الكهنة والشمامسة والرهبان . وعندما دخل زنكي المدينة ودهش لجمالها ، أظهر شهامة فأمر بوقف المذبحة . ورأى رجلاً شيخاً حليق الرأس وقد جرد من ثيابه يجرب الجبل ، وعلم أن هذا الرجل هو المطروفوا ليط أليعقوبي ياسيل بار شوماننا ، وعندما وجده يتكلم العربية ومهوباً جداً بالفكر والدكاء ، أخذه الى خيمته وعامله بلطف . وعند بوابة القلعة أمر القائد بحفظ حياة الذين في داخلها . وبعد يومين من دخول الأتراك سلم المدينة رجل يدعى برصوما . وانتهت المقاومة .

وفي اليوم التالي وضع الأتراك حرساً على المدينة كي لا يبقى المواطنون تحت رحمة الجنود ، وكذلك منع الجيش من دخولها . وقام زنكي بجولة ليعاين السجناء . ويبدو أن بعضهم كانوا قد سيقوا وأنقذوا بعيداً ، ولكن آخرين منهم رجعوا الى بيوتهم محملين بالحنطة والضروريات الأخرى . وكان هناك نحو ألفي امرأة وولد وجدوا في القلعة العليا أخذوا جميعاً الى العبودية . وأطلق سراح نحو عشرة آلاف جندي . أما الذين اختبأوا في القلعتين أو تحت الأرض ففرّوا وخلصوا . وأبقوا على حياة اليعاقبة والأرمن والملكيين . أما الفرنجة فانتزعوا منهم ذهبهم وفضتهم وأواني وكؤوس وطاسات وصلبان وجواهر كنائسهم - وتقول بعض الروايات أنهم قتلوا كل أفرنجي وجدوه - أما الكهنة ووجهاء

الرها فجردوا من أموالهم وأرسلوا إلى حلب ، وفصل المهنيون عن بعضهم وأشغلوا في مهنتهم كسجناء . ووضع نحو مئة رجل تحت التعذيب ثم قتلوا . أما المواطنون الذين بقوا على قيد الحياة فقد سمح لهم بالاحتفاظ ببعض الممتلكات وأعطوا بعض الثيران والعلف . وجعلوا باسيل بار شوماناً يقسم على الصليب بأنه سيبقى مخلصاً إلى أسياده الجدد في المدينة ، وأكدوا له :

« اننا مستعدون أن نعاملكم بالحسنى وأن نفرج عن الذين أخذوا منكم أسرى . وأنتم تعلمون جيداً عندما فتح المسلمون هذه المدينة . . . بقيت تحت حكمهم مدة مئتي سنة وكانت مزدهرة كعاصمة . أما اليوم فقد انقضى خمسون عاماً منذ أن احتلها الفرنجة انهم عاشوا فيها الفساد ودمروا أراضيها تدميراً تاماً (٩١) » .

بعد أن دخل زنكي الرها بأربعة أيام ذهب إلى حران والرقعة تاركاً في الرها حاكماً اسمه زين الدين علي كوجوك « رجل صالح عمل الكثير من المعروف (٩١) » ومعه سبعة نواب . وفي كانون الثاني سنة ١١٤٥ سقطت سروج في يد زنكي ، ومن هناك سار جيشه إلى بيرثا على نهر الفرات . وبعد حصار دام أربعين يوماً خلصت فقط بانسحاب زنكي ليعالج ثورة قامت في بلده .

لم يكن احتلال الرها انتصاراً باهراً بنوع خاص . ويصف ابن الأثير هذا الانتصار بمبالغة واضحة عندما يقول معلقاً انه عمل حربي رائع كواقعة بدر . . . ولكنه كان على صواب عندما وصف الرها بأنها « في واقع الأمر عين ما بين النهرين وأقوى الحصون في الديار الاسلامية » . وقابل الخليفة زنكي بالتبجيل والألقاب الباذخة فسماه « زين الاسلام ، الملك المنصور ، الغازي ، ناصر أمير المؤمنين » . وأهداه جياداً عدتها من ذهب ، وسيفاً ذهبياً وراية وداراً وعمامة سوداء .

أما بالنسبة للصليبيين ، فقد كانت نتائج سقوط الرها خطيرة . انها قضت على طموحهم للسيطرة على أراض شرقي الفرات . وذاع النبا في العالم المسيحي بأن مدينة أيجر سقطت في أيدي المسلمين ، وبدأ الخطر وكأنه يهدد أنطاكيا المسيحية وحتى القدس نفسها . فكما اعتبر تماماً إعطاء الرها لبلدوين سنة ١٠٩٨ علامة شؤم لسقوط القدس ،

هكذا كان ضياعها شؤماً على المملكة اللاتينية (٩٢) . وقرع البابا يوجينوس الثالث جرس الخطر باستدعاء لويس السابع ملك فرنسا . وفي يوم عيد الميلاد سنة ١١٤٥ أعلن لويس السابع عن نيته بحمل الصليب وثبت كلامه في عيد الفصح في السنة التالية . وأنهضت بلاغة وحماس القديس برنار همم أمراء المانيا بقيادة الملك كوزاد ، ثم أعقب ذلك اجتماع الجمهور في حشد عظيم . وعرض كل من روجر ملك صقلية والامبراطور مناويل كومنينوس تقديم المساعدة . ولكن موجة الحماس التي حثت على الحملة الصليبية الثانية همدت . وكان النفور قد ظهر سنة ١١٤٧ بين الأمراء المسيحيين فقبولوا حالاً بكارثة عسكرية . وأقلعوا عن حصار دمشق سنة ١١٤٨ بفعل الحسد والبغضاء بين الفرنجة السوريين والصليبيين الغربيين ، وعاد الملوك الى أوروبا . وترك الأمر للقديس برنار ليكتب الخاتمة ، فأعلن بأن الحملة الصليبية كانت « هاوية عميقة جداً ، ويتحتم عليّ أن أدعوه مباركة كل من لم يصبه العار والفضيحة منها » (٩٣) .

لم يكن لمسيحيي الرها أي عزاء في ما أبداه مسيحيو الغرب من عواطف .

ولقد أحييت ذكرى كارثة ١١٤٤ بالمراثي في اللغة السريانية ، كما كتب الكاثوليكوس نرساي الرابع شنورها الي مرثاة في الأرمنية على خرائب المدينة ، يقول :

« وضعت أسسها عميقة في الأرض . . . متوجة بالتاريس والأبنية البديعة ، وهيكل محاط بدائرتها الجميلة . بيوتها وطرقها المكرسة للتجارة موضوعة بخطة متناسقة » ، ثم يقص حكاية دمار المدينة ومذبحة سكانها بلغة لا تخلو من المبالغة . لقد أفقدت الرهاويون الأسرى على قدر ما استطاعوا من مواردهم الشحيحة . غير أن مرونة الرهاويين الفريدة في مقاومة الضغط أكدت نفسها . ولكن مؤرخاً سريانياً يشكو أمرهم قائلاً :

« لم يتراجعوا عن طرقهم الشريرة . . . وحثهم المطروفوليط بأسيل على الرجوع عن أعمالهم وطرقهم الشريرة . . . لا سيما القادة والأثرياء ،

٩٢ - في وقت الشدة هذا بالذات وصلت الأشاعات الى البلاط البابوي بان ملكا عظيما ظهر في شرق فارس ، وهو كاهن نسطوري وامبراطور يشن الحرب ضد الكفار . واستمرت حكايات كهذه تنتشر لقرون عديدة في الغرب .

٩٣ - ومع ذلك ؛ وفي تاريخ لاحق ، أي في سنة ١١٥٠ ، اقترح الامبراطور على بياتريس اميرة الرها انه يجب عليها ان تتنازل له عن لقبها المذكور اثناء معاش سنوي ١

وعلى الأخص أعضاء الكنيسة . كان يكره الواحد منهم الآخر ويفتري عليه كما كان يشتهي الواحد ما عند الآخر ويعمل على ايدائه ، فكانوا يضطهدون ويأخذون بالقوة . . . وفي الحق انهم جعلوا حتى راعي الكنيسة المنهوك القوى يقاسي الكثير ، فنهشوا لحمه في السر كالدئاب ، وافقتروا عليه في غيابه . . . وعاشرت النساء الرهاويات الأتراك وأصبحن زوجات لهن وفق رغباتهن . وهذا ما أغضب الله بصورة خاصة ، لأنه قبل مضي سنة واحدة على وجود الأتراك في المدينة كان أكثر من مئة امرأة قد تزوجت من الكافرين (٩٤) » .

### الرها تحت حكم الأتراك

القد أرجع حكم الأتراك القوي الأمن الى المدينة بسرعة . ولدينا لمحة أخيرة عن الطائفة المسيحية في الرها وهي لا تزال تعيش بسلام وشؤونها مزدهرة سنة ١١٤٥ .

في تلك السنة زار زنكي الرها في موسم الحصاد . ترك جنوده عند نهر القلاب وأتى الى المدينة مع أشرفه وقواده وقادة المقاطعات ومستشارين آخرين في منتصف عيد العنصرة (الفنطليقسطي) ، وكان عين الدوالة قد أصبح حاكماً خلفاً لزين الدين ، وكان يساعده حاكم حران « الذي كان السبب في الاستيلاء على مدينة الرها » كمدير اداري . وكان الرهاويون قد بدأوا ينعمون بفترة من الحياة خالية من المنفصات بعد أن تحرروا من ضغط الحكم الصليبي . ان رواية زيارة زنكي تعطينا وصفاً يثير الاهتمام عن مظهر المدينة في هذا الوقت :

« خرج المطروفوليط [باسيل] والكهنة والشمامسة وجميع المسيحيين لاستقبال [زنكي] في جانب واحد ، وخرج المسلمون الذين تجمعوا من كل النواحي في الجانب الآخر ، وحييا [زنكي] المسيحيين ببهجة وأخذ الانجيل وقبله ، وألقى التحية على المطروفوليط وسأله عن صحته ، وقال له ( لقد أتيت اكراماً لك كي أجهزك بما تريد ) . ومرت عن باب المدينة الشرقي وذهب ليندخل من الباب الشمالي الذي احتل منه المدينة . وكانوا قد سدوا الثغرات في السور وأعادوا بناء سبعة أبراج دمرتها وسائل الحصار ، وقد أعيد بناؤها من الأسس بشكل أقوى من ذي قبل ، ثم كتبوا عليها بالعربية رواية الاحتلال واسم الحاكم [زنكي] . وكانوا

قد أطاحوا بكنيسة المعترفين خارج المدينة وبنوا السور من حجارتها ،  
ويدأوا أيضاً في بناء قصر للحاكم بجانب معبد مار يوحنا البديع حيث  
كان يسكن الحاكم (٩٥) ، وكانوا قد عينوا حراساً على هذا المعبد  
كي لا يمس أحد داخله بسوء . وكان الفرنجة قد رموه بشكل بديع  
فغيروا السطح وجددوا البلاط . كان يوجد فيه حوالي مئة نافذة عظيمة  
صنع لجميعها مشابك من الرصاص بحيث يدخل التور منها ولا تدخل  
العصافير . ولقد دفن فيه العديد من المطارنة والآباء منذ الأزمان القديمة .  
وفي منتصف المعبد وراء عرش المطران دفن مطارنة الفرنجة . والمطران (٩٦)  
الذي قتل عند سقوط الرها كان قد دفن هناك أيضاً ، وكان على ضريحه  
قطعة رخام حمراء قد نحتت في شبه المطران ، والضريح بأكمله مغطى  
بقطعة حجرية واحدة . وكان جسدا القديس أداي الرسول والمملك أيجر  
قد وضعا في المعبد في نعش من الفضة مصفح بالذهب (٩٧) . وعند سقوط  
الرها أخذ النعش وبعثت العظام ، ولكن المؤمنین جمعوها مع بقايا عظام

٩٥ - ان بوابة الرها الغربية الأصلية ( بوابة الأقواس أو العقود ) كان قد بطل استعمالها كما كنا  
قد ألمعنا سابقاً ( الصفحة ٢٢٩ ) وكان المسافرون من الغرب يدخلون الرها اما من البوابة  
الشمالية واما من الجنوبية الغربية بجانب ( بوابة النبع ) ( ص ٢٩٩ ) ، ويحتمل انها بوابة  
ساكايون قايسي الخالية الواقعة في جنوبي بوابات المياه وغربي بركة ابراهيم وتحت القلعة  
مباشرة . قد تكون هذه توسيعا للبوابة الصغيرة التي قيد منها مطران الملكيين سيفيروس لياقي  
حرقه على أيدي جنود نارسي حوالي سنة ٦٠٤ . ولكن قوس البوابة الغربية البيزنطية  
الأصلية لا يزال باقيا . فقد اكتشفه كاتب هذا الكتاب في سنة ١٩٦١ ، ثم تفحصه ثانية  
بصحبة الدكتور فهرفاري Dr. G. Fehérvári سنة ١٩٦٦ .  
ان البنيان القائم بجانبه كان ولا شك غرفة الحرس في الفترة الاسلامية المتأخرة ، وربما  
كان يشكل قسما من ( القصر ) الذي بناه زنكي سنة ١١٤٥ . انه يقع غربي بناية شركة  
الكهرباء العالية التي كانت نفسها كنيسة - ربما على كنيسة القديس يوحنا القديمة - انظر  
الخريطين ١ و ٢ ، والصورتين ٦ ، آ ، ب .

٩٦ - بالسريانية : بايباس .

٩٧ - بموجب نص غربي مجهول كتب قبل سنة ١١٠٩ كانت بقايا ايجر واداي الرسول قد وضعها  
بندبكت رئيس الاساقفة اللاتيني في ضريح من الفضة في الكنيسة . صفة ٢٩٢ . وهناك  
مخطوطة لاتينية أعدها روهريخت تعطي وصفا للرها بعد سنة ١١٤٤ وتشير الى « الدير الكبير  
المدشن بأسماء تداوس الرسول ويوحنا المعمدان وجرجيس الشهيد ، كان يقف شامخا فوق  
المدينة وله أربعة أبواب منقوشة ومصممة تصميميا بديعا » ويدعي الكاتب ان الكاتدرائية  
اللاتينية كانت كنيسة القديسة مريم وتداوس الرسول وجرجيس الشهيد . وقد يكون هذا  
خطا بخصوص كنيسة مار يوحنا التي كانت بجانب دير مار يوحنا .

قديسين آخرين ووضعوها في جرة في الخزانة الشمالية من كنيسة  
السريان المعروفه بكنيسته القديس تيودور (٦٨) .

وهكذا استولى المسلمون أيضاً على معبدي القديس اسطفان وتوما  
الرسول لأنه قيل ان الفرنجة كانوا يصلون فيهما . جعلوا من معبد  
القديس توما اسطبلًا ومن معبد القديس اسطفان مخزنًا للقمح والغلل  
الأخرى العائدة للحاكم . أما معبد المعترفين خارج المدينة الذي كان قد  
بني منذ حوالي مئة عام فقد هدمه كلياً ، كما قلنا . وهدموا معبدي  
القديس ثيودور وميخائيل الملاك في الجانب الجنوبي أيضاً من المدينة ،  
وبنوا من حجارتهما الأماكن التي كانت قد دمرت في السور في ذلك  
الجانب ، وفي القلعة العليا ، وأماكن أخرى حيث تطلب الأمر ذلك  
وهكذا أيضاً أعاد المسلمون بناء المسجد والحرم الاسلامي الذي كان قد  
جعل منهما مسكن مطران الفرنجة .

كما قلنا ، دخل زنكي بعدئذ من هذا الباب الشمالي الذي يدعى  
باب الساعات (٩٩) ، وسار باتجاه معبد القديس يوحنا . ثم انحدر إلى  
مصادر الينابيع وتفحصها بعناية . وبعد ذلك ذهب إلى معبد القديس  
توما وأكل خبزاً هناك . ثم استطى جواده مرة أخرى وصعد إلى النبع  
المستدير المسمى أبجاروس لأنه كان يوجد هناك في الأزمان القديمة قصر  
للملك أبجر هدم منذ أمد بعيد ، وفي ذلك المكان زرع بستان دعى [ببستان]

٩٨ - هذه كان موقعها في شمالي أسفل القلعة ( ويجب أن لا يتخلط بينها وبين كنيسة في داخل  
القلعة غدت فيما بعد مسجداً ) . وكان بجانبها دير أبجر ( صفحة ٣٠٩ ) ، والدير الأخرى ،  
ربما هو الدير الذي تشير إليه مخطوطة روهريخت بأنه كنيسة مار ابراهيم التي كانت كاتدرائية  
اليعاقبة . وفي نفس المخطوطة اشارة إلى كاتدرائية الارمن بأنها كنيسة « القديسة يوفيميا »  
التي ، ربما ، يجب أن تكون كنيسة مار افرام . صفحة ٢٩٣ .

٩٩ - تنص مخطوطة روهريخت Röhricht MS على أنه كان هناك أربعة أبواب وباب آخر  
دخل منه تداوس الرسول إلى المدينة ولكنه حفظ مغلقاً . والأبواب هي : باب الساعات ؛ وباب  
« الصخرة المعلقة » ( ربما هو ساكابون قايسي في الجنوب الغربي تحت صخرة القلعة  
العظيمة ) ؛ وباب « نعم na'm » بجانب « توريس نايمام Turris naimam »  
وهو باب قوي وعال ومبني بناءً حسناً وسيطر على المدينة بأسرها ( ربما يشير إلى القلعة التي  
يسمونها متى الرهاوي « قلعة منياساس العظيمة » . وقد يكون الباب باب حران في جنوب المدينة ،  
وليس بعيداً عن القلعة أو قد يكون باباً في داخل القلعة ) . والبواب الرابع يقع في المكان  
الذي « يدخل منه النهر إلى المدينة عبر كهوف صغيرة بعد أن يطوف حول أسوار المدينة ويجري  
تحت أسس دير كبير ويصبح جدولاً غلقت فوقه ( بقايا ) الرسولين توما وبرنابا في آنية ذهبية  
مطعمة بالجواهر بطريقة بدئية » ( تخميناً الباب الشرقي ) . وهذه التعريفات مهما يكن  
فليست أكيدة ، وتضيف المخطوطة بأن أسوار الرها كان يوجد لها مئة وخمسة وأربعون  
برجاً وحصناً مع سور خارجي مع حصن مزدوج لحمايته .

المطروفولييط حتى هذا اليوم (١٠٠) . ويعد أن تقدم الليل كثيراً صعد الى معبد القديس يوحنا لأنه كان مقيماً هناك ، وكانت خيام نبلائه منصوبة حول المعبد (١٠١) .

وفي الصباح سأل زنكي باسيل بار شوماننا عن البئر قرب دير قوزمانا الطبيب الشهيد ، (ادعاه الان الرهاويون كمقيم في مدينتهم) ، خارج باب حران . وقص عليه المطروفولييط قصة كانت شائعة في ذلك الوقت عن أحد « الشرقيين » وكيف سرق « المنديل » الذي عليه صورة يسوع من الكنيسة التي كان محفوظاً فيها . وقضى الرجل ليلته في دير قوزمانا ، ولكن المنديل احترق في جيبه فدب الرعب في قلبه سرماً في البئر . فصعد حالاً عمود من النار من البئر كما ظهر قرص لامع كالشمس في الماء . واسترجع المنديل . ويعد ذلك راح المرضى وخصوصاً غير المسيحيين منهم يستحمون في مياه البئر فيشفون من داء الفيل ، والبرص ، « والداء الأيجري » والنقرس .

« قال زنكي بعدئذ . . . اني أؤمن بأن بركة يسوع باستطاعتها أن تنتج عجائب كهذه » . كانت ساقاه مصابتين بالنقرس وكان يقاسي منهما كثيراً . فنهض وامطى جواده وأتى الى البئر ، وانتشل مياهاً منه وغسل ساقيه . وكان هذا الدير قد دمر منذ زمن ولم يبق منه سوى المذبح في القسم الشرقي منه . فأمر زنكي الحاكم أن تبني هناك تكية عظيمة لاستقبال وراحة المرضى والمبتلين الذين تجمعوا هناك وأمر كذلك بأن جميع الحقول المحيطة به يجب أن تكون لاستعمال التكية . ولكن الله لم يشأ أن يتحقق ذلك لأنه ألغى بموت الحاكم [بعد حين قصيراً] .

أتى زنكي الى كنائسنا اليعقوبية وتفحص جمالها . وأمر بأن يعطى لها جرسان عظيمان لنصيبهما عليها كما كانت العادة المتبعة في زمن الفرنجة . ويعد أن استعد اللرحيل أمر المطروفولييط والشعب بأن يبقوا ساهرين على حماية المدينة وألا يتأمروا على حكمه وغادرهم يوم الجمعة بعد أحد العنصرة ، وذهب الى حران ثم الى الرقة . . . لقد أتى بحوالي ثلاثمئة عائلة يهودية مع زوجاتهم وأولادهم وأسكنهم في الرها (١٠٢) .

١٠٠ - انظر صفحة ٢٣٤ .

١٠١ - سجل الأحداث للمؤلف المجهول لحوالي سنة ١٢٣٤ م . Chr. ad. 1234

١٠٢ - سجل الأحداث للمؤلف المجهول لحوالي سنة ١٢٣٤ م . Chr. ad. 1234

## كارثة سنة ١١٤٦

لسوء الحظ ، لم تنته حكاية الرها بهذا الحدث السار . ففي ايلول سنة ١١٤٦ اغتيل زنكي بينما كان يحاصر قصر قلعة جعبر ، الامر الذي أبهج أعداءه الذين لم يعترفوا مطلقاً بتسامحه وكرمه .

كان جوسلين قد التاع قلبه لفقدانه مقاطعته ، وبعد سقوط الرها سنة ١١٤٤ بوقت قصير تأمر الأرمن في المدينة على امتلاكها له ، فاكتشفت المؤامرة ونفذ الاعدام بالمذنبين . ولكن بموت زنكي عاد الأمل الى جوسلين فلم يكد يمر أربعون يوماً حتى قام مع بلدوين المرعشي وجيش صغير بمباغثة المدينة في الليل . ورفض أمير انطاكيا أن يشارك في المشروع . أما عنصر المباغثة فكان قد فقد ، فمسلمو حلب سمعوا بخطة جوسلين وأنذروا الحامية التركية في الرها . وأخذوا حوالي خمسين من البنائين والحدادين والفنيين المهرة المسيحيين كرهائن وتهيأوا للدفاع عن القلاع .

ووصلت جماعة جوسلين المتقدمة الى الرها يوم الأحد في السابع والعشرين من تشرين الأول . وعندما حل الظلام تسلقوا الأسوار ، من الواضح بمساعدة بعض الأرمن داخل المدينة ، وقتلوا الحراس وفتحوا الباب « بجانب مصدر المياه » أي في الناحية الجنوبية الغربية من الأسوار . ودخل القسم الرئيسي من فرسان ومشاة الفرنجة الى المدينة . ولكن « عديمي العقل الحمقى » كما يسميهم أحد المؤرخين (١٠٣) ، لم يشتبكوا مع الأتراك في القلاع ، بل انهم في نفس الليلة انصرفوا الى نهب الدكاكين وبيوت المواطنين ، مسلمين ومسيحيين ، صالحين وطالحين على حد سواء . وفي الحال اعتصم المسلمون مع عائلاتهم وممتلكاتهم في القلاع حيث استقبلوا هناك بهدوء ، وليس ، كما يعلق محدثنا ، « كتصرف الفرنجة الشرير عند الاستيلاء على الرها أول مرة ، يوم أغلقوا الأبواب وسببوا الكارثة التي خنقت الناس بفضاعة » . وهرب بعض المسلمين الى حران في أثناء الليل . وأعطى الفرنجة التعليمات الى باسيل المطروفوليط اليعقوبي أن يحضر الآلات لمهاجمة القلعة السفلى لانهم تأكدوا أن القلعة العليا لا يمكن النيل منها ، ولكن السفلى أيضاً برهنت على أنها قوية جداً . وقضى الصليبيون ستة أيام في نشاط لا طائل منه . وفي هذه الأثناء كان الأتراك يزداد تجمعهم حول المدينة . فحل اليأس في قلب جوسلين وقلوب رفقائه . وأمضى المسيحيون الرها ويون التمساء كل ليلة في خوف قرب المعسكر بجانب دير أبجر ، كنيسة اليعاقبة .

في اليوم السادس أعلم جاسوس جوسلين بأن هناك حوالي عشرة آلاف جندي تركي على التلال وفي السهل ، وهم مستعدون للانضمام الى قواتهم ومواطنيهم في المدينة صباح الغد . فصمم على الرحيل تلك الليلة . وفتح الباب الشمالي ، باب الساعات ، وابتدأ جيش الفرنجة بالانسحاب . ولكن المؤرخ يتساءل بمرارة :

« كيف كان من الممكن أن يخرج عدة آلاف من الرجال والنخيل وحيوانات الأحمال من باب واحد دون أن يذيع خبر ذلك ؟ . . . وعندما رأى الرهاويون . . . بأن الفرنجة راحلون . . . قامت المدينة في فزع عظيم وعلا زعيق النساء والأولاد . . . وكانت الليلة مظلمة ، ولم يكن هناك بصيص من نور ، فاندفع الجميع يركضون في الشارع المؤدي الى باب الساعات فاختلط الجنود المدججون بالسلاح والجياد والدواب مع الأولاد والنساء والأطفال يدوس ويسحق الواحد منهم الآخر دون شفقة . . . لم يمس الحزن قلب أحد ولم يمد أحد يده للمساعدة . وهكذا كان تفهيم المرير ، لقد تركوا بيوتاً مלאى بالبضائع والحاجيات ، الأبواب مشرعة والمصابيح مضاءة والأسرة مفروشة (١٠٤) » .

توقفت قوات الفرنجة والشعب معهم حول برج اسمه عمود النساك أمام معبد المعترفين ، وأحاط الأتراك بهم « يصبون السهام عليهم كالطر . واختلطوا بالجمهور وبدأوا في قتلهم كالثقابين ، وسمع صوت كصوت فؤوس تقطع في غابة (١٠٥) ، » واستتب النظام عند الفجر ، فسار بلدوين المرعشي الى مقدمة الجمهور وجوسلين في المؤخرة ، أما الجنود فساروا الى اليمين والى الشمال .

« قاوم الجند بشهامة وشجاعة ولم يدعوا الأتراك الاقتراب من الجمهور . . . وهكذا استمروا [ في طريقتهم الى شمشيشاط ] بتعب وخطر عظيمين . . . وكان الذين يطاردونهم يذبونهم كالخراف . أما الأولاد والأطفال فكانوا يركضون حفاة على الشوك الذي كان يمزق أقدامهم الغضة فتنزف بالدماء ، بينما كانت أسننتهم متدلّية من العطش وأفواههم مرة كالصبر وأسنانهم سوداء كالسخام . . . تسحقهم الحشود وتدوسهم

١٠٤ - سجل الأحداث للمؤلف المجهول لحوالي سنة ١٢٣٤ م . Chr. ad. 1234

١٠٥ - سجل الأحداث للمؤلف المجهول لحوالي سنة ١٢٣٤ م . ولكن رواية ميخائيل السرياني تقول ان جوسلين ورجاله هم الذين أضرموا النار في بيوت وبضائع المسيحيين الرهاويين قبل مغادرتهم المدينة .

الخيال بسنايكاها . . . وكان السهل الذي يمشون فيه مليئاً بالأيكات والشجيرات الكثيفة ، فأضرم العدو النار فيها فعلا لهيبها أمامهم وحولهم ولم يجدوا طريقاً يحددونها بل استمروا في السير نحو النار مرغمين وقد تشوّطت أرجلهم واحترقت (١٠٦) » .

رجع العديد من جند الأتراك الى الرها بعد أن أرهقهم القتال ، وخشي بعضهم من أن الفرنجة قد يعتمسون في أحد الحصون وينقلبون عليهم . وأراد آخرون أن يضمّنوا حصتهم في نهب المدينة ونفخ فرسان جوسلين الأبواق بعدئذ وهاجموا العدو . فسمح لهجومهم الفوضوي بأن يستمر فقط كي يهاجمهم الأتراك من المؤخرة . ففر الفرنجة في هلع « ملقين بحرابهم وتروسهم ومهشمين دروعهم وكل ما كان عليهم من سلاح حتى السيوف المسلوطة في أيديهم رموها من شدة الخوف الذي استولى عليهم » . وفر جوسلين مع بعض الأتباع ، وقتل بلديوين مع عديد من الجنود الآخرين كما قتل ثلاثون ألف نسمة . وأخذ للأسر والعبودية حوالي ستة عشر ألفاً من النساء والشباب والأطفال وهم مجردون من الثياب ، حفاة ، وأيديهم مغلولة ، وأرغموا على الركض بجانب أسريهم الممتطين الجياد . أما أولئك الذين لم يستطيعوا التحمل فقد خرقوا أجسادهم بالحراب والسهام ، وهجروا بعضهم لتأكلهم الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة . وكانوا يأسرون الكهنة أو يقتلونهم دون اكتراث وقد نجا القليل منهم . وبيع رئيس أساقفة الأرمن في حلب ، أما باسيل بارشومانا فقد استطاع النجاة بصعوبة بفراره الى شمشاط .

« أما [ عيدون ] المشاغب على الكنيسة فقد قبض عليه . . . خارج باب المدينة . وكان قد سقط في الخندق فظن أن المسيحيين سينزلون اليه وينشلونه فأخذ يصيح : من الذي يريد أن يكسب مائة دينار وينشلني من هنا ؟ فنزل اليه تركي وقتله وأخذ كيسه المليء بالذهب والثروة التي كانت معه (١٠٧) » .

واستبيحت المدينة بأكملها للنهب .

« دخل الأتراك وقبائل مختلفة الى هذه المدينة الشهيرة وغدوا أسياداً لها . هذه المدينة التي لم تنهب منذ أن أسسها سلوقس قبل ١٤٦٠ سنة . وفي الخراب الذي أصابها عند احتلالها الأول دام النهب فيها يومين فقط ،

وخلصت المدينة بسرعة ٠٠٠ والدمار كبح توسعه بأمر من زنكي ، وذهب الجميع كل إلى بيته وميراثه . ولكن في هذه المرة كان الخراب شاملاً وأعمال النهب والتدمير لم تدم يومين فقط بل دامت سنة كاملة . كانوا يطوفون في أنحاء المدينة يحفرون ويفتشون عن أماكن سرية وأسس وأسطحة . فوجدوا كنوزاً عديدة مخفية منذ أقدم أزمان الآباء والشيوخ ، وعثروا على كنوز عديدة لم يعرف المواطنون عنها شيئاً ٠٠٠ وأخرجوا من [ كاتدرائية اليعاقبة ] ثروة عظيمة ونفائس تخص الكنيسة [ وكانت ] صلبان وأناجيل وكؤوس وطلاسات ومباخر وائاء الميرون العظيم البهي ، وائاء العطر ، ورؤوس العكاكيز الكهنوتية ، وأشياء أخرى كلها من الفضة مطلية بالذهب ، والعديد من الطنافس الرائعة الثمينة الملكية ، وأعطية الهياكل ، وأواني القديس التي كانت قد جمعت منذ زمن طويل وحفظها الملوك والقادة القدماء . [ وكان هناك أيضاً ] أشياء وطلافس ملكية أخرى صنعت في هذا الوقت المتأخر ، وأخرى كان يرسلها كل سنة من العاصمة مؤمن رهاوي ٠٠٠ [ وآخر ] ٠٠٠ كان يعيش في العاصمة وكانت له عناية دائمة بكنائس الرها فكان يرسل سنوياً الكثير من الذهب للكنائس والأديرة وللفقراء والمرضى (١٠٨) ٠٠٠ » .

بعد هذه الكارثة لم تسترجع الطائفة المسيحية في الرها قواها قط . وكتب مؤرخ سرياني : « ليس هناك في قلوب أولئك المسيحيين الذين يعيشون في تلك المناطق [ الغربية ] أية رحمة ، وليس فيها سوى القساوة وعدم الشعور وغلاظة القلب والفكر الشرير خصوصاً بين الكهنة والرهبان والمطارنة » . واستعمل المسيحيون في شرقي الفرات مواردهم القليلة لاقتداء الرهاويين الذين أخذوا في الأسر . ولقد أحيا ذكرى مأساة الرها بالمواعظ والمراثي ديونيسيوس بار صليبي ، وباسيل بار شوماننا ، وآخرون ، وهناك قول ليوحنا أسقف ماردين ، الذي كان رهاوي الأصل ، فقد أعلن هذا المطران الانساني بشجاعة : « لم يكن الرب هو الذي أمر بأن يحكم الأتراك الرها ، فلو كان هناك جيش من الفرنجة في المدينة لما احتلها زنكي » . أما رفقاؤه اللاهوتيون فوبخوه على ذلك قائلين : « ليس لنا أن نقول لماذا خربت الرها ولماذا دمرها السيفونما رحمة » . وبعد مرور عدة سنين أصبحت قصة مدينة أبحر التي كانت تقاليداً قد حيك بنسيج التاريخ المسيحي ، لا شيء أكثر من موضوع آخر للنقاش الأكاديمي حول أعمال العناية الالهية ومشيتها التي لا يدركها البشر .

## الخاتمة

لقد أخفق الأمير جوسلين في محاولته استرجاع ملكه شرقي الفرات اخفاقاً ذريعاً (١٠٩) . ولكن حتى ولو كان رجل استقامة ومقدرة وحيلة واسعة لما استطاع الأخذ بزمام مجرى التاريخ . فالرها لم يعد بإمكانها البقاء كمدينة مسيحية وحيدة ومنعزلة في امبراطورية اسلامية متماسكة . وعند موت ابن زنكي انتقلت الى أيدي قادة جنده ، وأصبحت بعد ذلك من ممتلكات صلاح الدين وخلفائه الأيوبيين . صحيح انه اشتعلت ومضت من الروح القديمة للاستقلال سنة ١٢٣٤ عندما تحدى المواطنون جيش الموصل ، ولكن هذا كان انعكاساً آلياً وعديم الفائدة لوهلة من الوقت . فقد ثغر الجنود الاسوار ونهبوا المدينة ونفوا سكانها الى الغرب . وبعد ذلك شاركت دون مقاومة مصير جيرانها . وقاست من زيارة التتار سنة ١٢٤٤ ، وخضعت لهولاكو سنة ١٢٦٠ . وفي بداية القرن الخامس عشر كان عدد سكانها قد ازداد عندما أمها تيمور وأفراد حاشيته « وشربوا بورع عظيم من مياه » ينابيعها الشهيرة ، وفي سنة ١٦٢٧ أدمجت المدينة في الامبراطورية العثمانية في الحملة التي قام بها مراد الرابع في الشرق . ومرة أخرى ، ونهائياً ، أصبحت تحت حكم آسيا الصغرى ، وبهذا دار التاريخ دورة كاملة .

هنالك أهمية رمزية في التغيير التدريجي في ترتيب اسم المدينة . فالاسم أورهي أصابه تغيير طفيف في العربية : الرها . أما باسمها التركي أورفا فكادت لا يعرفها أحد (١١٠) . وعلى نفس الفرار يختفي شعبها المسيحي عن الأنظار فقد أصبح الآن أقلية لاشأن لها ، وبعد أقل من ثلاثين

---

١٠٩ - في سنة ١١٤٨ اكتسب جوسلين لعنات الكتاب العاقبة عندما نهب دير مار برصوما الشهر . وبعد سنتين قبض عليه المسلمون في هجوم سيء التدبير على أنطاكيا وأخذوه الى حلب حيث سملوا عينيه . وبعد سجن دام تسع سنوات مات هناك بعد أن تقبل في النهاية تعازي المطران السرياني .

١١٠ - ربما كانت « أورفا » تحويراً لصيغة أخرى من الاسم هي « روفا » ، وتعول الهاء الى فاء في التركية أمر تقوي معروف . وبهذا يكون التحول من رها ، الى روفا ، الى أورفا .

سنة من كارثة سنة ١١٤٦ هيا السكان أنفسهم لاقامة استعراض بقلب واجف « استعراض كالأيام السالفة » ، فقرعت أجراس الكنائس ، وراح الناس يقسمون بالصليب والأناجيل ، واستدعوا لعقد الاجتماعات كما أرسلت الوفود . ولكن الحاكم أحبط الحركة باستعماله الرشوة والحيلة ، ونفي أصحاب الفكرة الذين قاموا بها ، ويعلق مؤرخنا بحزن : « كانت النتيجة الوحيدة أن أصبح المسيحيون غير محبوبين . . . . وكسبوا سمعة رديئة » .

كان انحطاط الطائفة المسيحية سريعاً . فالطران باسيل بارشومان كان رجل علم وثقافة ويتصل بسهولة بالأمرء والأخبار (١١١) . أما خليفته فكان مديناً بمركزه لثروته . ونصب المطران التالي فقط بعد أن دفع خمسمائة دينار من أموال الكنيسة للحاكم . وأصبح قادة الطائفة محيين للمال حتى ان رهبان كنيسةين لليعاقبة تنازعوا على توزيع النقود التي حصلوا عليها في أيام الأعياد ، وسوءت الفضيحة بتدخل الحاكم المسلم .

ان المعابد المسيحية التي كانت منذ زمن طويل آثاراً تذكارية للرها في العهدين الروماني والبيزنطي أصبحت الآن خاوية ومهجورة . وكانت كنيسة القديس توما والقديس اسطيفان الشهيرتان قد وضعتا أثناء حياة زنكي للاستعمالات الحقيرة كاسطبل ومخزن للمؤن ، ونظراً الى وقوع كنائس أخرى في براثن العبث والاهمال فانها هدمت وأخذت حجارتهها لاستعمالها في القلعة والاسوار . وحتى كنيسة هاجيا صوفيا التي كانت تعد في وقت من الأوقات احدى عجائب الدنيا أصابها ترد شديد الى أن قوضت ونقلت حجارته المنحوتة الى القلعة ومسجد حران . واستعملت كنيسة مار يوحنا المعمدان الجميلة كمخزن للصوف ، وراح الحمام الذي منع في السابق من دخول نوافذها بواسطة المشبك المصنوع من الرصاص يعيش الآن في أعاليها . وفي سنة ١١٨٣ أشعل قنديل مضاء النار في المادة القابلة للاشتعال فتلاشت العمارة بأكملها في لهيب صاهر .

---

١١١ - بعد هروب ونجاة باسيل الى شمشاط سنة ١١٤٦ ألقى به جوسلين في غياهب السجن بتهمة تمييزه للاتراك . وهناك كتب مقالاته عن سقوط الرها . وعند اطلاق سراحه بعد ثلاث سنوات راح يجوب المقاطعات الصليبية والتركية بصورة واسعة يجمع النقود لاقتداء الأسرى الرهاويين . وكان يقابل بحفاوة وشفق عظيمين على كلا الجانبين من الحدود . وفي النهاية اعتزل باسيل في سيفيرك قرب الرها فمنحه البطريرك سلطة اكليريكية عليها . وتوفي سنة ١١٦٩ .

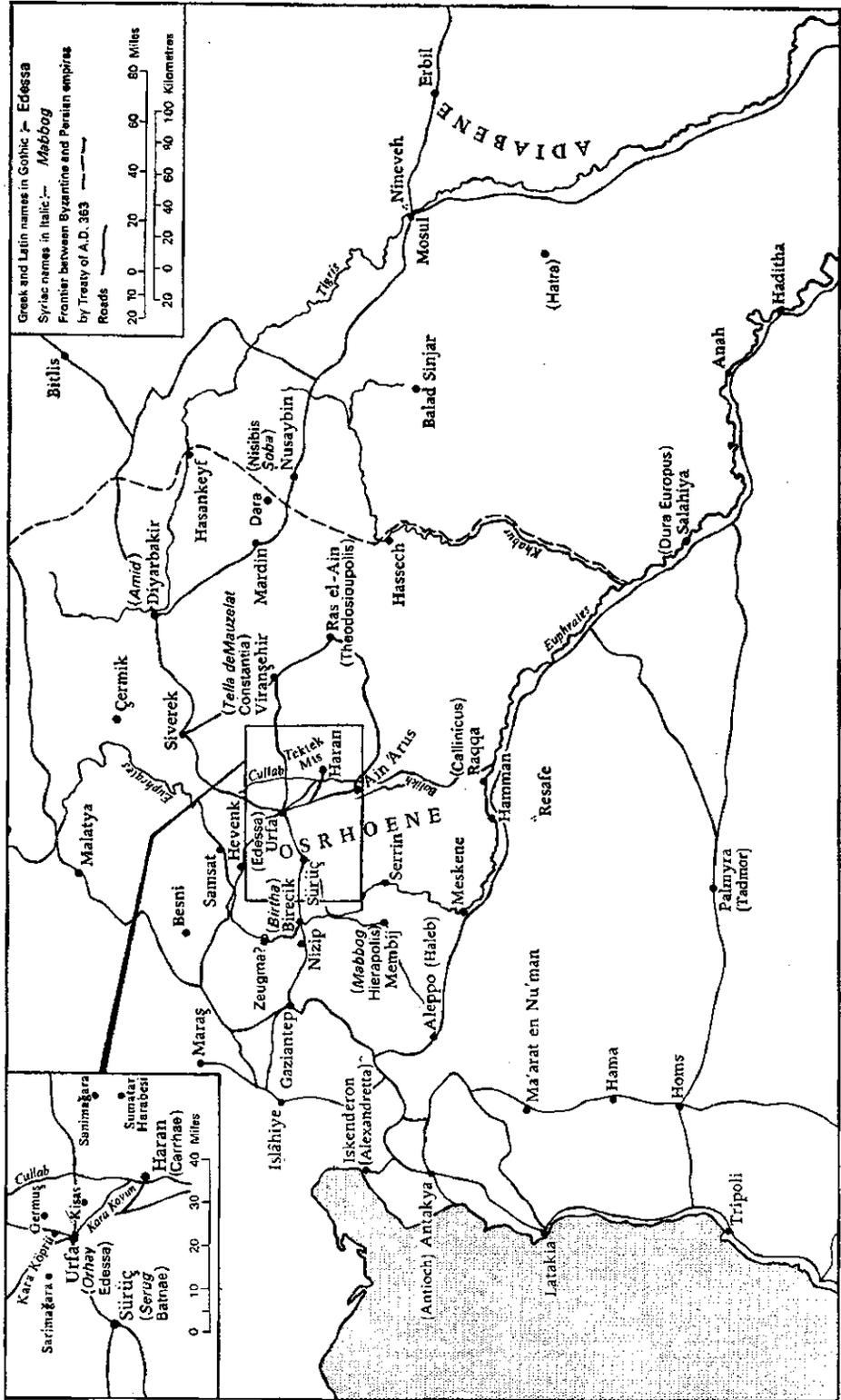
وفي هذه الأثناء ازداد سكان أورفا المسلمون ، وهكذا أيضاً ازداد عدد المساجد جنباً إلى جنب مع الحمامات الشعبية والحانات والأسواق (١١٢) ، ومع ذلك فإن شعور استمرارية التاريخ لم يفتقد . فهذا افلياً شلبي عند زيارته للمدينة بعد ادماجها في تركيا بحوالي عشر سنوات ، يعدد المساجد والمعابد التي لا تزال اليوم تحمل الأسماء نفسها ، وهي التي أقيمت على أماكن عبادة أكثر قدماً . ويسجل افلياً كبقية الرحالة المتتابعين عبر القرون أساطير المدينة التي رويت في هذا الكتاب .

هذه الروح بالذات ما زالت شائعة في أورفا الحديثة ، ليس في الأوساط الرسمية فحسب ، بل بين الأهلين أيضاً . وقد استدرك اهمال الزمن ، فمنذ بضع سنوات بني مسجد بديع خارج السور الشرقي ، قرب المكان الذي انتصب عليه مرة معبد القديس سرجيوس التاريخي . وفي وسط استحسان شعبي أدخلت في جدران المسجد باحترام كتابتان سريانيتان مسيحيتان ، كانتا منقوشتين في السابق على جدار في ذلك المعبد (١١٣) .



- 
- ١١٢ - لقد بنيت كل من مئذنة « أولو كامي » الثمانية الأضلاع ومئذنة « خليل كامي » المربعة الشكل في أواخر القرن الثاني عشر . وتوجد على المئذنة الثانية كتابة منقوشة بالعربية تاريخها ١١ - ١٢١٢ . أما الأولى فيوجد بقرنها كتابة منقوشة بالعربية ترجع إلى أواخر القرن الثاني عشر . ويوجد على مسجد حسن باشا ثلاث كتابات تم نقشها في القرن السادس عشر .
- ١١٣ - المسجد يطلق عليه الأتراك اسم : مقام النبي جرجيس . إحدى الكتابتين المنقوشتين تحيي ذكرى إعادة بناء كنيسة القديس جرجيس في التاريخ السلوقي ٢١٥٦ ( ١٨٤٥ م ) . والكتابة الأخرى تسجل « حادنا عجيبا » جرى عندما قام البطريرك بالقداس في كنيسة القديس جرجيس في العيد العظيم للقديسين بطرس وبولس في التاسع والعشرين من حزيران سنة ١٨٦٩ سلوقية (١٥٥٧م) . وستنشر الكتابتان قريباً في نشرة المدرسة البريطانية للدراسات الشرقية والافريقية

# MAP AND PLANS



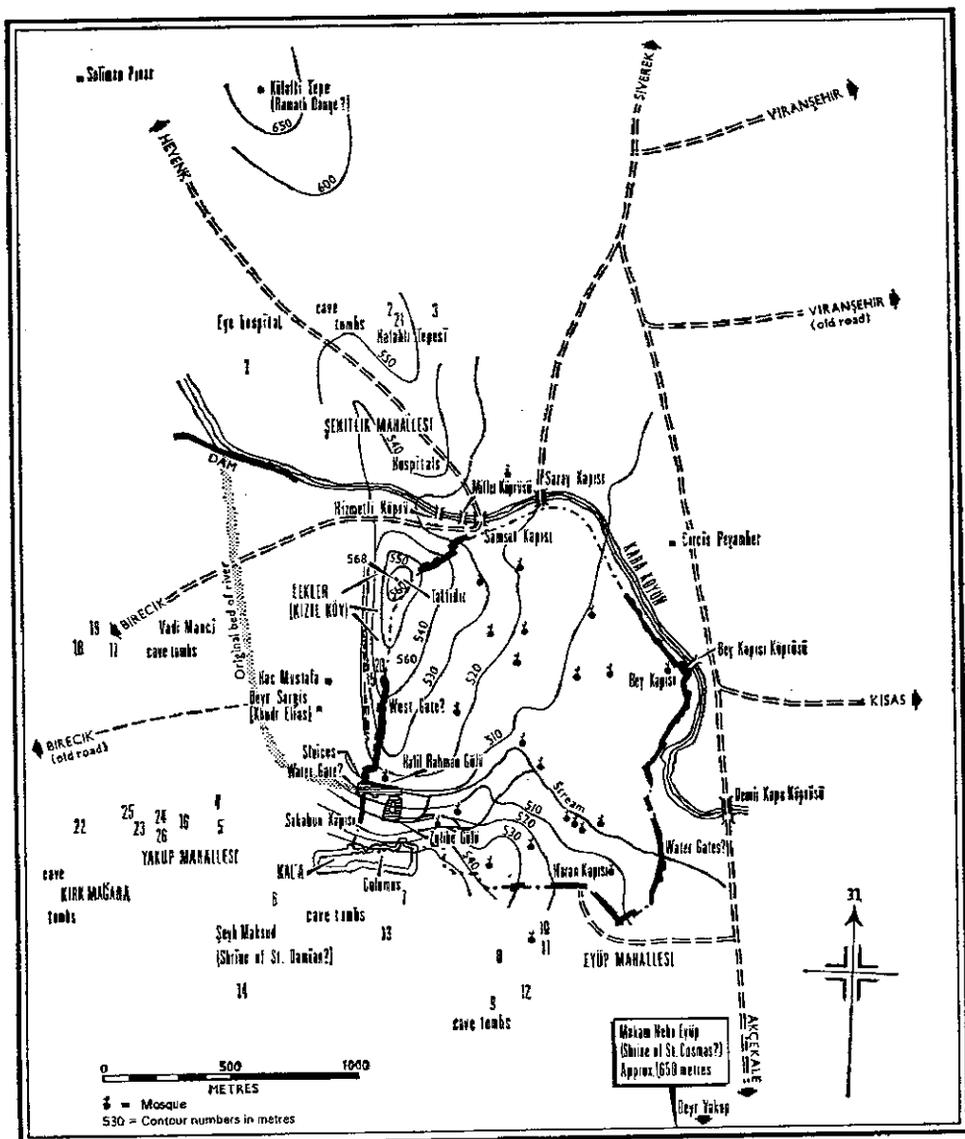
MAP



PLAN I. URFA (EDESSA). The City

Key

1. HÜSEYİN PAŞA CAMII (KARA MEYDAN CAMII; site of the Melkite Church of the Mother of God?)
2. PAZAR CAMII (HAŞİMİYE CAMII; site of the Byzantine Town Hall?)
3. DEBAĞHANE CAMII
4. HIZANOĞLU CAMII
5. ÇAKARI CAMII (site of the Byzantine Theatre?)
6. HAYRULLAH CAMII (site of the Church of St. Barlaha?)
7. HAVRA
8. EYUBİYE CAMII
9. ARABI CAMII (site of the Church of St. Michael?)
10. YENİ CAMI
11. HASAN PAŞA CAMII (site of the Tetracylon, formerly a synagogue?)
12. DERSA CAMI (MAKAM İBRAHİM, MEVLUD HALİL; site of the Cathedral Church of the Saviour, built beside the Old Church, and later of the Melkite Cathedral or Hagia Sophia?)
13. RIDWANIYE CAMII (AHMET PAŞA CAMII, ZULUMİYE CAMII; site of the Church of St. Thomas?)
14. HALİL RAHMAN CAMII (YEŞİL KİLİSE; site of the Monophysite Church of the Mother of God and baptistry, formerly the School of the Persians?)
15. SITE OF THE WINTER BATHS
16. ELECTRICITY POWER STATION (site of the Church of St. John the Baptist and St. Addai?)
17. FIRFILI CAMI (site of the Armenian Church of the Twelve Apostles?)
18. İMAM SEKKÂRİ MESCİDİ (site of the Melkite Church of the Mother of God?)
19. ŞEYHENBİ TEKKESİ (site of the Melkite Church of the Cross?)
20. ULU CAMI (KIZIL KİLİSE; site of the Church of St. Stephen, formerly a synagogue?)
21. KUTBEDDİN CAMII
22. KADIOĞLU CAMII (site of the Church of the Confessors?)
23. YUSUF PAŞA CAMII (site of the Church of St. Cyriacus?)
24. SÜLEYMANIYE CAMII
25. KARA MUSA CAMII (BEY KAPISI CAMII)
26. TÜZEKEN CAMI
27. HACIYADİĞÂR MESCİDİ (site of the Church of the Twelve Apostles?)
28. AK CAMI (site of the Church of St. Sergius?)
29. HEKİM DEDE CAMII
30. CIRCİS PEYAMBER (site of the Church of St. Sergius and St. Simeon?)
31. PUBLIC BUILDING
32. POST OFFICE
33. YILDIZ HAMAMI
34. VELİ BEY HAMAMI
35. SULTAN HAMAMI
36. MÜHACİR ÇARŞISI HAMAMI
37. CİNCİKLA HAMAMI
38. VEZİR HAMAMI
39. RUİNS OF CHURCH (site of the Church of St. Theodore?)



PLAN II. URFA (EDESSA). The City and its environs

Key

1. Cave-tomb with busts in relief
2. 'Tripod' mosaic
3. 'Animal' mosaic
4. Cave-tomb with Jewish inscriptions in Hebrew and Greek
5. Cave-tomb with Funerary couch in relief
6. Cave-tomb with Winged Victory in relief
7. 'Family Portrait' mosaic
8. 'Phoenix' mosaic
9. Double cave-tomb with Winged Victory in relief
10. 'Orpheus' mosaic
11. 'Funerary couch' mosaic
12. Cave-tomb with Funerary couch in relief
13. Cave-tomb with entrance through vertical shaft
14. Syriac inscription of Shalman
15. Double cave-tomb with serpents in relief
16. Double cave-tomb with ornamental arched entrance
17. Cave-tomb with relief
18. Cave-tomb with Funerary couch in relief (unfinished)
19. Cave-tomb with Christian inscription in Syriac and cross
20. Cave-tomb with Funerary couch in relief
21. Cave-tomb with Christian inscription in Greek
22. Cave-tomb with Syriac inscription of G'W
23. Cave-tomb with candelabra carved on entrance wall
24. Cave-tomb with Jewish inscription in Hebrew at entrance
25. Double cave-tomb with ornamental interior
26. Double cave-tomb with Syriac inscription and cross at entrance

# SELECT BIBLIOGRAPHY

## A. TEXTS

(Texts whose author has not been identified appear under their subject or the title by which they are commonly known.)

- Aaron of Serug: F. Nau, *Les légendes syriaques d'Aaron de Saroug . . .*, (PO v), 1910, 697.
- Abraham Qidunaya, *Acts of*: T. J. Lamy, 'Acta Beati Abrahae Kidunaiae Monachi . . .', *Anal. Boll.* x, 1891, 5.
- Abu Shama, Shihab al-din abu l-Qasim 'Abd al-raḥman b. Isma'il, *Kitab al-rawḍatayni, Recueil, hist. or.* iv. 1.
- Abu l-Fida, Isma'il b. 'Ali 'Imad al-din: J. T. Reinaud and S. Guyard, *Géographie . . .*, 1848-83.
- Acts of Abraham Qidunaya, *see Abraham Qidunaya, Acts of*.
- Addai, *see Addai, Doctrine of*.
- Mari, *see Mari, Acts of St*.
- the Apostles, *see Apostles, Acts of the*.
- the Martyrs, *see Bedjan, Acta . . .*
- the Martyrs of Beth Slokh, *see Beth Slokh, Acts of the Martyrs of*.
- the Martyrs of Edessa, *see Edessa, Acts of the Martyrs of*.
- Addai, *Doctrine of*: W. Cureton, *Ancient Syriac Documents . . .*
- G. Phillips, *The Doctrine of Addai . . .*, 1876.
- Aelian, Claudius, *On the Nature of Animals*, ed. R. Hercher, 1864-6.
- Aetheria, *see Egeria*.
- Agapius (Mahbub) of Mabbog: A. A. Vasiliev, *Kitab al-'Unvan. Histoire universelle écrite par Agapius (Mahboub) de Menbidj (PO v, vii, viii, xi)*, 1909-15.
- Agathias, *History*, ed. B. G. Niebuhr (CSHB i), 1828.
- Albert of Aix, *Historia Hierosolymitana, Recueil, hist. occ.* iv. 265.
- Alexius, Story of St.: A. Amiaud, *La Légende syriaque de Saint Alexis, l'homme de Dieu*, 1889.
- Ammian Marcellinus, *Res gestae*, ed. V. Gardthausen, 1874-5.
- 'Ananisho': E. A. W. Budge, *The Book of Paradise . . . by Palladius . . . according to the recension of 'Anan-Īsho' . . .*, 1904.
- Aphraates, Homilies of: J. Parisot, *Aphraatis Sapientis Persae Demonstrationes (Pat. Syr. i)*, 1894-7.
- Apostles, *Acts of the*: R. A. Lipsius and M. Bonnet, *Acta Apostolorum Apocrypha*, 1951.
- Appian, *Roman History*, ed. P. Viereck and A. G. Roos, 1905-39.
- Arrian, *Works*, ed. A. G. Roos, 1907-28.
- Attaleiates, Michael, *History*, ed. I. Bekker (CSHB xxxiv), 1853.
- Augustan History, *see Scriptores Historiae Augustae*.
- Augustine, St., *Epistolae*, Migne *Patrologia Latina* xxxiii.
- Baba of Harran: F. Rosenthal, 'The Prophecies of Bâbâ the Harrânian', in W. B. Henning and E. Yarshater (ed.), *A Locust's Leg. Studies in honour of S. H. Taqizadeh*, 1962, 220.
- al-Baladhuri, Ahmad b. Yahya, *Kitab futuḥ al-buldan*, ed. M. J. de Goeje, 1863-6.
- Baldric of Dol, *Historia Jerosolimitana, Recueil, hist. occ.* iv, 1.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- Bar Hebraeus, Gregory abu l-Farag: J. B. Abbeloos and T. J. Lamy, *Gregorii Barhebraei Chronicon Ecclesiasticum* . . . , 1872-7.
- — P. Bedjan, *Gregorii Barhebraei Chronicon Syriacum*, 1890.
- — P. J. Bruns and C. G. Kirsch, *Gregorii Abulpharagii sive Bar-Hebraei Chronicon Syriacum* . . . , 1789.
- — E. A. W. Budge, *The Chronography of Gregory Abu'l Faraj*, 1932.
- — W. E. W. Carr, *Commentary on the Gospels from Horreum Mysteriorum*, 1925.
- — E. Pocock, *Historia compendiosa Dynastiaram*, 1663.
- — M. Sprengling and W. C. Graham, *Barhebraeus' Scholia on the Old Testament*, 1931.
- Bardaisan, School of: F. Nau, *Bardesanes. Liber Legum Regionum* (Pat. Syr. i), 1907.
- Barhadbeshabba 'Arbaya: F. Nau, . . . *Histoire de l'Église nestorienne* (PO ix, xxiii), 1913, 1932.
- — A. Scher, *Cause de la Fondation des Écoles* (PO iv), 1908.
- Basil of Caesarea, St., *Letters*, Migne PG xxxii.
- Bedjan, P., *Acta Martyrum et Sanctorum*, 1890-7.
- Beth Slokh, Acts of the Martyrs of, see Bedjan, *Acta* . . .
- Burkitt, F. C., *Euphemia and the Goth, with the Acts of Martyrdom of the Confessors of Edessa*, 1913.
- Canons, Church: J. Mounayer, 'Les Canons relatifs aux moines, attribués à Rabboula', *Orientalia christiana periodica* xx, 1954, 406.
- — see Overbeck, S. *Ephraemi Syri* . . . *Opera*; Vööbus, *Syriac and Arabic Documents* . . .
- Cassiodorus: R. A. B. Mynors, *Cassiodori Senatoris Institutiones*, 1937.
- Cedrenus, George: I. Bekker, *Compendium Historiarum* (CSHB xxiv), 1838.
- Chabot, J. B., *Anonymi auctoris Chronicon ad annum Christi 1234 pertinens* (CSCO 81-2, Scr. syri 36-7), 1953.
- — *Documenta ad origines Monophysitarum illustrandas* (CSCO 17, Scr. syri 17), 1955.
- — *Incerti auctoris Chronicon Pseudo-Dionysianum vulgo dictum* (CSCO 91, 104, Scr. syri 43, 53), 1952-3.
- Chronicle, Nestorian, see I. Guidi, etc., *Chronica Minora*.
- — Sasanian, see I. Guidi, etc., *Chronica Minora*.
- — to the year 664, Maronite, see I. Guidi, etc., *Chronica Minora*.
- — 724, Maronite, see I. Guidi, etc., *Chronica Minora*.
- — 813, Maronite, see I. Guidi, etc., *Chronica Minora*.
- — 846, Maronite, see I. Guidi, etc., *Chronica Minora*.
- — — E. W. Brooks, 'A Syriac Fragment', *ZDMG* liv, 1900, 195.
- — 1234, see Chabot, . . . *Chronicon ad* . . . 1234.
- Chronicle of Edessa, see Guidi, etc., *Chronica Minora*.
- 'Chronicle of Zuqnin', see Chabot, . . . *Chronicon Pseudo-Dionysianum* . . . .
- Chronicon Paschale*, ed. G. Dindorf (CSHB ix), 1832.
- Codes, see Law Codes.
- Constantine Porphyrogenitus, Emperor, *On the Portrait of Edessa*, see below, E. von Dobschütz, *Christusbilder*.
- Councils, Church: J. B. Chabot, *Synodicon orientale, ou Recueil de synodes nestoriens*, 1902.
- — J. Flemming, *Akten der Ephesenischen Synode vom Jahre 449* (Abhandl. d. königl. Gesellsch. d. Wissensch. zu Göttingen, Phil.-hist. Kl., N.F. xv), 1917.
- — G. D. Mansi, *Sanctorum Conciliorum nova et amplissima collectio*, 1759.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- — F. Schulthess, *Die syrischen Kanones der Synoden von Nicaea bis Chalcedon* . . . (Abhandl. d. königl. Gesellsch. d. Wissensch. zu Göttingen, Phil.-hist. Kl., x), 1908.
- — E. Schwartz, *Acta Conciliorum Oecumenicorum* i. 5-8, 1927-30.
- Cureton, W., *Ancient Syriac Documents relative to the Earliest Establishment of Christianity in Edessa* . . . , 1864.
- — *Spicilegium Syriacum* . . . , 1855.
- Cyriacus, Bishop of Amid: M. A. Kugener, 'Récit de Mar Cyriaque racontant comment le corps de Jacques Baradée fut enlevé . . .', *ROC* vii, 1902, 196.
- Denha, *History of Marutha*: F. Nau, *Histoires d'Ahoudemmeh et de Marouta* . . . (PO iii), 1905.
- Dio Cassius, *Roman History*, ed. L. Dindorf and I. Melber, 1863-1928.
- Dionysius of Tell-Mahre, Pseudo-, see Chabot, . . . *Chronicon Pseudo-Dionysianum* . . .
- Edessa, Acts of the Martyrs of: Burkitt, *Euphemia* . . .
- — E. von Dobschütz, *Die Akten der Edessenischen Bekenner Gurjas, Samonas und Abibos* . . . , 1911.
- — *Sugitha* on the Cathedral of: H. Goussen, 'Über ein 'Sugitha' auf die Kathedrale von Edessa', *Muséon* xxxviii, 1925, 117.
- — Topography of: R. Röhrich, 'Studien zur mittelalterlichen Geographie und Topographie Syriens, no. XVI, 'De civitatibus Persarum in terra promissionis imprimis de Edissa vel Roas et de ejus expugnatione et de bello quod christiani parant', *ZDPV* x, 1887, 295.
- Egeria: O. Prinz, *Itinerarium Egeriae (Peregrinatio Aetheriae)*, 1960.
- Elias b. Shinaya: F. W. A. Baethgen, *Fragmente syrischer und arabischer Historiker*, 1884.
- — E. W. Brookes and J. B. Chabot, *Eliae Metropolitae Nisibeni Opus Chronologicum (CSCO 62\* 62\*\*, Scr. syri 21-2)*, 1954.
- Ephraim of Edessa, St.: E. Beck, *Des Heiligen Ephraem des Syrers Carmina Nisibena (CSCO 218, 240, Scr. syri 92, 102)*, 1961-3.
- — E. Beck, *Des heiligen Ephraem des Syrers Hymnen Contra Haereses (CSCO 169, Scr. syri 76)*, 1957.
- — E. Beck, *Des Heiligen Ephraem des Syrers Hymnen De Fide (CSCO 154, 212, Scr. syri 58, 73)*, 1955-61.
- — E. Beck, *Des Heiligen Ephraem des Syrers Hymnen De Paradiso und Contra Julianum (CSCO 174, Scr. syri 78)*, 1957.
- — E. Beck, *Des Heiligen Ephraem des Syrers Hymnen De Virginitate (CSCO 223, Scr. syri 94)*, 1962.
- — T. J. Lamy, *S. Ephraemi Syri Hymni et Sermones*, 1882-1902.
- — S. J. Mercati, *S. Ephraem Syri Opera* i, 1915.
- — C. W. Mitchell, etc., *S. Ephraim's Prose Refutations of Mani, Marcion and Bardaisan*, 1912-21.
- — R. M. Tonneau, *Sancti Ephraem Syri in Genesim et in Exodum commentarii (CSCO 152, Scr. syri 71)*, 1955.
- — *Life of*, see Bedjan, *Acta* . . . iii.
- — *Testament of*: R. Duval, 'Le Testament de saint Ephrem', *JA* 9 Ser. xviii, 1901, 234.
- Epiphanius, *Works*, ed. K. Holl, 1915-33.
- Euphemia of Edessa, see Burkitt, *Euphemia* . . .
- Eusebius of Caesarea: *Works*, ed. G. Dindorf, 1867.
- — W. Wright and N. McLean, *The Ecclesiastical History of Eusebius in Syriac*, 1898.
- Eutropius, *Breviarium ab urbe condita*, ed. F. Ruehl, 1887.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- Evagrius Scholasticus: J. Bidez and L. Parmentier, *The Ecclesiastical History of Evagrius . . .*, 1898.
- Evliya Çelebi (Mahomet Zilli b. Dervish), *Seyahatname*.
- Florus, Publius Annii, *Épitome*, ed. O. Roszbach, 1896.
- Fulcher of Châtres, *Historia Iherosolymitana. Gesta Francorum Iherusalem peregrinantium, Recueil, hist. occ. iii.* 311.
- Furlani, F., 'Un Recueil d'énigmes philosophiques en langue syriaque', *ROC* 3 Ser. i (xxi), 1918-9, 113.
- George Monachus, *Lives*, ed. I. Bekker (*CSHB* xxii), 1838.
- George Syncellus, *Chronography*, ed. G. Dindorf (*CSHB* vii), 1829.
- Gesta Francorum expugnantium Iherusalem, Recueil, hist. occ. iii.* 487.
- Goussen, H., *Martyrius-Sahdona's Leben und Werke . . .*, 1897.
- Gregory of Nyssa, St., *Works*, Migne *PG* xliiv-xlvi.
- Gregory of Tours, *De gloria martyrum*, Migne *Patrologia Latina* lxxi.
- Gregory the Priest, *see* Matthew of Edessa.
- Guidi, I., etc., *Chronica Minora* (fragments of the Chronicle of Jacob of Edessa and various anonymous chronicles, including the Chronicle of Edessa) (*CSCO* 1, 3, 5, *Scr. syri* 1, 3, 5), 1955.
- Guibert of Nogent, *Gesta Dei per Francos . . ., Recueil, hist. occ. iv.* 113.
- al-Hamadhani, Abu Bakr Ahmad b. Muhammad, *Kitab al-buldan*, ed. M. J. de Goeje, *BGA* v, 1885.
- al-Harawi, 'Ali b. Abu Bakr: J. Sourdel-Thoumin, *Guide des lieux de pèlerinage*, 1957.
- 'Hierotheos': F. S. Marsh, *The Book Which is Called the Book of the Holy Hierotheos . . .*, 1927.
- Himyarites: A. Moberg, *The Book of the Himyarites*, 1924.
- 'Hymn of the Soul', *see* Thomas, Acts of Judas.
- Ibn al-Athir, 'Izz al-din abu l-Hasan 'Ali Muhammad, *Al-Kamil fi l-ta'rikh*, ed. C. J. Tornberg, 1867-76.
- — — *Ta'rikh al-dawla al-atabakiya muluk al-Mawşil, Recueil, hist. or. ii/2*, 1.
- Ibn Gubair, Muhammad b. Ahmad; W. Wright and M. J. de Goeje, *The Travels of Ibn Jubayr*, 1907.
- Ibn Hawqal, Muhammad abu l-Qasim, *Kitab al-masalik wal-mamalik*, ed. M. J. de Goeje, *BGA* ii, 1873.
- — — *Kitab surat al-ard*, ed. J. H. Kramers, 1938-9.
- Ibn Khordadbeh, Abu l-Qasim 'Ubaidallah b. 'Abdallah, *Kitab al-masalik wal-mamalik*, ed. M. J. de Goeje, *BGA* vi, 1889.
- Ibn al-Nadim, Abu l-Farag Muhammad b. (abu Ya'qub) Ishaq al-Warraq, *Kitab al-Fihrist*, ed. G. L. Flügel, etc., 1871-2.
- Ibn al-Qalanisi, Hamza b. Asad: H. A. R. Gibb, *The Damascus Chronicle of the Crusades*, 1932.
- Ibn Rosta, 'Ali Ahmad b. 'Umar, *Kitab al-a'laq al-nafisa*, ed. M. J. de Goeje, *BGA* vii, 1892.
- Ibn Shaddad, 'Izz al-din b. 'Abdallah Muhammad, *Al-A'laq al-haṭira fi dhikr umara' al-Sham wal-Gazira*, Bodl. ms. Marsh 333 (unpublished.)
- Isaac of Antioch: P. Bedjan, *Homiliae S. Isaaci Syri Antiocheni* i. 1903.
- — — G. Bickell, *S. Isaaci Antiocheni . . . opera omnia* i-ii, 1873-7.
- Isho'denah: J. B. Chabot, *Le Livre de Chasteté . . .* (École Française de Rome. Mélanges d'Archéologie et d'histoire xvi/3-4, 1891.
- Isidore of Charax: W. H. Schoff, *Parthian Stations*, 1914.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- Isidore of Seville, St., *Works*, Migne *Patrologia Latina* lxxxix-lxxxiv.
- al-Istakhri, Ibrahim b. Muhammad abu Ishaq al-Farisi, *Kitab al-masalik wal-mamalik*, ed. M. J. de Goeje, *BGA* i, 1870.
- Jacob, Bishop of Edessa: *Chronicle*, see Guidi, etc., *Chronica Minora*.
- *Hexaemeron*: J. B. Chabot, *Jacobi Edesseni Hexaemeron . . .* (CSCO 92, *Scr. syri* 44), 1953.
- F. Nau, 'Lettre de Jacques d'Édesse à Jean le Stylite . . .', *ROC* v, 1900, 581.
- Jacob, Bishop of Serug: J. P. Martin, 'Discours de Jacques de Saroug sur la chute des idoles', *ZDMG* xxix, 1876, 107.
- C. Moss, 'Jacob of Serugh's Homilies on the Spectacles of the Theatre', *Muséon* xlviii, 1935, 87.
- P. Mouterde, 'Deux homélies inédites de Jacques de Saroug', *Mél. S-ŷ* xxvi, 1944-6, 1.
- O. G. Olinder, *Jacobi Sarugensis Epistulae quotquot supersunt* (CSCO 110, *Scr. syri* 57), 1952.
- R. Schröter, 'Gedicht des Jakob von Sarug über den Palast', *ZDMG* xxv, 1871, 321.
- See also Cureton, *Ancient Syriac Documents*.
- Jerome, St., *Works*, Migne *Patrologia Latina* xx-xxx.
- Job of Edessa: A. Mingana, *Encyclopaedia of Philosophical and Natural Sciences . . . or Book of Treasures*, 1935.
- John, Bishop of Ephesus: E. W. Brooks, *Lives of the Eastern Saints* (PO xvii, xviii, xix), 1923-5.
- *Johannis Ephesini Historiae Ecclesiasticae pars tertia* (CSCO 105, *Scr. syri* 54), 1952.
- John, Bishop of Tella, see A. Vööbus, *Syriac and Arabic Documents . . .*
- John Chrysostom, St., *Works*, Migne *PG* xlvii-lxiv.
- John Malalas, *Chronography*, ed. G. Dindorf (CSHB viii), 1831.
- John Rufus, Bishop of Mayuma, *Plerophories*, ed. F. Nau (PO viii), 1912.
- Josephus, *Works*, ed. S. A. Naber, 1888-96.
- 'Joshua the Stylite': W. Wright, *The Chronicle of Joshua the Stylite . . .*, 1882.
- Julian, Emperor: J. Bidez and G. Rochefort, *L'Empereur Julien. Œuvres complètes*, 1924-63.
- Julian, Romance of*: J. G. E. Hoffman, *Julianus der Abtruennige . . .*, 1880.
- Julius Africanus: H. Gelzer, *Sextus Julius Africanus und die byzantinische Chronographie*, 1880-98.
- J. R. Vieillefond, *Fragments des Cestes . . .*, 1932.
- Kethaba deMasseqatha (Liber Graduum)*, ed. M. Kmosko (*Pat. Syr.* i), 1926.
- Khalil b. Shahin al-Zahiri, *Zubdat kashf al-mamalik*, ed. P. Ravaisse, 1894.
- Law Codes: K. G. Bruns and C. E. Sachau, *Syrisch-Römisches Rechtsbuch aus dem fünften Jahrhundert . . .*, 1880.
- C. E. Sachau, *Syrische Rechtsbücher . . .*, 1907-14.
- Leo the Deacon, *History*, ed. C. B. Hase (CSHB ii), 1828.
- Leo the Grammarian, *Chronography*, ed. I. Bekker (CSHB xxx), 1842.
- Libanius, *Works*, ed. R. Foerster, 1903-23.
- Liber Graduum*, see *Kethaba deMasseqatha*.
- Lives of Monophysites: E. W. Brooks, *Vitae virorum apud Monophysitas celeberrimorum* (CSCO 7, *Scr. syri* 7), 1955.
- Lucian of Samosata, *De dea syria*, ed. A. M. Harmon, 1925.
- Macrobius, *Saturnalia*, ed. J. Willis, 1963.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- al-Makin, Girgis b. al-'Amid: P. Erpenius, *Historia saracenicæ*, 1625.
- al-Maqrizi, Ahmad b. 'Ali: H. F. Wüstenfeld, *Macrizis Geschichte der Copten*, 1845.
- Mara b. Serapion, see Cureton, *Spicilegium Syriacum* . . .
- Marcellinus, Count, *Chronicon*, Migne *Patrologia Latina* li.
- Mari, *Acts of St.*: J. B. Abbeloos, 'Acta Sancti Maris, Assyriae, Babyloniae ac Persidis . . . Apostoli', *Anal. Boll.* iv, 1885, 43.
- Marutha, Bishop of Maiperqat: C. G. A. von Harnack, *Der Ketzer-Katalog des Bischofs Maruta*, 1899.
- al-Mas'udi, 'Ali b. Husain, *Murug al-dhahab*, ed. C. Barbier de Meynard, etc., 1861-77.
- *Kitab al-tanbih wal-ishraf*, ed. M. J. de Goeje, *BGA* viii, 1894.
- Matthew of Edessa: J. P. L. F. E. Dulaurier, *Chronique de Matthieu d'Édesse (962-1136) avec la continuation de Grégoire le Prêtre jusqu'en 1162*, 1858.
- Me'arrath Gazze*: C. Bezold, *Die Schatzhöhle*, 1883.
- Melito of Sardis, Pseudo-, see Cureton, *Spicilegium Syriacum* . . .
- Menander Protector, *History*, ed. I. Bekker and B. G. Niebuhr (*CSHB* vi), 1829.
- Menologies: F. Nau, *Un Martyrologe et douze Ménologes syriaques (PO x)*, 1915.
- Meshihazekha: A. Mingana, *Histoire de l'Église d'Adiabène sous les Parthes et Sassanides (Sources syriaques i)*, 1908.
- Michael Qindasi 'the Syrian', Patriarch: J. B. Chabot, *Chronique de Michel le Syrien . . .*, 1899-1924.
- Moses of Khoren: P. E. Le Vaillant de Florival, *Histoire d'Arménie*, 1841.
- M. Lauer, *Des Moses von Chorene Geschichte Gross-Armeniens*, 1869.
- N. Tommaséo, *Storia di Mosè Corenese*, 1841.
- Mueller, K., *Geographi Graeci Minores*, 1855-61.
- and T. Mueller, *Fragmenta Historicorum Graecorum*, 1841-84.
- al-Muqaddasi, Shams al-din abu 'Abdallah Muhammad b. Ahmad, *Kitab aḥṣan al-taqasim*, ed. M. J. de Goeje, *BGA* iii, 1906.
- al-Mustawfi, Ahmad b. Abu Bakr b. Naṣr Ḥamdallah: G. le Strange, *The Geographical Part of the Nuzhat al-Qulub*, 1915.
- Narratives of Holy Women, Select*, ed. A. S. Lewis, 1900.
- Narsai (Narseh): A. Mingana, *Narsai Doctoris Syri Homiliae et Carmina*, 1905.
- Nau, F., 'Hagiographie syriaque', *ROC 2 Ser. v (xv)*, 1910, 53, 173.
- *La Didascalie de Jacob (PO viii)*, 1912.
- 'Littérature canonique syriaque inédite . . .', *ROC 2 Ser. iv (xiv)*, 1909, 1, 113.
- Nestorian History: A. Scher, *Histoire Nestorienne inédite (Chronique de Séert)*, *PO* iv-xiii, 1908-19.
- Nicetas (Choniates) Acominatus: *History*, ed. I. Bekker (*CSHB* xiv), 1835.
- Nisibis, Statutes of the Academy of: I. Guidi, 'Gli Statuti della Scuola di Nisibi', *Giornale della Società Asiatica italiana* iv, 1890, 165.
- Nöldeke, T., *Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden. Aus der arabischen Chronik des Tabari . . .*, 1879.
- Overbeck, J. J., *S. Ephraemi Syri, Rabulae . . . Balaei aliorumque Opera selecta*, 1865.
- Philostratus, *Life of Apollonius of Tyana*, ed. C. L. Kayser, 1870-1.
- Philoxenus, Bishop of Mabbug: E. A. W. Budge, *The Discourses of Philoxenus . . .*, 1894.
- R. Lavenant, *La Lettre à Patricius de Philoxène de Mabboug (PO xxx)*, 1963.
- A. Vaschalde, *Philoxeni Mabbugensis Tractatus tres . . . (CSCO 9, Scr. syri 9)*, 1955.
- Pliny, *Natural History*, ed. L. John and C. Mayhoff, 1870-97.
- Plutarch, *Lives*, ed. C. Lindskog and K. Ziegler, 1914-39.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- Porphry, *On Abstinence*, ed. A. Nauck, 1886.  
 Procopius, *Works*, ed. G. Dindorf (*CShB* x), 1833.  
 al-Qalqashandi, Ahmad b. 'Abdallah: M. Gaudefroy-Demombynes, *La Syrie à l'époque des Mamelouks . . .*, 1923.  
 Rabbula, *Life of*, see Overbeck, *S. Ephraemi Syri . . .*  
 Rabbula, *Rules of*, see Vööbus, *Syriac and Arabic Documents . . .*  
 Raimond de Aguilers, *Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem*, *Recueil, hist. occ.* iii, 231.  
 Raoul of Caens, *Gesta Tancredi in Expeditione Hierosolymitana*, *Recueil, hist. occ.* iii, 587.  
 Rufinus of Aquileia, *Ecclesiastical History*, *Migne Patrologia Latina* xxi.  
 Samuel of Ani, *Chronography*, *Recueil des historiens des Croisades. Documents arméniens* i, 447.  
*Scriptores Historiae Augustae*, ed. E. Hohl, etc., 1965.  
*Secunda pars Historiae Iherosolimitanae*, *Recueil, hist. occ.* iii, 545.  
 Seert, *Chronicle of*, see *Nestorian History*.  
 Sempad, Le Connétable, *Chronicle of the Kingdom of Lesser Armenia*, *Recueil des historiens des Croisades. Documents arméniens* i. 605.  
 Sharaf al-din Yazdi, 'Ali: P. de la Croix, *Histoire de Timur-Bec . . .*, 1722.  
 Simocatta, Theophylact, *History*, ed. I. Bekker (*CShB* xi), 1834.  
 Socrates Scholasticus, *Ecclesiastical History*, *Migne PG* lxvii.  
 Solomon of Basra: E. A. W. Budge, *Book of the Bee . . .*, 1886.  
 Sozomen: J. Bidez and G. C. Hansen, *Sozomenus Kirchengeschichte*, 1960.  
 Stephen of Taron: J. P. L. F. E. Dulaurier, *Histoire universelle par Étienne Acogh'ig de Daron*, i. 1883.  
 ——— F. Macler, *Histoire universelle par Étienne Asolik de Tarôn . . .* ii, 1917.  
 Stephen b. Šudaile, see 'Hierotheos'  
 de Stoop, E., *Vie d'Alexandre l'Acémète (PO* vi), 1911.  
 Strabo, *Geography*, ed. A. Meinecke, 1852.  
 Symeon Magister, *Annals*, ed. I. Bekker (*CShB* xxii), 1838.  
 Symeon Metaphrastes, *Lives of the Martyrs Gurias, Samonas and Abibus*, *Migne PG* cxvi.  
 Synods, see *Councils, Church*.  
 al-Ṭabari, Muḥammad b. Garir: H. Zotenberg, *Chronique d'Abou Djafar . . . Tabari*, 1867-74.  
 ——— See also Nöldeke, *Geschichte der Perser*.  
 Tacitus, *Annals*, ed. E. Koestermann, 1965.  
 Theodore b. Koni: A. Scher, *Liber Scholiorum (CSGO* 55, 69, *Scr. syri* 19, 26), 1954.  
 Theodoret, Bishop of Cyrus, *Ecclesiastical History*, ed. L. Parmentier, 1954.  
 ——— *Religious History*, *Migne PG* lxxxiii.  
 Theophanes, *Chronography*, ed. F. Combefis (*CShB* xxvi), 1839-41.  
 Theophanes continuatus, *Chronography*, ed. I. Bekker (*CShB* xxii), 1838.  
 Thomas, Acts of Judas: P. Bedjan, *Acta . . .* iii.  
 ——— M. Bonnet, *Supplementum Codicis Apocryphi. Acta Thomae*, 1883.  
 ——— W. Wright, *Apocryphal Acts of the Apostles* i, 1871.  
 ——— See A. A. Bevan, *Hymn of the Soul*, 1897; *Narratives of Holy Women, Select*.  
 Thomas, Bishop of Marga: E. A. W. Budge, *The Book of Governors: the Historia Monastica of Thomas, Bishop of Marga A.D. 840*, 1893.  
 Vööbus, A, *Syriac and Arabic Documents regarding Legislation relative to Syrian Asceticism*, 1960.

## SELECT BIBLIOGRAPHY

- William of Tyre, *Historia rerum in partibus transmarinis gestarum*, *Recueil, hist. occ. i.* 1.  
 Xenophon, *Anabasis*, ed. G. Gemoll, 1909.  
 Yahballaha III, Catholicus: P. Bedjan, *Histoire de Mar Jabalaha*, 1895.  
 Yahya b. Sa'id al-Anṭaki: I. Kratchkovsky and A. A. Vasiliev, *Histoire de Yahya-ibn-Sa'id d'Antioche (PO xviii)*, 1924.  
 al-Ya'qubi, Aḥmad b. abu Ya'qub b. Waḍih, *Kitab al-buldan*, ed. M. J. de Goeje, *BGA* vii, 1892.  
 Yaqut b. 'Abdallah, *Mu'gam al-buldan*: H. F. Wüstenfeld, *Jacuts Geographisches Wörterbuch*, 1866-73.  
 Zacharias Rhetor Pseudo-: E. W. Brooks, *Historia Ecclesiastica Zachariae Rhetori vulgo adscripta (CSCO 83-4, Scr. syri 38-9)*, 1953.  
 Zonaras, John, *Annals*, ed. M. Pinder (*CSHB* xxix), 1841-97.  
 Zosimus, *New History*, ed. I. Bekker (*CSHB* xx), 1837.

### B. OTHER WORKS (INCLUDING INSCRIPTIONS)

- Abbott, F. F., and A. C. Johnson, *Municipal Administration in the Roman Empire*, 1926.  
 'Abd al-Masih, Y., 'An unedited Bohairic letter of Abgar', *Bulletin de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire* xlv, 1947, 65.  
 Abel, A., 'Étude sur l'inscription d'Abercius', *Byzantion* iii, 1926, 321.  
 Abramowski, R., *Dionysius von Tellmahre, jakobitischer Patriarch von 818-845 . . .*, 1940.  
 Adam, A., *Die Psalmen des Thomas und das Perlenlied als Zeugnisse vorchristlicher Gnosis*, 1959.  
 Adler, E. N., *Jewish Travellers*, 1930.  
 Adnès, A., and P. Canivet, 'Guérisons miraculeuses et exorcismes dans l' "Histoire Philothée" de Théodoret de Cyr', *RHR* clxxi, 1967, 53, 149.  
 Adontz, N., 'Notes arméno-byzantines', *Byzantion* ix, 1934, 367.  
 Ainsworth, W. F., *A Personal Narrative of the Euphrates Expedition*, 1888.  
 — *Researches in Assyria, Babylonia and Chaldaea*, 1838.  
 — *Travels and Researches in Asia Minor, Mesopotamia, Chaldea, and Armenia*, 1842.  
 Albrecht, K., *Die in Taḥkemoni vorkommenden Angaben über Ḥarizis Leben, Studien und Reisen*, 1890.  
 d'Alès, A., 'La Lettre d'Ibas à Marès le Persan', *Recherches de science religieuse* xxii, 1932, 5.  
 Alföldi, A., 'Die Hauptereignisse der Jahre 253-61 n. Chr. im Orient im Spiegel der Münzprägung', *Berytus* iv, 1937, 41.  
 Allemand-Lavigerie, C. M., *Essai historique sur l'école chrétienne d'Édesse*, 1850.  
 Althelm, F. and R. Stiehl, *Die Araber in der alten Welt*, 1964- .  
 Amedroz, H. F., 'The Marwānid Dynasty at Mayyafariqin in the Tenth and Eleventh Centuries A.D.', *JRAS*, 1903, 123.  
 — and D. S. Margoliouth, *The Eclipse of the Abbasid Caliphate*, 1920-1.  
 Arewean, A., *History of Edessa (in Armenian)*, 1881.  
 Assemanus, J. S., *Bibliotheca Orientalis Clementino-Vaticana*, 1719-28.  
 Babelon, E. C. F., *Les Rois de Syrie, d'Arménie et de Commagène*, 1890.  
 — *Mélanges numismatiques*, 1892-1912.  
 Babelon, J., *Catalogue de la Collection de Luynes* iv, 1936.  
 Badger, G. P., *The Nestorians and their Rituals . . .*, 1852.  
 Baldwin, M. W., *The First Hundred Years (K. M. Setton, A History of the Crusades i)*, 1955.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- Bardenhewer, O., *Geschichte der altkirchlichen Literatur*, 1913-32.
- Baumstark, A., 'Bruchstücke eines Taufsymbols der Euphratesia oder Osrhoëne', *OC* iii, 1903, 208.
- 'Das Alter der Peregrinatio Aetheriae', *OC* n.s. i, 1911, 32.
- 'Das Todesjahr der edessenischen Märtyrer Guria und Shamona', *Atti del IIo Congresso internazionale di Archeologia cristiana tenuto in . . . 1900*, 1902, 23.
- *Die Petrus- und Paulusacten in der literarischen Ueberlieferung der syrischen Literatur*, 1902.
- 'Eine syrische 'traditio legis' und ihre Parallelen', *OC* iii, 1903, 173.
- *Festbrevier und Kirchenjahr der syrischen Jacobiten*, 1910.
- *Geschichte der syrischen Literatur*, 1922.
- 'Iwannis von Dara über Bardaisan', *OC* 3 Ser. viii, 1933, 62.
- 'Vorjustinianische kirchliche Bauten in Edessa', *OC* iv, 1904, 164.
- Baur, P. V. C., etc., *The Excavations at Dura-Europos*, 1929- .
- Bayer, T. S., *Historia Osrhoene et Edessena, ex numis illustrata*, 1734.
- Baynes, N. H., *Byzantine Studies and other Essays*, 1955.
- 'The Supernatural Defenders of Constantinople', *Anal. Boll.* lxxvii, 1949, 165.
- Beck, E., 'Ascétisme et monachisme chez saint Ephrem', *Orient syrien* iii, 1958, 273.
- 'Das Bild vom Spiegel bei Ephräm', *Orientalia christiana periodica* xix, 1953, 1.
- *Ephraems Reden über den Glauben . . . (Studia Anselmiana 33)*, 1953.
- art. 'Ephraem Syrus' in T. Klauser (ed.), *Reallexikon für Antike und Christentum*.
- Beck, H. G., *Kirche und theologische Literatur im byzantinischen Reich*, 1959.
- Beckingham, C. F., *The Achievements of Prester John. An Inaugural Lecture*, 1966.
- Bell, G. M. L., *Amurath to Amurath . . .*, 1924.
- Bellinger, A. R., 'Hyspaosines of Charax', *YCS* viii, 1942, 53.
- 'The Coins . . .', in M. I. Rostovtzeff, etc., *The Excavations at Dura-Europos . . . 1933-1934 and 1934-1935*, 1939, 391.
- and C. B. Welles, 'A Third-Century Contract of Sale from Edessa in Osrhoene', *YCS* v, 1935, 93.
- Benz, E., *Indische Einflüsse auf die frühchristliche Theologie*, 1951.
- van Berchem, M., and J. Strzygowski, *Amida . . .*, 1910.
- Bidez, J., *La Vie de l'empereur Julien*, 1930.
- and F. V. M. Cumont, *Les Mages hellénisés . . .*, 1938.
- Bivar, A. D. H., and S. Shaked, 'The Inscriptions at Shīmbār', *BSOAS* xxvii, 1964, 265.
- Bludau, A., *Die Pilgerreise der Aetheria*, 1927.
- Bossert, H. T., *Altanatolien*, 1942.
- Bowen, H., *The Life and Times of 'Alī ibn 'Isa 'the Good Vizier'*, 1928.
- Braun, O., *Ausgewählte Akten Persischer Märtyrer*, 1915.
- *Das Buch der Synhados . . .*, 1900.
- Breasted, J. H., 'Peintures d'époque romaine dans le désert de Syrie', *Syria* iii, 1922, 177.
- Bréhier, L., 'Byzance et empire byzantin', *BZ* xxx, 1929-30, 360.
- 'Icones non faites de main d'homme', *Rev. arch.* 5 Ser. xxxv, 1932, 68.
- *La Civilisation byzantine*, 1950.
- *Les Institutions de l'Empire byzantin*, 1948.
- *Vie et mort de Byzance*, 1947.
- Brière, M., 'Quelques fragments syriaques de Diodore, évêque de Tarse', *ROC* 3 Ser. x (xxx), 1935-6, 231.
- Brock, S., 'The Armenian and Syriac Versions of the Ps.-Nonnus Mythological Scholia', *Muséon* lxxix, 1966, 401.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- Brockelmann, C., *Syrische Grammatik mit . . . Literatur . . .*, 1962.
- Brooks, E. W., 'Byzantines and Arabs in the time of the early Abbasids', *English Historical Review* xv, 1900, 728; xvi, 1901, 84.
- 'The Chronological Canon of James of Edessa' *ZDMG* liii, 1899, 261.
- 'The Sources of Theophanes and the Syriac Chroniclers', *BZ* xv, 1906, 578.
- Brown, L. W., *The Indian Christians of St. Thomas*, 1956.
- Buckingham, J. S., *Travels in Mesopotamia . . .*, 1827.
- Buckler, G., 'Women in Byzantine Law about 1100 A.D.', *Byzantion* xi, 1936, 391.
- Burckhardt, A., *Hieroclis Synecdemus*, 1893.
- Burkitt, F. C., *Church and Gnosis . . .*, 1932.
- *Early Eastern Christianity*, 1904.
- *The Religion of the Manichees*, 1925.
- 'The Throne of Nimrod', *Proceedings of the Society of Biblical Archaeology* xxviii, 1906, 149.
- Bury, J. B., *History of the Later Roman Empire from the death of Theodosius I to the death of Justinian, A.D. 395 to A.D. 565*, 1923.
- Butler, H. C., *Ancient Architecture in Syria*, 1907-21.
- Cahen, C., 'La Djazira au milieu du treizième siècle d'après 'Izz ad-din ibn Chaddad', *REI* viii, 1934, 109.
- 'La Première pénétration turque en Asie-Mineure (seconde moitié du XI<sup>e</sup> S.)', *Byzantion* xviii, 1948, 5.
- *La Syrie du Nord à l'époque des croisades*, 1940.
- 'Le Diyarbakr au temps des premiers Urtukides', *JA* ccxxvii, 1935, 219.
- Canard, M., *Histoire de la Dynastie des Hamdanides de Jazīra et de Syrie*, 1953.
- 'Quelques 'à-côté' de l'histoire des relations entre Byzance et les Arabes', *Studi Orientalistici in onore di Giorgio Levi della Vida*, 1956, i, 98.
- *Recueil de textes relatifs à l'émir Sayf al-Daula le Hamdanide . . .*, 1934.
- Cantineau, J., *Grammaire du palmyrénien épigraphique*, 1935.
- *Le Nabatéen*, 1930.
- and J. Starcky, *Inventaire des inscriptions de Palmyre*, 1930-.
- Caquot, A., 'Inscriptions judéo-arabes de Ruṣāfa (Sergiopolis)', *Syria* xxxii, 1955, 70.
- 'Note sur le Semeion et les inscriptions araméennes de Hatra', *Syria* xxxii, 1955, 59.
- 'Nouvelles inscriptions araméennes de Hatra', *Syria* xxix, 1952, 89; xxx, 1953, 234; xxxii, 1955, 49, 261; xl, 1963, 1; xli, 1964, 251.
- Carrière, A., *La Légende d'Abgar dans l'histoire d'Arménie de Moïse de Khoren* (Centenaire de l'École des langues vivantes), 1895.
- Casson, L., and E. L. Hettich, *Excavations at Nessana* ii, 1950.
- Cerfaux, L., art. 'Bardesanes' in T. Klauser (ed.), *Reallexikon für Antike und Christentum*.
- Cerulli, E., *Storia della letteratura etiopica*, 1956.
- Chabot, J. B. 'Édesse pendant la première croisade', *CRAI*, 1918, 431.
- 'L'École de Nisibe, son histoire, ses statuts', *JA* 9 Ser. viii, 1896, 43.
- 'Les Évêques jacobites du VIII<sup>e</sup> au XIII<sup>e</sup> siècle d'après la chronique de Michel le Syrien', *ROC* iv, 1899, 444, 495; v, 1900, 605; vi, 1901, 189.
- 'Notes sur quelques monuments épigraphiques araméens', *JA* 10 Ser. vii, 1906, 281.
- 'Un Épisode inédit de l'histoire des croisades', *CRAI*, 1917, 77.
- Chalandon, F., *Les Comnène*, 1900-12.
- Chalandon, H., *Histoire de la première croisade, jusqu'à l'élection de Godefroi de Bouillon*, 1925.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- Chapot, V., 'Antiquités de la Syrie du Nord', *Bull. corr. hell.* xxvi, 1902, 161.  
 — *La Frontière de l'Euphrate de Pompée à la conquête arabe*, 1907.  
 Charanis, P., *Church and State in the Later Roman Empire. The Religious Policy of Anastasius the First 491-518*, 1939.  
 Charles, H., *Le Christianisme des arabes nomades sur le Limes . . .*, 1936.  
 Charlesworth, M. P., *Trade-Routes and Commerce of the Roman Empire*, 1926.  
 Chaumont, M. L., 'Les Sassanides et la christianisation de l'empire iranien au III<sup>e</sup> siècle de notre ère', *RHR* clxv, 1964, 165.  
 Chesney, F. R., *The Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris . . .*, 1850.  
 Christensen, A. E., *L'Iran sous les Sassanides*, 1936.  
 Chwolson, D. A., *Die Ssabier und der Ssabismus*, 1856.  
 Clemen, C., *Lukians Schrift über die syrische Götter*, 1938.  
 — 'Tempel und Kult in Hierapolis', in *Pisciculi. Studien zur Religion und Kultur des Altertums Franz Joseph Dölger . . . dargeboten*, 1939, 66.  
 Clermont-Ganneau, C., *Recueil d'archéologie orientale*, 1888-1924.  
 Connolly, R. H., *Didascalia Apostolorum*, 1929.  
 Conybeare, F. C., 'The Date of Moses of Khoren', *BZ* x, 1901, 489.  
 Cook, A. B., *Zeus. A Study in Ancient Religion*, 1914-40.  
 Cumont, F. V. M., *Die Mysterien des Mithra*, 1911.  
 — *Études syriennes*, 1917.  
 — *Fouilles de Doura-Europos, 1922-1923*, 1926.  
 — 'Gaionas δεσπνοκρίτης', *CRAI*, 1917, 275.  
 — 'Le Culte de Mithra à Édesse', *Rev. arch.* 3 Ser. xii, 1888, 95.  
 — *Les Religions orientales dans le paganisme romain*, 1929.  
 — 'Peintures d'époque romaine dans le désert de Syrie', *Syria* iii, 1922, 177.  
 — *Recherches sur le symbolisme funéraire des Romains*, 1942.  
 Debevoise, N. C., *A Political History of Parthia*, 1938.  
 Deconinck, J., review in *RB* n.s. vii, 1910, 432.  
 Delaporte, L. J., *La Chronographie d'Élie Bar-Sinaya . . .*, 1910.  
 Delcor, M., 'Une Inscription funéraire araméenne trouvée à Daskyleion en Turquie', *Muséon* lxxx, 1967, 301.  
 Delhayé, H., *Les Origines du culte des martyrs*, 1933.  
 — *Les Saints stylites*, 1923.  
 Deonna, W., 'Questions d'archéologie religieuse et symbolique. V', *RHR* lxx, 1914, 43.  
 Der Nersessian, S., 'The Illustrations of the Metaphrastian Menologium', in *Late Classical and Mediaeval Studies in Honor of A. M. Friend*, 1955, 222.  
 Devos, P., 'Actes de Thomas et Actes de Paul', *Anal. Boll.* lxi, 1951, 119.  
 — 'Égérie à Édesse. S. Thomas l'Apôtre; le roi Abgar', *Anal. Boll.* lxxxv, 1967, 381.  
 — 'La Date du voyage d'Égérie', *Anal. Boll.* lxxxv, 1967, 165.  
 — 'Le Miracle posthume de S. Thomas l'Apôtre', *Anal. Boll.* lxxvi, 1948, 231.  
 Devreese, R., *Le Patriarcat d'Antioche depuis la paix de l'église jusqu'à la conquête arabe*, 1945.  
 Dhorme, E., 'Les Religions arabes préislamiques d'après une publication récente', *RHR* cxxxiii, 1948, 34.  
 Diehl, C., *Dans l'Orient byzantin*, 1917.  
 — *Justinien et la civilisation byzantine au VI<sup>e</sup> siècle*, 1901.  
 Diekamp, F., 'Der Mönch und Presbyter Georgios, ein unbekannter Schriftsteller des 7. Jahrhunderts', *BZ* ix, 1900, 14.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- Dillemann, L., *Haute Mésopotamie orientale et pays adjacents*, 1962.
- Dj'afar al-Hassani and J. Starcky, 'Autels palmyréniens découverts près de la source Efca', *Annales archéologiques de Syrie* vii, 1957, 95.
- Dobiáš, J., 'Les Premiers rapports des Romains avec les Parthas et l'occupation de la Syrie', *Arch. or.* iii. 1931, 215.
- von Dobschütz, E., *Christusbilder. Untersuchungen zur christlichen Legende*, 1899.
- 'Der Briefwechsel zwischen Abgar und Jesus', *ZWT* xliii, 1900, 422.
- 'Die Chronik Michael des Syrerers', *ZWT* xli, 1898, 456.
- 'Die confessionellen Verhältnisse in Edessa unter der Araberherrschaft . . .', *ZWT* xli, 1898, 364.
- Dölger, F., *Regesten der Kaiserurkunden des oströmischen Reiches von 565-1453*, 1924-65.
- Dölger, F. X. J., 'Ιχθvs. Das Fischsymbol in frühchristlicher Zeit', 1910-57.
- Donner, H., and W. Roellig, *Kanaanäische und aramäische Inschriften*, 1962-4.
- Doresse, J., *The Secret Books of the Egyptian Gnostics*, 1960.
- Downey, R. E. G., *A History of Antioch in Syria from Seleucus to the Arab Conquest*, 1961.
- Dowsett, C. J. 'A Twelfth-century Armenian Inscription at Edessa', in *In Memoriam Vladimir Minorsky*, 1970.
- Drijvers, H. J. W., *Bardaisan of Edessa*, 1966.
- 'Quq and the Quqites. An Unknown sect in Edessa in the Second Century A.D.', *Numen* xiv, 1967, 104.
- Drion, E., 'Un Apocryphe anti-arién: la version copte de la correspondance d'Abgar roi d'Édesse avec Notre-Seigneur', *ROC* 2 Ser. x, 1915-7, 306, 337.
- Duchesne, L., *L'Église au VI<sup>e</sup> siècle*, 1925.
- 'L'Iconographie byzantine dans un document grec du IX<sup>e</sup> siècle', *Roma e l'Oriente* anno III, v, Nov. 1912-Apr. 1913, 222, 273, 349.
- Duchesne-Guillemin, J., 'Die drei Weisen aus dem Morgenlande und die Anbetung der Zeit', *Antaios* vii, 1965, 234.
- Dulaurier, J. P. L. F. E., 'Die Chronik Michael des Syrerers', *ZWT* N.F. vi (xli), 1898, 456.
- Du Mesnil du Buisson, R., *Les Peintures de la synagogue de Doura-Europos, 245-256 après J. C.*, 1939.
- Dupont-Sommer, A., 'Une Hymne syriaque sur la Cathédrale d'Édesse', *Cah. arch.* ii, 1947, 29.
- Dussaud, R., *La Pénétration des arabes en Syrie avant l'Islam*, 1955.
- *Topographie historique de la Syrie antique et médiévale*, 1927.
- Duval, R., *Histoire politique, religieuse et littéraire d'Édesse jusqu'à la première croisade*, 1892.
- 'Notes sur la Peschitto', *REJ* xiv, 1887, 49.
- Ebersholt, J., *Sanctuaires de Byzance*, 1921.
- Eissfeldt, O. H. W. L., *Tempel und Kulte syrischer Städte in hellenistisch-römischer Zeit*, 1941.
- Eméreau, C., *Saint Éphrem le Syrien: son œuvre littéraire grecque*, 1919.
- Emerton, J. A., 'Some Problems of Text and Language in the Odes of Solomon', *JTS* N.S. xviii, 1967, 372.
- Ensslin, W., *Zu den Kriegen des Sassaniden Schapur I*, 1949.
- van Esbroeck, M., 'Chronique arménienne', *Anal. Boll.* lxxx, 1962, 423.
- Euting, J., 'Notulae epigraphicae I. Mosaïque syrienne d'Ourfah', in *Florilegium ou Recueil de travaux d'érudition dédiés à . . . de Vogüé*, 1909, 231.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- Faris, N. A., and H. Glidden, 'The Development of the Meaning of the Koranic *Ḥanif*', *Journal of the Palestine Oriental Society* xix, 1939-40, 1.
- de Faye, E., 'Introduction à l'étude du gnosticisme au II<sup>e</sup> et au III<sup>e</sup> siècle', *RHR* xlv, 1902, 299; xlvii, 1902, 31, 145, 363; xlvii, 1903, 336.
- Férotin, M., 'Le Véritable auteur de la *Peregrinatio Silviae*; la vierge espagnole Éthéria', *RQH* N.S. xxx, 1903, 367.
- Festugière, A. M. J., *Antioche païenne et chrétienne*, 1959.
- Février, J. G. *La Religion des Palmyréniens*, 1931.
- 'Simia-Némésis', *JA* ccxxiv, 1934, 308.
- Fiey, J. M. 'Auteur et date de la Chronique d'Arbèles', *Orient syrien* xii, 1967, 265.
- 'Diptyques nestoriens du XIV<sup>e</sup> siècle', *Anal. Boll.* lxxxii, 1963, 371.
- 'Vers la réhabilitation de l'*Histoire de Karaka d'Beṭ Slōh*', *Anal. Boll.* lxxxii, 1964, 189.
- Fliche, A., and V. Martin (ed.), *Histoire de l'église*: iii. J. R. Palanque, etc., *De la paix constantinienne à la mort de Théodose*, 1947; iv, P. de Labriolle, etc., *De la mort de Théodose à l'élection de Grégoire le Grand*, 1945.
- Forrer, E. O. G., *Die Provinzeinteilung des assyrischen Reiches*, 1920.
- Frank, T. (ed.), *An Economic Survey of Ancient Rome*, 1933-40.
- Frey, J. B., *Corpus inscriptionum judaicarum*, 1936- .
- Frézouls, E., 'Recherches sur les théâtres de l'Orient syrien', *Syria* xxxvi, 1959, 202.
- Frolow, A., *La Relique de la Vraie Croix. Recherches sur le développement d'un culte*, 1961.
- *Les Reliquaires de la Vraie Croix*, 1965.
- Frothingham, A. L., *Stephen bar Sudaili, the Syrian Mystic, and the Book of Hierotheos*, 1886.
- Frye, R. N., 'Notes on the Early Sassanian State and Church', in *Studi orientalistici in onore di Giorgio Levi della Vida*, 1956, i, 314.
- etc., 'Inscriptions from Dura-Europos', *YCS* xiv, 1955, 127.
- Gabriel, A., *Voyages archéologiques dans la Turquie orientale*, 1940.
- Gadd, C. J., 'The Harran Inscriptions of Nabonidus', *AS* viii, 1958, 35.
- von Gaertringen, F. Hiller, review in *Byzantinisch-Neugriechische Jahrbücher* v, 1926-7, 213.
- Gagé, J., 'Comment Sapor a-t-il 'trionphé' de Valérien?', *Syria* xlii, 1965, 343.
- *La Montée des Sassanides et l'heure de Palmyre*, 1964.
- de Gaiffier, B., 'Les Sources de la Passion de S. Eutrope de Saintes dans le 'Liber Sancti Jacobi'', *Anal. Boll.* lxix, 1951, 57.
- Galust, Ter-Grigorian Iskenderian, *Die Kreuzfahrer und ihre Beziehungen zu den armenischen Nachbarfürsten bis zum Untergang der Grafschaft Edessa*, 1915.
- Garcia, Z., 'Egeria ou Aetheria?', *Anal. Boll.* xxx, 1911, 444.
- 'La Lettre de Valérius aux moines de Vierzo sur la bienheureuse Aetheria', *Anal. Boll.* xxix, 1910, 377.
- Gavin, F., 'Aphraates and the Jews', *Journal of the Society of Oriental Research* vii, 1923, 95.
- Geary, G., *Through Asiatic Turkey. Narrative of a Journey from Bombay to the Bosphorus*, 1878.
- Geffcken, J., *Der Ausgang des griechisch-römischen Heidentums*, 1929.
- Gelzer, H., *Georgii Cyprii Descriptio Orbis Romani*, 1890.
- 'Josua Stylites und die damaligen kirchlichen Parteien des Ostens', *BZ* i, 1892, 34.
- 'Ungedruckte und wenig bekannte Bistümerverszeichnisse der orientalischen Kirche', *BZ* i, 1892, 245; ii, 1893, 22.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- Gelzer, H., and A. Burckhardt, *Des Stephanos von Taron Armenische Geschichte*, 1907.
- Gershevitch, I. 'A Parthian Title in the Hymn of the Soul', *JRAS*, 1954, 124.
- Gerson, D., 'Die Commentarien des Ephraem Syrus im Verhältniss zur jüdischen Exegese . . .', *Monatschrift für Geschichte und Wissenschaft des Judenthums* xvii, 1868, 15, 64, 98, 141.
- Gibson, J. C. L., 'From Qumran to Edessa: or the Aramaic Speaking Church before and after 70 A.D.', *Annual of the Leeds University Oriental Society* v, 1963-5, 24.
- Giron, N., 'Notes épigraphiques (Damas, Alep, Orfa)', *Mél. S-ŷ* v. 1911, 71.
- Gollancz, H., *Julian the Apostate*, 1928.
- Goodenough, E. R., *Jewish Symbols in the Greco-Roman Period*, 1953-6.
- Goossens, G., *Hiéropolis de Syrie. Essai de monographie historique*, 1943.
- Gordon, C. H., 'Abraham and the Merchants of Ura', *JNES* xvii, 1958, 28.
- *Before the Bible*, 1962.
- Gottheil, R. J. H., 'A Tract on the Syriac conjunctions', *Hebraica* iv, 1887-8, 167.
- Goubert, P., *Byzance avant l'Islam*, 1951-5.
- Gouillard, J., 'Supercheries et méprises littéraires: L'œuvre de Saint Théodore d'Édesse', *Revue des études byzantines* v, 1947, 137.
- Grabar, A. N., *L'Iconoclisme byzantin. Dossier archéologique*, 1957.
- *La Sainte Face de Laon, le Mandylion dans l'Art orthodoxe* (Seminarium Kondakovianum), 1931.
- 'Le Témoignage d'une hymne syriaque sur l'architecture de la cathédrale d'Édesse au VI<sup>e</sup> siècle et sur la symbolique de l'édifice chrétien', *Cah. arch.* ii, 1947, 41.
- *Martyrium. Recherches sur le culte des reliques et l'art chrétien antique*, 1946.
- Graf, G., 'Die Šābier', *OC* xii-xiv, 1925, 214.
- *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*, 1944-53.
- 'Zur Gebetsostung', *Jahrbuch für Liturgiewissenschaft* vii, 1927, 153.
- Grébaut, S., 'Les Relations entre Abgar et Jésus, texte éthiopien', *ROC* 3 Ser. i (xxi), 1918-9, 73, 190, 253.
- Grégoire, H., 'Bardesane et S. Abercius', *Byzantion* xxv-xxvii, 1955-7, 363.
- 'Le Tombeau et la date de Digénis Akritas', *Byzantion* vi, 1931, 481.
- *Les Persécutions dans l'Empire romain*, 1964.
- 'Sainte Euphémie et l'Empereur Maurice', *Muséon* lix, 1946, 295.
- and M. Canard, *La Dynastie d'Amorium (820-867)*, 1935.
- Grintz, J. M. 'On the Original Home of the Semites', *JNES* xxi, 1962, 186.
- Grohmann, A., *Griechische, koptische und arabische Texte zur Religion und religiösen Literatur in Ägyptens Spätzeit*, 1934.
- Grousset, R., *Histoire de l'Arménie des origines à 1071*, 1947.
- *Histoire des Croisades et du royaume franc de Jérusalem*, 1934-6.
- Grumel, V., 'Léon de Chalcédoine et le canon de la fête du saint Mandilion', *Anal. Boll.* lxxviii, 1950, 135.
- Grünbaum, M., *Neue Beiträge zur semitischen Sagenkunde*, 1893.
- von Grunebaum, G. E., 'Eine poetische Polemik zwischen Byzanz und Bagdad im X. Jahrhundert', *Studia Arabica* I, 1937, 41.
- Güterbock, C., *Byzanz und Persien in ihren diplomatisch-völkerrechtlichen Beziehungen im Zeitalter Justinians . . .*, 1906.
- von Gutschmid, A., *Untersuchungen über die Geschichte des Königreichs Osroene*, 1887.
- Guyer, S., *My Journey down the Tigris*, 1925.
- 'Reisen in Mesopotamien', *Dr. A. Petermanns Mitteilungen aus Justus Perthes' Geographischer Anstalt* lxii, 1916, 168.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- Haase, F., *Altchristliche Kirchengeschichte nach orientalischen Quellen*, 1925.  
 — 'Die Abfassungszeit der Edessenischen Chronik', *OC* n.s. vii-viii, 1918, 88.  
 — 'Neue Bardesanesstudien', *OC* n.s. xii-xiv, 1925, 129.  
 — 'Untersuchungen zur Chronik des Pseudo-Dionysios von Tell-Mahre', *OC* n.s. vi, 1916, 65, 240.  
 — *Zur bardesanischen Gnosis*, 1910.  
 Hage, W., *Die syrisch-jakobitische Kirche in frühislamischer Zeit*, 1966.  
 Hallier, L., *Untersuchungen über die edessenische Chronik . . .*, 1892.  
 Hallo, W. W., 'The Road to Emar', *Journal of Cuneiform Studies* xviii, 1964, 57.  
 Hammerschmidt, E., etc., *Symbolik des orthodoxen und orientalischen Christentums*, 1962.  
 von Harnack, C. G. A., *The Mission and Expansion of Christianity in the First Three Centuries . . .*, 1908.  
 — 'Der Brief des britischen Königs Lucius an den Papst Eleutherus', *Sitzungsberichte der königlich preussischen Akademie der Wissenschaften*, 1904, 909.  
 Harris, J. R., *Boanerges*, 1913.  
 — *The Cult of the Heavenly Twins*, 1906.  
 — *The Dioscuri in the Christian Legends*, 1903.  
 Hartmann, M., *Bohtan* (Mitteilungen der vorderasiatischen Gesellschaft), 1896.  
 Hasluck, F. W., *Christianity and Islam under the Sultans*, 1929.  
 Hayes, E. R., *L'école d'Édesse*, 1930.  
 Head, B. V., *Historia nummorum*, 1911.  
 von Hefele, C. J., *Histoire des Conciles d'après les documents originaux*, 1907.  
 Henderson, M. I., review in *JRS* xxxix, 1949, 121.  
 Henning, W. B., 'A New Parthian Inscription', *JRAS* 1953, 132.  
 — 'The Monuments and Inscriptions of Tang-i Sarvak', *Asia Major* n.s. ii, 1951-2, 151.  
 Herrmann, A., *Die alten Seidenstrassen zwischen China und Syrien*, 1910.  
 Herrmann, L., 'Qui est Saint Alexis?', *L'Antiquité classique* xi, 1942, 235.  
 Herrmann, T., 'Die Schule von Nisibis vom 5. bis 7. Jahrhundert', *ZNW* xxv, 1926, 89.  
 Herzfeld, E., 'Hatra', *ZDMG* lxxviii, 1914, 655.  
 Hilgenfeld, A., *Bardesanes, der letzte Gnostiker*, 1864.  
 Hill, G. F., *Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotamia, and Persia . . .*, 1922.  
 Hjelt, A., *Die altsyrische Evangelienübersetzung und Tatians Diatessaron*, 1903.  
 Hoffmann, J. G. E., *Akten der Ephesinischen Synode vom Jahre 449*, 1917.  
 — *Auszüge aus syrischen Akten persischer Märtyrer*, 1880.  
 Hogarth, D. G., 'Hierapolis Syriae', *The Annual of the British School of Athens* xiv, 1907-8, 183.  
 Hölscher, G., *Syrische Verskunst*, 1932.  
 Homes, D., 'A propos d'une statue 'parthe'', *Syria* xxxvii, 1960, 321.  
 Honigmann, E., 'A Trial for Sorcery on August 22, A.D. 449', *Isis* xxv, 1944, 281.  
 — *Die Ostgrenze des byzantinischen Reiches von 363 bis 1071 . . .*, 1935.  
 — *Evêques et évêchés monophysites d'Asie antérieure au VI<sup>e</sup> siècle*, 1951.  
 — *Le Couvent de Barsauma et le patriarcat jacobite d'Antioche et de Syrie*, 1954.  
 — *Patristic Studies*, 1953.  
 — 'Studien zur Notitia Antiochene', *BZ* xxv, 1925, 60.  
 — 'The Original Lists of the Members of the Council of Nicaea, the Robber-Synod and the Council of Chalcedon', *Byzantion* xvi, 1942-3, 20.  
 — 'Urfa keilschriftlich nachweisbar?', *ZA* n.f. v (xxxix), 1930, 301.  
 — art. 'Orfa' in *EI*.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- Honigmann, E., and A. Maricq, *Recherches sur les Res gestae divi Saporis*, 1953.
- Hopfner, T., 'Apollonis von Tyana und Philostratos', *Seminarium Kondakovianum* iv, 1931, 135.
- Hopkins, C., 'Aspects of Parthian Art in the Light of Discoveries from Dura-Europos', *Berytus* iii, 1936, 1.
- Huart, C., *La Perse antique et la civilisation iranienne*, 1925.
- Humann, K., and O. Puchstein, *Reisen in Kleinasien und Nordsyrien*, 1890.
- Ingholt, H., 'Inscriptions and Sculptures from Palmyra, I-II', *Berytus* iii, 1936, 83; v, 1938, 93.
- *Parthian Sculptures from Hatra* . . . . 1954.
- etc., *Recueil des Tessères de Palmyre*, 1955.
- Işiltan, F., *Urfa bölgesi tarihi* . . . (in Turkish), 1960.
- Jannare, A. N., 'Κατεπένω—Capitano—Captain', *BZ* x, 1901, 204.
- Jansma, T., 'Die Christologie Jakobs von Serugh und ihre Abhängigkeit von der alexandrinischen Theologie und der Frömmigkeit Ephraems des Syrers', *Muséon* lxxviii, 1965, 5.
- 'L'Hexaméron de Jacques de Sarug', *Orient syrien* iv, 1959, 3, 129, 363.
- Jargy, S., 'Les 'fils et filles du Pacte' dans la littérature monastique syriaque', *Orientalia christiana periodica* xvii, 1951, 304.
- Jenni, E., 'Die altsyrischen Inschriften 1-3 Jahrhundert n. Chr.', *Theologische Zeitschrift* xxi, 1965, 371.
- Jensen, P., 'Nik(k)al . . . in Harran', *ZA* xi, 1896, 293.
- Johns, C. H. W., *An Assyrian Doomsday Book . . . of the District round Harran*, 1901.
- Jones, A. H. M., *The Cities of the Eastern Roman Provinces*, 1937.
- *The Greek City from Alexander to Justinian*, 1940.
- *The Later Roman Empire, 284-602*, 1964.
- Juster, J., *Les Juifs dans l'Empire romain. Leur condition juridique, économique et sociale*, 1914.
- Kahle, P. E. *The Cairo Genizah*, 1959.
- Kaufmann, C. M., *Handbuch der christlichen Archäologie*, 1922.
- Kawar, I., 'The Arabs in the Peace Treaty of A.D. 561', *Arabica* iii, 1956, 181.
- Kawerau, P., *Die jakobitische Kirche im Zeitalter der syrischen Renaissance, Idee und Wirklichkeit*, 1960.
- Kazan, S., 'Isaac of Antioch's Homily against the Jews', *OC* 4 Ser. ix (xlv), 1961, 30; x (lvi), 1962, 87; xi (xlvii), 1963, 89; xiii (xlix), 1965, 57.
- Keseling, P., 'Die Chronik des Eusebius in der syrischen Überlieferung', *OC* 3 Ser. i (xxiii), 1926-7, 23, 223; ii (xxiv), 1927, 33.
- Lord Kinross, *Within the Taurus*, 1954.
- Kirsten, E., art. 'Edessa', in T. Klauser (ed.), *Reallexikon für Antike und Christentum*.
- Klijn, A. F. J., *Edessa; de Stad van de Apostel Thomas* . . . , 1962.
- *The Acts of Thomas*, 1962.
- Kraemer, C. J., *Excavations at Nessana* iii. Non-literary papyri, 1958.
- Krauss, S., *Griechische und lateinische Lehnwörter im Talmud, Midrasch und Targum*, 1898-9.
- Kromayer, J., and G. Veith, *Heerwesen und Kriegführung der Griechen und Römer*, 1928.
- Krueger, P., *Codex Justinianus*, 1954.
- Krüger, P., *Das syrisch-monophysitische Mönchtum im Tur-'Abdin* . . . , 1938.
- Krumbacher, C., *Der heilige Georg in der griechischen Überlieferung*, 1911.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- *Geschichte der byzantinischen Literatur von Justinian bis zum Ende des oströmischen Reiches, 527-1453*, 1897.
- Kugener, M. A., 'La Compilation historique de pseudo-Zacharie le Rhéteur', *ROC* v, 1900, 201, 461.
- 'Observations sur la vie de l'ascète Isaïe et sur les vies de Pierre l'Ibérien et de Théodore d'Antinoé par Zacharie le Scolastique', *BZ* ix, 1900, 464.
- 'Une Inscription syriaque de Biredjik', *RSO* i, 1907, 587.
- Kupper, J. R., *Les Nomades en Mésopotamie au temps des rois de Mari*, 1957.
- 'Uršu', *RA* xliii, 1949, 79.
- Kuypers, A. B., *The Prayer Book of Aedelwald the Bishop, commonly called the Book of Cerne*, 1902.
- Labourt, J., *Le Christianisme dans l'Empire perse sous la dynastie Sassanide (224-632)*, 1904.
- de Labriolle, P., *La Réaction païenne*, 1934.
- Lammens, H., *Études sur le siècle des Omayyades*, 1930.
- *L'Arabie occidentale avant l'hégire*, 1928.
- 'La Mecque à la veille de l'hégire', *Mél. S-ŷ* ix, 1923-4, 97.
- 'Le Culte des bétyles et les processions religieuses chez les Arabes préislamites', *Bulletin de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire* xvii, 1919, 39.
- La Monte, J. L., *Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, 1100 to 1291*, 1932.
- Landersdorfer, S., *Die Götterliste des Mar Jakob von Sarug in seiner Homilie über den Fall der Götzenbilder . . .*, 1914.
- Langlois, V., *Voyage dans la Cilicie et dans les montagnes du Taurus, exécuté pendant les années 1852-1853 . . .*, 1861.
- Laroche, E., 'Divinités lunaires d'Anatolie', *RHR* cxlviii, 1955, 1.
- Lassus, J., *Sanctuaires chrétiens de Syrie . . . du III<sup>e</sup> siècle à la conquête musulmane*, 1947.
- Laurent, J., *Byzance et les Turcs seldjoucides dans l'Asie occidentale jusqu'en 1081*, 1913.
- 'Des Grecs aux Croisés: étude sur l'histoire d'Édesse entre 1071 et 1098', *Byzantion* i, 1924, 367.
- Leclercq, H., art. 'Édesse' in F. Cabrol and H. Leclercq (ed.) *DACL*.
- Leloir, L., *Doctrines et Méthodes de S. Éphrem . . .*, 1961.
- 'Le Diatessaron de Tatien', *Orient syrien* i, 1956, 208, 313.
- *Le Témoignage d'Éphrem sur le Diatessaron*, 1962.
- *Saint Éphrem. Commentaire de l'Évangile concordant . . .*, 1963.
- Lemoine, E., 'Physionomie d'un moine syrien: Philoxène de Mabboug', *Orient syrien* iii, 1958, 91.
- Lepper, F. A., *Trajan's Parthian War*, 1948.
- Le Rider, G. G., 'Monnaies de Characène', *Syria* xxxvi, 1959, 229.
- Leroy, J., 'Mosaïques funéraires d'Édesse', *Syria* xxxiv, 1957, 306.
- 'Nouvelles découvertes archéologiques relatives à Édesse', *Syria* xxxviii, 1961, 159.
- Le Strange, G., *The Lands of the Eastern Caliphate*, 1930.
- Levi, D., *Antioch Mosaic Pavements*, 1947.
- Levy, R., *The Social Structure of Islam*, 1957.
- Lewy, H., 'Points of Comparison between Zoroastrianism and the moon-cult of Harran', in W. B. Henning and E. Yarshater (ed.), *A Locust's Leg. Studies in honour of S. H. Taqizadeh*, 1962, 139.
- Lewy, J., 'Studies in the Historic Geography of the Ancient Near East. I-II', *Orientalia* xxi, 1952, 265, 393.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- Lewy, J., 'The Late Assyro-Babylonian Cult of the Moon and its Culmination at the Time of Nabonidus', *HUCA* xix, 1945-6, 405.
- Lidzbarski, M., *Ephemeris für semitische Epigraphik*, 1900-15.
- *Handbuch der nordsemitischen Epigraphik nebst ausgewählten Inschriften*, 1898.
- Lietzman, H., *A History of the Early Church*, 1949-51.
- *Das Leben des heiligen Symeon Stylites*, 1908.
- Lipsius, R. A., *Die Edessenische Abgar-Sage . . .*, 1880.
- Littmann, E., 'Eine altsyrische Inschrift', *ZA* xxvii, 1912, 379.
- *Semitic Inscriptions* (Part IV of the *Publications of an American Archaeological Expedition to Syria in 1899-1900*), 1904.
- *Semitic Inscriptions* (*Publications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904-05 and 1909. Division IV*), 1914-49.
- Liu, G. K.-C., 'The Silkworm and Chinese Culture', *Osiris* x, 1952, 129.
- Lloyd, S., and W. Brice, etc., 'Harran', *AS* i, 1951, 77.
- Longden, R. P., 'Notes on the Parthian Campaigns of Trajan', *JRS* xxi, 1931, 1.
- de Lorey, E., 'Les Mosaiques de la mosquée des Omayyades à Damas', *Syria* xii, 1931, 326.
- Lucius, E., *Die Anfänge des Heiligenkults in der christlichen Kirche*, 1904.
- Luckenbill, D. D., *Ancient Records of Assyria and Babylonia*, 1926-7.
- Lüders, A., *Die Kreuzzüge im Urteil syrischer und armenischer Quellen*, 1964.
- Lüdtke, W., and T. Nissen, *Die Grabschrift des Aberkios. Ihre Überlieferung und ihr Text*, 1910.
- Macdonald, G., *Catalogue of Greek Coins in the Hunterian Collection. University of Glasgow* iii, 1905.
- McDowell, R. H., *Stamped and Inscribed Objects from Seleucia on the Tigris*, 1935.
- MacLean, A. J., and W. H. Browne, *The Catholicos of the East . . .*, 1892.
- Maricq, A., *Classica et Orientalia* (revised by J. Pirenne, etc.), 1965.
- 'Hatra de Sanatrouq', *Syria* xxxii, 1955, 273.
- Marmardji, M. S., 'Les Dieux du paganisme d'après Ibn Al-Kalbi', *RB* xxxv, 1926, 397.
- Marquart, J., *Eranšahr nach der Geographie des Ps. Moses Xorenac'i*, 1901.
- *Osteuropäische und ostasiatische Streifzüge*, 1903.
- Martin, J. P., 'Le Brigandage d'Éphèse d'après ses Actes récemment découverts', *RSE* 3 Ser. ix (xxix), 1874, 505; x (xxx), 1874, 22, 209, 305, 385, 518.
- *Le Pseudo-Synode connu dans l'histoire sous le nom de Brigandage d'Éphèse . . .*, 1875.
- Maspéro, J., 'Φοιδερῶται et Στρατιῶται dans l'armée byzantine au VI<sup>e</sup> siècle', *BZ* xxi, 1912, 97.
- Matthes, K. C. A., *Die edessenische Abgarsage . . .*, 1882.
- Maude, M. M., 'Who were the B'nai Q'yama?', *JTS* xxxvi, 1935, 13.
- Maundrell, H., *A Journey from Aleppo to Jerusalem at Easter, A.D. 1697, The Third Edition. To which is now added an Account of the Author's Journey to the Banks of the Euphrates at Beer, and the Country of Mesopotamia*, 1749.
- Mayer, L. A., *Mamluk Costume; A Survey*, 1952.
- Meister, C., 'De itinerario Aetheriae abbatissae perperam nomini S. Silviae addicto', *Rheinisches Museum für Philologie* lxiv, 1909, 337.
- Mendel, G., *Catalogue des sculptures grecques, romaines, et byzantines*, 1912-4.
- Messina, G., 'La Celebrazione della festa . . . in Adiabene', *Orientalia* n.s. vi, 1934, 234.
- 'La Cronaca di Arbela', *Civiltà Cattolica* lxxxiii, 1932, 362.
- Meyer, E., art 'Edessa' in Pauly-Wissowa *Real-Encyclopädie der classischen Altertumswissenschaft*.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- Mez, A., *Geschichte der Stadt Harran in Mesopotamien bis zum Einfall der Araber*, 1892.
- Moberg, B., 'Die syrische grammatik des Johannes Esṭōnājā', *Monde Oriental* iii, 1909, 24.
- von Moltke, H. C. B., *Briefe über Zustände und Begebenheiten in der Türkei aus den Jahren 1835 bis 1839 . . .*, 1891.
- Mommsen, T., and P. M. Meyer, *Theodosiani libri XVI cum constitutionibus Sirmondianis . . .*, 1905.
- Monneret de Villard, U., 'La Fierà di Batnae e la traslazione di S. Tomaso a Edessa', *Rendic. Lincei*, Classe di Scienze morali, storiche e filologiche, 8 Ser. vi, 1951, 77.
- *Le Chiese della Mesopotamia*, 1940.
- Moore, G. F., 'The Theological School at Nisibis', in D. G. Lyon (ed.), *Studies in the History of Religions presented to C. H. Toy . . .*, 1912, 255.
- Moritz, B., 'Syrische Inschriften', in M. von Oppenheim, *Inschriften aus Syrien, Mesopotamien und Kleinasien . . .*, 1913, 157.
- 'Syrische Inschriften aus Syrien und Mesopotamien', *Westasiatische Studien. Mittheilungen des Seminars für Orientalische Sprachen zu Berlin* i/2, 1898, 124.
- Moss, C., *Catalogue of Syriac Printed Books and Related Literature in the British Museum*, 1962.
- Mouterde, R., 'Dea Syria en Syrie', *Mél. S-J* xxv, 1942-3, 135.
- and A. Poidebard, 'La Voie antique des caravanes entre Palmyre et Hīt, au II<sup>e</sup> siècle après Jésus-Christ, d'après une inscription retrouvée au Sud-Est de Palmyre (1930)', *Syria* xii, 1931, 101.
- *Le Limes de Chalcis. Organisation de la steppe en Haute Syrie romaine*, 1945.
- Müller, N., art, 'Koimeterien, die altchristlichen Begräbnisstätten', in Herzog, *Realenzyklopädie für protestantische Theologie und Kirche*.
- Müller, V. P. P., *En Syrie avec les bédouins*, 1931.
- Myslivec, J., 'Die Abgaros-Legende auf einer Ikone des XVII Jhdts.', *Seminarium Kondakovianum* v, 1932, 190.
- Naster, P., 'Les Monnaies d'Édesse révèlent-elles un Dieu 'Elul?', *Revue belge de Numismatique* cxiv, 1968, 5.
- Nau, F., 'Analyse de la seconde partie inédite de l'histoire ecclésiastique de Jean d'Asie . . .', *ROC* ii, 1897, 455.
- 'Étude sur les parties inédites de la chronique ecclésiastique attribuée à Denys de Tellmahré . . .', *ROC* ii, 1897, 41.
- *Les Arabes chrétiens de Mésopotamie et de Syrie du VII<sup>e</sup> au VIII<sup>e</sup> siècle*, 1933.
- 'Notice des manuscrits syriaques . . . entrés à la bibliothèque nationale de Paris . . .', *ROC* 2 Ser. vi (xvi), 1911, 271.
- 'Une inscription grecque d'Édesse: la lettre de N.-S. J.-C. à Abgar', *ROC* 3 Ser. i (xxi), 1918-9, 217.
- Nestle, E., 'Die Statuten der Schule von Nisibis aus den Jahren 496 und 590', *Zeitschrift für Kirchengeschichte* xviii, 1898, 211.
- Neusner, J., *A History of the Jews in Babylonia* i. The Parthian Period, 1965.
- Niebuhr, C., *Reisebeschreibung nach Arabien und andern umliegenden Ländern*, 1774-8.
- Nissen, T., 'Die Petrusakten und ein bardesanitische Dialog in der Aberkiosvita', *ZNW* ix, 1908, 190, 315.
- *S. Abercii Vita*, 1912.
- Nodelman, S. A., 'A Preliminary History of Characene', *Berytus* xiii, 1960, 83.
- Nöldeke, T., 'ΑΣΣΥΡΙΟΣ ΣΥΡΙΟΣ ΣΥΡΟΣ', *Hermes* v, 1871, 443.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- Nöldeke, T., 'Die von Guidi herausgegebene syrische Chronik', *Sitzungsberichte d. Kaiserl. Akademie d. Wissenschaften in Wien*, Phil.-hist. Classe, cxxviii-cxxix, 1893.
- 'Ein zweiter syrischer Julianusroman', *ZDMG* xxviii, 1874, 660.
- *Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft*, 1910.
- 'Syrische Inschriften', *ZA* xxi, 1908, 151.
- 'Ueber den syrischen Roman von Kaiser Julian', *ZDMG* xxviii, 1873, 263.
- 'Über einige Edessenische Märtyrerakten', *Strassburger Festschrift zur XLVI. Versammlung deutscher Philologen und Schulmänner*, 1901, 13.
- 'Zur Alexiuslegende', *ZDMG* liii, 1899, 256.
- Olivier, G. A., *Voyage dans l'Empire Othoman, l'Égypte et la Perse*, 1801-7.
- von Oppenheim, M., *Inschriften aus Syrien, Mesopotamien und Kleinasien gesammelt im Jahre 1899*, 1913.
- *Vom Mittelmeer zum Persischen Golf . . .*, 1899-1900.
- and F. Hiller von Gaertringen, 'Höhleninschrift von Edessa mit dem Briefe Jesu an Abgar', *Sitzungsberichte der königlich preussischen Akademie der Wissenschaften*, 1914, 817.
- and H. Lucas, 'Griechische und lateinische Inschriften aus Syrien, Mesopotamien und Kleinasien', *BZ* xiv, 1905, 1.
- Ortiz de Urbina, I., *Patrologia syriaca*, 1958.
- Ostrogorski, G., *History of the Byzantine State*, 1956.
- Otter, J., *Voyage en Turquie et en Perse*, 1748.
- Parrot, A., etc., *Archives royales de Mari*, 1950- .
- Parry, O. H., *Six Months in a Syrian Monastery*, 1895.
- Parthey, G., and M. Pinder, *Itinerarium Antonini Augusti et Hierosolymitanum*, 1848.
- Peeters, P., 'Glanures martyrologiques. II. La Basilique des Confesseurs à Édesse', *Anal. Boll.* lviii, 1940, 110.
- 'Jacques de Saroug appartient-il à la secte monophysite?', *Anal. Boll.* lxvi, 1948, 134.
- 'La Légende de saint Jacques de Nisibe', *Anal. Boll.* xxxviii, 1920, 285.
- 'La Passion de S. Michel le Sabaïte', *Anal. Boll.* xlvi, 1930, 65.
- 'Le "Passionnaire d'Adiabène"', *Anal. Boll.* xliii, 1925, 261.
- *Orient et Byzance. Le tréfonds oriental de l'hagiographie byzantine*, 1950.
- *Recherches d'histoire et de philologie orientales*, 1951.
- 'S. Dometios le martyr et S. Dometios le médecin', *Anal. Boll.* lvii, 1939, 72.
- 'S. Syméon Stylite et ses premiers biographes', *Anal. Boll.* lxi, 1943, 29.
- 'Traductions et traducteurs dans l'hagiographie orientale à l'époque byzantine', *Anal. Boll.* xl, 1922, 241.
- Perdrizet, R., 'D'une gravure relative à la légende de S. Jude Thaddée', *Seminarium Kondakovianum* vi, 1933, 67.
- 'De la Véronique et de Sainte Véronique', *Seminarium Kondakovianum* v, 1932, 1.
- Pereira, F. M. E., 'Légende grecque de l'Homme de Dieu saint Alexis', *Anal. Boll.* xix, 1900, 241.
- 'Note sur la date de la légende grecque de saint Alexis', *Anal. Boll.* xix, 1900, 254.
- Perry, S. G. F., *The Second Synod of Ephesus*, 1881.
- Petermann, J. H., *Reisen im Orient*, 1860-1.
- Peters, C., *Das Diatessaron Tatians. Seine Überlieferung und sein Nachwerken im Morgen- und Abendland . . .*, 1939.
- Peterson, E., *Frühkirche, Judentum und Gnosis*, 1959.
- Pétré, H., *Journal de Voyage*, 1948.

- Philipsborn, A., 'Der Fortschritt in der Entwicklung des byzantinischen Krankenhauswesens', *BZ* liv, 1961, 338.
- Picard, C., 'Un Texte nouveau de la correspondance entre Abgar d'Osrhoène et Jésus-Christ', *Bull. corr. hell.* xlv, 1920, 41.
- Piganiol, A., *L'Empire chrétien (325-95)*, 1947.
- Pigulevskaya, N. V., *Les Villes de l'état iranien aux époques parthe et sassanide*, 1963.
- Pinkerton, J., 'The Origin and the Early History of the Syriac Pentateuch', *JTS* xv, 1914, 14.
- Pirenne, J., 'Aux origines de la graphie syriaque', *Syria* xl, 1963, 101.
- Platnauer, M., *The Life and Reign of the Emperor Lucius Septimius Severus*, 1918.
- Pococke, R., *A Description of the East and some other Countries*, 1743-5.
- Pognon, H., *Inscriptions mandaites des coupes de Khouabir*, 1898-9.
- *Inscriptions sémitiques de la Syrie, de la Mésopotamie et de la région de Mossoul*, 1907.
- Pomjalovskij, J., *Das Leben unseres vereewigten Vaters Theodor, Erzbischofs von Edessa*, 1892.
- Poujoulat, B., *Voyage à Constantinople, dans l'Asie mineure, en Mésopotamie, à Palmyre, en Syrie, en Palestine et en Égypte*, 1840-1.
- Pouillet, *Nouvelles Relations du Levant*, 1668.
- Preusser, C., *Nordmesopotamische Baudenkmäler altchristlicher und islamischer Zeit*, 1911.
- Puech, H. C., *Le Manichéisme*, 1949.
- Ramusio, G. B., *Delle Navigazioni et Viaggi*, 1583-1613.
- Rauwolffen L., *Aigentliche beschreibung der Raisz, so er . . . gegen Auffgang inn die Morgenländer . . . vollbracht*, 1582-3.
- *Itinerary into the Eastern countries . . .* (tr. N. Staphorst), 1693.
- Renan, J. E., 'Deux monuments épigraphiques d'Édesse', *J.A.* 8 Ser. i. 1883, 246.
- *Mission de Phénicie*, 1864.
- Rey, E. G., *Les Colonies francques de Syrie au XII<sup>me</sup> et XIII<sup>me</sup> siècles*, 1883.
- *Les Grandes Écoles Syriennes du IV<sup>e</sup> au XII<sup>e</sup> siècle*, 1898.
- Rice, D. S., 'Medieval Harran . . .', *AS* ii, 1952, 36.
- Richter, G., 'Über die älteste Auseinandersetzung der syrischen Christen mit den Juden', *ZNW* xxxv, 1936, 101.
- Richter, G. M. A., 'Silk in Greece', *American Journal of Archaeology* xxxiii, 1929, 27.
- Ritter, H., and M. Plessner, 'Picatrix'. *Das Ziel des Weisen von Pseudo-Magriti*, 1962.
- Röhricht, R., *Geschichte des ersten Kreuzzuges*, 1901.
- *Geschichte des Königreichs Jerusalem 1100-1291*, 1898.
- Ronzevalle, S., 'Les Monnaies de la dynastie de 'Abd-Hadad et les cultes de Hiérapolis-Bambycé', *Mél. S-ŷ* xxiii, 1940, 1.
- 'Notes et études d'archéologie orientale' 2 Ser. Venus lugens et Adonis byblius, *Mél. S-ŷ* xv, 1930-1, 139.
- 'Notes et études d'archéologie orientale' 3 Ser. II: Jupiter héliopolitain, nova et vetera, *Mél. S-ŷ* xxi, 1937-8, 1.
- Rosenthal, F., *Die aramäistische Forschung seit Th. Nöldeke's Veröffentlichungen*, 1939.
- 'The Prophecies of Bâbâ the Harrânian', in W. B. Henning and E. Yarshater (ed.), *A Locust's Leg. Studies in Honour of S. H. Taqizadeh*, 1962, 220.
- Rosmarin, T. W., 'Aribi und Arabien in den Babylonisch-Assyrischen Quellen', *Journal of the Society of Oriental Research* xvi, 1932, 1.
- Rostovtzeff, M. I., 'Dura and the Problem of Parthian Art', *YCS* v, 1935, 155.
- *The Social and Economic History of the Hellenistic World*, 1941.
- *The Social and Economic History of the Roman Empire*, 1957.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- Rubin, B. *Das Zeitalter Justinians* i, 1960.
- Rucker, I., 'Florilegium Edessenum anonymum (syriace ante 562)', *Sitzungsberichte der bayerischen Akademie d. Wissensch., Phil.-hist. Abteilung*, 1933.
- Rücker, A., 'Aus der Geschichte der jakobitischen Kirche von Edessa in der Zeit der Kreuzfahrer', *OC* 3 Ser. x (xxxii), 1935, 124.
- Runciman, J. C. S., *A History of the Crusades*, 1965.
- 'Some Remarks on the Image of Edessa', *Cambridge Historical Journal* iii, 1929-31, 238.
- *The Emperor Romanus Lecapenus and his Reign*, 1963.
- Ryckmans, G., *Les Religions arabes préislamiques*, 1951.
- Sachau, C. E., *Die Chronik von Arbela*, 1915.
- 'Edessenische Inschriften', *ZDMG* xxxvi, 1882, 142.
- *Reise in Syrien und Mesopotamien*, 1883.
- Saggs, H. W. F., *The Greatness that was Babylon*, 1962.
- 'Ur of the Chaldees', *Iraq* xxii, 1960, 200.
- Saxl, F., 'Beiträge zu einer Geschichte der Planetendarstellungen im Orient und im Okzident', *Der Islam* iii, 1912, 151.
- Schaeder, H. H., 'Bardesanes von Edessa in der Überlieferung der griechischen und der syrischen Kirche', *Zeitschrift für Kirchengeschichte* li, 1932, 21.
- review in *Gnomon* ix, 1933, 337.
- Schall, A., *Studien über griechische Fremdwörter im Syrischen*, 1960.
- Schiwietz, S., *Das morgenländische Mönchtum*, 1904-38.
- Schlumberger, D., 'Descendants non-méditerranéens de l'art grec', *Syria* xxxvii, 1960, 131, 253.
- 'Études sur Palmyre', *Berytus* ii, 1935, 149.
- 'Les Formes anciennes du chapiteau corinthien en Syrie, en Palestine et en Arabie', *Syria* xiv, 1933, 283.
- 'Palmyre et la Mesène', *Syria* xxxviii, 1961, 256.
- etc., *La Palmyrène du nord-ouest*, 1951.
- Schneider, A. M., 'Die Kathedrale von Edessa', *OC* 3 Ser. xiv (xxxvi), 1941, 161.
- Schoeps, H. J., *Urgemeinde. Judenthrentum. Gnosis*, 1956.
- Seeck, O., *Geschichte des Untergangs der antiken Welt*, 1895-1921.
- Segal, J. B., 'A Syriac Seal inscription', *Iraq* xxix, 1967, 6.
- *Edessa and Harran. An Inaugural Lecture*, 1963.
- 'Mesopotamian Communities from Julian to the Rise of Islam', *Proceedings of the British Academy* xli, 1955, 109.
- 'New Syriac Inscriptions from Edessa', *BSOAS* xxii, 1959, 23.
- 'Pagan Syriac Monuments in the Vilayet of Urfa', *AS* iii, 1953, 97.
- 'Some Syriac Inscriptions of the 2nd-3rd century A.D.', *BSOAS* xvi, 1954, 13.
- 'The Jews of North Mesopotamia', in J. M. Grintz and J. Liver (ed.), *Sepher Segal*, 1964, 32\*.
- 'The Sabian Mysteries. The Planet Cult of Ancient Harran', in E. Bacon (ed.), *Vanished Civilizations*, 1963, 201.
- 'Two Syriac Inscriptions from Harran', *BSOAS* xx, 1957, 513.
- Seligman, C. G., 'The Roman Orient and the Far East', *Antiquity* xi, 1937, 5.
- Seybold, C. F., review in *ZDMG* lxvi, 1912, 742.
- Seyrig, H., 'Antiquités syriennes': nos. 13, 14, 20, 27, 32, 39-41, 57, 78, *Syria* xiv, 1933, 238, 253; xviii, 1937, 4; xx, 1939, 183; xxi, 1940, 277; xxiv, 1944-5, 62; xxvi, 1949, 17, 29; xxxi, 1954, 80; xxxvii, 1960, 233.

SELECT BIBLIOGRAPHY

- 'Le Repas de Morts et le 'Banquet funèbre' à Palmyre', *Annales archéologiques de Syrie* i, 1951, 32.
- Sharf, A., 'Byzantine Jewry in the Seventh Century', *BZ* xlviii, 1955, 103.
- Sidersky, D., *Les Origines des légendes musulmanes dans le Coran et dans les vies des Prophètes*, 1933.
- Simon, M., *Verus Israel. Étude sur les relations entre Chrétiens et Juifs dans l'empire romain (135-425)*, 1948.
- Smith, S., 'Events in Arabia in the 6th century A.D.', *BSOAS* xvi, 1954, 425.
- Smith, W. R., *Lectures on the Religion of the Semites*, 1927.
- Soane, E. B., *To Mesopotamia and Kurdistan in Disguise*, 1912.
- Spinka, M., *Chronicle of John Malalas . . .*, 1940.
- Spuler, B., etc., *Handbuch der Orientalistik*, 1952- .
- Starcky, J., *Palmyre: Guide archéologique*, 1941.
- Starr, J., 'Byzantine Jewry on the Eve of the Arab Conquest (565-638)', *Journal of the Palestine Oriental Society* xv, 1935, 280.
- *The Jews in the Byzantine Empire, 641-1204*, 1939.
- Stein, E., *Histoire du Bas-Empire*, 1949-59.
- Stern, H. 'La Mosaïque d'Orphée de Blanzky-lès-Fismes', *Gallia* xiii, 1955, 41.
- 'The Orpheus in the Synagogue of Dura-Europos', *Journal of the Warburg and Courtauld Institutes* xxi, 1958, 1.
- Stern, S. M. "Abd al-Jabbar's Account of How Christ's Religion was Falsified by the Adoption of Roman Customs", *JTS* n.s. xix, 1968, 128.
- Stocks, H., 'Studien zur Lukian's "De syria dea"', *Berytus* iv, 1937, 1.
- Straubinger, J., *Die Kreuzauffindungslegende*, 1912.
- Strong, H. A., and J. Garstang, *The Syrian Goddess*, 1913.
- Strugnell, J., 'The Nabataean Goddess 'Al-Kutba' and Her Sanctuaries', *Bulletin of the American Schools of Oriental Research*, no. 156, 1959, 29.
- Strzygowski, J., *Asiens bildende Kunst in Stichproben, ihr Wesen und ihre Entwicklung*, 1930.
- Sykes, M., *The Caliph's Last Heritage*, 1915.
- Tarn, W. W., *Hellenistic Military and Naval Developments*, 1930.
- and G. T. Griffith, *Hellenistic Civilisation*, 1952.
- Tavernier, J. B., *Collection of Travels through Turkey into Persia and the East-Indies*, 1684.
- Teixidor, J., 'Deux inscriptions palmyréniennes du musée de Bagdad', *Syria* xl, 1963, 33.
- 'Notes hatréennes', *Syria* xli, 1964, 273.
- 'The Kingdom of Adiabene and Hatra', *Berytus* xvii, 1967-8, 1.
- Texier, C. F. M., 'La Ville et les monuments d'Édesse', *Revue américaine et orientale* i, 1858-9, 326.
- de Thévenot, J., *Relation d'un voyage fait au Levant . . .*, 1664-84.
- Thomson, R. W., 'An Eighth-century Melkite Colophon from Edessa', *JTS* n.s. xiii, 1962, 249.
- Tisserant, E., *Eastern Christianity in India . . .*, 1957.
- art. '(L'église) nestorienne' in A. Vacant (ed.), *Dictionnaire de Théologie catholique*.
- Tixeront, L. J., *Les Origines de l'église d'Édesse et la légende d'Abgar*, 1888.
- Tobler, T., and A. Molinier, *Itinera Hierosolymitana et descriptiones Terrae Sanctae bellis sacris anteriora . . .*, 1877-80.
- Torrey, C. C., 'A Syriac Parchment from Edessa of the Year 243 A.D.', *ZS* x, 1935, 33.

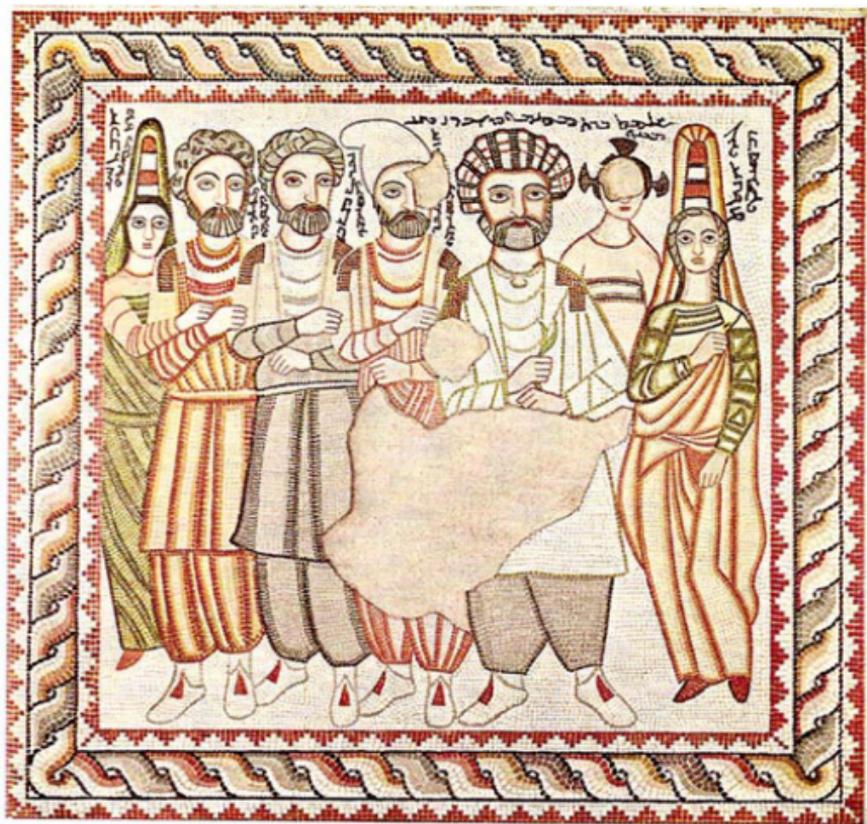
SELECT BIBLIOGRAPHY

- Toumanoff, C., 'Introduction to Christian Caucasian History: The Formative Centuries (IVth-VIIIth)', *Traditio* xv, 1959, 1.
- Tournebize, F., 'Étude sur la conversion de l'Arménie au christianisme . . .', *ROC* 2 Ser. ii (xii), 1907, 22, 152, 280, 356; iii (xiii), 1908, 72, 142.
- *Histoire politique et religieuse de l'Arménie*, 1910.
- Toutain, J., 'La Légende chrétienne de saint Siméon stylite et ses origines païennes' *RHR* lkv, 1912, 171.
- Tritton, A. S., and H. A. R. Gibb, 'The First and Second Crusades from an Anonymous Syriac Chronicle', *JRAS*, 1933, 69, 273.
- Tscherikower, V., *Die hellenistischen Städtegründungen von Alexander dem Grossen bis auf die Römerzeit*, 1927.
- van den Ven, P., 'A propos de la vie de S. Syméon Stylite le jeune', *Anal. Boll.* lxxvii, 1949, 425.
- 'S. Jérôme et la vie du moine Malchus le Captif', *Muséon* n.s. i, 1900, 413; ii, 1901, 208.
- Vandenhoff, B., 'Die Götterliste des Mar Jakob von Sarug in seiner Homilie über den Fall der Götzenbilder', *OC* n.s. v, 1915, 234.
- Vasiliev, A. A., *History of the Byzantine Empire*, 1952.
- *Justin the First. An Introduction to the Epoch of Justinian the Great*, 1950.
- 'Notes on Some Episodes Concerning the Relations between the Arabs and the Byzantine Empire from the Fourth to the Sixth Century', *Dumbarton Oaks Papers* ix-x, 1956, 306.
- 'The Life of St. Theodore of Edessa', *Byzantion* xvi, 1942-3, 165.
- Väth, A., *Der hl. Thomas, der Apostel Indiens*, 1925.
- Vincent, L. H., 'Les Épigrapbes judéo-araméennes postexiliques', *RB* lvi, 1949, 274.
- Vogt, J., *Kaiser Julian und das Judentum*, 1939.
- de Vogüé, C. J. M., *Syrie Centrale. Inscriptions sémitiques*, 1868-77.
- Vööbus, A., *A letter of Ephrem to the Mountaineers*, 1947.
- 'Beiträge zur kritischen Sichtung der asketischen Schriften, die unter dem Namen Ephraem des Syrers überliefert sind', *OC* 4 Ser. iii (xxxix), 1955, 48.
- 'Das Alter der Peschitta', *OC* 4 Ser. ii (xxxviii), 1954, 1.
- *Early Versions of the New Testament*, 1954.
- *History of Asceticism in the Syrian Orient*, 1958- .
- *Investigations into the Text of the New Testament used by Rabbula of Edessa*, 1947.
- *La Vie d'Alexandre en grec—un témoin d'une biographie inconnue de Rabbula écrite en syriaque*, 1948.
- *Studies in the History of the Gospel Text in Syriac*, 1951.
- *Untersuchungen über die Authentizität einiger asketischer Texte, überliefert unter dem Namen Ephraem Syrus*, 1947.
- Vosté, J. M. 'Athanasios Abougaleb', *ROC* 3 Ser. vi (xxvi), 1927-8, 432.
- Walker, J., 'The Coins of Hatra', *Numismatic Chronicle* 6 Ser. xviii, 1958, 167.
- Warmington, E. H., *The Commerce between the Roman Empire and India*, 1928.
- Weigand, E., 'Zur Datierung der Peregrinatio Aetheriae', *BZ* xx, 1911, 1.
- review in *BZ* xxviii, 1928, 401.
- Weitzmann, K., 'The Mandyllion and Constantine Porphyrogenetos', *Cah. arch.* xi, 1960, 163.
- Welles, C. B., *Royal Correspondence in the Hellenistic Period*, 1934.
- etc., *The Excavations at Dura-Europos. Final Report V/1. The Parchments and Papyri*, 1959.

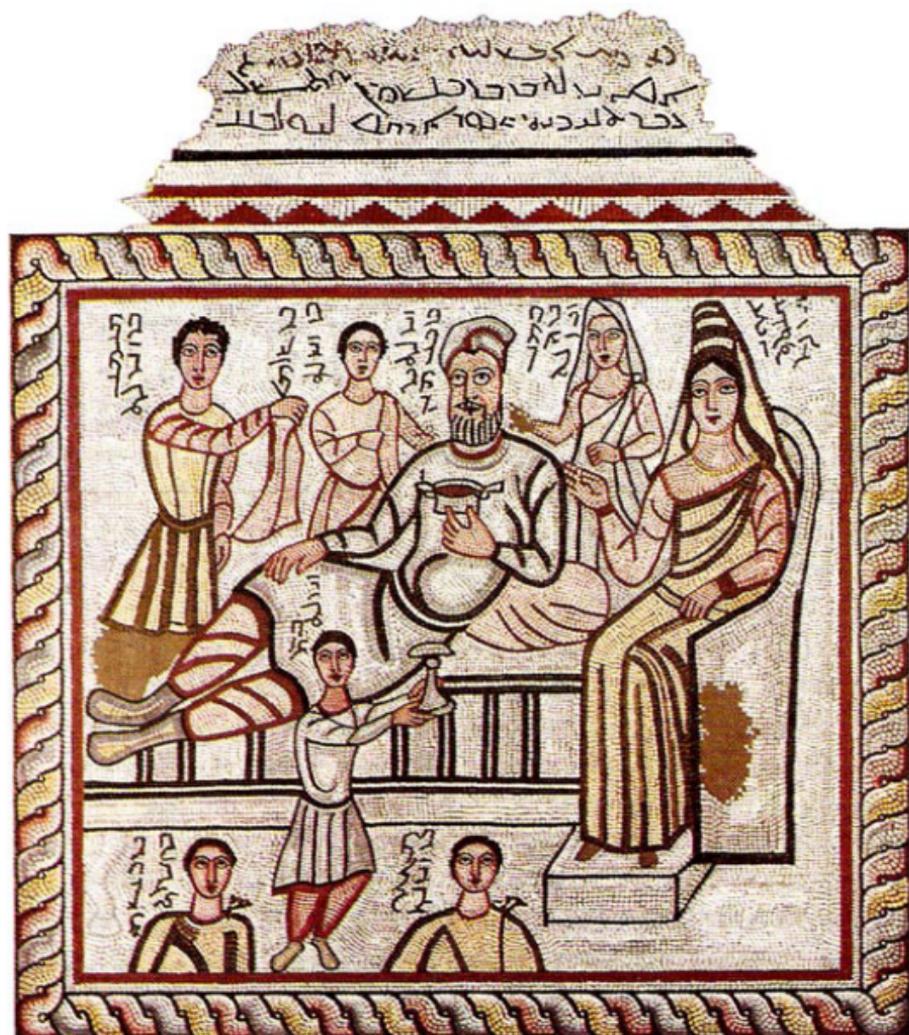
SELECT BIBLIOGRAPHY

- Wellhausen, J., *Skizzen und Vorarbeiten*, 1884-99.
- Wensinck, A. J. 'Qejāmā und Benai Qejāmā in der älteren Syrischen Literatur', *ZDMG* lxiv, 1910, 561.
- Widengren, G., *Iranisch-semitische Kulturbegegnung in parthischer Zeit*, 1960.  
— *Mani and Manichaeism*, 1965.
- Wiegand, T., *Palmyra. Ergebnisse der Ausgrabungen und Untersuchungen seit dem Jahre 1899*, 1932.
- Wigand, K., 'Thymiateria', *Bonner Jahrbücher* cxxii, 1912, 1.
- Wigram, W. A., *The Separation of the Monophysites*, 1923.
- Will, E., 'L'Art sassanide et ses prédécesseurs', *Syria* xxxix, 1962, 45.  
— 'La Tour funéraire de la Syrie et les monuments apparentés', *Syria* xxvi, 1949, 258.  
— 'La Tour funéraire de Palmyre', *Syria* xxvi, 1949, 87.  
— 'Marchands et chefs de caravanes à Palmyre', *Syria* xxxiv, 1957, 262.
- Wilmart, A., 'Le Souvenir d'Eusèbe d'Émèse. Un discours en l'honneur des saintes d'Antioche Bernice, Prodoce et Domnine', *Anal. Boll.* xxxviii, 1920, 241.
- Winckworth, C., and F. C. Burkitt, 'On Heathen Deities in the Doctrine of Addai', *JTS* xxv, 1924, 402.
- Wischnitzer, R., *The Messianic Theme in the Paintings of the Dura Synagogue*, 1948.
- Wiseman, D. J., 'A Fragmentary Inscription of Tiglath-Pileser III from Nimrud', *Iraq* xviii, 1956, 117.
- Wittek, P., 'Deux chapitres de l'histoire des Turcs de Rûm', *Byzantion* xi, 1936, 285.  
— *The Rise of the Ottoman Empire*, 1938.
- Wright, W., *A Short History of Syriac Literature*, 1894.  
— *Catalogue of the Syriac manuscripts in the British Museum*, 1870-2.
- Youtie, H. C., 'A Gothenburg Papyrus and the Letter to Abgar', *HTR* xxiii, 1930, 299.  
— 'Gothenburg Papyrus 21 and the Coptic Version of the Letter to Abgar', *HTR* xxiv, 1931, 61.
- de Zwaan, J., 'The Edessene Origin of the Odes of Solomon', in R. P. Casey, etc. (ed.), *Quantulacumque. Studies presented to Kirsopp Lake . . .*, 1937, 285.

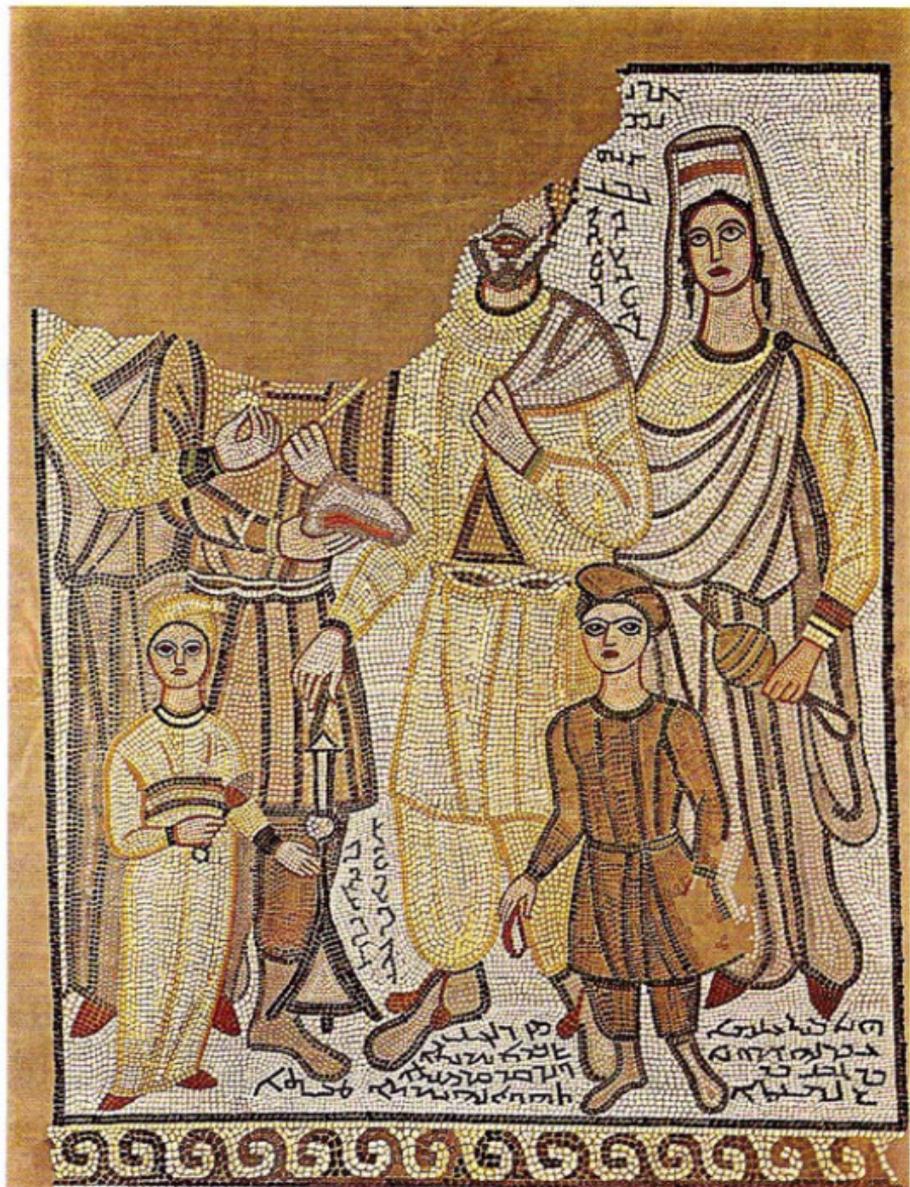
## PLATES



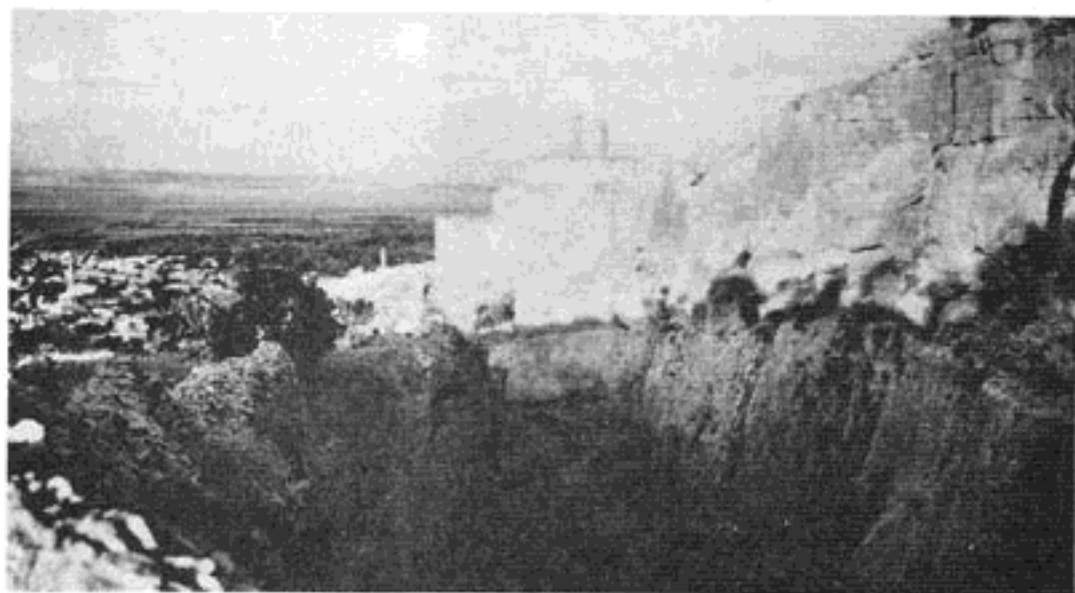
THE FAMILY PORTRAIT MOSAIC, with names in Syriac; probably second or early third century A.D.



THE FUNERARY COUCH MOSAIC, with Syriac inscriptions; dated A.D. 278.



THE TRIPOD MOSAIC, with Syriac inscriptions including an epitaph (p. 34); probably second or third century A.D.



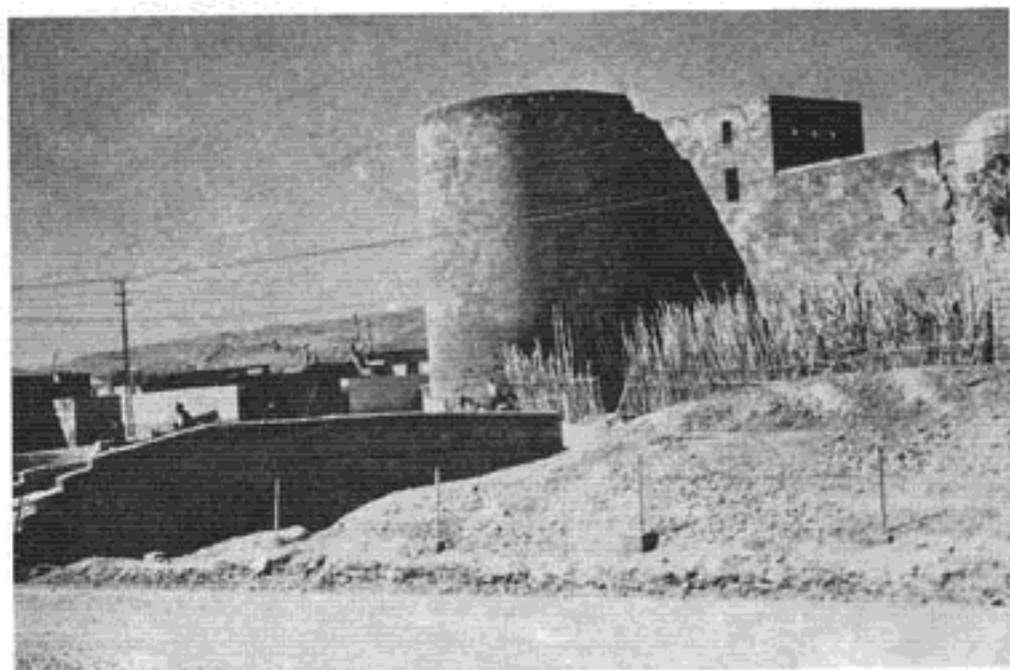
a. THE CITADEL WALL AND MOAT. In the distance is the plain of Harran



b. BRIDGE OVER THE KARA KOYUN



α. OUTSIDE THE HARRAN GATE (Haran Kapısı). In the section of Byzantine wall at right is a fragmentary Greek inscription (p. 224 n. 2)



β. A ROUND TOWER AT THE BEY GATE (Bey Kapısı); at top an Armenian inscription (p. 236 n. 1). The bridge over the moat leads to Kiass

PLATE 6

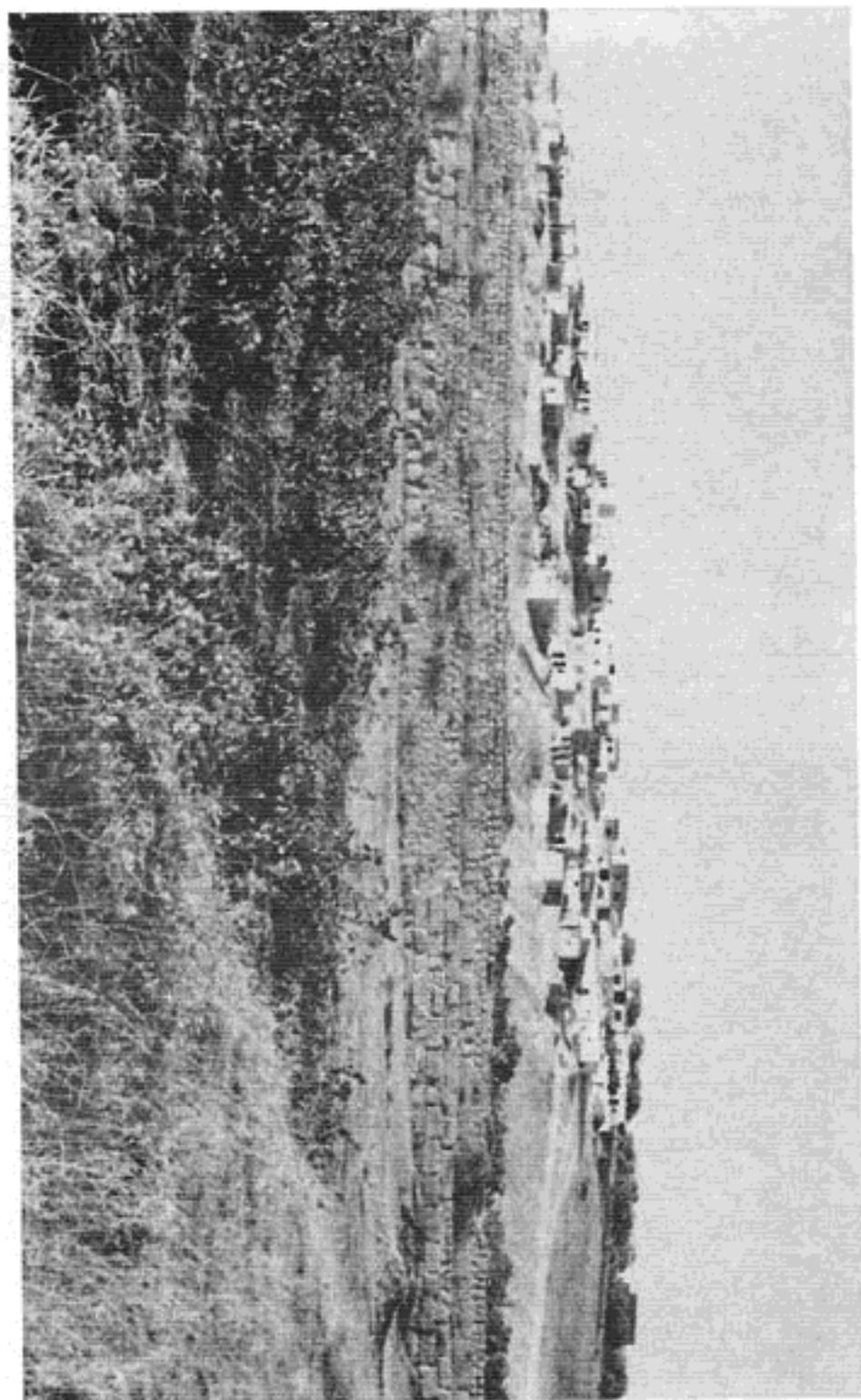


a. SITE OF THE WEST GATE. At right is a section of the Byzantine wall, at left may have stood a guard-room of the twelfth century



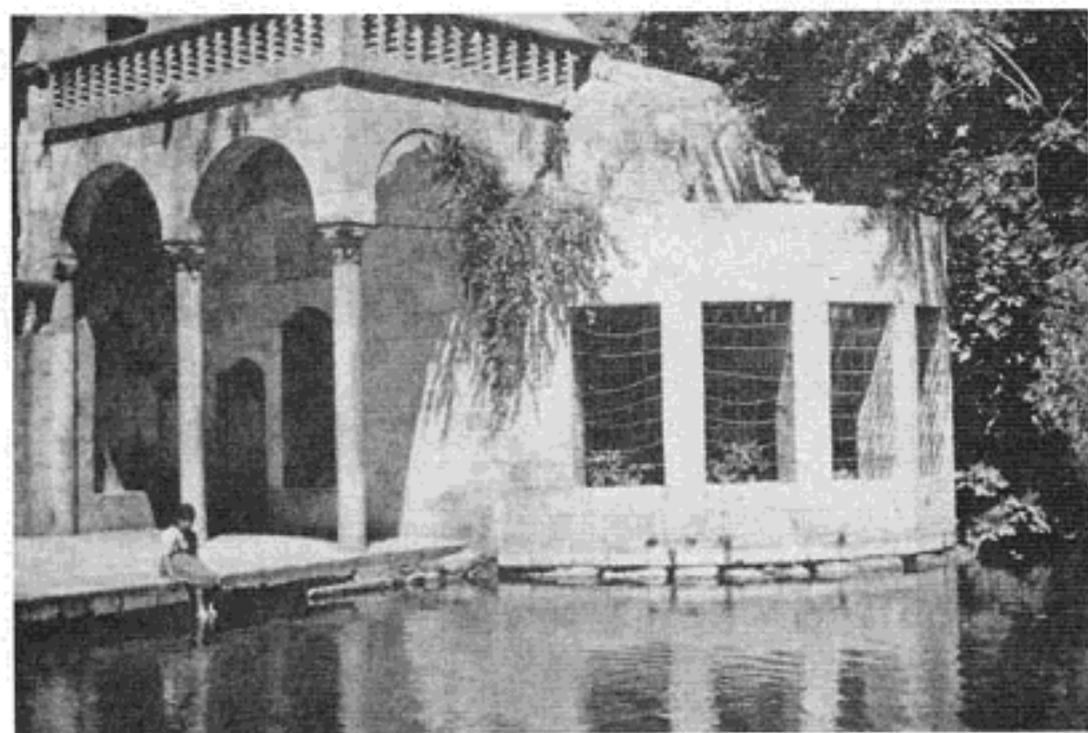
b. VIEW WESTWARDS FROM THE WEST GATE. The buildings at left centre mark the site of the tomb of St. Ephraim and Deyr Sargis

DAM first constructed in the reign of Justinian I

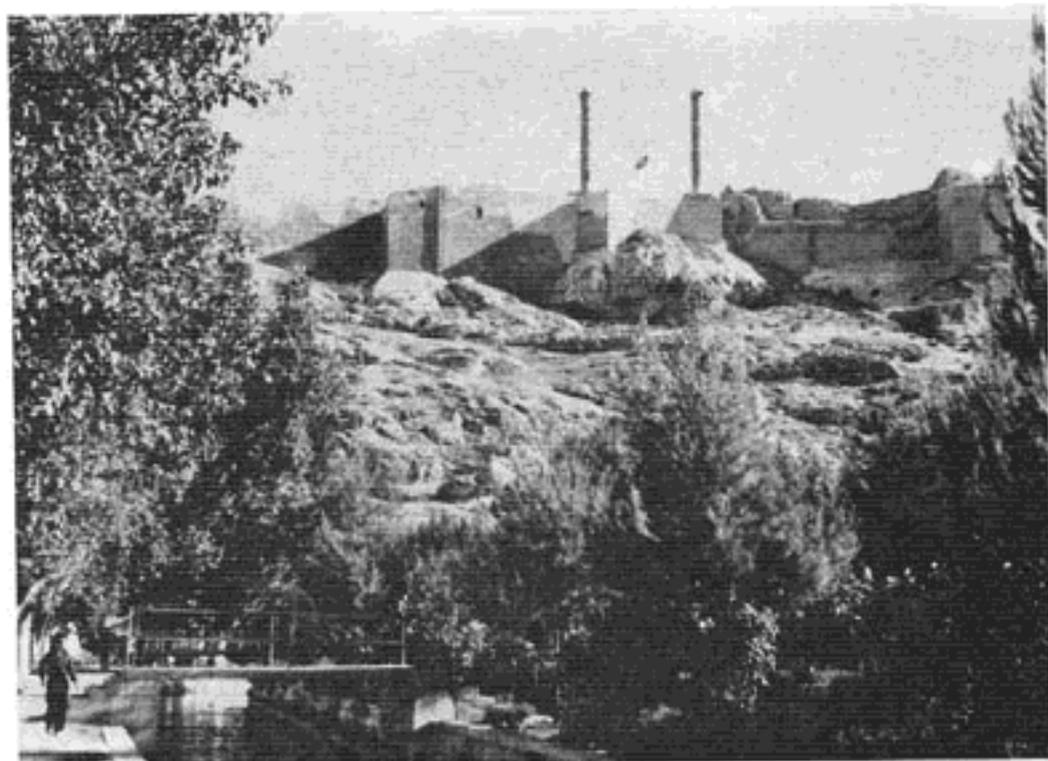




a. SLICES in the original bed of the river Daijan



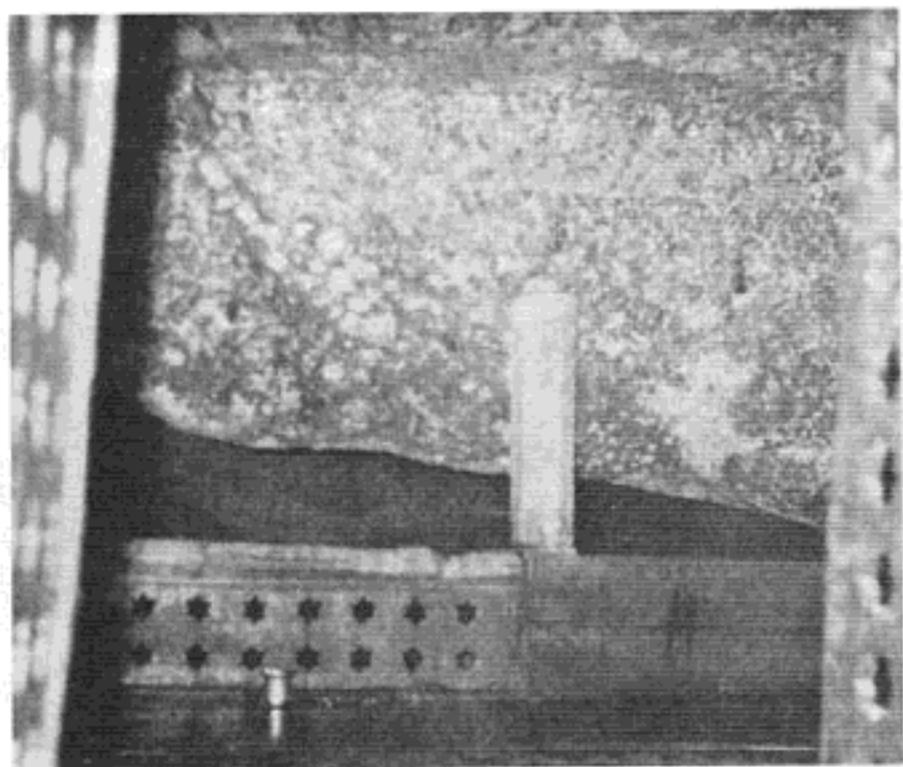
b. WESTERN WATER-GATE beside the Pool of Abraham



a. THE CITADEL MOUNT AND COLUMNS from the Pool of Zulha (Zulhe Gölü)



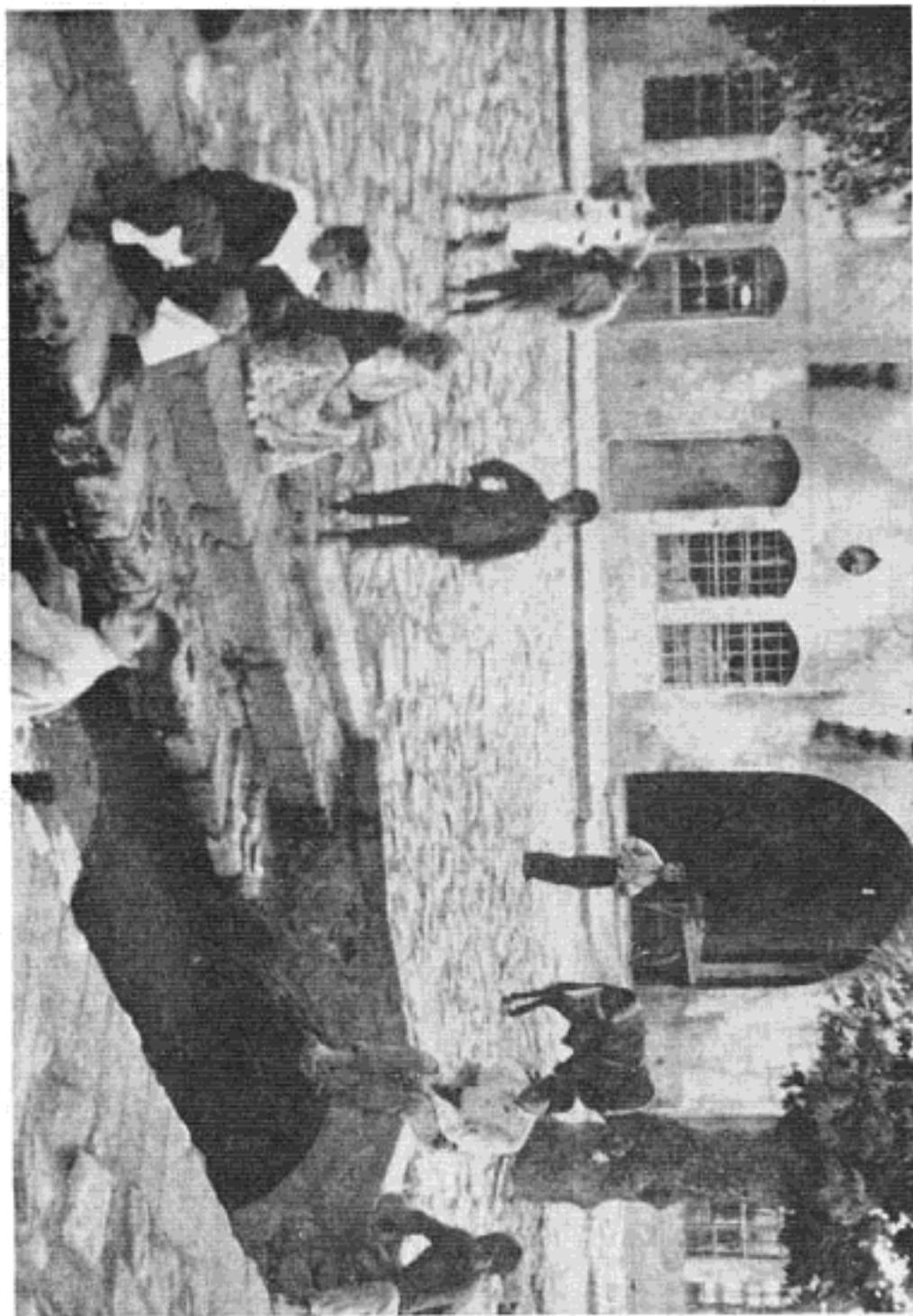
b. DETAIL OF COLUMN on the Citadel mount  
(with acknowledgements to G. Fehérvári)



a. SOURCE OF THE SPRING in Makam Ibrahim



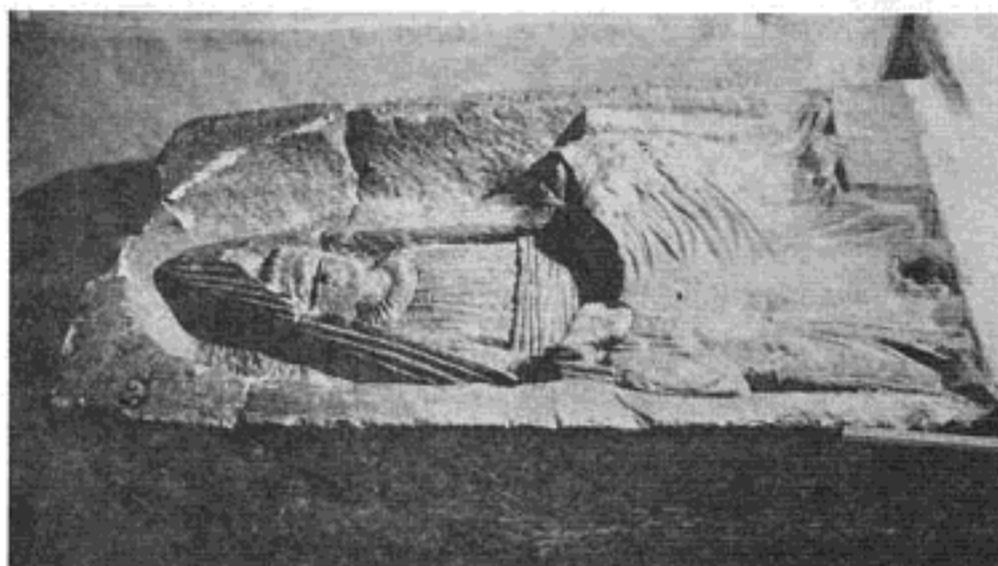
b. 'SACRED' FISH in the Pool of Zulha (Zulhih Gölü)



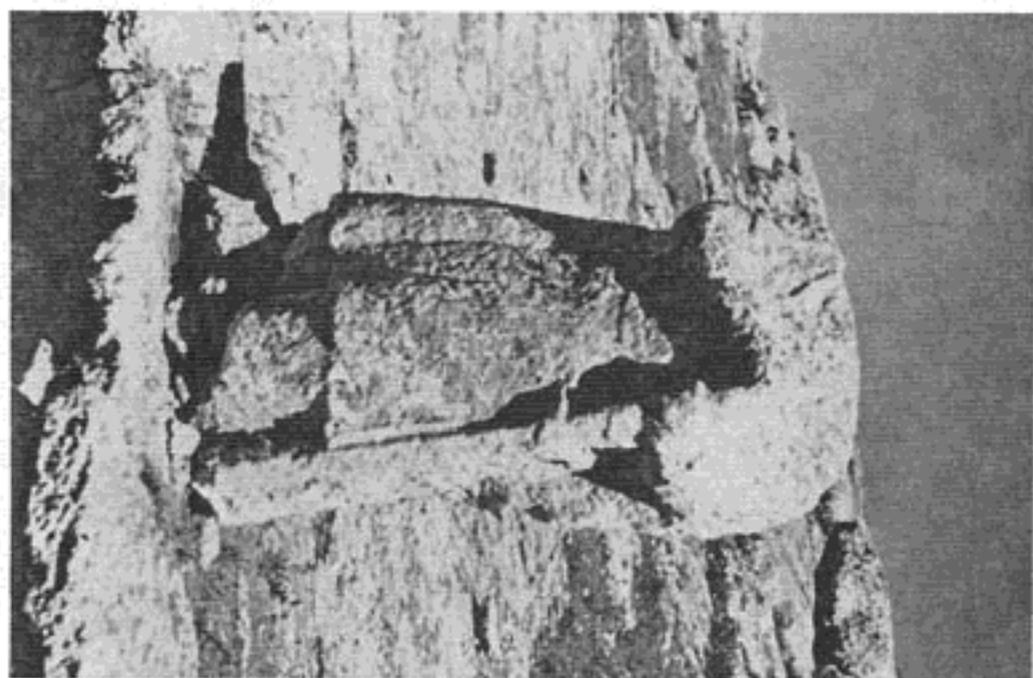
STREAM from the springs of water flowing through a public courtyard



a. BUST OF AN EDESSAN LADY, with the figure of her daughter in miniature at right. Their names are recorded in Syriac (p. 33). In the Urfa Museum



b. STATUE OF AN EDESSAN LADY, with the figure of her daughter in miniature at bottom left. Their names are recorded in Syriac (p. 33). In the Diyarbakir Museum



6. STATUE AT SUMATAR HARABESI



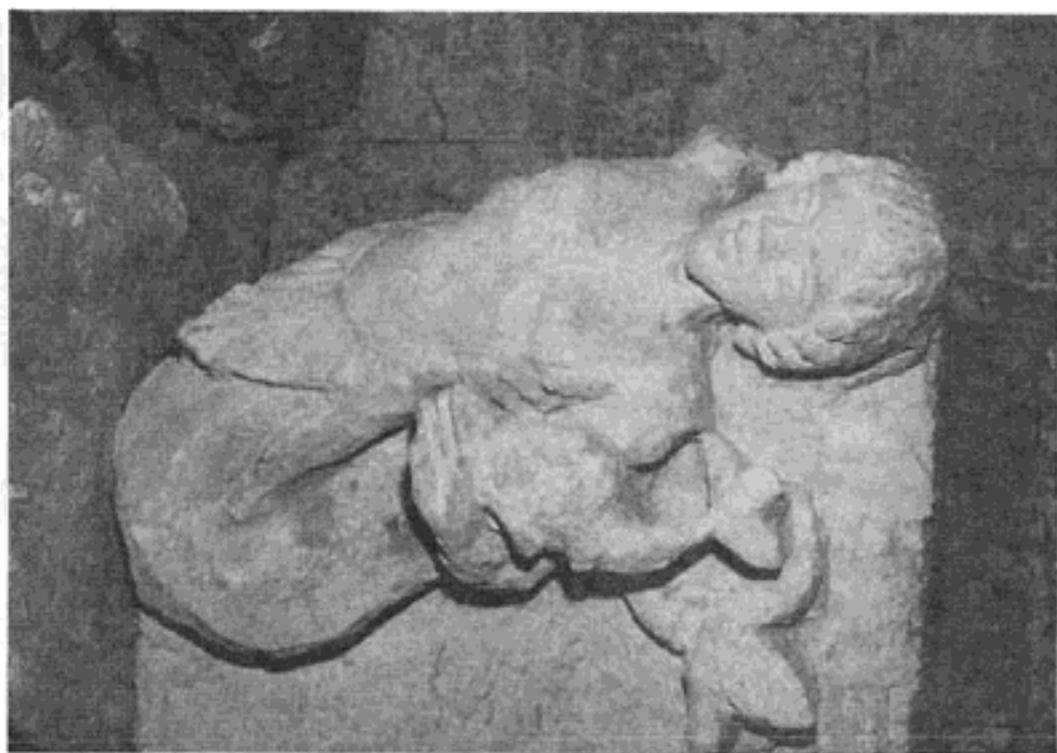
5. STATUE FOUND AT HARRAN



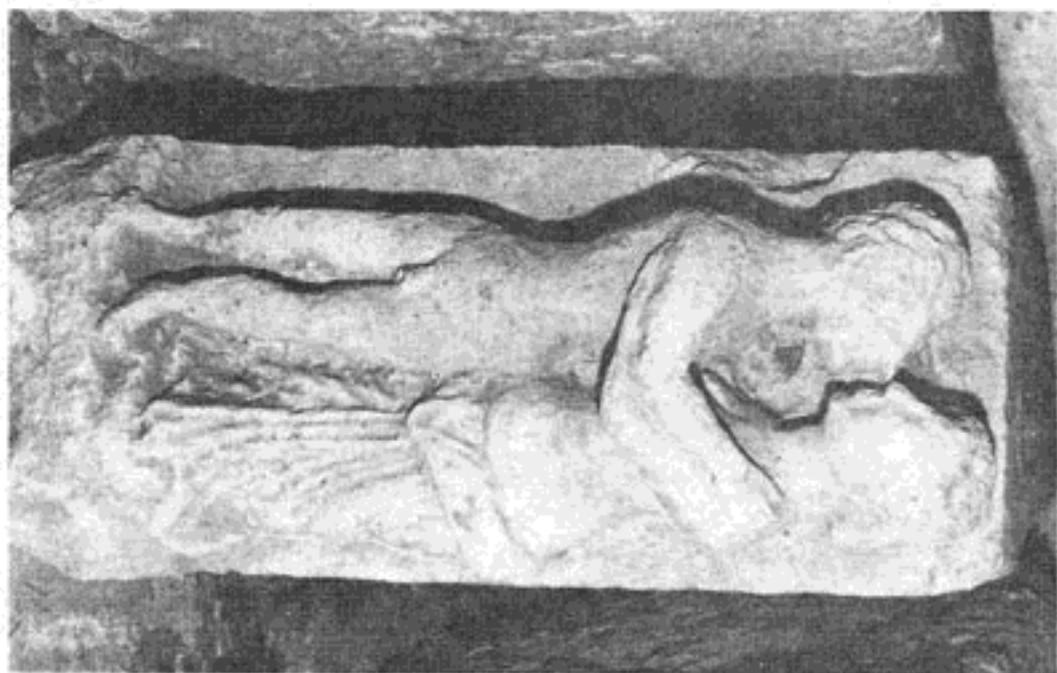
a. RELIEF OF MALE PERSONAGE from Urfa, with Syriac inscription (p. 40 n. 4). At Istanbul



b. RELIEF found near Urfa, with Greek inscription (p. 30 n. 5). In the Urfa Museum



a. TRITON; relief. In the Ufa Museum (with acknowledgments to G. Fedorvich)



A. COUPLE EMBRACING; relief. In the Ufa Museum (with acknowledgments to G. Fedorvich)



a. MENORAH (candelabrum), outside Jewish tomb at Kirk Magara



b. MOSAIC with Syriac inscriptions at Urfa, drawn by J. Euting (*Florilegium . . . de Vogüé*, 1909). Now destroyed



a. MOSAIC from Urfa, with Syriac inscriptions. At Istanbul



b. GENERAL VIEW OF THE ANIMAL MOSAIC at Urfa; at centre a wing, and a forearm with a staff



DETAIL from border of the Animal mosaic



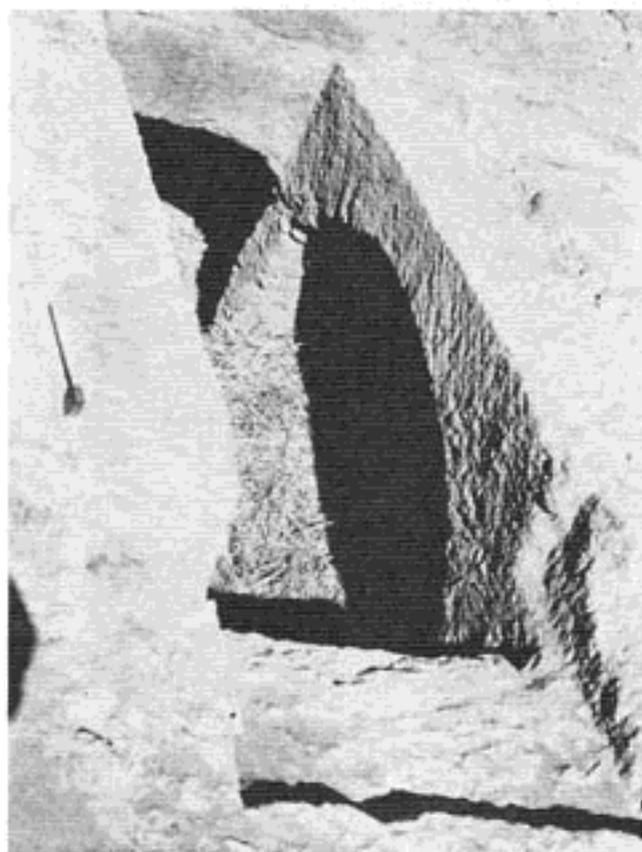
DETAIL, from border of the Animal mosaic



DETAIL from border of the Animal mosaic



a. ENTRANCE TO CAVE-TOMB in Eyüp Mahallesi



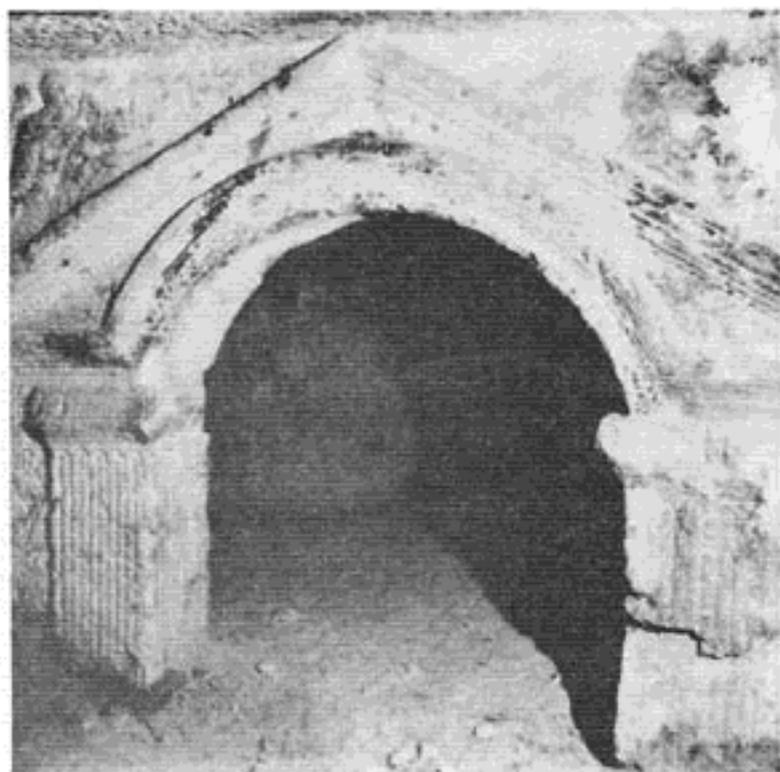
b. VERTICAL SHAFT ENTRANCE TO TOMB in Eyüp Mahallesi, with loculi inside



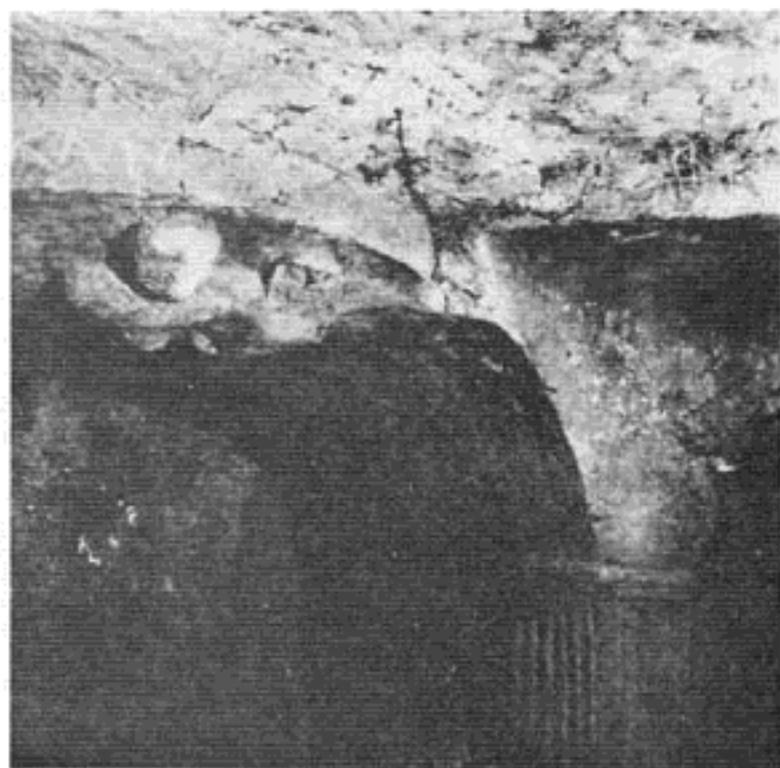
a. ENTRANCE TO DOUBLE CAVE-TOMB, in hills south-west of Urfa



b. DETAIL of arch



a. INTERIOR OF CAVE-TOMB at Kırk Mağara, with arched entrance to an inner chamber



b. 'FLYING BUST' IN CAVE-TOMB at Şehitlik Mahallesi



a. VINE MOTIF ON WALLS OF CAVE-TOMB



b. CARVING OF SERPENT INSIDE CAVE-TOMB, at Kızıl Köy; at left is a bull's head with a disc between the horns (with acknowledgements to G. Fohérvári)



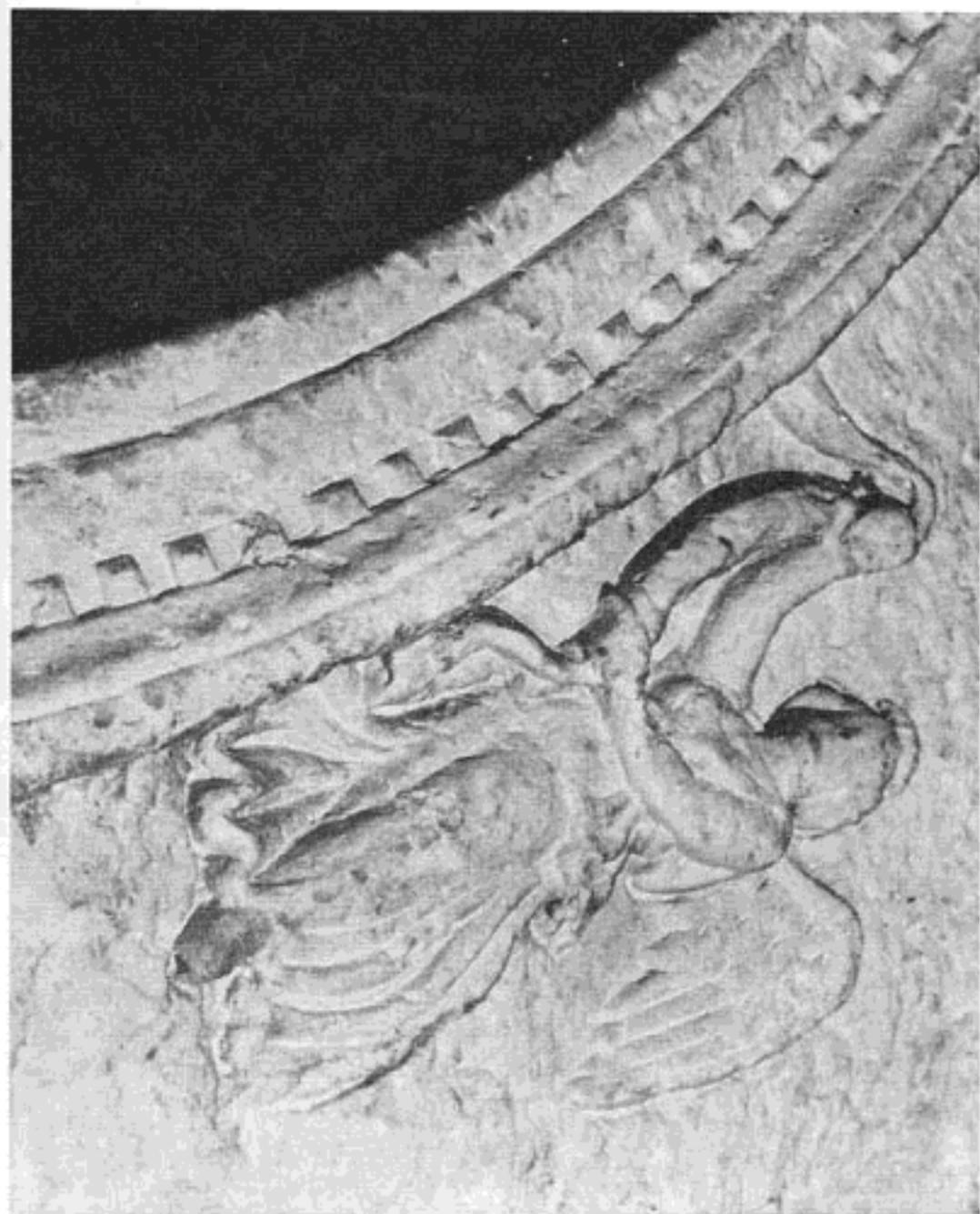
a. FIGURE ON COUCH; relief in arcosolium of cave-tomb



FUNERARY BANQUET; relief inside cave-tomb at Kirk Magara



INTERIOR OF CAVE-TOMB



WINGED VICTORY on wall of grave-tomb



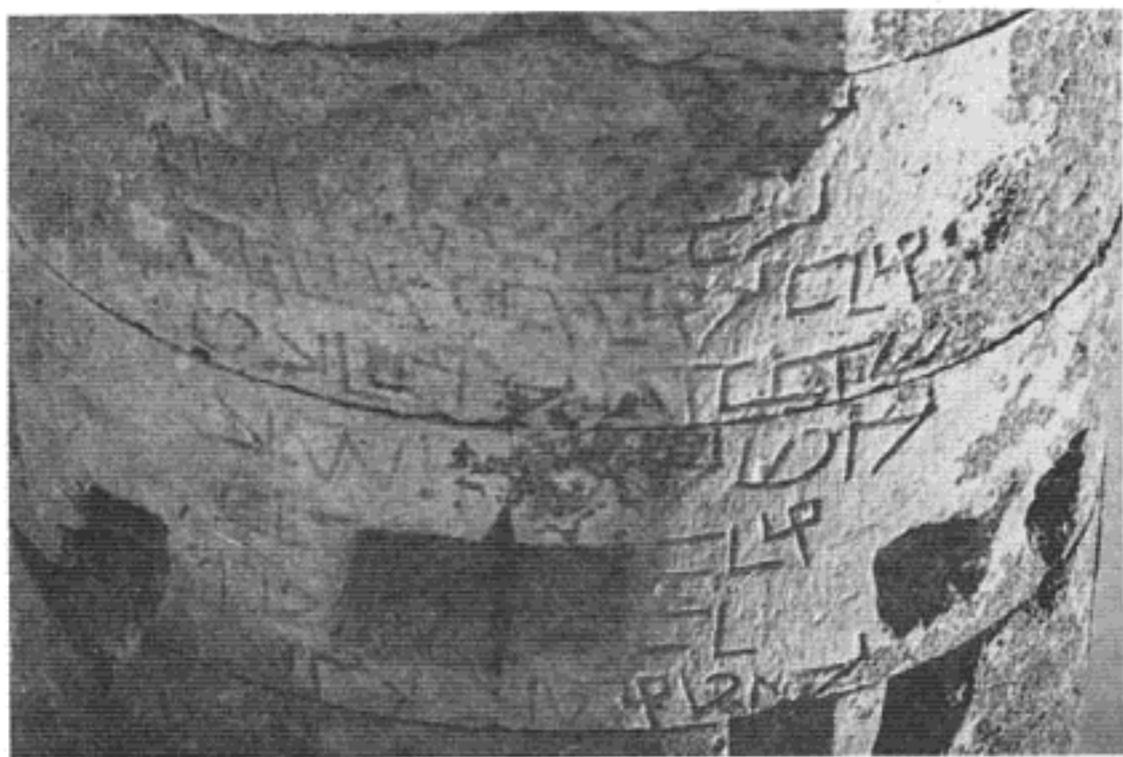
**a. COINS: SACRAL STOOL AND PILLAR IN SHRINE**

- (i) Reverse; reign of Wa'el bar Sahrū. The Syriac legend is probably to be read, 'The god Naḥai'
- (ii) Reverse; reign of Wa'el bar Sahrū. The Syriac legend is probably to be read, 'The god Naḥai.'
- (iii) Reverse; reign of Elegabalus (or Caracalla). Two busts of City-goddess
- (iv) Obverse; busts of Elegabalus and Alexander Severus



**b. COINS: KINGS OF EDESSA**

- (i) Obverse; Abgar the Great
- (ii) Obverse; Wa'el bar Sahrū



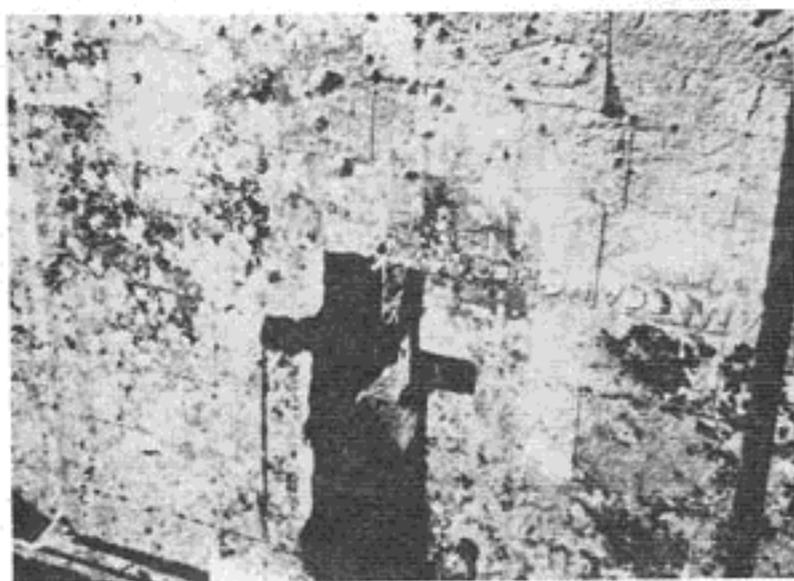
a. SYRIAC INSCRIPTION TO QUEEN SHALMATH, on a column on the Citadel mount (p. 19)



b. SYRIAC TOMB-INSCRIPTION in memory of G'W, at Kirk Magara (p. 59)



a. SYRIAC EPITAPH on a rock-face south-west of Urfa (pp. 34 f.)



b. BILINGUAL INSCRIPTION ON TOMB-TOWER at Deyr Yakup, in 'Palmyrene' and Greek (p. 29)



a. JEWISH INSCRIPTION IN GREEK, outside cave-tomb at Kirk Magara

<p>           † ΜΑΚΑΡΙΟΣ ΕΙΔΥΓΑΡΕΚΑΙ Η            ΕΣΑΜΑΚΑΡΙΟΣ ΕΙΟΤΙ ΕΠΙΣΤΕΥΣΑΣ            ΔΕ ΤΟΙΜΑΣΘΙΣ ΕΤΑΙΣΟΙ ΔΙΑΤΑΝΤΟΣ            ΓΡΟΣΣΕ ΔΕ ΟΝ ΕΣΤΙ ΔΙΟ ΑΠΕΣΤΑΝ Η            ΠΛΗΡΩΣ ΑΙΔΑΝΑΛΗΦΘΗΝΑΙ Η            ΑΠΟΣΤΕΛΛΩ ΔΕ ΣΟΙ ΕΝ ΑΤΩΝ ΜΑ            ΟΝ ΤΟΝ ΚΑΙ ΘΩΜΑΝΟΣ ΤΙΣ ΚΑΙ ΤΟ            ΗΝΑΙΩΝ Η ΟΝ ΚΑΙ ΕΙΡΗ ΗΝ ΣΟΙ ΠΑ            ΤΗ ΠΟΛΕΙ ΣΟΝ ΠΟΙ ΗΣΕΙ ΤΟΙ ΚΑΝ ΟΙ            ΤΙΣ ΨΥΧΑΙ ΑΥΤΗΝ ΕΟΣ ΤΙΣ ΣΥΝ ΤΕΛΕΙ            ΚΩΝ Η ΜΩΝΙ ΨΥ†         </p>	<p>           ΠΟΛΗΣ ΣΟΥ ΗΤΙΣ ΚΑΛΕΙΤΑΙ ΕΔ            ΕΙΣ ΕΜΕ Η ΕΩΡΑΚΩΣ ΜΕ ΟΤΙ ΥΓΕΙ            ΠΕΡ ΔΕ ΧΕΓΡΑΥΑΣ ΜΟΙ ΤΟ ΒΕΛΘΕΙΝ            ΕΝ ΤΑΥΘΑΤΛΗ ΡΩΣΑΙ ΚΑΙ ΜΕΤΑ ΤΟ            ΠΡΟΣ ΤΟΝ ΑΤΟΣΤΕΙΛΑΝΤΑ ΜΕ ΓΡΑ            ΘΗΤΩΝ Η ΜΟΝΟΝ ΟΜΑΤΙΘΑ ΔΔΔ Ι            ΠΑΘΟΣ ΣΟΝ ΘΕΡΑΠΕΥΣΕΙ ΚΑΙ ΞΩ            ΡΑΓΧΟΙ ΚΑΙ ΤΟΙΣ ΣΥΝ ΣΟΙ ΠΑΣΙ ΚΑΙ            ΠΡΟΣ ΤΟ ΗΔΕΝ ΑΤΩΝ Η ΧΕΡΟΝ ΚΑ            ΑΣΦΚΟ ΕΜΟΝ ΑΜΗ† ΕΠΙΣΤΟΛΙΤΟΝ         </p>
--	--

0 10 20 30 40 50 cm

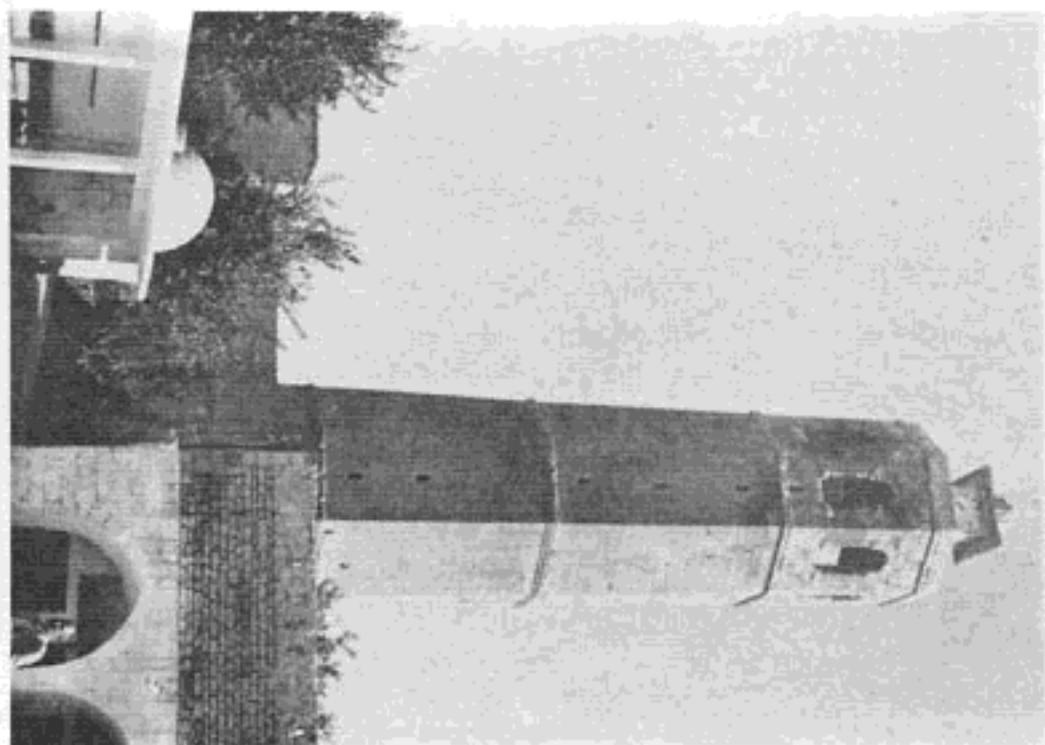
b. LETTER OF JESUS TO ABGAR in Greek, found at Kirk Magara (H. von Oppenheim and F. Hiller von Gaertringen, *Sitzungsber. D. Königl. Preuss. Akad. D. Wissensch. zu Berlin*, phil.-hist. Kl., 1914, 824)



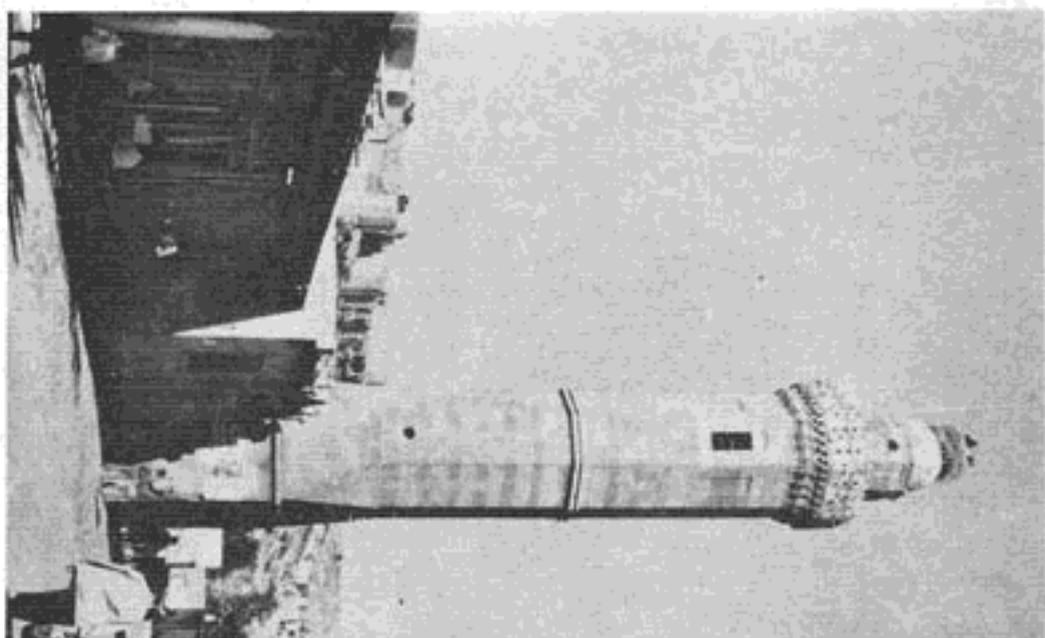
a. PANORAMA NORTHWARDS FROM THE CITADEL MOUNT. In the foreground is the Pool of Abraham, at left the original bed of the river Dajun and Vadi Mancji; the rectangular building at right centre is the Electricity Power station



b. IN THE COURTYARD OF MAKAM IBRAHIM



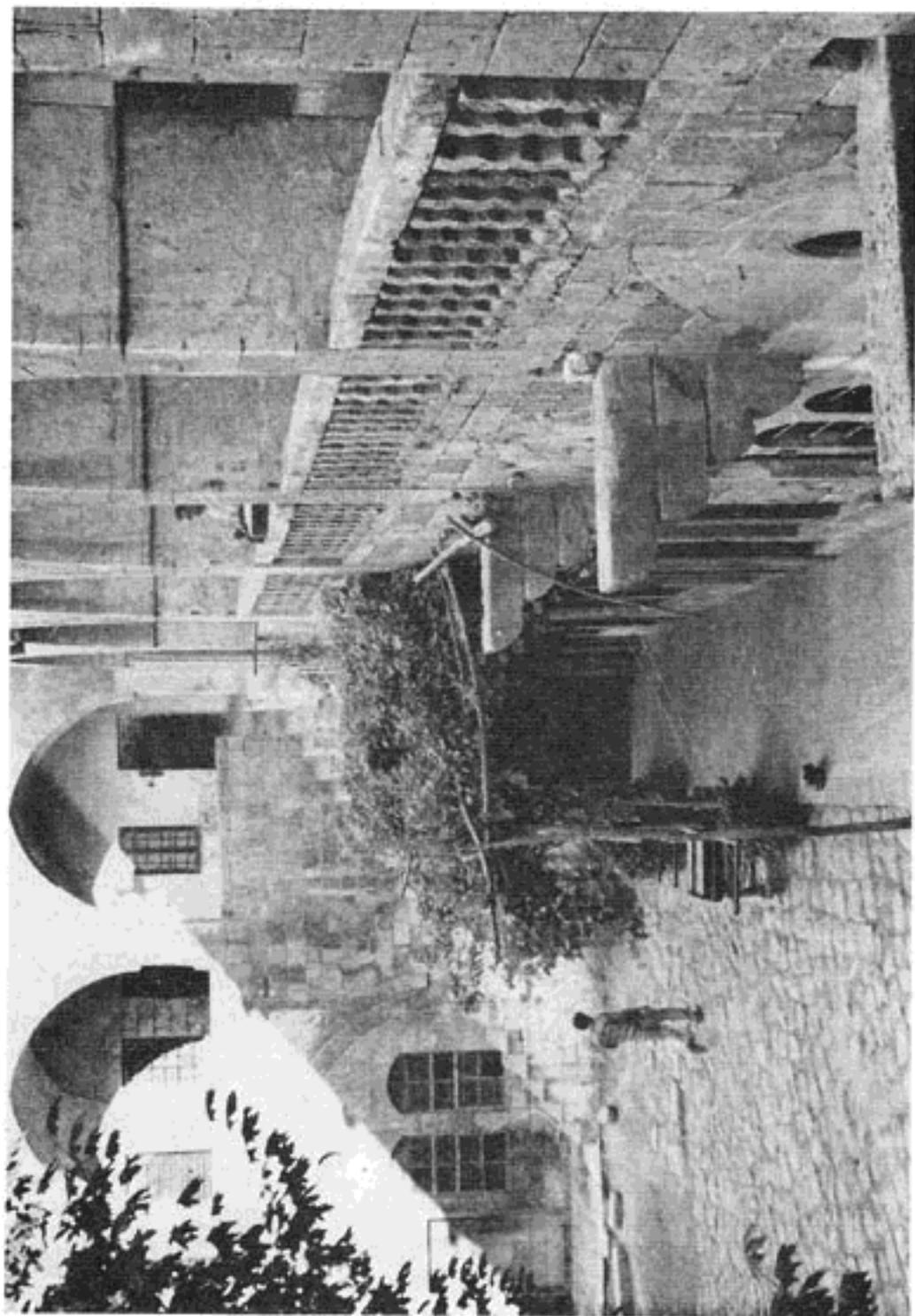
a. EIU CAMII



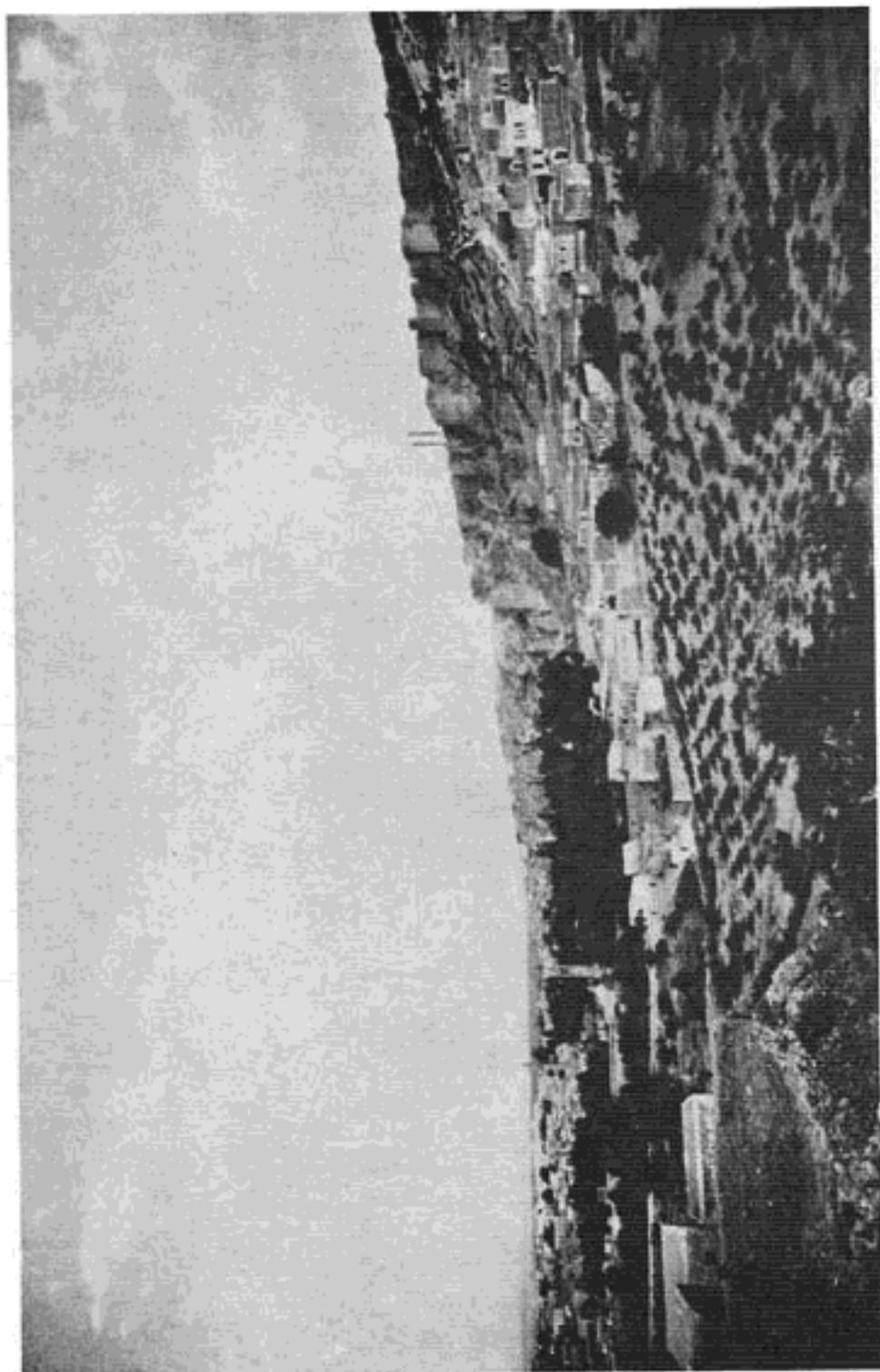
b. HASAN PAŞA CAMII, with the Citadel in the background.  
Storks are nesting in the minaret.



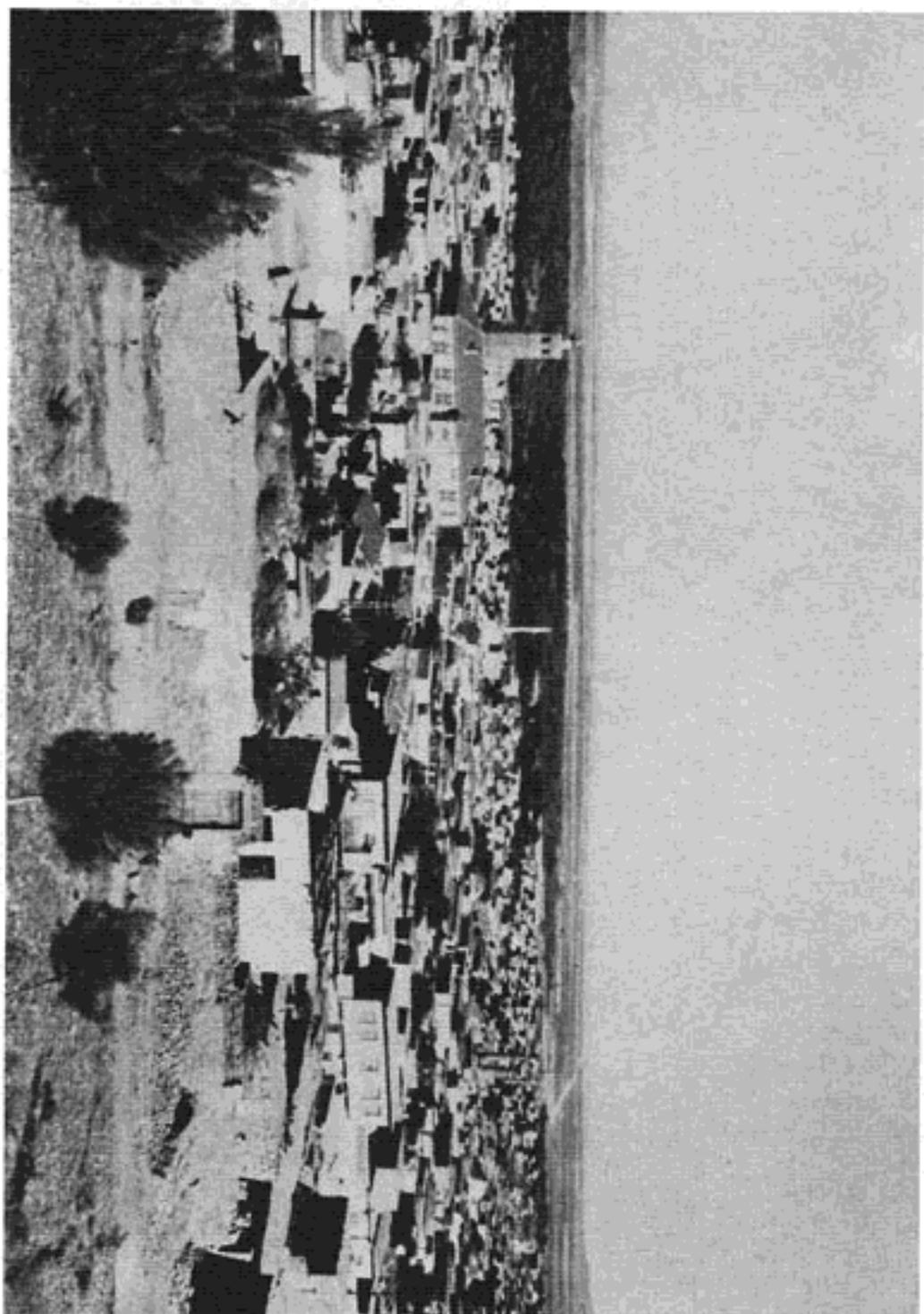
STREET SCENE, in front of Kara Meydan Camii



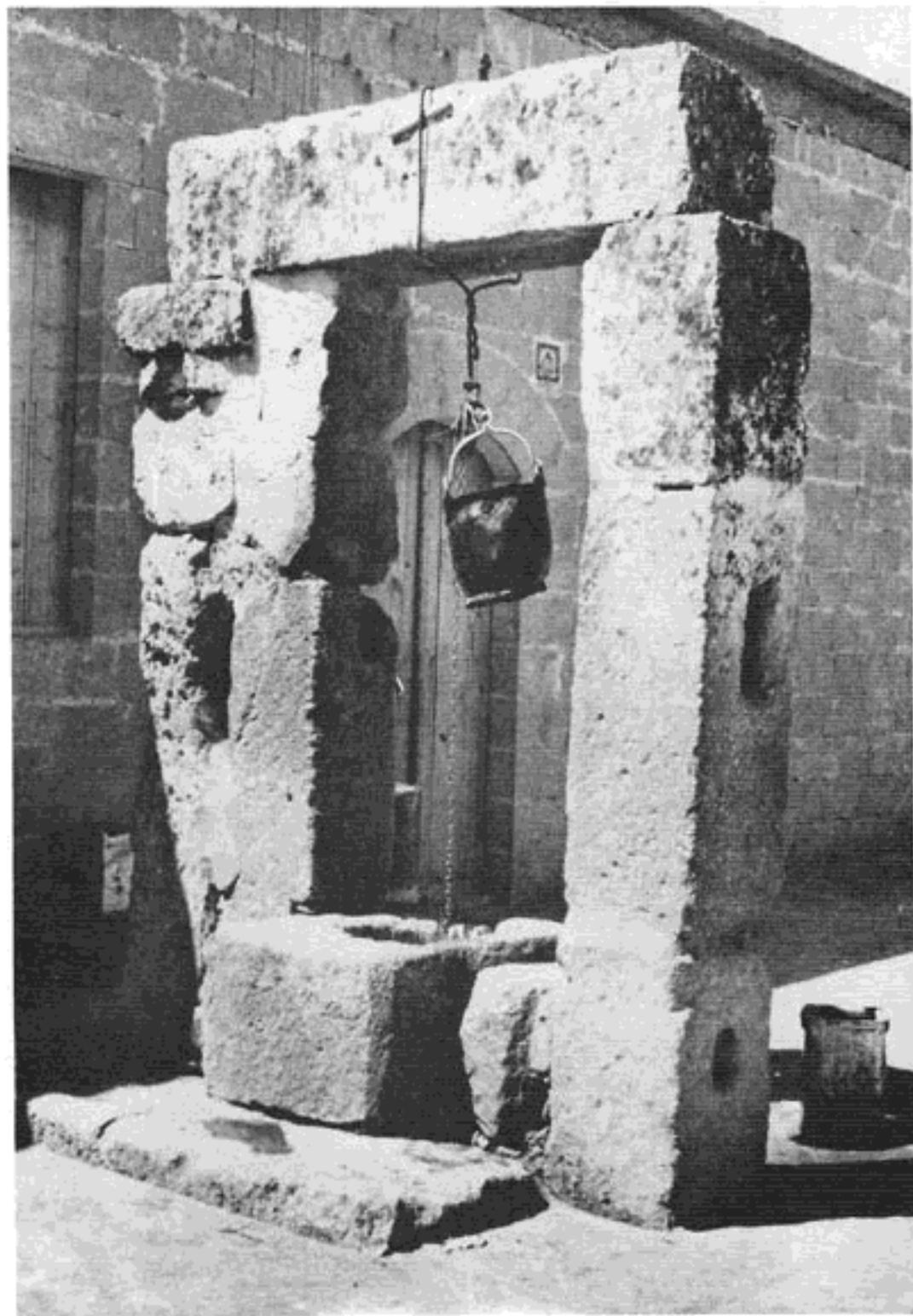
COURTYARD OF THE GÜMRÜKHANE



PANORAMIC VIEW FROM KIRK MAGARA, with the Citadel at right and the Pool of Abraham at centre



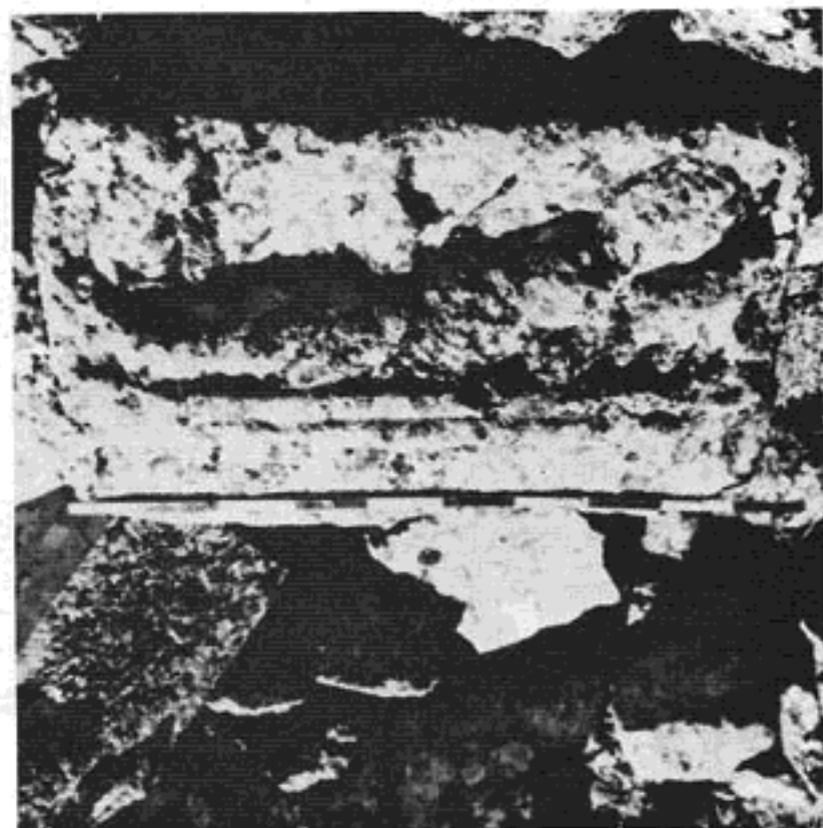
PANORAMIC VIEW LOOKING EASTWARDS, from hill in north-west of Urfa (Tahdir)



'WELL OF JOB' at Makam Nebi Eyüp



a. RUINS AT DEYR YAKUP



b. RECUMBENT STATUE AT DEYR YAKUP



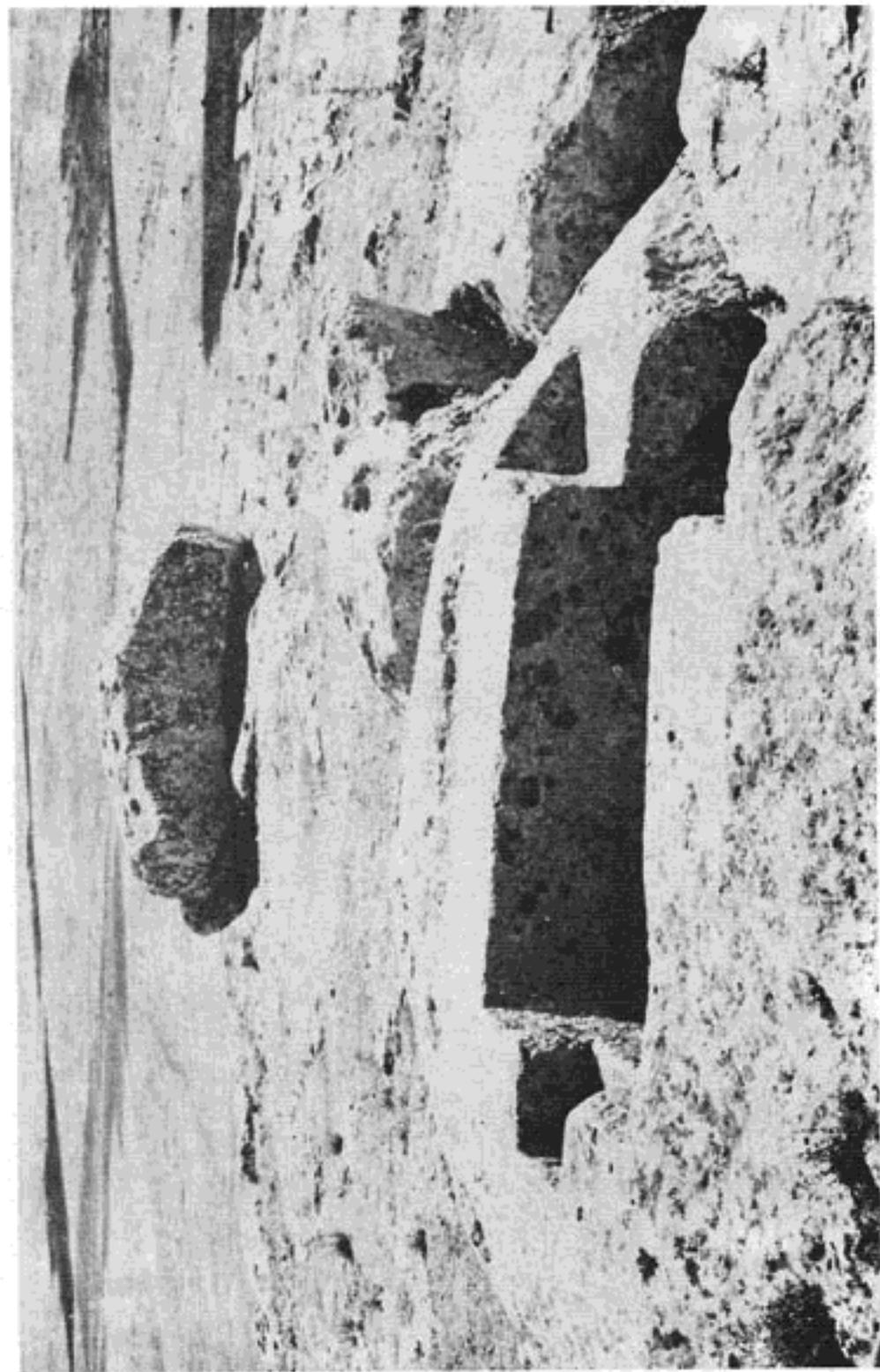
a. BUILDING AT SUMATAR HARABESI (circular on square base)



b. THE 'SACRED MOUNT' AT SUMATAR HARABESI. Right of centre are a bust and a statue in relief

BUST AT SIDE OF THE "SACRED MOUNT" at Sumatar Harabesi, with three Syriac inscriptions (pp. 36 f.)





ALTAR AT SANIMAĞARA. The stone stands in the direction of Sumatar Harabesi



THE PHOENIX MOSAIC, with Syriac inscriptions; dated A.D. 235-6



THE ORPHEUS MOSAIC, with Syriac inscriptions; dated A.D. 228

## فهرس الأعلام

- أبجر : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ،  
 ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ،  
 ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ،  
 ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٥٢ ، ٥٤ ،  
 ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧١ ،  
 ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ،  
 ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ،  
 ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ،  
 ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٦ ، ١٣٢ ، ١٥٢ ،  
 ١٩٣ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ،  
 ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ،  
 ٢٣٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٢٩٢ ، ٣٠٤ ،  
 ٣٠٧ ، ٣١٣ ، ٣١٠ ، ٣٠٨ ، ٣٠٧
- أبراهيم : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ١٢ ، ٣٤ ،  
 ٣٥ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٦ ، ١٦٧ ،  
 ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٦٣ ،  
 ٣٠٧ ، ٣٠٨
- أبراهيم بارقيلاي : ١١٧ ، ٢٢٤ ،  
 أبراهيم القيدوني : ١٣٢ ،  
 أبراهيم أسقف حران : ١٥٦ ،  
 أبراهيم الأشتر : ٢٣٨
- ابن العبري : ٤ ، ١٢٣ ، ٢٤٠ ، ٢٦١ ،  
 ٢٧٥
- ابن النديم : ٥٢ ،  
 ابن الأثير : ٢ ، ٣٠٤ ،  
 ابن خرداذبة : ٢٦٢ ،  
 ابن شبل الدولة : ٢٦٨
- أبو غالب بار صابوني ( باسيل ) : ٢٩٦ ،  
 ٢٩٧ ، ٢٩٨ ،  
 أبو بدر : ٢٣٧ ،  
 أبو جعفر المنصور : ٢٣٩ ، ٢٤٢ ،  
 ٢٥٧ ، ٢٧٠ ،  
 أبو شيخ غنوية : ٢٤٠ ، ٢٤٤ ،  
 أبو كعب : ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠ ،  
 أبولونيوس الطياني : ٥٩ ، ٦٦ ، ٨٥ ،  
 أبولو : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ١٣١ ، ٢١١ ،  
 ايسميا بن ادونا : ٧٢ ،  
 ايبينرغاوس ( عبد نرغال ) : ٨٣ ،  
 ايباس : ٨٤ ،  
 ايفانيوس : ١٢٠ ،  
 اغاييوس ( محبوب ) : ٩٦ ، ١٢٦ ،  
 اثناسيوس برصوما : ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ،  
 ٣٠١ ،  
 اثناسيوس يشوع : ٢٦٩ ،  
 اثناسيوس ( البطريرك ) : ٢٩٧ ،  
 اثناسيوس غومايا : ٢٤٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،  
 ٢٦٩ ، ٢٩٥ ،  
 اثناسيوس صندلايا : ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،  
 اخسوخ : ٤ ،  
 أحمد بن محمد : ٢٦٨ ،  
 اغناطيوس : ٢٩٧ ،  
 ايثالاها : ٢٠٤ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ،  
 اداد نيراري : ٨ ،  
 ادائي : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٤ ،  
 ٣٩ ، ٥٤ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٧ ،

اسكندر سيفيروس : ٢٠ ، ٢٤ ، ٦٦ ،  
٢١٥ -

الاسكندر : ٤٠ ، ٨٤ ، ١٤٩ -

اسكلابيوس : ١١٧ ، ١١٨ ، ١٥٨ ،  
٢٢٥ ، ٢٢٩ -

اسونا الرهاوي : ١١٢ -  
اسماعيل : ١٢١ -

الاسطخري : ٢٦٢ -

اسكابيوس : ١٩١ -

اشور ناصربال : ٧ ، ٢٤ -

اشور بانيبال : ٧ ، ٨ -

اشوروبليط : ٨ -

اشعيا : ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٤١ ، ١٥٣ -

انطيوخوس : ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٣ ، ٨٤ -

انطونيوس : ١٨ ، ٢٣ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٨٩ ،  
١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٦٧ -

انطونيانا : ٢٠ -

انطوني : ٢٤ -

اتانياس : ( حنان ) ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٨٤ -

٨٥ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٢٣٢ ، ٢٦٤ -

انستاسيوس : ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ،

١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،

١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ -

انسطاسيوس بن اندريه : ٢٤٢ -

اناتولوس : ١٣١ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ -

اندراس : ٢١٤ ، ٢٢٥ -

آمات سين : ٢٩ -

اميان : ١١٠ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٦٥ ،

١٧٣ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ -

امبروز : ١٢٣ -

الأمسين : ٢٣٩ -

امازونيوس : ١٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ،

٢٣٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٣٠٧ -

٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ،

٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ،

٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،

١٠٦ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٤٩ ، ٢٠٤ ،

٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ،

٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٨ ، ٢٨٩ ،

٢٩٢ ، ٣٠٧ -

ادو : ٨٣ -

أدلفوس : ١١٢ -

اذنية : ١٣٣ ، ١٣٤ -

اردشير : ١٣٣ -

ارسطو : ٢٠٣ ، ٢٦٣ -

اريامينيس : ١٥ -

اريو : ٥ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٨ ، ٤٤ ،

٥٩ ، ٦٧ ، ٨٤ ، ٩٨ ، ١٠٦ ، ١٤٩ ،

٢٧٠ -

الرصافي : ١٧٨ -

آريس : ٢١١ -

آل روسبايه : ١٥٣ ، ١٧٨ ، ١٨٩ ،

٢٤٩ ، ٢٥٠ -

ازنوفون : ٦٢ -

اسحق : ٧ -

اسحق بن مسلم : ٢٣٩ -

اسحق البطريك : ٢٥٧ ، ٢٥٨ -

اسرحدون : ٨ -

اسطفان الأرمني : ٢٨٦ -

اسطفان : ١١٢ ، ١٥٥ ، ١٦٨ ، ٢١٤ ،

٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٩٢ ، ٣٠٨ ، ٣١٥ -

اسطفان بارصوديله : ١٣٠ -

اسكندر : ٨ ، ٩ ، ١٧١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ،

١٨٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،

٢١٧ -

- اوريلوس حفصاي : ٣٠ ، ٤٤
- اورليان : ١٣٤
- اورهي بن حيوياء : ١٢٩
- اوغسطوس قيصر : ٤٢ ، ٢٠١
- ايفيريا : ٥ ، ٤٣ ، ٦٨ ، ٨٢ ، ٩١ ، ٩٢
- ٩٣ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٨
- ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩
- ايلاغبالوس : ٢٠ ، ٤١ ، ٧٤
- ايليان : ٦٢ ، ٦٩
- ايلياثيا : ٥٩
- ايزاد : ٢٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦
- اليشع : ٦٥
- اينيزيفائوس : ٨٣
- أيوب الرهاوي : ١٨١ ، ٢٢٧ ، ٢٦١
- ايقاغوريوس : ٩٥ ، ٩٨
- ايوانيس البطريرك : ٢٥٧
- ايرينوس السوري : ١١٥
- اوربيسيوس : ١٥٧ ، ٢٢٧
- ايليا الداري : ١٢٤
- ايليا : ١١٢ ، ٢١٤
- ايسيدور : ٣
- ايلوس : ١٣٥
- ايوانيس روسبايه : ١٥٣ ، ١٧٨ ، ١٨٨
- ١٨٩
- بارحده : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦
- بار نمري : ٤
- باسيل البطريرك الأرميني : ٢٩٤
- باسيل بار شوماننا : ٦ ، ٢٦٩ ، ٢٩٢
- ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣
- ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠
- ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٥
- باسيل القيصري : ٨٨
- بارتاما سياط : ١٨

- ألب ياروق : ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧
- ألب أرسلان : ٢٧٢ ، ٢٧٣
- الوسيان الأنطاكي : ٢٧٧
- الكسيوس كومنوس : ٢٨٢
- الكسائي : ٥٦ ، ٥٧
- الكسندر : ١٤٥
- الكسيوس : ١٨١ ، ٢١٣ ، ٢٢٨
- الياس : ٢٢٩
- أفرام السرياني : ٣ ، ٦ ، ٣٦ ، ٤١
- ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٨٦
- ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٠
- ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١
- ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧
- ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣
- ١٨٧ ، ١٩٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦
- ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٩
- ٢٦٠ ، ٢٩٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٨
- أفرام الأمدني : ١١٧ ، ١٥٧ ، ١٧٦
- ١٨٨
- أفرام يرصوم ( البطريرك ) : ١٨٩
- افرايوس : ١٥
- افيدوس كاسيوس : ١٩
- افليا شلبي : ١٠٨ ، ٣١٦
- افراهاط : ١٢٢
- آقي : ١٠٦
- افروديت ( فينوس ) : ٥٩ ، ٦٠
- آغاي : ٢٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٢
- ١٦٩
- اوغسطين : ٩١
- اوبليا مقرينيايا : ٢٠
- اورفيوس : ٥ ، ٤٤ ، ٦٦ ، ٧٠
- اوغسطينا : ٢٣ ، ٩٦
- أوريليا : ٢٠ ، ٢٣

- بغرات الأرمني : ٢٧٨ ، ٢٩٣
- برنار القديس : ٣٠٥
- برساي : ١٠٩ ، ١١١ ، ١٢٧ ، ٢١٦
- ٢٢٤
- برنابا : ٣٠٨
- بروكوبيوس : ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥
- ١٤٥ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٩١
- ١٩٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢
- ٢٣٤
- برصبيول : ٥٨
- برديسان : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥
- ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩
- ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨
- ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ١٢٨
- ٣٢ ، ٢٠٦ ، ٢٥٤
- بسينيوس نيفر : ١٩
- بشير : ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤
- بطليموس : ٥٩ ، ٢٣٧
- بطرس الرسول : ١٠٠
- بطرس (الطران) : ١٥٥ ، ١٥٧ ، ٣١٦
- بکرو : ٢١ ، ٢٢ ، ٥٥
- بلشي : ٦٢ ، ١٢٦ ، ٢٠٧
- بلوتارخ : ١٥ ، ١٦ ، ١٧
- بکر ين مسلم : ٢٣٩
- بلتيس : ٥٨ ، ٦٢
- بعل شامين : ٥٨ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٢١٠
- بروتونيس : ٩٥ ، ٩٦
- بودار : ٧٢ ، ٧٣
- بييلات : ٦٥
- بلوتونيس : ٦٥ ، ٨٥
- بوليد : ٣٤
- بومبي : ١٥ ، ٣٠ ، ٣١
- بيلوس : ٣

- ياردين : ٣٤
- ياركلبا : ٦٤
- باث نيغال ( نينغال ) : ٦٤ ، ٦٥
- بادجر : ٦٩ ، ١٠٨
- بارادونا : ٧٢
- بارشوما : ٧٥
- يار شلاما ( ايشلاما ) : ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩
- ١٠١ ، ١٠٥ ، ٢٢٨
- بار سميا : ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦
- باسيل البلغاري : ٢٧٢
- باياي : ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦
- بابو : ١٠٧
- بارحذيشابا : ١٨٢
- باسوس : ٢١٠
- بارغري : ٢١١
- باسيل مطران الرها : ٢٥٩
- بابياس : ٢٩٢ ، ٣٠٧
- باكوس : ٢٩٥
- يار حلببي : ٢٨٩
- بالاخ : ٢٩٠
- بالدوق : ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠
- بار اسباتيزم : ٢٧٠
- بياتريس : ٣٠٥
- بارصليبي ديونيسيوس : ٣١٣
- اليرسوقي : ٢٨٩
- يوزان : ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٣٠٠
- بنديكت : ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ ، ٣٠٧
- بربارة : ٢٣٤
- برصوم القديس : ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨
- ٢٩٩ ، ٣١٤
- برصوما يار شلبي : ٢٩٥
- برصوما : ٢٧٤ ، ٢٨٠ ، ٣٠٣
- برنارد : ٢٨٦ ، ٢٩٧

• ٢٩١ : تيمورطاش  
 • ٢٧٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٥ : توروس بن هيشوم  
 • ٢٨٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٠ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨  
 • ٢٩٤ ، ٢٩٣  
 • ٤ : تارح  
 • ٧٣ ، ٧٢ : تيردات  
 • ١٢٣ ، ٨٢ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٧ : تداوس  
 • ٣٠٨ ، ٣٠٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩١  
 • ١٨٥ : ترييوناس  
 • ٢٥٠ ، ١٥٣ : تلمحراية ( آل )  
 • ٦٢ : تموز  
 • ٧٩ ، ٥٧ ، ٤٦ ، ٤٠ : توما الرسول  
 • ١٣٢ ، ١١١ ، ٨٥ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨١  
 • ٢١٥ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٤ ، ١٦٠  
 • ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ٢١٧ ، ٢١٦  
 • ٣١٥ ، ٣٠٨ ، ٢٩٢  
 • ٨٣ : توما المانوي  
 • ١٥٦ : توما الآمدي  
 • ٣١٤ : تيمور  
 • ٨٣ ، ٤٨ : ثيودور بارقوني  
 • ١٢٥ ، ١٢٣ ، ١١٣ : ثيودوسيوس الثاني  
 • ٢١٣ ، ١٢٨ ، ١٢٠ : ثيودوسيوس  
 • ٢٥٦ ، ١٣٢ : ثيودوسيوس الممودي  
 • ٢٥٩ ، ٢٤٥ : ثيودوسيوس مطران الرها  
 • ٢٦٣ ، ٢٦٢  
 • ٢٦١ ، ٢٥٦ ، ٢٤٦ : ثيودور أبو قرة  
 • ٢٦٢  
 • ١١٥ ، ١١٣ : ثيودوريسط القورشي  
 • ٢٠٤ ، ١٨٧ ، ١٨٢ ، ١٥٦ ، ١٢٧  
 • ١١٤ ، ١١٣ : ثيودور المبسوستاني  
 • ٢٠٣ ، ١٨٣  
 • ٢٣٣ ، ١٢٦ ، ١١٩ ، ١٠٨ : ثيودور  
 • ٢٨٨ ، ٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٦٩ ، ٢٥٦  
 • ٣٠٨ ، ٢٩٥

• ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٥٨ ، ٤ : بيل  
 • ١٠٢ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٨٤ ، ٧٥ ، ٦٧  
 • ٢١١  
 • ١٠ : بولس الرسول  
 • ١٢٠ ، ١١٨ ، ١١٧ : بولس ( المطران )  
 • ٣١٦ ، ٢٧٢ ، ٢١٠ ، ٢٠٩ ، ١٥٧  
 • ٢٩٤ : بولس أسقف مرعش الأرمني  
 • ٢٠٣ : بولس الشميشاطلي  
 • ٢٠٣ ، ١٣٤ : بروبوس  
 • ١٣٧ : بريسكوس  
 • ١٧٧ ، ١٧٢ : بليساريوس  
 • ٢٢٥ ، ٢٢٤ : برلاها  
 • ٢٥٧ : بيت بركسي  
 • ٢٨٣ ، ٢٨٢ : بوهيموند الأنطاكي  
 • ٢٨٤  
 • ٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧ : بلدوين دي بويلون  
 • ٣٠٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٠  
 • ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٢ : بلدوين دي بورغ  
 • ٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥  
 • ٢٩٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٠  
 • ٣١٢ ، ٣١١ ، ٣١٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦  
 • ١٩ : برينتاكوس  
 • ١٨٢ : بروتوجيتيس  
 • ٢٢ ، ١٧ : تاسيتوس  
 • ٤٢ ، ٣١ ، ٢٤ ، ١٨ ، ١٧ : تراچان  
 • ١٣٥ ، ٥٤  
 • ١٥ ، ١٤ ، ١٣ : تفرانس  
 • ٤١ : ثيودوريسط  
 • ٢٠ : تريديتس  
 • ٨ : تورتانو  
 • ٢٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣ : تانكريد  
 • ٢٩٢ ، ٢٨٧  
 • ٢٧٣ ، ٢٧١ : تافاداتس

جكرميش : ٢٨٥ ، ٢٨٤ -  
 حداد ( زيوس ) : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ،  
 ٧٥ ، ٧٥ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٣١ -  
 حبيب : ٢٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،  
 ١٠٦ ، ١٣٢ ، ١٨٨ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،  
 ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٤٧ -  
 حزيقايوس : ١٢٦ -  
 الحارث : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ -  
 خضر الياس : ١٠٨ -  
 خسرو : ٨٨ ، ٩٠ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ،  
 ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٥٣ ،  
 ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٦ ،  
 ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ،  
 ١٩٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ -  
 خليل : ٣١٢ -  
 الخليل ( ابراهيم ) : ٤ ، ٥ -  
 ديوكاسيوس : ١٥ ، ١٦ -  
 ديونييسيوس : ٦٣ ، ٦٧ ، ٢٠٢ -  
 داود : ٦٦ -  
 داغويرت : ٢٩٢ -  
 دميان : ٨٩ ، ١٣٢ ، ١٨١ ، ٢١٥ ، ٢٢٧ ،  
 دوميتيوس : ٨٩ ، ٢٢٤ -  
 ديسيوس : ١٠١ ، ١٤٠ -  
 ديودوروس الطرسوسي : ١١٣ ، ١١٤ ،  
 ٢٠٣ ، ٢٠٩ -  
 دمنوس الانطاكي : ١١٥ ، ١٦١ -  
 دانيال الحرائي : ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٥٨ ،  
 ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٧٧ ، ٢٢٥ -  
 ديوسقوروس : ١٢٥ -  
 ديوقلتيان : ١٠٢ ، ١٣٤ ، ١٤١ ، ١٤٣ ،  
 ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٥ ، ١٨٣ ، ١٤٦

ثيودورا : ١١٩ ، ١٧٧ ، ١٨٨ -  
 ثيوفيلوس : ١٠٢ ، ١٠٤ ، ٢٤٧ ، ٢٦٥ -  
 ثيودوريكس بوغلا : ٢٥٦ -  
 ثيوفيلوس بارتونا : ٢٦١ -  
 ثيوفيلاكلتوس : ٣٨ -  
 جستنيان : ١١ ، ٩٥ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،  
 ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،  
 ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،  
 ١٨٧ ، ١٩١ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،  
 ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ -  
 جوليان : ٥٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٠ ، ١١١ ،  
 ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ،  
 ١٦٥ ، ١٧٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ،  
 ٢٠٧ ، ٢٢٠ ، ٢٣٤ -  
 جوبيتر : ٦٠ -  
 جيوفري : ٢٩٠ -  
 جيلاسيوس : ٩٠ ، ٩٢ -  
 جورج مانياسيس : ٩٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،  
 ٢٧٠ ، ٢٧٧ ، ٣٠٨ -  
 جوفيان : ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١٣٤ ،  
 ١٣٥ ، ١٧٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٢٠ -  
 جوستين : ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،  
 ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ،  
 ٢٣٠ -  
 جيروم : ١٧٤ ، ٢٠٤ -  
 جونيليوس : ١٨٥ -  
 جوليان سابا : ٢٣٥ -  
 جورجيس البطريك : ٢٥٨ ، ٢٥٩ -  
 جوسلين : ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣١٠ ،  
 ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ -  
 جوسلين دي كورتناسي : ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،  
 ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ،  
 ٢٩٣ ، ٢٩٤

- زرين بار ابجر : ٣١
- زفرينوس : ١٠٠
- زيتون : ١١٦ ، ١١٧ ، ١٣٥
- زكاي : ٢٣٥
- زين الدين علي كوجوك : ٣٠٤ ، ٣٠٦
- زنكي : ٢٩٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٢
- ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨
- ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥
- زكريا مطران الرها : ٢٥٨ ، ٢٥٩
- زغورا : ١٨٥
- سبتيروس : ٢٣
- سيفرو : ٢٤
- سترابون : ١٠ ، ٥٩
- ساره : ٧
- سرجون ٨ ، ٢٥
- سروج : ٤
- سبتيروس سيفيروس : ١٩ ، ٣٢ ، ٣٩
- ٧٣
- سنيعا عبديو مزغور : ٢١
- سلوقوس : ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٢٣
- ٧٠ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٣١٢
- سين : ٧ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٣
- ٧٥ ، ٧٦ ، ١٢٧ ، ٢١١
- سكيستيسيليوس : ١٤
- سلوقوس بار مقيم : ٣٧
- سليمان : ٤٦ ، ١٢٤
- سبلينه : ٦٠
- سيمي بنت مادا : ٦٢ ، ٦٥
- ستراتونيس : ٦٥
- ساماخوس : ٨٣
- سوماقا : ٨٤
- سيرايون : ١٠٠
- سهديوثا : ٢٥٥

- دانيال العمودي : ١٨٥
- دنعا : ٢-٣
- دانيال : ٢٢٤
- ديوجينيس : ٢٢٤
- داود أسقف دارا : ٢٥٨
- داود الكبير : ٢٧٠
- دومنيانا : ٥٩
- ديونيسيوس التلمحري : ٢٤٠ ، ٢٤٥
- ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢
- ٢٦٤
- رابولا : ٤٤ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١١١ ، ١١٢
- ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٢٨
- ١٢٩ ، ١٣٩ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٩
- ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١
- ١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٢٠
- ٢٢٥
- رحبو بنت سلوقس : ٣٧
- روسبايه ( آل ) : ١٥٣ ، ١٧٨ ، ١٨٩
- ٢٤٩ ، ٢٥٠
- راحيل : ١٦٧
- روقينوس الاكويلي : ٢١٥
- رازين : ٢٤٣
- روجر : ٢٩٧ ، ٣٠٥
- رتشارد : ٢٨٥ ، ٢٨٦
- رهريخت : ٣٠٧ ، ٣٠٨
- رضوان بن طوطوش : ٢٧٧
- رومانوس ديوجينيس : ٢٧٢ ، ٢٧٣
- رومانوس ليكابينوس : ٩٠
- ريمبو : ٢٧٧
- زنكي : ٦ ، ٨٩
- زكريا : ٢٧ ، ١٥٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣
- ٢٢١ ، ٢٨٠
- زليخا : ٤ ، ١٢ ، ٦٩

- سویریوس الأنطاكي : ۱۱۷ ، ۱۲۴ ، ۲۰۲ ، ۲۰۳
- سيفيريوس : ۱۲۰ ، ۱۷۸ ، ۲۳۴
- سيفيريوس ( المطران ) : ۱۳۸
- سوزومين : ۱۲۳ ، ۲۰۴
- سرجيوس : ۱۵۷ ، ۱۶۸ ، ۱۸۹ ، ۲۰۳ ، ۲۲۶ ، ۲۵۰ ، ۳۰۶
- ساپنيانس : ۲۰۰
- سمعان العمودي : ۲۱۴
- سمعان : ۲۲۶
- سعد : ۲۷۲
- سليمان بن عبد الملك : ۲۴۶
- سلفستروس غومايه : ۲۵۰
- سيف الدولة : ۲۶۶
- سلمان التركي : ۲۶۷ ، ۲۶۹
- سعيد بن عامر : ۲۶۳
- سقمان : ۲۷۶ ، ۲۷۷ ، ۲۸۳ ، ۲۸۴
- سركيس : ۲۷۲ ، ۲۹۵
- سليمان بن قطلوموش : ۲۷۳
- سمباط : ۲۷۴ ، ۲۸۰
- شمسي ادد : ۸
- شلمناصر : ۷
- شلمات : ۲۴ ، ۲۶ ، ۳۵ ، ۴۳ ، ۴۴ ، ۵۱ ، ۶۷ ، ۸۶ ، ۹۶
- شابور الأول : ۲۰ ، ۹۲ ، ۱۳۳
- شابور الثاني : ۱۳۴
- شمونا : ۵ ، ۱۰۲ ، ۱۰۳ ، ۱۰۴ ، ۱۰۵ ، ۱۰۶ ، ۱۳۲ ، ۱۸۸ ، ۲۱۶ ، ۲۱۵ ، ۲۲۴ ، ۲۴۷ ، ۲۲۷
- شربيل : ۲۸ ، ۱۰۱ ، ۱۰۲ ، ۱۰۶
- شيشرون : ۳۰
- شليطا : ۳۱
- شلمان بن كوكب : ۴۵ ، ۴۸

- شمش : ۵۸ ، ۵۹ ، ۶۴
- شمعون البيث ارشمي : ۱۸۸
- شاهبور : ۱۵۲
- شهودت : ۱۰۲ ، ۲۲۴
- شمعون الناسك : ۲۵۸
- شبيب بن وثاب : ۲۷۱
- صموئيل : ۲۳ ، ۱۰۹ ، ۲۳۵
- صلخا : ۴
- صفرونيوس التلي : ۱۱۵ ، ۱۲۶ ، ۱۵۲ ، ۱۵۹ ، ۱۶۲ ، ۱۶۸ ، ۲۲۱ ، ۲۲۲ ، ۲۲۳
- صوفيا : ۲۶۶
- صليبا الكاهن : ۲۹۸
- صلاح الدين الأيوبي : ۳۱۴
- صدق : ۶۹
- طوبيا : ۲۸ ، ۳۹ ، ۵۴ ، ۷۹ ، ۸۵ ، ۹۶
- ططيان : ۴۶ ، ۸۵ ، ۱۱۴ ، ۲۰۳
- طراجان : ۱۰۱ ، ۲۰۰
- طيطس : ۲۰۳
- طيموثاوس : ۲۱۴
- طيموثاوس أسقف الرها : ۲۵۸
- طوطوش : ۲۷۳ ، ۲۷۵ ، ۲۷۶ ، ۲۷۷
- طيبيريوس : ۸۳ ، ۸۵ ، ۹۸ ، ۱۴۵ ، ۱۷۶ ، ۲۴۶
- الطاهر بن حسين : ۲۴۰ ، ۲۴۴ ، ۲۴۵
- عبد العزيز بن مران : ۲۴۹
- عبدو بار عبدو : ۲۶ ، ۸۰ ، ۸۹ ، ۹۷
- عقليبول : ۵۸ ، ۷۵
- عاتي : ۶۵
- عمانوئيل : ۹۴
- عيطالاما : ۱۰۲
- عياض بن غنم : ۱۲۱ ، ۱۲۶ ، ۱۳۸ ، ۱۴۱ ، ۱۶۰ ، ۱۷۸ ، ۲۳۴ ، ۲۳۷ ، ۲۴۶

- قاقور : ٢١
- فراديشت بارفييارعو : ٢١
- فرادشت : ٢٢
- فراهاد : ٢٢
- فوطيقار : ٤ ، ١٢
- فيلارك : ١٢٣
- فيليب : ٤٦
- فالنتيوس : ٥٦ ، ١١٠
- فالنس : ٩٣ ، ١١١ ، ١٤٧ ، ١٨٢ ، ٢١٦
- فيرونيكا ( بيرينيس ) : ٩٥ ، ٩٨
- فالوط : ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠
- فوقس : ١٢١ ، ١٣٨
- فيليب العربي : ١٣٣
- فاليريان : ١٣٣
- فاساك : ٢٩٣
- فاليران : ٢٨٩ ، ٢٩٠
- فيلكسينوس المتبجي : ١١٢ ، ١١٧
- ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ٢٠٣
- فلاقيوس القسطنطيني : ١١٥
- فرتكوبولس : ٢٧٧
- فاراغ : ٢٧٩ ، ٢٩٤
- فيلارتيوس براخامبيوس : ٢٧٣ ، ٢٧٤
- ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠
- فاسيل : ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ ، ٢٩٠
- فيلارتيوس : ٢٩٣ ، ٢٩٤
- فولك : ٣٠٠
- قهراري (دكتور) : ٣٠٧
- فيلورومايوس : ١٩ ، ٤٠
- قونا : ٥ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ٢٢٣
- ٢٢٨ ، ٢٣٢
- قيوما بين مقرطاط : ٣٤
- قسطنطيوس : ٥٩
- قوزما بين عرياي : ١٥٣

- عبسميا : ١٩٦
- عويضة بن عيد تحد : ٢٢٣
- عمر بن الخطاب : ٢٣٨ ، ٢٦٣
- علي : ٢٣٨
- عبد الملك بن مروان : ٢٣٨ ، ٢٤١
- ٢٤٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣
- عمرو : ٢٤٠
- عبد الله بن طاهر : ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦
- ٢٦٢
- عمر بن عبد العزيز : ٢٤٢
- عبد العلاء : ٢٤٤ ، ٢٤٥
- عبد المسيح الفيلسوف : ٢٩٣ ، ٢٩٧
- عبيد الله بن بختاري : ٢٤٧ ، ٢٤٨
- عبودن رئيس الكهنة : ٢٩٨ ، ٣١٢
- عطير بن عم وثاب : ٢٦٨
- عشارعانا ( هيرا ، اتارغاتيس ) : ٥٨
- ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤
- ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٢١١
- عشتاروت ( عزي ) : ٥٨ ، ٦٤ ، ٢٠٧
- غومايه ( آل ) : ٢٥٠ ، ٢٥٤
- غوردريان : ٢٠ ، ٢٣ ، ٥٢
- غييارعو : ٢٢
- غودرز : ١٧
- غريغوريوس النازينزي : ٨٨ ، ٢٦٢
- غريغوريوس النورسي : ٢١٧
- غريغوريوس النباسي : ١٨٨
- غوردريان : ١٣٣
- غاليروس : ١٣٤
- غولات : ٢١١
- الغازي الأرتقي : ٢٩٠
- غبرييل الأرمني : ٢٧٧ ، ٢٨٢
- غوغ فاسيل : ٢٧٨ ، ٢٩٣
- غودفري : ٢٨١

- ليزيوس القوطي : ١٥٨  
 - لويس السابع : ٣٠٥  
 - ليولندرينوس : ٢٧٠  
 - مارسيا : ٢٠ ، ٢٣  
 - معنو بار ايجر : ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣١  
 - معنو : ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٤٢  
 - ٤٣ ، ٨٦ ، ٩٧ ، ٢١٨  
 - ماركوس أوريليوس : ١٨  
 - مارود : ٤  
 - مارينوس : ١٥٣ ، ١٧٨ ، ٢٣٤  
 - ماريلاها : ٤ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦  
 - ماريكلايه : ٤ ، ٢١١  
 - مزعور : ١٥ ، ٢٢  
 - مرقيون : ٥٦ ، ١١٠ ، ١١١  
 - المريخ ( مارس ) : ٦٠  
 - مقرينيوس : ٢٠  
 - ميرداد : ١٧ ، ٣١ ، ٤٢  
 - ميخائيل السرياني : ٦ ، ١٢١ ، ١٧٧  
 - ٢٠٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧  
 - ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩  
 - ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣١١  
 - مكسيموس : ٢٤  
 - ماريهاب بن شمشل : ٣٤  
 - معدال ابنة عبد اللات : ٣٧  
 - مارا بارسيرايبون : ٤٥  
 - ميليتو السارديسي : ٤٦ ، ٦٢ ، ٦٥  
 - ملكيبيل : ٥٨ ، ٧٥  
 - ميخائيل الملك : ٨٩ ، ٢٣٤  
 - موريس : ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٣٧  
 - ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٥٨ ، ١٧٧ ، ٢٣٤  
 - ملكي : ١٧٤ ، ٢٠٤  
 - مارا : ١٥٧ ، ١٨٦ ، ١٨٨  
 - المتندر : ١٧٥ ، ١٧٦

- قيوار : ١٨٣  
 - قريلونا : ١٩٦  
 - قورا : ٢٢٤  
 - قسطنطين : ٥٣ ، ٦٥ ، ٨٥ ، ٩٣ ، ١٠٤ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥١  
 - ١٥٣ ، ١٥٦ ، ٢٠٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣  
 - ٢٩٣ ، ٢٧١  
 - قوزما : ٨٩ ، ١٣٢ ، ١٨١ ، ٢١٥  
 - ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٥٩ ، ٣٠٥  
 - قسطنطين بورفيروجينيتوس : ٩٠  
 - قونستنتيوس : ٩٢ ، ١١٠ ، ١٣٤ ، ١٤٢  
 - ١٧٤ ، ٢٢٣  
 - قورش : ١١٦ ، ١٣٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨  
 - قرياقس البطريك : ٢٥٨ ، ٢٥٩  
 - قسطنطين الأرمني : ٢٧٩  
 - قره أرسلان : ٣٠٠  
 - قرياقس : ٢٣٣  
 - ليمو : ٨  
 - لوكولوس : ١٥  
 - لوسسيوس كوتيبوس : ١٨  
 - لاون : ١٢١ ، ١٧٧  
 - ليون : ١٦١  
 - لوقا : ٢١٤  
 - ليو : ٢٧٣  
 - ليو القارئ : ٢٦٥  
 - ليو الثالث : ٢٤٧  
 - ليو السادس : ٢٦٥  
 - لوقيان الشميشاطي : ١٠ ، ٥٩ ، ٦٢  
 - ٦٣ ، ٦٧  
 - لوسسيوس ايليوس ، أوريليوس ، سبتموس :  
 - ١٩  
 - ليسينيوس : ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٤٠  
 - ليونتوس : ١٣٥

- نابو بلاصر : ٧
- نينغال ( نرغال ) : ٧ ، ٨٤
- ناحور : ٤
- نوح : ٦ ، ١١٨
- نحشيرام : ٤٦
- نوخاما : ٤٦
- نبو (مركوري) : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٥
- نيونيدس : ٦٦ ، ٦٧ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ٢١١
- نصر بن شبث العقيلي : ٢٤٠ ، ٢٤٨
- نصر الدولة : ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١
- نرساي : ٨٦ ، ٩٨ ، ١١٦ ، ١٨٣ ، ٢٠٤
- نونا : ٨٨ ، ٨٩ ، ١١٦ ، ١٥٦ ، ١٥٧
- نابونيدس : ٧ ، ٨ ، ٧٣ ، ٧٦
- نمرود : ٣ ، ٤ ، ٦ ، ١٢ ، ٢٣١
- نينوس : ٣
- نيرام سين : ٢٥
- نيرون : ٢٠
- نسطور : ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٤
- ٢٠٣
- نارسسي : ١٢٠ ، ١٣٨ ، ١٧٨ ، ٢٣٤
- ٣٠٧
- نالاد : ١٥٣
- نرساي شنور هالي : ٣٠٥
- نحاي : ٧٤
- يالود بارتماسياط : ٢١
- يوسيفوس : ٥٣
- يهوذا بن بشيرا : ٥٤
- يهوذا : ٧٩ ، ٨٢ ، ٢١٤
- يشوع العمودي : ٩١ ، ١١٧ ، ١٣٠
- ١٣٥ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٤
- ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢

- ماروثا : ١٨٧ ، ٢٠٣
- مارايا : ٢٠٣
- ماعنا : ٢٠٤
- مريم العذراء : ٢١٤ ، ٢٢٧ ، ٢٦٣
- ٢٦٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٧
- موسى : ٢١٤
- مونيريت دي فيلارد : ٢١٧
- معاوية : ٢٣٨ ، ٢٥١
- محمد بن مروان : ٢٣٨ ، ٢٤٢
- مروان بن محمد : ٢٣٩
- منصور بن هوانا : ٢٣٩
- المأمون : ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥
- ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢
- متى الرهاوي : ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣
- ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١
- ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨
- ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨
- محمد النبي : ٨٠
- محمود بن طاهر : ٢٤٠
- محمد بن طاهر : ٢٤٥ ، ٢٦٣
- المهدي : ٢٥٨ ، ٢٦١
- مكعانيس : ٢٧٩
- ملكشاه : ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٩٤
- ٣٠١
- المقدسي : ٢٦٣
- ميخائيل الرابع : ٢٧٠
- ميخائيل بارشوماننا : ٢٩٤ ، ٢٩٨
- مودود : ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠
- مناويل كومنينوس : ٣٠٥
- ميخائيل : ٣٠٨
- مراد الرابع : ٣١٤
- ماري : ٨١ ، ١١٤ ، ١٥٩
- ماني : ٨٢ ، ٨٣ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٨

- يوحنا فم الذهب : ١١٧
- يوحنا بن باسيل : ١١٧ ، ١٧٨ ، ١٨٨
- يوفيميا : ١٥٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧
- ٢٠٥ ، ٢١٩ ، ٢٩٤ ، ٣٠٨
- يوسبيوس أسقف حمص : ٢٠٤
- يوحنا المعمدان : ٢١٤ ، ٢٠٧ ، ٣٠٨
- ٣٠٩ ، ٣١٥
- يوحنا ثيولوغوس : ٢٣٤
- يوحنا كاتياس : ٢٣٧
- يحيى الزعيم المسلم : ٢٤٠
- يزيد بن عبد الملك : ٢٤٢
- يقطان : ٢٤٥
- يحيى البرمكي : ٢٤٧
- يوحنا الرقي : ٢٥٨
- يوحنا أسقف ماردين : ٣١٣
- يوحنا البطريرك : ٢٩٨
- يوحنا الثاني كومنينوس : ٣٠٠
- يوحنا أسقف الأرمن : ٣٠١
- يوجينوس الثالث : ٣٠٥
- يعقوب كارابنتزي السناحيثي : ٢٩٤
- يوسف البطريرك : ٢٥٩
- يوحنا التابولارا : ٢٦٤
- يوحنا كراسوس : ٢٦٥
- ينسيفوروس فوقنس : ٢٦٧
- يوحنا زيميسيوس : ٢٦٧

- ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ، ١٩٢
- ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩
- ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٠
- ٢٢٦ ، ٢٣٤
- يوحنا التلي : ١١٧ ، ١١٨ ، ١٧٩
- ٢٣٢
- يونان : ١٢٠
- يوحنا الافسسي : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٥
- ١٦٦ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٤
- ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ٢٠٢
- ٢٠٥
- يوحنا الملاسي : ٢٣
- يوسف : ٢٣
- يوسبيوس : ٢٧ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١
- ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠
- ٩٤ ، ٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٣٥
- يعقوب الرهاوي : ٣ ، ٤ ، ١٣ ، ١٠٠
- ١٩٢ ، ٢٠٢ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
- يعقوب الشروحي : ٤ ، ٩٠ ، ١٠٢
- ١٣٠ ، ١٦٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٩
- ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٨
- ٢٣٥
- يعقوب : ٧ ، ٨٩ ، ١٦٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥
- يوحنا : ١٦٣ ، ٨١ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ٢١٥
- ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٦٣ ، ٢٧٥
- ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٣٠٧
- يعقوب النصيبيني : ١٠٧ ، ١٨٨ ، ٢١٤
- يورانيوس : ١١٤ ، ١٨٥
- يهوذا الاسخريوطي : ١١٥

يوحنا دوستزس : ٢٧١ -

مدريان : ٣١ ، ١٨ -

ميلانة : ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٦٥ ، ٥٣ -

هرموجينيس : ٥٧ -

هيفيسيتوس : ٦٢ -

هارناك : ٩٨ -

مارون الرشيد : ٢٤٧ ، ٢٣٩ ، ١٧٨ -

٢٥٠ ، ٢٤٩ -

هرقليوس الكلبي : ٢٠٨ -

هدى : ٤٠ -

هستاسب : ١٠٦ -

هيبا : ١٢٥ ، ١١٦ ، ١١٥ ، ١١٤ -

١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٣ ، ١٢٧ -

١٦٨ ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٦٠ -

٢١٥ ، ١٨٨ ، ١٨٥ ، ١٧٤ ، ١٦٩ -

٢٣٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢١ -

هرقل : ١٦٠ ، ١٣٨ ، ١٢٦ ، ١٢١ -

٢٤٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٤ ، ١٧٨ -

ولاغاش : ١٠٧ ، ٢٢٤ -

الوليد : ٢٤٥ ، ٢٤٢ -

وليم الصوري : ٣٠٢ ، ٣٠١ -



## فهرس الشعوب

بارثيون : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ،  
١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٤٠ ،  
٥٤ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ،  
٢١٣ -

برابرة : ١٧٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ -  
بنو قيس : ٢٣٨ ، ٢٣٩ -  
بنو نمير : ٢٣٨ ، ٢٦٨ ، ٢٨٣ -  
بنو مضر : ٢٣٨ -  
بنو عقيل : ٢٣٨ -  
بنو سليم : ٢٣٨ ، ٢٤٤ -  
بنو كلب : ٢٣٨ -

بدو : ٣٠ ، ١٤٢ ، ١٦٦ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،  
١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،  
٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٢١ ، ٢٣٨ -

بريطان : ٤٦ -  
حثيون : ٦ -

جرانيون : ١٧١ ، ١٩٢ ، ٢٣٧ ، ٢٨٤ ،  
حلبيون : ٣٠٢ -  
تتار : ٣١٤ -

رهاويون : ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٢٤ ،  
٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٥ ،  
٥٦ ، ٦٤ ، ٨١ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٢ ،  
٩٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،  
١١١ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،  
١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ،  
١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٧ ،  
١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٦ -

أتراك : ١ ، ١٣٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،  
٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،  
٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،  
٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،  
٢٩٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٠ ،  
٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،  
٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٦ -  
آراميون : ٧ ، ٧٥ -

آرمن : ١ ، ٢٢ ، ١٨٣ ، ٢٤٢ ، ٢٥٦ ،  
٢٥٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ،  
٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ،  
٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣١٠ ، ٣١٢ -

آشوريون : ٧ ، ٦١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٧ ،  
٩٨ ، ٩٩ -

اغريق : ٤ ، ٤٦ ، ٥٩ -  
آنياط : ١٤ ، ٢٢ ، ٥٥ -  
آلمان : ١٤٢ -

اسماعيليون : ١٧٤ ، ٢٠٧ -  
أمويون : ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ ،  
أوروبيون : ٢٧٧ -

بيزنطيون : ١ ، ١١ ، ٢٧ ، ٤١ ، ٨٨ ،  
١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،  
١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ،  
١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ،  
١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ،  
٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،  
٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،  
٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٩٤ -



## فهرس الأماكن

آمد (ديار بكر) : ٦ ، ٢٥ ، ١٠٧ ، ١٢٥ ،  
 ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،  
 ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٤ ،  
 ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ،  
 ١٧٣ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،  
 ١٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢٢١ ،  
 ٢٣٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٧ ،  
 ٢٩٦ ، ٢٩٨

الامبراطورية الآشورية ٢

الامبراطورية البابلية : ٢

أناضول : ٩ ، ٣٦ ، ٩٣ ، ٢٧٠

انتيموسيا : ١٤ ، ١٨ ، ٣٢

أورفا : ١ ، ٢ ، ٥ ، ٢١ ، ٣٥ ، ٣٧ ،

٤٣ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ،

٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ،

٧١ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ١٠٨ ، ١٢٩ ،

١٧١ ، ١٧٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ،

٢٩٤ ، ٣١٤ ، ٣١٦

أوروبا : ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٢٥ ، ٥١ ، ٥٩ ،

٩١ ، ٢١٣ ، ٢٨٥ ، ٣٠٥

أور : ٥ ، ٦

أورهي : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ،

١٠ ، ٣١ ، ١٠١ ، ٣١٤

أوسروين : ٥ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٦ ،

٣١ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٧٣ ، ٨٦ ،

١٢٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ،

١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦١ ،

١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ،

٢٣٨

اتارغات : ٦٢

اتابكي : ٣٠٠

أركف : ٣ ، ٥ ، ٦

أرمينيا : ٦ ، ١٧ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،

١٣٧ ، ٢٦٩

أربيل : ١٤

أريحا : ٢١٤

أرضروم : ٢٤٩

أديسا : ١ ، ٢ ، ٣ ، ١٠ ، ٣٢ ، ٥٩ ،

٨١ ، ١٠١ ، ١٢٩ ، ٢٩٠

أثينا : ٤٠ ، ٦٠ ، ١٢٦ ، ١٣١

آسيا الصغرى : ٧ ، ٢٣ ، ٦٢ ، ٨٦ ،

١١٩ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ٢١٣

آسيا الغربية : ٣ ، ٥٩ ، ١٦٦

اسكندرية : ٢٠ ، ٤٠ ، ١١٩ ، ١٢٦ ،

١٨٥ ، ٢٤٥ ، ٢٦٥

استنبول : ٥٢

اسبانيا : ١٠٤

آشور : ٨ ، ٤٦ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٨٦ ،

اكويتانيا : ٥

الكسندريانا : ٢٠

افريقيا : ٢٥

ألمانيا : ٢٥

افاقا : ٦٢

اقاميا : ٢١٠

أفسس : ٨١ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ١١٥ ،

اعاثيا : ٣٠٥

اليون (طروادة) : ٢٦١

- يلهو : ٧  
 - بيلك : ٧  
 - بلاوات : ٧ ، ٢٥  
 - بيرثا : ٩ ، ٣١ ، ٤٩ ، ١٤٢ ، ١٥٧  
 - ٣٠٤ ، ٢٨٩ ، ٢٨١ ، ١٦٢  
 - بغداد : ٢٤٠ ، ٢٥٦ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠  
 - البلاد العربية : ٥٩  
 - بربولس : ١٣٣  
 - بعلبك : ١٣١  
 - بين النهرين : ٢ ، ٣ ، ٦ ، ١٣ ، ١٤ ،  
 ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ،  
 ٣٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٩ ،  
 ٧١ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٢ ،  
 ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٢ ،  
 ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،  
 ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،  
 ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،  
 ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،  
 ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٥٥ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،  
 ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ،  
 ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ،  
 ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ،  
 ٢٢٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،  
 ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ،  
 ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ،  
 ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٩٠ ،  
 - ٣٠٤  
 - بيروت : ٤٠ ، ١١٤ ، ١٢٦ ، ١٥٧ ، ١٨٥  
 - بيزنطية : ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٢٠ ،  
 ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،  
 ١٥٤ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٧ ،  
 ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ،  
 - ٢٧٦

- اورشليم (القدس) : ٦ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٥٣ ،  
 ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٤ ،  
 ٩٥ ، ٩٦ ، ١٣٠ ، ٢١٦ ، ٢٢٦ ،  
 - ٢٦١ ، ٢٥٦  
 - ابيزيا : ٢٧٠  
 - ايوب مهلاسي : ٣٦ ، ٣٨ ، ٦٦ ، ٨٩ ،  
 - ٢٢٧  
 - انطاكية : ١٠ ، ١٤ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٣٩ ،  
 ٤٠ ، ٤٢ ، ٥٩ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٨ ،  
 ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ،  
 ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،  
 ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٨٥ ،  
 ١٩١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٤ ،  
 ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ،  
 ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،  
 ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ،  
 - ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣١٠ ، ٣١٤  
 - انطاكية مقدونيا : ١٠  
 - ايران : ١٣٢  
 - يابل : ٣ ، ١٣ ، ٥٩ ، ٧٦ ، ٨٥  
 - باتني : ١٨ ، ٢٠ ، ٣٢  
 - يادانا رايثا : ٢٥٤  
 - يارثيا : ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ،  
 ٢٦ ، ٣١ ، ٤١ ، ٥٦ ، ٨١ ، ٨٤ ،  
 - ١٠٠  
 - يانياس : ٩٥  
 - يطناي : ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ،  
 ١٦٢ ، ١٦٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ،  
 - ٢٣٨ ، ٢٥١  
 - ياي قابيسي : ٢٩٠  
 - البليخ (نهر) : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ٦٣ ، ٦٩ ،  
 ١٣٦ ، ١٥٣ ، ١٩١ ، ٢٦٢ ، ٢٨٤ ،  
 - ٢٩٢

٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ،  
 ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،  
 ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ،  
 ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ ،  
 ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ،  
 ٢٧٧ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ ،  
 ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ،  
 ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٥ .

حدياب (اديبين) : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣١ ،  
 ٣٩ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ،  
 ٦٥ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ،  
 ٨٦ ، ٩٩ ، ١٤٠ ، ٢٥٥ .

حيويا : ٥ .

الجزيرة : ٢ ، ٢٢ ، ٦٤ ، ١١٢ ،  
 الخليج : ٢٢ ، ٨٣ ،  
 العبشة : ٥٩ ، ١٦٦ .

حلب : ٦٢ ، ١١١ ، ١٥٦ ، ٢٤٠ ، ٢٦٧ ،  
 ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣ ، ٣٠٣ ،  
 ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣١٤ .

الخابور : (نهر) : ٦١ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ١٣٤ ،  
 ١٣٦ ، ١٤١ ، ٢٣٨ .

خاليص : ٦٢ .

الحضر : ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٥ .

حمص : ١٢٩ ، ١٧٦ .

الحيرة : ١٣٥ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٨ ،  
 ١٩٢ .

جيحون : ٢٩٦ .

جستينبوليس : ١٩١ .

جورجيا : ٢٧٣ .

الجليل : ٢٨٩ .

خربوط : ٢٩٠ .

جعبر (قلعة) : ٣١٠ .

بيت لاياط : ٨٨ .  
 بيت طبارا : ٢٢٣ .  
 بيت غارماي : ٢٠٣ .  
 بيت أردشير : ١١٤ .  
 بيت حور : ٢٠٧ .  
 تدمر : ٢٥ ، ٣٩ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ،  
 ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ،  
 ٧٥ ، ٨٨ ، ١٣٣ ، ١٣٤ .

تفرانوسرتا : ١٥ .

تركيا : ٢ ، ٣ ، ٣١٦ .

تلال نمرود : ٤ .

تل شاماراحي (تلماراهي) : ٧ .

التكتك : ٣٠ ، ١٧٣ .

تل زيبا : ٢٢٩ .

تلوخ : ٢٦٨ .

تل بشير : ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ،  
 ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ،  
 ٢٩٨ ، ٣٠٠ .

تلمحري : ١٥٣ ، ١٦٢ ، ٢٦٢ .

ثنوريوس : ١٧٣ .

تلا : ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،  
 ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦٢ ،  
 ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٨٥ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ .

٢٢١ ، ٢٣٧ ، ٢٥٥ .

ثيودوسيوبوليس : ١٣٥ .

حوران : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ،  
 ١٤ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٥٢ .

٥٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ،

٦٤ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٨ ،

٩٣ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ،

١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،

١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ،

١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ٢٠٤ .

، ٢١٥ ، ٢١٤ ، ٢١٣ ، ٢١١ ، ٢١٠  
 ، ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢١٦  
 ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢١  
 ، ٢٣٤ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧  
 ، ٢٣٩ ، ٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥  
 ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠  
 ، ٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥  
 ، ٢٥٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٠  
 ، ٢٦٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٦  
 ، ٢٦٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦١  
 ، ٢٧٠ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦٦  
 ، ٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧١  
 ، ٢٨٠ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٦  
 ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨١  
 ، ٢٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦  
 ، ٢٩٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩١  
 ، ٣٠٠ ، ٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦  
 ، ٣٠٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠١  
 ، ٣١٠ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨ ، ٣٠٧ ، ٣٠٦  
 - ٣١٥ ، ٣١٤ ، ٣١٣ ، ٣١٢

، ٢٤ ، ١٣ ، ٥ ، ٢ : الرافدين (وادي)  
 ، ٢٠٠ ، ١٧٦ ، ١٣٣ ، ٨٨ ، ٤١  
 - ٢٠٧

- الرصافة : ١٧٤ ، ١٥٣

، ١٣٧ ، ١٣٣ ، ٢٠ ، ١٤ : ريشعينا  
 ، ٢٥٥ ، ٢٣٧ ، ١٩٠ ، ١٦٢ ، ١٤٢  
 - ٢٦٧ ، ٢٦٦

، ١٩ ، ١٨ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ : روما  
 ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٢٧ ، ٢١ ، ٢٠  
 ، ١٣٤ ، ١٢٦ ، ١٠٠ ، ٨٧ ، ٨١  
 ، ١٦٥ ، ١٥١ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٥  
 - ٢١٣

، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٦ ، ٣ ، ١ : الرما  
 ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢  
 ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨  
 ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٤  
 ، ٣٩ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٢ ، ٣١  
 ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١  
 ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٩  
 ، ٦٤ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٥  
 ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥  
 ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢  
 ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠  
 ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٧ ، ٨٦  
 ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٩٣  
 ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١  
 ، ١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٦  
 ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ١١١  
 ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ١١٦  
 ، ١٢٥ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢١  
 ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٦  
 ، ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣١  
 ، ١٤٠ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٣٦  
 ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤١  
 ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٧  
 ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٢  
 ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٧  
 ، ١٦٧ ، ١٦٦ ، ١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٦٣  
 ، ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٦٨  
 ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٣  
 ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١  
 ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٨٦  
 ، ١٩٧ ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٩١  
 ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٩  
 ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤

سوماتار هاراييسي : ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٢ ،  
٤٢ ، ٤٣ ، ٥٢ ، ٦٤ ، ٧١ ، ٧٣ ،  
٧٤ ، ٧٥ ، ١٤٥ -

سروج : ٧ ، ١٤ ، ٦٢ ، ٩١ ، ١٤٢ ،  
١٦٢ ، ٢٠٩ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،  
٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ،  
٢٩٢ ، ٣٠٤ -

سوريا : ٦ ، ٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٩ ،  
٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٩ ، ٥٩ ، ٦٢ ،  
٧٦ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٩ ، ١١٨ ،  
١١٩ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،  
١٤٠ ، ١٩٠ ، ٢١٣ ، ٢٣٧ ، ٢٦٧ -  
سرين : ٣١ ، ٣٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٤ -

سيراي : ٥٦ -

سيناء : ١١٢ -

سيرسايون : ١٤١ -

سيفيراك : ١٤٢ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ،  
٢٧٧ ، ٣١٥ -

سورا : ١٥٦ -

سليمان (وادي) : ٢٩٨ ، ٣٠١ -

سيرتوس : ٩ -

السعدية : ٧٤ -

سبازينوكراكس : ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ -

الشرق : ٢ ، ٣ ، ٦ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٤١ ،  
٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٧١ ، ٧٦ ،  
٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ،  
٨٨ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٦ ،  
١٢١ ، ١٢٤ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٥١ ،  
١٦٢ ، ١٧٦ ، ٢١٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٦ ،  
٢٥٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ -

زوغما : ٩ ، ١٤ ، ١٨ ، ٣١ ، ٥٨ ،  
١٠٤ ، ١٢٥ ، ٢٢٠ -

الزاب (نهر) : ٨٦ -

زوقنين : ١٢٥ ، ٢٠٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ،  
٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٦٢ -

دجلة : ٧ ، ١٩ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ١٣٤ ،  
١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٩٢ ، ٢٨٤ -

دورا : ٢٧ ، ٦٣ -

دورو : ٧ -

دورا يوربوس : ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٩ ،  
٦٠ ، ٦٦ ، ٦٨ -

ديار بكر : ٤٤ -

ديسان (نهر) : ٩ ، ٣٢ ، ٦٩ ، ١١٨ ،  
١٨٧ ، ١٩١ ، ٢٥١ -

دير مار يعقوب : ٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ،  
٧٠ ، ١١٩ -

ديلوس : ١٠ ، ٦٢ -

دافني : ٨٨ -

دير الشرقيين : ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٨٤ ،  
٢٣٤ -

دارا : ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،  
١٥٦ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٩٦ ، ٢٣٧ -

٢٥٨ ، ٢٦٧ -

دوسارا : ١٤٢ ، ١٦٢ -

دير سركيسي : ٢٢٩ -

دير قرتمين : ٢٣٤ ، ٢٥٨ -

دير تلمدا : ٢٦٠ -

ديار مضر : ٢٣٨ -

دمشق : ٣٠٥ -

دير القرس : ٢٠٩ -

سلوقية : ١٤ ، ٤٦ -

سينغارا (سنجار) : ١٤ ، ٢١ ، ١٣٤ -

فازس : ٩٣ ، ٩٩ ، ١٢٧ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،  
١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ،  
١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،  
١٩٠ ، ٢٠٤ ، ٢١٣ ، ٢٢٦ ، ٢٤٩ ،  
٣٠٥

فينيقيا : ٥٩ ، ٦٢

القلاب (نهر الوثاب) : ٧ ، ٩ ، ٤١ ، ٦٩ ،  
١٩١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ،  
٣٠٩

قطيسفون : ١٨ ، ١٣٤ ، ١٤٠

قبرص : ٦٢ ، ١٢٠

قيسليانا : ١٤ ، ٥٨

قرخ مغارة : ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٤ ، ٧٥ ، ٨٢ ،  
٩٣ ، ٢٢٩

قره كويرو : ٥١ ، ٥٣ ، ٧٠

قبه : ١٩٤

القسطنطينية : ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٦ ،

١١٣ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ،

١٣١ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،

١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٥ ،

١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ،

١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ٢١٤ ،

٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٥٦ ،

٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ،

٢٨٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤

قيساس : ٢٧١ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٣٠١

قرقر : ٢٧٩ ، ٢٩٣

القاهرة : ٢٧٠

قنشرين : ١١١

كيتالالا : ٧

كالروي : ٥

كيليكيا : ٥٩

كمبانيا : ١٦

كاموليانا : ٩٥

شميشاط : ٩ ، ١٤ ، ٤٥ ، ١٤١ ، ١٨٥ ،  
٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ،  
٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،  
٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ،  
٢٩١ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٥

الصين : ١ ، ٦ ، ٧ ، ١٦٦

صقلية : ٢٧٧ ، ٣٠٥

صوبيا : ٩٧

صور : ١١٤ ، ١٥٧

طوروس : ٢٧٧

عيبال : ٦٢

عين العروس : ٦٣

عين سلوق : ٦٣ ، ٦٨

العراق : ٢٣٧

الغال : ١٠٤

غنغرا : ١١٨

غضيبوس : ١٣٤

غسان : ١٧٥

القرات (نهر) : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ،

١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٤٩ ،

٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨١ ،

٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ،

١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ،

١٧٤ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ،

٢٥٨ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ،

٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ،

٢٨٧ ، ٣٠٤ ، ٣١٣ ، ٣١٤

فدان : ٤ ، ١٦٧

فيلبي : ٩٣

الفرس (بلاد) : ٢ ، ٦ ، ١٣٥ ، ٢٥٠

فرتسا : ٣٠٥

فودينا : ١٠

فلسطين : ٢٢ ، ٢٨ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٨١ ،

٩٥ ، ١١٢ ، ١٣٨ ، ١٦٨ ، ١٩٠ ،

٢٠٤ ، ٢٨٩

الموصل : ٧ ، ٢٤ ، ٧٥ ، ١٢٢ ، ٢٧٣  
 - ٢٨٧ ، ٣٠٠  
 ميديا : ١٣  
 ميشان (كرخه دميشان) : ١٤ ، ٨٥  
 مسين (ميشان) : ١٤ ، ٨٣ ، ٨٥  
 ميسوبوتاميا : ٢  
 مصر : ٨ ، ٤٠ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٨٢ ، ٢٩٠ ، ٢٣٩  
 - ٢٤٠ ، ٢٤٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧  
 نيراب : ٢٢  
 نينوى : ٣  
 نابلس : ١٦٨  
 نصيبين : ٥ ، ٦ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨  
 ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١  
 ٣٩ ، ٤١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٨٤ ، ٨٥  
 ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٠٧ ، ١١٦  
 ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧  
 ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٣  
 ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧  
 - ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧  
 نيافاليتا : ١٦٢  
 نيقيا : ٢٦٤ ، ٢٧٧  
 الهند : ١ ، ٦ ، ٧ ، ٤١ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ١٢٣ ، ١٦٦ ، ٢١٥  
 - ٢١٦ ، ٢٩٠  
 هرميس تريسمجستوس : ٤  
 هيرابولس (منبج ، بامبيس) : ١٠ ، ١٤ ، ٣١ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢  
 ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨  
 ٦٩ ، ٧٠ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ١٣٨  
 - ٢١١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٩٠  
 هيميريا : ١١٤ ، ١٦٢ ، ١٨٥  
 هرقلس : ٢١١  
 يوقيطه : ٩٣ ، ١١٨

كلينيكوس (الرقه) : ١٤ ، ١٢٣ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠  
 ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٨٣ ، ٣٠٠  
 - ٣٠٩ ، ٣٠٤  
 كيشوم : ٢٩٨  
 كيفاسلم (نقبات) : ١٩٣  
 كيرهوس (قورش) : ٢٠٤  
 كرموش : ٢٣٤  
 كوماجين : ٢٧٨  
 لاغاش : ٨٤  
 لبنان : ٦٢  
 اللاذقية : ١٢٦  
 ماربي : ٧  
 منسى (وادي) : ٣٦  
 مقدونيا : ٩٣  
 متسين : ٢٢  
 مغدونيوس (نهر) : ١٤٢  
 ماركوبولس : ١٦٢  
 ملاطية : ١٢٠ ، ١٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٩٣  
 - ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩  
 ماردين : ١٤٢ ، ٢٣٧ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠  
 مودود : ٢٢٩  
 مديات : ٢٣٤  
 ميفرقاط : ٢٣٩  
 منزيقرت : ٢٥٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣  
 ميسوستيا : ٢٦٧  
 ميديا السفلى : ٢٦٨  
 ميديا العليا : ٢٧٠  
 مرعش : ٢٧٣ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٩٠  
 - ٢٩٤  
 ميلان : ١٤٠ ، ٢٢٤

## قائمة اللوحات والصور

- الصورة المواجهة لصفحة العنوان : بركة ابراهيم ( خليل رحمن غولو )  
مع مسجد خليل الرحمن الى اليسار .
- ١ - اللوحة الفسيفسائية للعائلة وعليها أسماء بالسريانية ، تاريخها ربما القرن الثاني أو مستهل القرن الثالث للميلاد ( بالألوان ) .
- ٢ - اللوحة الفسيفسائية للأريكة الجنائزية ، عليها كتابات سريانية تاريخها سنة ٢٧٨ م ( بالألوان ) .
- ٣ - اللوحة الفسيفسائية للركيزة الثلاثية عليها كتابات سريانية تتضمن كتابة ضريحية ( صفحة ٤٤ ) تاريخها ربما القرن الثاني أو الثالث للميلاد ( بالألوان ) .
- ٤ آ - سور القلعة والخندق المائي ، على بُعد مشهد سهل حران .  
ب - جسر فوق القره قويون .
- ٥ آ - خارج بوابة حران ( حران قابيسي ) ، توجد كتابة يونانية مهشمة على قسم السور البيزنطي الى اليمين .  
ب - قلعة مستديرة عند بوابة باي ( باي قابيسي ) ، توجد على الجزء الملوي منها كتابة أرمنية ( صفحة ٢٩٠ ح ٧٤ ) ، يقود الجسر فوق الخندق المائي الى قيساس .
- ٦ آ - موقع البوابة الغربية . يوجد الى اليمين تقطع من السور البيزنطي ، أما الى اليسار فربما كانت هناك غرفة للحرس في القرن الثاني عشر .  
ب - منظر باتجاه الغرب من البوابة الغربية ، والعمارات في وسط اليسار تعين موقع ضريح القديس أفرام ودير سرجيس .
- ٧ - سد شيد في عهد جوستينيان الأول .
- ٨ آ - بوابات للتحكم بالمياه في المجرى الأصلي لنهر ديسان .  
ب - بوابة المياه الغربية بجانب بركة ابراهيم .

- ٩ آ - جبل القلعة مع العمودين بالقرب من بركة زولها ( زولييه غولو ) .  
 ب - جزء تفصيلي لأحد العمودين على جبل القلعة .
- ١٠ آ - مصدر النبع في مقام ابراهيم .  
 ب - السمك « المقدس » في بركة زولها ( زولييه غولو ) .
- ١١ - جدول من مياه الينابيع يجري في ساحة عامة .
- ١٢ آ - تمثال نصفي لسيدة رهاوية على شكل مصغر لابنتها الى اليمين اسمها منقوشان بالسريانية ( صفحة ٤٤ ) . متحف أورفا .  
 ب - تمثال سيده رهاوية مع شكل مصغر لابنتها في الجزء السفلي الى اليسار .  
 اسماهما منقوشان بالسريانية ( صفحة ٤٤ ) . متحف ديار بكر .
- ١٣ آ - تمثال في سوماتار هاراييسي .  
 ب - تمثال وجد في حران .
- ١٤ آ - نحت نافر لشخصية مرموقة من أورفا وعليه كتابة سريانية ( صفحة ٥٢ ح ٦٠ ) ، موجود في استانبول .  
 ب - نحت نافر وجد بالقرب من أورفا وعليه كتابة يونانية . متحف أورفا .
- ١٥ آ - نحت نافر لثرايتون ، موجود في متحف أورفا .  
 ب - نحت نافر لزوجين متعانقين ، موجود في متحف أورفا .
- ١٦ آ - صورة ( شمعدان ) منقوش خارج ضريح يهودي في قرخ مغاره .  
 ب - لوحة فسيفسائية عليها كتابة سريانية موجودة في أورفا . رسمها ج\* يوتنغ ، وهي الآن مندثرة .
- ١٧ آ - لوحة فسيفسائية من أورفا عليها كتابة سريانية ، وهي في استانبول .  
 ب - منظر عام للوحة فسيفسائية للحيوانات ، وهي في أورفا ، في الوسط جناح وساعد يحمل عصا .
- ١٨ - منظر تفصيلي من حاشية اللوحة الفسيفسائية للحيوانات .
- ١٩ - منظر تفصيلي من حاشية اللوحة الفسيفسائية للحيوانات .
- ٢٠ - منظر تفصيلي من حاشية اللوحة الفسيفسائية للحيوانات .
- ٢١ آ - مدخل لضريح كهفي في أيوب مهلاسي .  
 ب - مدخل عمودي لضريح في أيوب مهلاسي مع تجاويف في الداخل .
- ٢٢ آ - مدخل لضريح كهفي مزدوج بين التلال في جنوب غربي أورفا .  
 ب - منظر تفصيلي للقوس .

- ٢٣ أ - منظر داخلي لضريح كهفي في قرخ مغارة ، المدخل للغرفة الداخلية على شكل قوس .
- ب - « تمثال نصفي معلق » في ضريح كهفي في سيهتلك مهلاسي .
- ٢٤ أ - موتيف لغصن الكرمة على جدران ضريح كهفي .
- ب - نقش أفمى داخل ضريح كهفي في قيزيل كوي . يوجد على اليسار رأس ثور بين قرنيه قرص .
- ٢٥ أ - شخص على أريكة - نحت نافر في ضريح كهفي .
- ب - مآذبة جنائزية ، نحت نافر داخل ضريح كهفي في قرخ مغارة .
- ٢٦ - صورة داخلية لضريح كهفي .
- ٢٧ - ملاك النصر على جدار ضريح كهفي .
- ٢٨ أ - نقود معدنية ( العملة ) : مقعد ونصب تذكاري مقدسين في معبد .
- ١ - ظهر العملة : حكم الملك وائل بار سهرو . الشعار المكتوب بالسريانية ربما يُقرأ : الاله نحاي .
- ٢ - ظهر العملة : حكم الملك وائل بار سهرو . الشعار مكتوب بالسريانية ربما يُقرأ : الاله نحاي .
- ٣ - ظهر العملة : حكم أليغبالوس ( أو كراكلا ) . تمثالان نصفيان لآلهة المدينة .
- ٤ - وجه العملة : تمثالان نصفيان لأليغبالوس واسكندر سيفيروس .
- ب - نقود معدنية ( العملة ) : ملوك الرها .
- ١ - وجه العملة : ابجر الكبير .
- ٢ - ظهر العملة : وائل بار سهرو .
- ٢٩ أ - كتابة سريانية منقوشة موجهة للملكة شلمات على عمود موجود على جبل القلعة ( صفحة ٢٥ ) .
- ب - كتابة ضريحية سريانية منقوشة لذكرى ج ع و في قرخ مغارة ( صفحة ٧٥ ) .
- ٣٠ أ - كتابة ضريحية سريانية منقوشة على وجه صخرة جنوب غربي أورفا ( صفحة ٤٤ ) .
- ب - كتابة مزدوجة منقوشة بالتدمرية واليونانية على برج ضريح في دير يعقوب ( صفحة ٣٨ ) .

- ٣١ آ - كتابة يهودية منقوشة بأحرف يونانية خارج ضريح كهفي في قرخ مغارة .  
 ب - رسالة يسوع الى ابجر باليونانية وجدت في قرخ مغارة .
- ٣٢ آ - منظر شامل لأورفا نحو الشمال أخذ من جبل القلعة . تجد في المقدمة  
 بركة ابراهيم ، والى اليسار القاع الأصلي لنهر ديسان ووادي منسي .  
 أما العمارة المستطيلة الشكل في وسط اليمين فهي محطة توليد الكهرباء .  
 ب - داخل ساحة مقام ابراهيم .
- ٣٣ آ - أولو كامي .  
 ب - حسن باشا كامي ، القلعة موجودة في الخلفية ، كما ان اللقائ بنت لها  
 عشاً في المئذنة .
- ٣٤ - صورة لشارع أمام قره ميدان كاميي .
- ٣٥ - فناء الكمروخان .
- ٣٦ - منظر شامل أخذ من قرخ مغارة . القلعة موجودة على اليمين ، وبركة  
 ابراهيم في الوسط .
- ٣٧ - منظر شامل نحو الشرق أخذ من تلة في شمال غربي أورفا ( تلفيدير ) .
- ٣٨ - « بئر أيوب » في مقام النبي أيوب .
- ٣٩ آ - أطلال في دير يعقوب .  
 ب - تمثال مضطجع في دير يعقوب .
- ٤٠ آ - بناية في سوماتار هارابييسي ( شكلها مستدير على قاعدة مربعة ) .  
 ب - « الجبل المقدس » في سوماتار هارابييسي ، يوجد على الجانب الأيمن من  
 الوسط تمثال نصفي وتمثال ناتئ .
- ٤١ - تمثال نصفي على جانب « الجبل المقدس » في سوماتار هارابييسي . وهناك  
 ثلاث كتابات سريانية منقوشة ( ص ٧١ ) .
- ٤٢ - مذبح في سانيمفاره ، وضع الحجر باتجاه سوماتار هارابييسي .
- ٤٣ - اللوحة الفسيفسائية للفونيكس أو العنقاء ، عليها كتابات سريانية  
 تاريخها ٥ - ٢٣٦ م .
- ٤٤ - اللوحة الفسيفسائية لأورفيوس ، عليها كتابات سريانية تاريخها ٢٢٨ م .

# E D E S S A

THE BLESSED CITY

BY

J. B. SEGAL

TRANSLATED INTO ARABIC

BY

YOSEPH IBRAHIM JABRA

PUBLISHED WITH INTRODUCTION

BY

GREGORIOS YOHANNA IBRAHIM

METROPOLITAN OF ALEPPO

1988



AL - RAHA  
PUBLISHING HOUSE

SIDAWI PRINTING HOUSE  
DAMASCUS - SYRIA

# FOESSA

'THE BLESSED CITY'

By J. B. SEGAL

